

كتاب العرب

باب

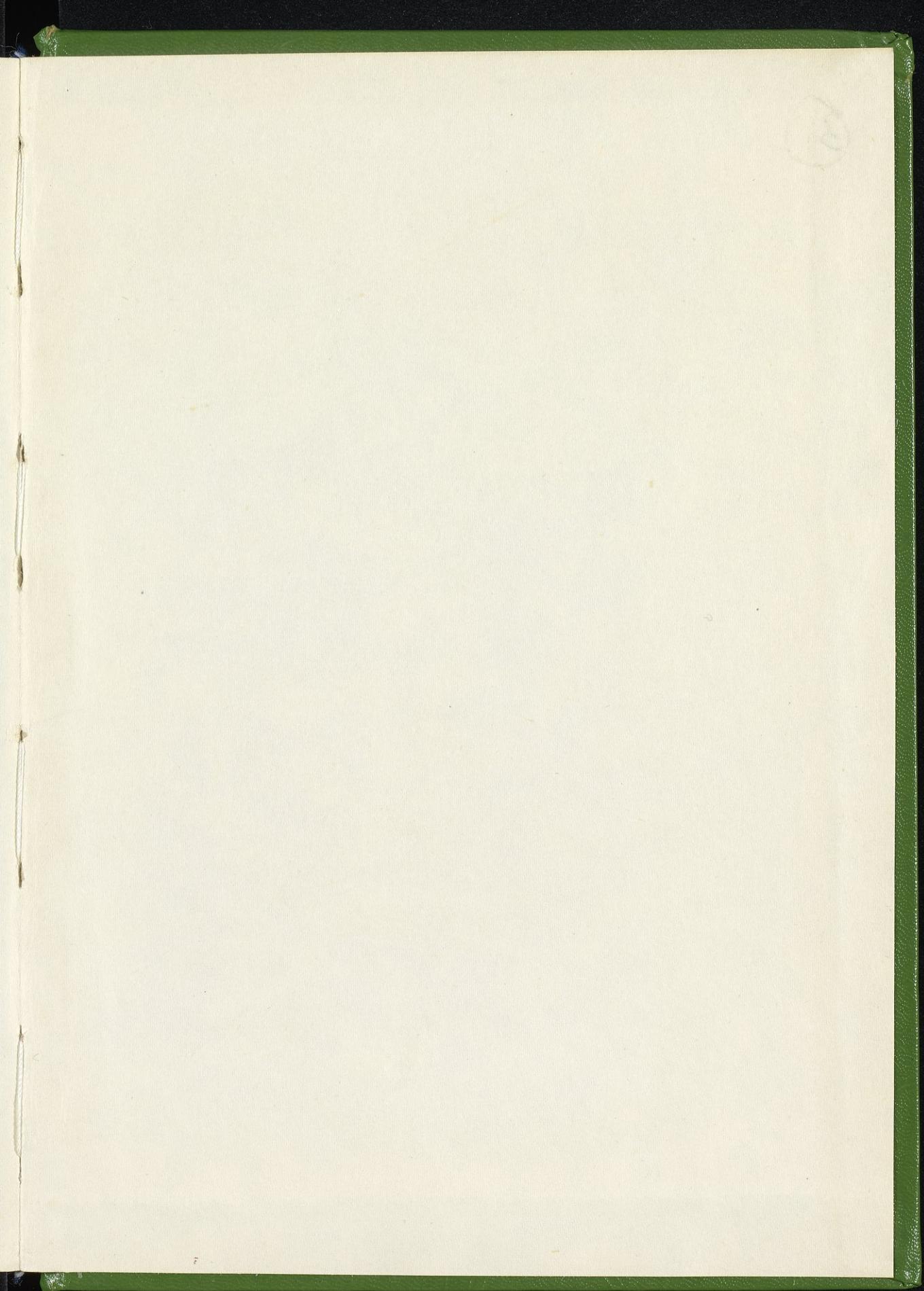
صلواتي على النبي

محمد بن جادل

عبد الرحمن

ابن مالك





(31)

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

PAIR



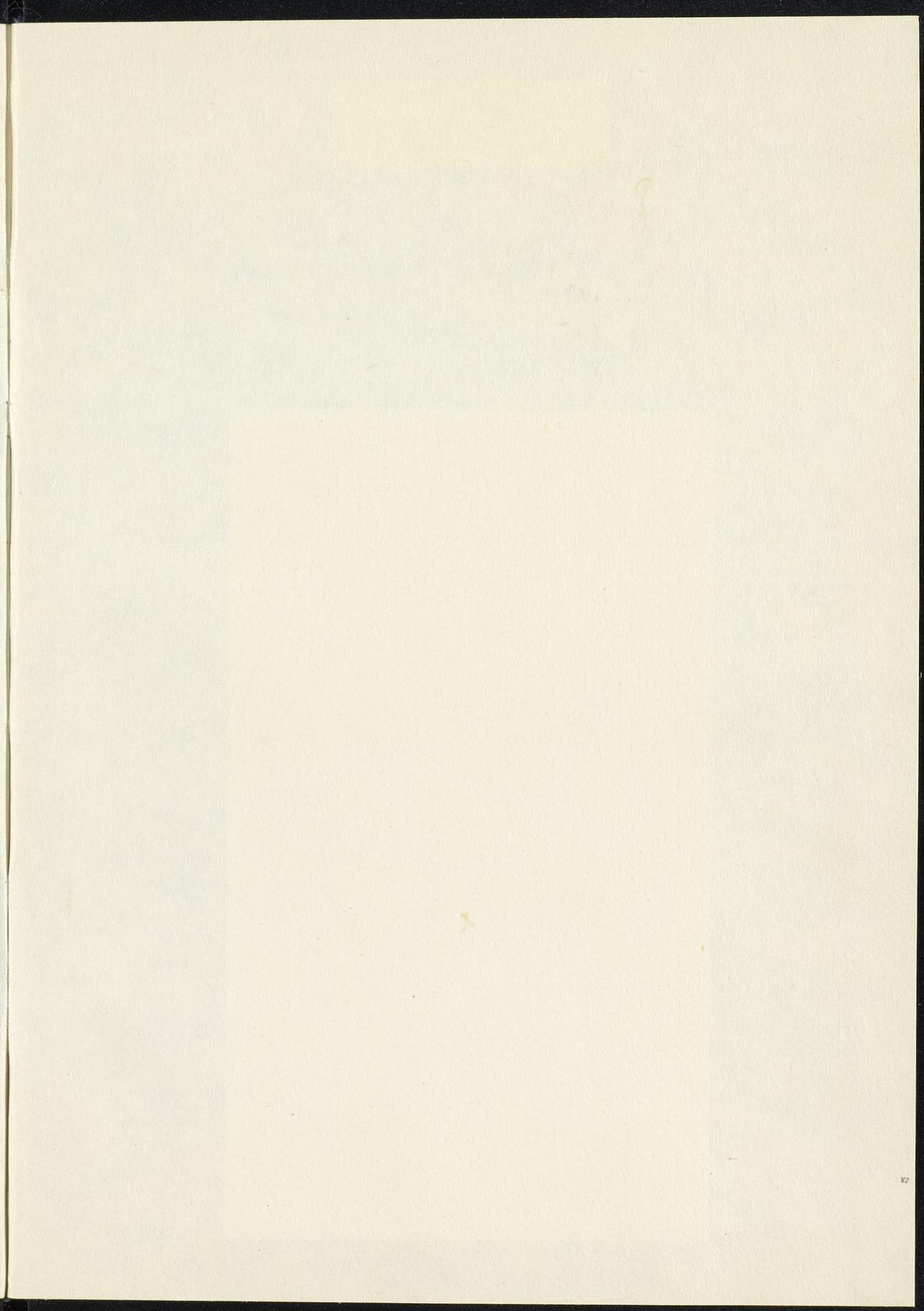
32101 017418706

IR-AR-Y8-931147

14,

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*



Qisas Manla

قصص العرب

تأليف

محمد أحمد جاد المولى محمد أبو الفضل إبراهيم
علي محمد البجاوي

الجزء الرابع

طبعة جديدة
[بها إضافة قصص، وفيها زيادة ضبط وشرح وتحقيق]

١٣٩٢ - ١٩٧٢ م

حيسي البابي الحيدري وشريكاه

15. Aug. 8 - 22. 1967

(Arab)

PJ7601

Q57

al-juz' 4

الكتاب قصص العرب

المؤلف محمد أحمد

على أحمد

محمد أبو الفضل إبراهيم

الناشر منشورات الرضي - قم

القطع وزيرى

المطبعة مطبعة أمير - قم

المطبوع ١٠٠٠ نسخة

الطبعة الخامسة

سنة الطبع ١٣٦٤ هـ ش

عدد الأجزاء أربعة

عدد الصفحات ١٨٦٢ صفحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقْتَدِّمة

١ — هذا هو الجزء الرابع من كتاب «قصص العرب» وهو الأخير أيضاً؛ ويمتاز هذا الجزء عما سبقه من الأجزاء بأنه يجمع بين دفتيه طائفة كبيرة من القصص التي وضعها الكتاب من العرب قاصدين بها تصوير المجالس والأشخاص، والقصص التي نسبوها للطير والحيوان، والتي حكواها عن شياطين الشعر أو تخيلوها عن الجن، واخترعوا لها من اللفظ الرشيق ما يفصح عن أغراضهم، ومن القول الجرجل ما يلعن إرادتهم؛ وسيأتيهم في كل مارووا الوضع والخيال. وبهذه المجموعة وما سبقها يتتسق في كتاب واحد نصيб حسنٌ من أروع مآخذِّه العرب من قصص تاريخيٍّ وموضوعيٍّ، وواقعيٍّ ومتخيّلٍ، ويتم الغرض الذي قصدنا إليه من: «عرض شامل لحياة العرب: مدنيةِّهم وحضارتهم، وعلومهم ومعارفهم، وأديانهم وعقائدهم، وذكر لموائعِّهم وشمائلِّهم، وما طبعوا عليه من كريم الفرائض وحدةِ الذكاء، ثم ما كان للمرأة عندهم من سامي المكانة وعظيم المنزلة، وما أثثَّ عنهم من أخبار صوروا بها جبهم العفيف، وغزَّ لهم الرقيق، وعشّقهم الشريف ... وما كان لهم من محاورات ومساجلات، ومحايدات ومناقلات، وما نقله الرواة من أحوال العامة والملوك، وطرائف القضاة والولاة، وأخبار الأيام والمحروب ...»^(١).

* * *

(١) مقدمة الكتاب.

٣ - ولقد ظهرت الأجزاء السابقة من الكتاب ، فلقيت من ثناء الكتاب ، وإقبال القراء واحتفال الصحف والمجلات في العالم العربي جميعه ما جعلنا نزداد إيماناً وبيقيناً بأن الحاجة إليه كانت ماسة ، وأنه سيُسَدِّدُ في المكتبة العربية فراغاً كبيراً ؛ ولسنا نخاول في هذه السكلمة أن ننقل كل ما تحدّثوا به عن الكتاب ؛ ولكننا نُورِدُ قلّاً من كُثر ما ذكروه مؤيّداً لغاية التي قصدنا إليها :

قالت صحيفة الأهرام الغراء : « ... وما من شك في أن عمل المؤلفين يتتجاوز الجم والطبع ، إلى التبويب والضبط والتحقيق ، وهو قبل هذا قائم على حسن الاختيار والدقّة في النقل ، فهم شديدو الحرص على ألا تقع العين في كتابهم إلا على القصص المهدّبة ، والنواود الرفيعة التي تتحث على مكارم الأخلاق .

ولقد كان أكثر المربين يدعون إلى تهذيب الكتب القديمة ، وإبرامها من الأخبار والأشعار التي تنكرها الأخلاق الكريمة ؛ ولكن مؤرخي الأدب وعلماء اللغة لم يؤيّدوا هذه الدعوة ؛ لأنّهم يشقوون منها على تراثنا الأدبي وفاءً لحق التاريخ ، واحتفاظاً للكتب القديمة بمقومات شخصيتها .

وظل الرأى حائراً بين المربين ورجال اللغة والأدب : الأولون يريدون ألا يقرأ الشباب العربي إلا المهدّب الرفيع ، والآخرون يحرّضون على أن يبقى للكتب القديمة عناصر شخصيتها ، وتراثها التاريخي .

واليوم يظهر كتاب « قصص العرب » فيوفق بين الرأيين جميماً؛ فهو لا يمس تراثنا الأدبي بالتعديل والتغيير ، ولكنه في الوقت نفسه لا يحرم الشباب العربي فضل الاتّفاع به والاتصال بما فيه ؛ فهو يترك الكتاب القديمة كما هي : للعلماء والمؤرخين ، ويختار منها ما يصح للشبيبة أن تقرأ ، فيعرضه عليهم في أسلوب مهذب .

فَالآن نستطيع أَنْ تُوجِّهَ الدُّعَوةُ إِلَى الشَّابِ ، لَكِنْ يَتَحَمَّلُونَ بِلُغَتِهِمْ ، وَيَتَعْرَفُونَ إِلَى مَاضِيهَا بِقِرَاءَةِ هَذِهِ الْمُخْتَارَاتِ الْمُهَذَّبَةِ ، الَّتِي عَالَجَتْ مَا نَشَكُوهُ مِنْ سُقُمٍ وَخُشُونَةٍ وَاضْطِرَابٍ ، وَأَعْفَهُمْ مِنْ بَعْضِ أَخْبَارِهِمُ الَّتِي لَا نَرْضَى لِلشَّابِنَ قِرَاءَتِهَا .^(١) .

* * *

وَقَالَتْ صَحِيفَةُ الْبَلَاغِ فِي كِتَابِهَا عَنِ الْجَزَائِيرِ الْأُولِيِّ وَالثَّانِيِّ : « ... يَشْقُمُ الْجَزَاءُ الْأَنْدَانُ صَدْرًا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى خَلَاصَةِ مَا فِي نَحْوِ مَائِةِ مُؤْلِفٍ قَدِيمٍ مِنْ أَرْوَعِ أَقْصِيَصِ الْعَرَبِ الَّتِي أَنْهَدَرْتُ عَنْهُمْ مَصْوَرًا لِجُمِيعِ مَظَاهِرِ حَيَاتِهِمُ الْعَامَةِ .

وَقَدْ رَتَبَتْ هَذِهِ الْأَقْصِيَصَ بَعْدَ تَهْذِيَّهَا ، وَتَأْلِيفِ مَا تَنَافَرَ مِنْهَا فِي أَمْهَاتِ الْمَرْاجِعِ - إِلَى أَقْسَامِ وَأَبْوَابِ هَذِينِ الْجَزَائِيرِ وَمَاسِفِ يَلِيهِمَا ، حَتَّى صَارَتْ فِي وَضْعِهَا الْجَدِيدُ أَقْرَبَ نَسْقًا وَاتِّصالًا إِلَى هَيَّةِ الْقَامُوْنِ ، وَاتِّقَاظَ مَوَارِدِهِ .

وَالْحَقُّ أَنَّ هَذِهِ الْطَّرَائِفَ الْمُخْتَارَةُ ، وَالنَّوَادِرُ الْمُنْتَقَاءُ ، وَهِيَ مَادَةٌ مَا عَنْدَ الْعَرَبِ مِنْ قَصَصٍ كَانَتْ أَحْوَاجَ شَيْءٍ مِنْذِ زَمِنٍ بَعِيدٍ إِلَى مَثَلِ هَذَا الْمَعْجمِ الْقُصُصِيِّ الَّذِي اصْطَنَعَهُ الْمُؤْلِفُونَ لِأَرْوَعِ مُخْلَفَاتِ الْعَرَبِ .^(٢) .

وَقَالَتْ صَحِيفَةُ الْهَاتِفِ^(٣) .

« ... صَدَرَ فِي ظَرُوفَ مَلَائِمَةً جَدًّا لِتَوْجِيهِ الْأَفْكَارِ إِلَى نَفْسِيَّةِ الْعَرَبِ الْذَّاتِيَّةِ وَجَبَلَتِهِمُ الطَّبَيِّعِيَّةُ ، وَصَفَّاهُمُ الثَّابِتَةُ ، فَكَانَ كَسُورَةً نَاطِقَةً بِمَا كَانَ يَتَحَلَّ بِهِ الْعَرَبِيُّ مِنَ الصَّفَاتِ النَّادِرَةِ ، وَتَصْوِيرُ مجَمِعِهِ تَصْوِيرًا صَادِقًا فِي كُلِّ حَرْ كَانَ وَسَكَنَاهُ؛ وَهِيَ صُورَةٌ مَا نَلَمْ يَكُنْ لَهَا إِلَّا فَائِدَةٌ تَنْبِيهِ الْأَمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْحَاضِرَةِ إِلَى مَا كَانَ يَقْصُفُ

(١) ١٦ آغْسْطِسِ سَنَةِ ١٩٣٩ .

(٢) ٢١ آغْسْطِسِ سَنَةِ ١٩٣٩ (مِنْ مَقَالٍ لِلْأَسْتَاذِ أَعْدَادِ صَبَرِيِّ) .

(٣) تَصَدَّرَ فِي النَّجَفِ ، ١٥ جَادِيَ الْآخِرَةِ سَنَةِ ١٣٥٨ .

به العربُ الأقدمون شهامةً وغيرةً وحِمَةً ، لكنَّ ذلك نفعاً في هذا الوقت الذي تنشد فيه الأمة العربية مجدَها ، وتحاول الاقتداء بما كان يتحلى به العربي قدِيمَا من جمال الصفات ، وسمو الفيالات ، لتبني من كل ذلك وحدة روحية تحقق لها مطالبها المشروعة

٣ - هذا وقد لاحظ بعض الكتاب أَنَّا لم نورِد في كتابنا شيئاً من القصص التي قامت عليها كتب ألف ليلة وليلة ، وسيرة عنترة بن شداد ، وذات الهمة ، وأخبار ابن ذي يزن ، وغيرها مما يشبهها وعذرُنا في ذلك لأن هذه القصص كتبْ قائمة بذاتها ، معروفة بأعيانها ، وكثير منها - كما أوردنا في مقدمة الكتاب - تافه الفرض ، مُبْهَم القصد ، ردِيءُ اللُّغَةُ والأُسْلُوبُ . وإنما كان هُنَّا أن نختار القصص الحسنة التي زخرت بها كتب الأدب القدِيم ، واختفت تحت ركام من رداءة الطبع واضطراب النصوص ؟ ثم ما كان منها نبيل المقصد شريف الفایة جيد الأسلوب ، فكان من مجموعها « . . . معرض ثمين ، عرضت فيه أَفَانِين جميلة من رواحِي البلاغة العربية ، وب دائم الأساليب ، وطراائف الصور الأدبية من جهة ؛ وعرضت فيه من جهة أخرى : ألوانِ جليلة مشرقة من حياة العرب في شتى جهاتِها وألوانِها وصورِها ، فبرزَ العرب في هذا الكتاب أَنَّاساً أحياءَ يَرُوحُون ويُندون أمام عينيك بأُخْلَاقِهِمْ وشَمَائِلِهِمْ وسُجَاجِيَّاهُمْ ، بعادَتْهُمْ وتقاليدهُمْ وشَرائِعِهِمْ ، بألوانِ معايشِهِمْ ومسارِبِهِمْ ، بأحساسِهِمْ ومشاعِرِهِمْ وأذواقِهِمْ ، وبكلِّ ما تحفل به حياة العرب الأوَّلين من بَجَائِي الذهن والعقل والشعور »^(١) .
وأخذ بعضهم علينا أيضاً أَنَّا لم نستوعب القصص التي تضمنت أيام العرب

المشهرة ، وملحّهم المأثورة ؛ على كثرتها . والعذر في ذلك أنا ناحين عالجنا الاختيار
من هذه الأيام وجدناها تضم في أنواعها كثيراً من الشعر ، وتحمل في طياتها كثيراً
من الحوادث ، وأنها مضطربة الروايات محرفة النصوص ، فهي لذلك تستأهل أن
أن تُفرد بكتاب خاص . ونحن آخذون بحول الله في وضع هذا الكتاب ، ونأمل أن
آلا يمضي كبير زمن حتى يكون في يد القراء إن شاء الله ^(١) .

* * *

وفي كل حال نتوجه إلى الله العلي الكبير شاكرين له ما وفقنا إليه من إتمام
هذا الكتاب ضارعين إليه أن يسبغ عليه حسن القبول ^م

المؤلفون

{ ١٩٤٨
١٣٦٧ صفر سنة

(١) هذا ما كتبناه في مقدمة الطبعة الأولى . ويسرنا أن نقول : إننا وفيينا بوعدنا ، فأخرجنا
كتاب « أيام العرب في الجاهلية » ، وكتاب « أيام العرب في الإسلام » وما بآيدي القراء .

مقدمة الطبعة الجديدة

هذه هي الطبعة الخامسة من كتابنا «قصص العرب» نقدمه بعد أن نفذت طبعاته الرابعة . وفي هذه الطبعة أضفنا إلى الكتاب بعض القصص الطريفة التي انتخبناها في أثناء قراءتنا لكتب الأدب والتاريخ . وقد أردنا بذلك أن يكون للكتاب مدد جديد يزيد من روعة ، ويبقى على جدّته .

أما الشرح والضبط فقد زدنا فيه لنقربه إلى القراء جميعا ، ولينهل منه شبابنا وناشئتنا الذين ينشدون المورد الصاف للثقافة العربية ، ويبدون لو عرفوا مصادر هذه الثقافة ، وقراءوا من تراهنما يشبع رغبهم ، ويقفهم على حياة أسلافهم وأمجاد عروبتهم .

والله نسأل التوفيق ، إنه سميع مجيب ۲

المؤلفون

المحرم سنة ١٣٩٢
مارس سنة ١٩٧٢

البَابُ الْأُولُ

فِي الْقَصَصِ الَّتِي تُصِفُّ مَا عَقَدُوهُ مِنْ مَحَالِسِ
الْطَّرْبِ ، وَحَفَلَاتِ الْغَنَاءِ ، وَمَا أَنْارُوهُ مِنْ أَسْبَابِ
الْمَنَافِعِ بَيْنَ الْمُفْنَينَ ، قَاصِدِينَ التَّرْفِيهِ عَنِ النَّفُوسِ ،
وَجَلَاءِ الْهَمِ ، وَتَهْذِيبِ الْمَشَاعرِ ، وَتَرْقِيقِ الْوَجْدَانِ .

١ — الشعر والفناء*

كان معاوية يعيب على عبد الله بن جعفر^(١) سماع الفناء ، فا قبل معاوية عاماً حاجاً؛ فنزل المدينة ، فر ليلة بدار عبد الله بن جعفر ، فسمع عنده غناه على أوتار ، فوقف ساعة يستمع ، ثم مضى وهو يقول : أستغفر الله ، أستغفر الله !

فلم انصرف من آخر الليل مر بداره أيضاً ، فإذا عبد الله قائم يصلّي فوقف ليسمع قراءته ، فقال : الحمد لله ، ثم مضى وهو يقول : « خلطوا عملاً صالحًا وآخر سينما عسى الله أن يتوب عليهم »^(٢).

فلم بلغ ابن جعفر ذلك أعد له طعاماً ، ودعا إلى منزله ، وأحضر ابن صياد المغنى ، ثم تقدم إليه وهو يقول : إذا رأيت معاوية واضعاً يده في الطعام ، فحرّك أوتارك وغنّ ؛ فلما وضع معاوية يدّه في الطعام حرّك ابن صياد أوتاره وغنّ بـ شعر عدي بن زيد - وكان معاوية يعجب به :

يالبئني أوقدي النار
إن من تهون قد حارا^(٣)
رب نار بث أرمهم
تقضم المندى والفار^(٤)

* العقد الفريد : ٤ - ٩٨ ، الأغاني : ٢ - ١٧٤

(١) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، كان كريعاً جواداً، يحب البذل ويرتاح للعطاء ، وأخباره في الكرم والسماع كثيرة ، توفي سنة ٩٠ هـ . (٢) سورة التوبة ، آية ١٠٢ (٣) حار: ضل.

(٤) الفار: شجر طيب الربيع ، وشجر السوس .

عندما ظبي يوججها عاقد في الخضر زنارا^(١)

فأعجب معاوية غناوه حتى قبض يده عن الطعام ، وجعل يضرب برجله الأرض طرباً ؛ فقال له عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ؛ إنما هو مختار الشعر يركب عليه مختار الألحان ، فهل ترى به بأساً ؟ قال : لا بأس بمحكمة الشعر مع حكمة الألحان .

(١) الزنار : ماعلى وسط النصارى والجوش ، وقد روى هذا البيت في الأغاني :
عندما ظبي يوججها عاقد في الجيد تقصارا
بؤرثها : يوقدها ويكثر حطتها . والتقصار : القلادة .

٢ — قل لـلـكـرـام بـيـابـنـا يـلـجـوـا*

بَيْنَمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ فِي أَزْقَةِ الْمَدِينَةِ إِذْ سَمِعَ غَنَاءً ، فَأَصْفَى إِلَيْهِ ، فَإِذَا بِصُوتِ
شَجَرِيْ رَقِيقِ لَقِينَةِ تَغْنِيْ :

قُلْ لـلـكـرـام بـيـابـنـا يـلـجـوـا مـاـفـالـتـاصـابـيـ عـلـىـ الفـتـيـ حـرـاجـُ
فَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ عَنْ دَابِّتِهِ ، وَدَخَلَ عَلَى الْقَوْمِ بِلَا إِذْنٍ ؛ فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامُوا إِلَيْهِ
إِجْلَالًا ، وَرَفَعُوا مَجْلِسَهُ ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ ، فَقَالَ : يَا بْنَ عَمِ رَسُولِ اللَّهِ
دَخَلْتَ مَنْزِلَنَا بِلَا إِذْنٍ ، وَمَا كَنْتَ هَذَا بِخَلِيقٍ ! فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَمْ أَدْخُلْ إِلَّا بِإِذْنِ
قَالَ : وَمَنْ أَذْنَ لَكَ ؟ قَالَ : قَيْنَاتُكَ هَذِهُ ، سَمِعْتُهَا تَقُولُ :

* قُلْ لـلـكـرـام بـيـابـنـا يـلـجـوـا . . . *

فَإِنْ كـنـاـ كـرـامـاـ فـقـدـ أـذـنـ لـنـاـ وـ إـنـ كـنـاـ لـثـامـاـ خـرـجـنـاـ مـذـمـومـينـ ؛ فـضـحـكـ
صـاحـبـ الـمـنـزـلـ وـقـالـ : صـدـقـتـ ، جـعـلـتـ فـدـاكـ ! مـاـ أـنـتـ إـلـاـ مـنـ أـكـرـمـاـنـ ؛ كـرـمـ الـأـكـرـمـينـ .
ثـمـ بـعـثـ عـبـدـ اللـهـ إـلـىـ جـارـيـةـ مـنـ جـوـارـيـهـ ، فـقـالـ لـهـ : غـنـيـ ، فـغـنـتـ ؛ فـطـرـبـ
الـقـوـمـ ، وـطـرـبـ عـبـدـ اللـهـ ، فـدـعـاـ بـثـيـابـ وـطـيـبـ ؛ فـكـسـاـ الـقـوـمـ وـصـاحـبـ الـمـنـزـلـ ،
وـطـيـبـهـ ، وـوـهـبـ لـهـ الـجـارـيـةـ ، وـقـالـ لـهـ : هـذـهـ أـحـذـقـ بـالـفـنـاءـ مـنـ جـارـيـتـكـ .

٣ — عبد الله بن جعفر ضيف طوَيس*

كان عبد الله بن جعفر معه إخوان له في عشية من عشایا الربيع ، فراحت عليهم السماء بطرِ جَوْد^(١) ، فأسأَلَ كل شئ ، فقال عبد الله: هل لكم في العقيق^(٢)؟ فركبوا دوابهم ، ثم اتَّهُوا إليه ، فوقوا على شاطئه ، وهو يرني بالزَّبد مثل مَدَةِ الفرات . وإنهم لينظرون إذ هاجت السماء ، فقال عبد الله لأصحابه : ليس معنا جنة^(٣) نستَحِنُ بها ، وهذه سماء خلقة أَن تَبْلُلَ ثيابنا ، فهل لكم في منزل طُوَيس^(٤) فإنه قريب منا قد ستكنَ فيه ويحدتنا ويُسْحِكنا - وطُوَيس في النَّظَارَةِ يسمع كلامَ عبد الله بن جعفر .

قال له عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : جعلت فداكَ ! وما ت يريد من طُوَيس عليه غضب الله ! هو يَشِين^(٥) من عَرَفَه ! قال له عبد الله : لا تقل ذلك فإنه مليح خَفِيف لنا فيه أنس .

فَلَمَا اسْتَوَى طُوَيسَ كَلَامَهُ تَعَجَّلَ إِلَى مَنْزِلِهِ قَالَ لَا مِرْأَتَهُ : وَيَحْكُمُ أَقْدَمْهُ جَاءَهُ عبد الله بن جعفر سيدُ الناس ، فما عندك؟ قالت : نذبح هذه العناق^(٦) - وكانت عندها عَنْيَّةٌ قد رَبَّتْها باللبن - وأختبر حُبْزاً رُقاقاً ؛ فبادر فذَبَحَها ، وَعَجَّنَتْ هِيَ .

ثم خرج فتقلاه مُقبلاً إليه؛ قال له طُوَيس : بأبي أنت وأمي ! هذا المطر ،

* الأغاني : ٣ - ٣٢

(١) الجود : المطر الغزير ، أو ملا مطر فوقه . (٢) العقيق : متزه أهل المدينة في أيام المطر والربيع . (٣) الجنة : ما استقرت به . (٤) اسمه عيسى بن عبد الله ، وطُوَيس لقب قلب عليه ، وهو أول من غنى في الإسلام ، وكان ظريفاً عالماً بأمر المدينة وأنساب أهلها . (٥) يَشِين : يَعِيب .

(٦) العناق : الأنثى من وَدَ المز .

فهل لك في المنزل فتستكِنَ فيه إلى أن تُكْفَ السماه ؟ قال : إياك أريد . قال : فامض يا سيدِي على بركة الله . وجاء يمشي بين يديه حتى نزلوا ، فتحدثوا حتى أدرك الطعام ، فقال : بأبي أنت وأمي ! تُكرمني إذا دخلتَ منزلي بأن تتعشى عندى ؟ قال : هات ما عندك . جاء بعناقٍ سمينٍ ورافق . فأكل وأكل القوم حتى تملأوا ^(١) ، فاجبه طيب طعامه ؛ فلما غسلوا أيديهم قال : بأبي أنت وأمي ! أتمشى معك وأغنىك ؟ قال : افل يا طويس ، فأخذ ملحفةً فاثزر بها ، وأرخي لها ذَنَبَين ، ثم أخذ المربع ^(٢) فقمشى ، وأنشا يقني :

يا خليلي نابني سهلي لم تَمْ عيني ولم تَكَدْ
فسرابي ما أسيخ وما أشكي ما بني إلى أحد
كيف تَلْحُونَي ^(٣) على رَجُلِ آنسِ تَلْقَنَه كَبِدِي
مثل ضوء الْبَدْرِ طلعته ليس بالزميلا النكيد ^(٤)
من بني آل المغيرة لا خاملِ نكسٍ ولا جَيدٍ ^(٥)
نظرات يوما فلا نظرات بمدَه عيني إلى أحد

فطرب القوم ، وقالوا : أحسنت والله يا طويس ! ثم قال : ياسيدى ؛ أتدري لمن هذا الشعر ؟ قال : لا ، والله ما أدرى لمن هو . إلا أنى سمعتُ شعراً حسناً . قال : هو لفارعة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت في عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي . فنكس القوم رؤسهم ، وضرب عبد الرحمن برأسه على صدره ^(٦) ، فلو شُقت الأرض له لدخل فيها .

(١) تملأوا : امتلأوا من كثرة الأكل . (٢) المربع : آلة من آلات الطرب . (٣) لاه يلحوه : لامه . (٤) الزميلة : الجبان الضعيف . (٥) النكس : الضعف لا خير فيه . والجحد : القليل الخير . (٦) ضرب برأسه على صدره : أطرق استحياء وخجلًا ، وهو يريد بعد الرحمن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

٤ - سَقَوْنِي وَقَالُوا لَا تَفْنِيْ^{*}

جلس عبد الله بن جعفر يوماً عند عبد الملك بن مروان ، خدنه عن إقلال^(١)
ابن أبي عتيق وكثرة عياله ؛ فأمره عبد الملك أن يبعث به إليه ، فأتاه ابن جعفر
فأعْمَمَ بما دار بينه وبين عبد الملك وبعثه إليه .

فدخل ابن عتيق على عبد الملك ، فوجده جالساً بين جاريتين قائمتين
عليه تميسان^(٢) كفصني باني ، بيده كل جارية مروحة ، تروح بها عليه ، مكتوب
بالذهب في المروحة الواحدة :

لَنِي أَجْلِبُ الْرِّيحَ وَبِي يَلْعَبُ الْخَجْلُ
وَحِجَابٌ إِذَا الْحَبِيدَ بُنْتِ الرَّأْسِ الْمُقْبَلِ
وَغِيَاثٌ إِذَا النَّدِيمُ تَفَنَّى أَوْ ارْتَجَلَ
وَفِي الْمَرْوِحَةِ الْأُخْرَى :

أَنَا فِي الْكَفَّ طَيِّفٌ مَسْكِنِي قَصْرُ الْخَلِيفَةِ
أَنَا لَا أَصْلُحُ إِلَّا لَظَرِيفٍ أَوْ ظَرِيفَةٍ
أَوْ وَصِيفٍ^(٣) حَسَنُ الْقَادِ شَبِيهٌ بِالْوَصِيفَةِ

قال ابن أبي عتيق : فلما نظرت إلى الجاريتين هوَنَا الدنيا علىَّ ، وأَنْسَتَانِي
سوء حالٍ ، ثم قلت : إِنْ كَانَتَا مِنَ الْإِنْسَانِ فَلَا نَسُؤُنَا إِلَّا مِنَ الْبَهَامُ ، فلما كررتُ
بصري فيما تذكرت الجنة ، فإذا تذكرت أمرأتي - وكنت لها محباً - تذكرت

* العقد الفريد : ٤ - ٩١

(١) فقر . (٢) تميسان : تتبخران . (٣) الوصيف : الخادم ، غلاماً كان أو جارية .

النار ، وبدأ عبد الملك يتوجّع لِي بما حَكَى له ابنُ جعفر عَنْهُ ، ويُخْبِرُنِي بما لِي عَنْهُ من جَيْل الرأي ؛ فَأَكَذَّبْتُ لَهُ كُلَّ مَا حَكَاهُ له ابنُ جعفر عَنْهُ ، ووَصَّفْتُ لَهُ نَفْسِي بِفَاتِيَّةِ الْمَلَأِ وَالْجَدَّةِ^(١) ؛ فَامْتَلَأَ عبدُ الْمَلَكِ سُرُورًا بِمَا ذَكَرْتُ لَهُ وَعَنْهُ بِتَكْذِيبِ ابنِ جعفر .

فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ ابنُ جعفر عَاتِبَهُ عبدُ الْمَلَكَ عَلَى مَا حَكَاهُ عَنْهُ ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا حَلَّتْ^(٢) لِهِ نَفْسِي ، فَقَالَ : كَذَبْ ، وَاللهِ يَا مِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّهُ أَحْوَجُ أَهْلَ الْحِجَازِ إِلَى قَلِيلٍ فَضَلِّلَكَ ، فَضَلَّا عَنْ كَثِيرٍ .

ثُمَّ خَرَجَ عَبْدُ اللهِ فَلَقِينِي ، فَقَالَ : مَا حَمَلْتَ عَلَى أَنْ كَذَّبْنِي عَنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟
قَلَّتْ : أَفَكَنْتَ تَرَانِي وَقَدْ أَجْلَسْتِي بَيْنَ شَمْسٍ وَقَرْ ، ثُمَّ أَتَفَاقَرَ^(٣) عَنْهُ ! لَا وَاللهِ ،
مَا رَأَيْتَ ذَلِكَ لِنَفْسِي ، وَإِنَّ رَأْيَتِهِ لِي .

فَلَمَّا أَعْلَمَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنَ جعفرَ عبدُ الْمَلَكَ بْنَ مُرَوَّانَ قَالَ : فَاجْلَارِيتَانَ لَهُ .
قَالَ ابنُ أَبِي عَتِيقٍ : فَلَمَّا صَارَا إِلَيَّ زَرْتُ عبدَ اللهِ بْنَ جعفرَ فَوْجَدْتُهُ قَدْ امْتَلَأَ
غَرَّاً وَهُوَ يَشْرَبُ ، وَبَيْنَ يَدِيهِ عُسْنٌ^(٤) فِيهِ عُسلٌ مَزْوَجٌ بِمَسْكٍ وَكَافُورٍ ، فَقَالَ :
مَهِيمٌ^(٥) ؟ قَلَّتْ : قَدْ وَاللهِ قَبْضَتُ الْجَارِيَتَيْنِ ، قَالَ : فَاشْرَبْ ، فَتَنَاهُتُ الْعُسْنُ ،
فَغَرَّتْ مِنْهُ جَرْعَةً ، فَقَالَ لِي : زِدْ ، فَأَيْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ جَارِيَةً لَهُ عَنْهُ تَغْنِيَّهُ :
إِنَّ هَذَا قَدْ حَازَ الْيَوْمَ غَزَّالَيْنِ مِنْ عَنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَذْنِي فِي نَعْمَمَا ، فَخَرَكَتْ
الْجَارِيَةُ الْعَوْدَ ، ثُمَّ غَنَتْ :

(١) المَلَأُ : سُعَةُ الْبَيْشِ . وَالْجَدَّةُ : الْفَنِيُّ . (٢) حَلَّ نَفْسِهُ : وَصَفَ حَلِيلَهُ . (٣) تَفَاقَرَ : أَظْهَرَ الْفَقْرَ . (٤) الْعُسْنُ : الْقَدْحُ الْمُظْيَمُ . (٥) كَلْمَةُ اسْتِفْهَامٍ : أَيْ مَا حَالَكَ وَمَا شَأْنُكَ ؟ أَوْ مَا وَرَاءَكَ ؟ أَوْ أَحَدَتْ لَكَ شَيْءًا ؟

عهْدِي بِهَا فِي الْحَيّ قَدْ جَرَدْتُ صَفَرَاءَ مُثْلَ الْمَهْرَةِ الضَّامِيرِ
قَدْ حَجَّمَ^(١) الثَّدْيُ عَلَى نَحْرِهَا فِي مَشْرُقِ ذِي بَهْجَةٍ نَاضِرٍ
لَوْ أَسْنَدْتُ مَيْتَانَا إِلَى صَدْرِهَا قَامَ وَلَمْ يَنْقُلْ إِلَى قَابِرٍ^(٢)
حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مَمَارَأُوا : يَاعِبِيَا لِلْمَيْتِ النَّمَاشِرِ
فَلَمَّا سَمِعَتُ الْأَبْيَاتِ طَرِبَتْ ، ثُمَّ تَنَاوَلَتُ الْعُسَنَ ، فَشَرِبَتْ عَلَالًا^(٣) بَعْدَ
نَهَلَ ، وَرَفَعَتْ عَقِيرَتِي أَغْنِيَ :
سَقَوْنِي وَقَالُوا : لَا تُغْنِنَّ وَلَوْ سَقَوْا جَبَالَ حُنَينَ مَا سَقَوْنِي لَغْنَتِ

(١) حَجَّمَ الثَّدْيُ : نَهَدَ . (٢) قَبِرَهُ يَقْبِرُهُ : دَفَنَهُ ، أَى إِلَى دَافِنٍ . (٣) الْعَلَالُ : الشُّرْبَةُ التَّانِيَةُ ، أَوِ الشُّرْبُ بَعْدَ الشُّرْبِ تَبَاعًا ، وَالنَّهَلُ : الشُّرْبُ الْأُولُ .

* ٥ — عبد الله بن جعفر عند جميلة

جلستْ جميلة^(١) يوماً للوفادةِ عليها ، وجعلتْ على رءوسِ جواريها شعوراً مُسدلاً كالعنقىد إلى أمحازهنَّ ، وألبستهنَّ أنواعَ الثياب المصبغة ، ووضعتْ فوق الشعور التيجانَ ، وزينتهنَّ بأنواعَ الخلائق .

ووجهتْ إلى عبد الله بن جعفر تستزيره ، وقالتْ لكاتبِ أملتْ عليه : « بابي أنت وأمي اقدرك يحيلُ عن رسالتي ، وكرمك يحتملُ زلتني ، وذنبي لا تقالُ عترته ، ولا تغفرُ حوبته^(٢) ؛ فإن صفتَ فالصفحُ لكم عشرَ أهلِ البيتِ يُؤثر ، والخيرُ والفضلُ كلُّه فيكم مُدْخَر ، ونحن العبيد وأنت المولى . فطوبى لمن كان لكم مجاوراً ، وبعزكم قاهراً ، وبضيائكم مُبصراً ! والويلُ لمن جهلَ قدركم ، ولم يعرف ما أوجبه الله على هذا الخلق لكم ! فصغيركم كبير ، بل لا صغير فيكم ، وكبيركم جليل ، بل الجلالَةُ التي وهبها الله عزَّ وجلَّ للخلق هي لكم ، ومقصورة عليكم ؛ وبالكتابِ نسألُك ، وبحقِّ الرسول ندعوك إن كنت نشيطاً - مجلسِ هياته لك ، لا يحسن إلا بك ، ولا يتم إلا معك ، ولا يصلح أن ينقلَ عن موضوعه ، ولا يُسلُك به عن طريقه » .

فلماقرأ عبد الله الكتاب قال : إننا لنعرف تعظيمها لنا ، وإن كرامها لصغيرنا وكبيرنا ، وقد علمتُ أنها قد آلت أليه^(٣) ألا تغنى أحداً إلا في منزلها . وقال

* الأغاني : ٨ - ٢٢٧

(١) هي جميلة مولاية بني سليم ، كانت أصلاً من أصول النساء ، وعنها أخذ معبد وابن عائشة وحبابة وسلامة وغيرهم من المتنين والمعينيات ، توفيت سنة ١٢٥ هـ تقريباً . (٢) الحوية : الإمام .

(٣) آلت : أقسمت يميناً .

للرسول : والله قد كنتُ على الرَّكوب إلى موضعِ كذا ، وَكَانَ فِي عَزْمِ الْمَرْوُرِ بِهَا ؛
فَأَمَّا إِذَا وَافَقَ مُرَادَهَا فَإِنِّي جَاعِلٌ بَعْدَ رَجُوعِي طَرِيقَهَا عَلَيْهَا .

فَلَمَّا صَارَ إِلَى بَابِهَا أَدْخَلَ بَعْضَ مَنْ كَانَ مَعَهُ إِلَيْهَا وَصَرَفَ بَعْضَهُمْ . فَنَظَرَ إِلَى
ذَلِكَ الْحُسْنَ الْبَارِعِ وَالْمِيَةِ الْبَادِيَةِ ^(١) ، فَأَعْجَبَهُ وَوَقَعَ مِنْ نَفْسِهِ ؛ فَقَالَ : يَا جَمِيلَةَ ؛
لَقَدْ أُتِيتَ خَيْرًا كَثِيرًا ! مَا أَحْسَنَ مَا صَنَعْتِ ! فَقَالَتْ : سَيِّدِي ؟ إِنَّ الْجَمِيلَ لِلْجَمِيلِ
يَصْلُحُ ، وَلَكَ هَيَّاتُ هَذَا الْمَجْلِسِ .

جَلَسَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرَ ، وَقَامَتِ الْجَوَارِيَ صَفَّيْنِ ؛ فَأَقْسَمَ
عَلَيْهَا جَلَسَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ . ثُمَّ قَالَتْ : يَا سَيِّدِي ؟ أَلَا أَغْنِيَكَ ، فَقَالَ : بَلِّي ! فَقَنَتْ :
بَنِي شَيْبَةَ ^(٢) الْمَحْمَدِ الَّذِي كَانَ وَجْهُهُ يُضَيِّعُ ظَلَامَ اللَّيْلِ كَأَقْمَرِ الْبَدْرِ
كُهُولُهُمْ خَيْرُ الْكَهْوَلِ وَنَسْلُهُمْ كَنْسِلُ الْمُلُوكِ لَا يَبُورُ وَلَا يَحْرُى ^(٣)
أَبُوكَمْ قُصَىٰ كَانَ يُدْعَى مُجَمِّعًا بِهِ جَمَعَ اللهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فِئَرِ
فَقَالَ عَبْدُ اللهِ : أَحْسَنْتِ يَا جَمِيلَةَ ! بِاللهِ أَعِدَّتِهِ عَلَى ، فَأَعْوَدَتِهِ ؛ فِي جَاءَ الصَّوْتُ
أَحْسَنَ مِنَ الْأَرْتِحَالِ . ثُمَّ دَعَتْ لِكُلِّ جَارِيَةٍ بِعُودٍ ، وَأَمْرَتْهُنَّ بِالجلوسِ عَلَى
كَرَاسِيِ صَفَارٍ قَدْ أَعْدَهَا لَهُنَّ ، فَضَرَبَنَ ، وَغَنَتْ عَلَيْهِنَّ هَذَا الصَّوْتُ وَغَنَى جَوَارِيَها
عَلَى غَنَاهُمَا .

فَلَمَّا ضَرَبَنَ جَمِيعًا قَالَ عَبْدُ اللهِ : مَا ظَنَنْتُ أَنَّ مِثْلَ هَذَا يَكُونُ ! وَإِنَّهُ لِمَا
يَفْتَنِ الْقُلُوبَ !

ثُمَّ دَعَا بِيَغْلِتهِ فَرَكَبَهَا وَانْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ - وَقَدْ كَانَتْ جَمِيلَةً أَعْدَتْ طَعَامًا
كَثِيرًا - فَقَالَ لِأَمْحَاجَابِهِ : تَخَلَّفُوا فَقَدَّوا وَانْصَرَفُوا مَسْرُورِينَ .

(١) المِيَةُ الْبَادِيَةُ : الْفَالِيَةُ الْفَائِتَةُ . (٢) شَيْبَةُ الْمَحْمَدِ : لِقَبُ عَبْدِ الْمَطَلِبِ بْنِ هَاشِمٍ ، وَهُوَ جَدُّ عَبْدِ اللهِ

ابْنِ جَعْفَرٍ . (٣) بَيْوَرُ : يَهْلَكُ ، وَمَحْرَى : يَنْقُسُ .

٦ — يَدْتَانِ مِن الشِّعْرِ *

قال أبو عباد : أتيتُ جمِيلَةً يوْمًا ، وقد ظننتُ أني سبقتُ النَّاسَ إِلَيْهَا ، فإذا
مجلسها غاصٌ ؛ فسألتها أَن تعلّمَنِي شيئاً ، فقالت لِي : إِنَّ غَيْرَكَ قد سبقكَ ، ولا يجُمِلُ
قديْمُكَ عَلَى مَنْ سواكَ . قالت : جَعَلْتُ فدَاكَ ! مَنْ تَفَرُّغَنِي مِنْ سَبَقَنِي ؟
قالت : هُوَ ذَاكَ ، الْحَقُّ يَسْعَكَ وَيَسْعُمُكَ .

فيينا نحن كذلك إذ أقبل عبدُ الله بن جمفر - وإنه لأولُ يوم رأيته وآخره ،
وكنت صغيراً كيساً^(١) ، وكانت جميلةً شديدةً الفرح - فقامت وقام الناس ،
فتلقتهُ وقتلتُ رجليه ويديه ، وجلس في صدر الم مجلس على كوم^(٢) لها ، وتحوق^(٣)
أصحابه حوله ، وأشارت إلى مَنْ عندها بالانصراف ، وتفرق الناس ، وغمزَتني ألا
أبرأَ ، فأقتلتُ . وقالت : يا سيدى وسيد آبائى وموالى ؟ كيف نشطتَ إلى أن
تنقل قدميك إلى أمتك ؟ قال : يا جميلة ؟ قد علمتُ ما آلَيتَ على نفسكُ الاتّفافُ
أحداً إِلَّا في منزلكَ ، وأحببتُ الاستماع . قالت : جَعَلْتُ فدَاكَ ! فأنا أَصِيرُ إِلَيْكَ
وأَكُفُّ . قال : لا أَكُلفُ ذلك ، وبلغى أنك تُغْنِينِي بِيَتِينِ لامري^(٤) القيسِ
تجيدين الفناء فيما ، وكان الله أَنْقَذَ بهما جماعة من المسلمين من الموت . قالت :
يا سيدى ، نعم ! فاندفعتْ تُغْنِي ، ففَنَتْ بِعُودِها ؛ فاصْبَعْتُ منها قبلَ ذلك ، ولا بعدَ

* الأغانى : ٨ - ١٩٨.

(١) كيس : عاقل .. (٢) الكوم : الموضع المشرفة ، واحدتها كومة . (٣) تحوق القوم
حوله : استداروا وأحاطوا به .

إلى أن ماتت ، مثل ذلك الفتنة ، فسبّح عبد الله بن جعفر والقوم معه ، وها :

ولما رأيت أن الشريعة همها وأن البياض من فرائصها دائمة^(١)

تيممت العين التي عند ضارجٍ بنيٌ عليها الظلُّ عرْمُصها طامي^(٢)

ف لما فرغت قالت جميلة : أى سيدى ؟ أزيدك ؟ قال : حسبي . فقال بعض

من كان معه : بابى جعلت فداك ! وكيف أفقد الله من المسلمين جماعة بهذه

البيتين ؟ قال : نعم ، أقبل قوم من أهل اليمن ، يريدون النبي صلى الله عليه وسلم :

فضلوا الطريق ، ووقعوا على غيرها ، ومكثوا ثلاثة لا يقدرون على الماء ، وجعل

الرجل منهم يسكندرى^(٣) بني السمر والطاح يائساً من الحياة إذ أقبل راكب

على بعير له ، وأنشد بعض القوم هذين البيتين ، فقال :

ولما رأيت أن الشريعة همها وأن البياض من فرائصها دائمة^(١)

تيممت العين التي عند ضارجٍ بنيٌ عليها الظلُّ عرْمُصها طامي^(٢)

قال الراكب : من يقول هذا ؟ قال : أمر القيس . قال : والله ما كذب ،

هذا ضارج عندكم ، وأشار لهم إليه ، فحبوا على الركبة فإذا ماء عذب ،

وإذا عليه العرمض والظل بني عليه ؛ فشربوا منه ريههم ، وحملوا ما أكتفوا به

حتى بلغوا الماء .

(١) الصمير في رأى لاعمر ، والشريعة : مورد الماء الذي تشرب فيه الدواب ، وهما : طلبها ، والقريضة : اللحم الذي بين الكتف والمصدر . (٢) ضارج : موضع في بلاد بني عبس ، والرمض : الطحلب ، وطام : عال مرتفع . يريد أن الحر لما أرادت شريعة الماء خافت على أنفسها من الرماة وأن تدى فرائصها من سهامهم ، فعدلت إلى ضارج لمدم الرماة على العين التي فيها . (٣) يسكندرى يستظل

فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وقالوا: يا رسول الله؛ أحياناً الله عزوجل
بديتين من شعر امرئ القيس، وأنشدوه الشعر . فقال رسول الله صلی الله علیہ
وسلم : ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها ، مُنسى في الآخرة ، خامل
فيها ، يحيى يوم القيمة معه لواء الشعراء إلى النار . فكل استحسن الحديث .
ونهض عبد الله بن جعفر ونهض القوم معه ؛ فما رأيت مجلساً كان أحسن
من مجلسه .

* ٧ - ماذا فعلت بزاهد متَّعبدَ!

قال الأصحى: قدم عراق بعدل^(١) من شهر العراق إلى المدينة ، فباعها كلها إلا السوْد؛ فشكَا ذلك إلى الدارِمِي^(٢) ، وكان قد تنسَكَ وترك الشِّعْرَ ولزمَ المسجدَ ، فقال: ما تجعلُ لي على أَنْ أَحْتَالَ لِكَ بجيْلَةَ حتى تبيعها كلها على حكمك؟ قال: ما شئتْ! فعمدَ الدارِمِيَ إلى ثيابِ نُسْكِهِ ، فألقاها عنه، وعاد إلى مثل شأنه الأول، وقال شعراً رفعه إلى صديق له من المغنين ، فغنَّى به ، وكان الشعر :

قلْ لمَيْحةَ فِي الْخَمَارِ^(٣) الأَسْوَدْ ماذا فَعَلْتِ بِزَاهِدٍ مَتَّعْبِدِ
قدْ كَانَ شَمْرَ لِلصَّلَاةِ ثِيَابَهُ حَتَّى خَطَرْتِ لَهُ بِيَابِ الْمَسْجِدِ
رُدُّدِيَ عَلَيْهِ صَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ لَا تَقْتُلِيهِ بِحَقِّ دِينِ مُحَمَّدِ
فَشَاعَ هَذَا الْفَنَاءُ فِي الْمَدِينَةِ ، وَقَالُوا: قَدْ رَجَعَ الدارِمِيُّ ، وَتَعْشَقُ صَاحِبَةَ الْخَمَارِ
الْأَسْوَدِ ، فَلَمْ تَبْقِ مَلِيْحَةً بِالْمَدِينَةِ إِلَّا شَتَرَتْ خَمَاراً أَسْوَدَ ، وَبَاعَ التَّاجِرَ جَمِيعَ مَا كَانَ
مَعَهُ ، فَجَعَلَ إِخْوَانُ الدارِمِيِّ مِنَ النَّسَاكِ يَلْقَوْنَ الدارِمِيَّ فَيَقُولُونَ : مَاذَا صَنَعْتَ؟
فَيَقُولُ: سَتَعْلَمُونَ نَبَأَ بَعْدَ حِينَ ، فَلَمَّا نَفَدَ مَا كَانَ مَعَ الْعَرَاقِ رَجَعَ الدارِمِيُّ إِلَى
نُسْكِهِ وَلَبِسَ ثِيَابَهُ!

* العقد الفريد : ٤ - ٩٦

(١) العدل : نصف الخل . (٢) هو ربيعة بن عامر ، ولقبه مسكن ، ويصل نسبة إلى دارم بن مالك ، كان شاعراً شريفاً من سادات قومه ، وقد غلب شعره في مدح معاوية ، توفي سنة ٥٩٠.

(٣) الخمار : التصيف ، وما تقطي به المرأة وأسها .

٨ - دعابة ابن أبي عتيق*

لَمْ يَدْخُلْ الْمَدِينَةَ عُمَانُ بْنُ حَيَّانَ الرَّى وَالْيَا^(١) عَلَيْهَا اجْتَمَعَ الْأَشْرَافُ عَلَيْهِ
مِنْ قَرِيشٍ وَالْأَنْصَارِ؛ فَقَالُوا لَهُ: إِنَّكَ لَا تَعْمَلُ عَمَلاً أَجْدَى وَلَا أَوْلَى مِنْ تَحْرِيمِ
الْفَنَاءِ وَالرَّثَاءِ^(٢)، فَفَعَلَ وَأَجْلَ أَهْلَهَا ثَلَاثَةً يَخْرُجُونَ فِيهَا مِنَ الْمَدِينَةِ.

فَقَدِمَابْنُ أَبِي عَتِيقَ^(٣) فِي الْلَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ؛ فَعَطَّلَ رَحْلَهُ بَيْبَانَ سَلَامَةَ^(٤)؟ وَقَالَ لَهُ:
بَدَأْتُ بِكَ قَبْلَ أَنْ أَصِيرَ إِلَى مَنْزِلِي؛ فَقَالَتْ: أَوْ مَا تَدْرِي مَا حَدَثَ؟ وَأَخْبَرَتْهُ
الْخَبْرُ. فَقَالَ: أُقِيمَ إِلَى السَّحْرِ حَتَّى أَلْقَاهُ! فَقَالَتْ: إِنَا نَخَافُ أَلَا تُفْنِي شَيْئًا،
وَنُنْكَظَ^(٥). فَقَالَ: إِنَّهُ لَا بَأْسَ عَلَيَّ!

نَمْ مَضَى إِلَى عُمَانَ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَذَكَرَ لَهُ غَيْبَتَهُ، وَأَنَّهُ
جَاءَ لِيَقْضِي حَقَّهُ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّمَا أَفْضَلَ مَا عَمِلْتَ تَحْرِيمَ الْفَنَاءِ وَالرَّثَاءِ. قَالَ: إِنَّ
أَهْلَكَ قَدْ أَشَارُوا عَلَيَّ بِذَلِكَ. قَالَ: إِنَّكَ قَدْ وُفِّقْتَ! وَلَكُنْ رَسُولُ امْرَأَةِ إِلَيْكَ
تَقُولُ: قَدْ كَانَتْ هَذِهِ صَنْاعَتِي فَتُبَثِّتُ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا، وَأَنَا أَسْأَلُكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَلَا تَحُولُ
بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَجَاوِرَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالَ عُمَانُ: إِذْنُ أَدْعُهَا لَكَ وَلِكَلَامِكَ. قَالَ: لَا يَدْعُكَ النَّاسُ؛ وَلَكِنْ

* الأغاني: ٨ - ٣٤١؛ الكامل: ١ - ٣٨٠ ، ذيل زهر الآداب: ٤٤

(١) دخل المدينة واليأً لا وليد بن عبد الملك سنة ٦٩٣. (٢) الرثاء: يزيد الشياحة بالرأي، وف روایة الأغاني غير ذلك. (٣) هو عبد الله بن أبي عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق: كان من نساك قريش وظرفائهم، وله أخبار طويلة طريفة. (٤) سلامه الزرقان: من مولدات المدينة، وكانت أحسن الناس وجهاً وأتهن عقلاً، وأجودهن حدياناً، قرأت القرآن، وروت الأشعار، وأخذت الفناء من جميلة مولادة بني سليم. (٥) نكظ: تنازناً شدة.

تدعى بها وتسمع كلامها، وتنظر إليها، فإن كانت من ميترك تركتها . قال :
فادع بها .

فأمرها ابن أبي عتيق ؛ فتخشعَتْ ، وأخذتْ سُبْحةً في يدها ، وصارت إلَيْهِ
وحدثَتْهُ ؛ فإذا هي من أعلم الناس بالناس ؛ فأعجبَ بها ، وحدثَهُ عن آباءِهِ وأمْرِهِ
فهي كَـ(١)ـ لذلك ، فقال لها ابن أبي عتيق : أقرَّتِي للأمير ؟ فقرأتْ له . فقال لها :
أحْدِي للأمير ، فرَأَتْ كُـهـ حُـدـاؤـهـ (٢)ـ . ثم قال لها : غَـيـرـي (٣)ـ للأمير ؛ فجعل
يُعجِّبُ بذلك عَمَان . فقال له ابن أبي عتيق : فكيف لو سمعتها في صناعتها !
قال : قل لها فلتقل . فأمرها فغَتَتْ :

سَدَّدْنَ خَصَاصٍ^(٤) الْخَلِيمُ^(٥) لَمَادَّ خَلْنَهُ^(٦) بِكُلِّ لَبَانٍ^(٧) وَاضْرِحْ وَجَبِينٍ
فَنَزَلَ عُمَانَ بْنَ حَيَّانَ عَنْ سَرِيرِهِ، حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدِيهِمَا، ثُمَّ قَالَ: وَاللهُ
مَامِثَلَكَ يَخْرُجُ عَنِ الْمَدِينَةِ!

فقال له ابن أبي عتيق : يقول الناس : أَذْنَ لسلامة في المقام وأخرج غيرها .

فقال له عثمان : قد أذنت لهم جميعاً !

(١) فكم لها : طابت نفسه . (٢) الحداء : غناء خلف الإبل تنشط به . (٣) التغيير : ضرب من النساء أخنده التصوفة يتواجدون على أنفاسه . (٤) الحصاصن : خروق واسعة في الخيم قدر الوجه ، الواحدة خصاصة ، وهو يصف نساء تطلعن منها . (٥) النيم : أعود تنصب في القبط ، وتجعل لها عوارض ، وتقلل بالشجر ، فتسكون أبداً من الأختية . (٦) البان: الصدر.

٩ - لَهُنْ بِلِمْلَةٍ *

* حُبِّكَ الشَّيْءُ يُعِي وَيُصِمُ *

ولزم بيت يوئُسَ حتى حَذَقَ الصوتَ، ولم يَمْكُثْ إِلَّا زَمَنًا يَسِيرًا حتى مات
يوئُسَ، وانضمَّ إِلَى سِيَاطٍ^(۲)، وَكَانَ مِنْ أَحْذَقِ أَهْلِ زَمَانِهِ بِالْفَنَاءِ وَأَحْسَنِهِمْ أَدَاءَ
عَمَّنْ مَضِيَ .

* الأغانى : ٨ - ٢٢٠

(١) لم يطعم : لم يتناول الطعام . (٢) اسمه عبد الله ، مكى من موالي خزاعة ، وهو أستاذ ابن جامع وإبراهيم الموصلى ، وكان مقدمًا في الفناء ، رواية وصنفة ، مات في أيام الهادى .

قالت عمتى : قلت لإبراهيم : وما الصوت ؟ فأنشدني الشعر ولم يحسن
أداء الغناء :

مِنَ الْبَكَرَاتِ عِرَاقِيَّةً تُسَمَّى سُبْدِيَّةً أَطْرَبَتْهَا
وَمِنْ آلَ أَبِي بَكْرَةَ الْأَكْنَمِينَ خَصَّصَتْ بِوُدُّي فَأَصْفَقَتْهَا
وَمِنْ حُبَّهَا زُرْتُ أَهْلَ الْعَرَاقَ وَأَسْخَطْتُ أَهْلَهُ وَأَرْضَيْتُهَا
أَمْوَاتٌ إِذَا شَحَطَتْ دَارُهَا وَأَحْيَا إِذَا أَنَا لَا قَيْتُهَا
فَأَقْسَمُ لَوْ أَنَّ مَابِي بِهَا وَكُنْتُ الطَّبِيبَ لِدَاوِيَّتِهَا

قالت عمتى : هذا شعر حسن ، فكيف به إذا ما قطع ومدد ! فما مضتِ
ال أيام والليالي حتى سمعت اللحن مودي ؟ فاخرج مسامعي شيء قط أحسن منه ؟
ولقد أذكري بما يؤثر من حسن صوت داود وجمال يوسف .

فيينا أنا يوماً جالسة ، إذ طلع على إبراهيم ضاحكا مستبشرأ ؛ فقال لي :
ألا أحد ذلك بعجب ؟ قلت : وما هو ؟ قال : إن لي شريكا في عشق صوت جميلة !
قلت : وكيف ذلك ؟ قال : كنت عند سياط في يومنا هذا ، وأنا أغنى الصوت ،
وقد وقفت فيه على شيء لم أكن أحسكمه عن يonus ، وحضر عند سياط شيخ
نبيل ، فسبح^(١) على الصوت تسبحا طويلا ؛ فظننت أنه فعل ذلك لاستحسانه
الصوت . فلما فرغت أنا وسياط من اللحن قال الشيخ : ما أعجب أمر هذا الشعر ،
وأحسن ما غنى به ، وأحسن ما قال قائله !

قالت له دون القوم : وما بلغ من العجب به ؟ قال : نعم ! حجت سبديمة

(١) سبج : قال : سبحان الله !

من ولد عبد الرحمن بن أبي بَكْرَةَ ، وكانت من أجمل النساء ، فأبصرها عمر بن أبي ربيعة^(١) ، فلما انحدرت إلى العراق اتبَعَها يُشِيعُها حتى بلغ معها موضعًا يقال له: الْخَوَرُونُ . فقالت له: لو بلفت إلى أهلي ، وخطبني لزوجوك . فقال لها: ما كنت لأخلط تشيعي إياك بخطبة ، ولكن أرجع ثم آتكم خاطبًا ؛ فرجع ومرَّ بالمدينة ، فقال فيها:

مِنَ الْبَكَرَاتِ عِرَاقِيَّةٌ سُبَيْعَةٌ أَطْرَبَتْهَا

ثُمَّ أَتَى بِيتَ جَيْلَةَ ، فَسَأَلَهَا أَنْ تَغْنِيَ بِهَذَا الشِّعْرِ فَفَعَلَتْ . فَأَعْجَبَهُ مَا سَمِعَ مِنْ حُسْنِ غُنَامَهَا وَجُودَةِ تَأْلِيفِهَا ؛ فَخَسِنَ مَوْقِعُ ذَلِكَ مِنْهُ ؛ فَوَجَّهَ إِلَى جَارِيَةِ لَهُ كَانَتْ تَطْلُبُ الْفَنَاءَ أَنْ تَأْتِيَ جَيْلَةَ ، وَتَأْخُذَ الصَّوْتَ مِنْهَا ، فَطَارَتْهَا إِيَاهُ أَيَامًا حَتَّى حَذَقَتْ وَمَهَرَتْ بِهِ . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَمَرُ قَالَ: أَرَى أَنْ تَخْرُجِي إِلَى سُبَيْعَةِ وَتَفْنِيمِهَا هَذَا الصَّوْتَ وَتَبْلِغِيهَا رَسَالَتِي ؟ قَالَتْ: نَعَمْ ؛ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ .

فَأَتَتْهَا فَرَحَّبَتْ بِهَا ، وَأَعْلَمَتْهَا الرَّسَالَةَ ، فَخَيَّثَتْ وَأَكْرَمَتْ ، ثُمَّ غَنَّمَتْهَا فَكَادَتْ تَمُوتُ فَرَحًا وَسُرورًا لِحَسْنِ الْفَنَاءِ وَالشِّعْرِ .

ثُمَّ عَادَتْ رَسُولُ عَمَرٍ ، فَأَعْلَمَتْهُ مَا كَانَ ؛ وَقَالَتْ لَهُ: إِنَّهَا خارجةٌ فِي تِلْكَ السَّنَةِ .

فَلَمَّا كَانَ أَوَانُ الْحِجَّةِ اسْتَأْذَنَتْ سُبَيْعَةُ أَبَاهَا فِي الْحِجَّةِ فَأَبَى عَلَيْهَا ، وَقَالَ لَهَا: قَدْ حَجَجْتِ حِجَّةَ الإِسْلَامِ . قَالَتْ لَهُ: تِلْكَ الْحِجَّةُ هِيَ الَّتِي أَسْهَرْتِنِي لِلَّيْلِ ، وَأَطَالَتْ نَهَارِي ، وَتَوَقَّتِنِي إِلَى أَنْ أَعُودَ وَأَزُورَ الْبَيْتَ وَالْقَبْرَ ؛ وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْذِنْ لِي مِنْ كَمْدَأً وَغَمَّاً .

(١) عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، شاعر مشهور ، كان يفت على عبد الملك بن مروان فيكرمه ، وتوفي سنة ٩٣ هـ.

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُوهَا رَقَّ هَا، وَقَالَ : لَيْسَ يَسْعُنِي مِنْهَا لِمَا أَرَى بِهَا ؟ فَأَذْنَلَهَا وَوَافَى عُمَرُ الْمَدِينَةَ لِيَعْرُفَ خَبَرَهَا ؛ فَلَمَّا قَدِمَتْ عِلْمَ بِذَلِكَ ، وَسَأَلَهَا أَنَّ تَأْتِي مَنْزِلَ جَمِيلَةَ ، وَقَدْ سَبَقَ إِلَيْهَا عُمَرُ ، فَأَكْرَمَتْهَا جَمِيلَةَ ، وَسُرَّتْ بِكَانَهَا . فَقَالَتْ لَهَا سُبُّيَّةَ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكِ ! أَقْلَقْتِي وَأَسْهَرْتِي صَوْتُكِ بِشِعْرِ عُمَرَ فِي ، فَأَسْمَعَنِي إِلَيْاهُ . قَالَتْ جَمِيلَةَ : وَعَزَّازَةَ لِوَجْهِكِ الْجَمِيلِ ! فَفَتَّنَهَا الصَّوْتُ ؛ فَأَغْمَى عَلَيْهَا سَاعَةً حَتَّى رُسِّعَ عَلَى وَجْهِهَا الْمَاءُ ، وَثَابَ إِلَيْهَا عَقْلُهَا . ثُمَّ قَالَتْ : أُعِيدِي عَلَىَّ ، فَأَعَادَتْ الصَّوْتَ مَرَارًا فِي كُلِّ مَرَّةٍ يُغْشَى عَلَيْهَا .

ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى مَكَّةَ وَخَرَجَ مَعْهَا . فَلَمَّا رَجَعَتْ مَرَّتْ بِالْمَدِينَةِ وَعُمَرُ مَعْهَا ؛ فَأَنْتَجَتْ جَمِيلَةَ فَقَالَتْ لَهَا : أُعِيدِي عَلَىَّ الصَّوْتَ . فَفَعَلَتْ ؛ وَأَفَاقَتْ عَلَيْهَا ثَلَاثَةً تَسْأَلُهَا أَنْ تَعِدَّ الصَّوْتَ ، فَقَالَتْ لَهَا جَمِيلَةَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْنِيَكَ صَوْتَكَ فَاسْمَعْنِيهِ . قَالَتْ : هَاتِهِ يَا سَيِّدَنِي فَفَتَّنَهَا :

أَبْتِ الْمَلِيْحَةَ أَنْ تُواصِلَنِي
وَأَظْلَنِي أَنِّي زَائِرٌ رَمْسِيٌّ^(١)
لَا خَيْرَ فِي الدِّنِيَا وَزِيَّنِهَا
مَا لَمْ تُوَافِقْ نَفْسَهَا نَفْسِي
لَا صَبَرَ لِعَنْهَا إِذَا حَسَرَتْ^(٢) كَالْبَدْرُ أَوْ قَرْنِيْنِ مِنَ الشَّمْسِ

قَالَتْ سُبُّيَّةَ : لَوْلَا أَنَّ الْأَوَّلَ شِعْرُ عُمَرَ لَقَدْمَتْ هَذَا عَلَىَّ كُلِّ شَيْءٍ سَمْعَتْهُ .

فَقَالَ عُمَرُ : فَإِنَّهُ وَاللَّهِ أَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَأَمَّا الشِّعْرُ فَلَا . قَالَتْ جَمِيلَةَ : صَدِقْتَ وَاللهِ !

(١) الرَّمْسُ : الْقَبْرُ . (٢) يَرِيدُ ظَهَرَتْ .

١٠ - في أيام الحج*

حجَّ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ فِي عَامٍ مِنَ الْأَعْوَامِ عَلَى تَجَيِّبِهِ لَهُ، تَخْضُوبٌ بِالْحَنَاءِ
مَشْهُورٌ الرَّاحِلُ بِقِرَابٍ^(١)، مَذْهَبٌ^(٢)، وَمَعْهُ عَبْدِهِ بْنُ سُرَيْجٍ عَلَى بَفَلَةِهِ
شَقَرَاءُ، وَمَعْهُ غَلامُهُ جَنَادُ^(٣)، وَيَقُولُ فَرْسَاً لَهُ أَدْهَمَ أَغْرِيَ مُحَجَّلًا وَكَانَ عُمَرُ بْنُ
أَبِي رَبِيعَةَ يَسْمِيهِ «الْكَوْكَبُ» فِي عَنْقِهِ طَوقٌ ذَهَبٌ . وَمَعَ عُمَرَ جَمَاعَةٌ مِنْ حَشَمَيْهِ
وَغَلْمَانَهُ وَمَوَالِيهِ، وَعَلَيْهِ حُكْمَةٌ مَوْشِيَّةٌ يَمَانِيَّةٌ وَعَلَى ابْنِ سُرَيْجٍ ثُوْبَانَ هَرَوِيَّانَ^(٤)
مِنْ تَقْعَانَ، فَلَمْ يَمْرُوا بِأَحدٍ إِلَّا عَجِيبٌ مِنْ حَسْنِ هِيَتِهِمْ، وَكَانَ عُمَرُ مِنْ أَعْطَرِ النَّاسِ
وَأَحْسَنِهِمْ هِيَةً، فَخَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ^(٥) بَعْدَ الْعَصْرِ يَرِيدُونَ مِنَّيْ .

فَرُوَا بِمَنْزِلِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ بِمَيْنَىٰ، قَدْ ضَرِبَتْ عَلَيْهِ فَسَاطِيطَهُ^(٦)
وَخِيمَهُ، وَوَاقَ الْمَوْضِعَ عُمَرُ فَأَبْصَرَ بَنْتَنَا لِلرَّجُلِ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ قُبَّهَا، وَسَرَّ جَوَارِيهَا
دُونَ الْقُبَّةِ لَثَلَاثَ يَرَاها مَنْ مَرَّ، فَأَشْرَفَ عُمَرُ عَلَى تَاجِيَّبِهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا، وَكَانَتْ مِنْ
أَحْسَنِ النَّسَاءِ وَأَجْلَاهُنَّ، قَالَ لَهَا جَوَارِيهَا: هَذَا عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، فَرَفِّمَتْ رَأْمَاهَا

* الأغانى: ٢٥٩-١

(١) القراب : جراب السيف يصنع من الجلد . (٢) الإذهاب : الطلاء بالذهب . (٣) في جناد يقول عمر :

فَقَلَتْ بِجَنَادِ خَذِ السِّيفِ وَاشْتَمَلَ
عليهِ بِرْفَقِ وَارْقَبِ الشَّمْسِ تَغْرِبُ
وَأَسْرَجَ لِي الدَّهَاءَ وَابْجَلَ بِعَمْطَرِي
وَلَا تَعْلَمُنَ خَلْقًا مِنَ النَّاسِ مَذْهِي
(٤) ثوب هروى : منسوب إلى هراة . (٥) يوم التروية : الثامن من ذى الحجة لأن الماء كان
قليلًا بعينه فكانوا يرتبون من الماء لما بعد . (٦) القسطاط : ضرب من الأبنية ، وجمعه فساطيط .

فنظرت إليه ، ثم سرتَّها جواريها ووَلَائِدُها^(١) عنه ، حتى دخلت ، ومضى عمر
إلى منزله وفساطيطه بمني ، وقد نظر من الجارية إلى ماتيمه ، ومن جمالها إلى ماحيره ؛
قال فيها :

نظرتُ إِلَيْهَا بِالْمَحْصَبِ^(٢) مِنْ مِنَىٰ
ولِي نَظَرٌ - لَوْلَا التَّحْرُجُ - عَارِمُ^(٣)
فَقَلَتْ : أَشِمْسٌ أَمْ مَصَابِحُ بَيْعَةٍ^(٤)
بَدَتْ لِي خَلْفَ السَّجْفِ أَمْ أَنْتَ حَالِمٌ
بَعِيدَةٌ مَهْوَى^(٥) الْقُرْطُ إِمَّا لِنُوْفَلٍ
أَبُوها وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ
وَمَدَّ عَلَيْهَا السَّجْفَ يَوْمَ لَقِيَتْهَا
عَلَى عَجَّلٍ تَبَاعُهَا وَالخَوَادِمُ
فَلَمْ أُسْتَطِعْهَا غَيْرَ أَنْ قَدْ بَدَأَ النَّا
عَصَاهَا وَوَجَّهَهُ لَمْ تَلْهُهُ السَّمَاءُ
مَعَاصِمُ لَمْ تَضْرِبْ عَلَى الْبَهْمِ^(٦) بِالضُّحَىٰ
نَضِيرٌ تَرَى فِيهِ أَسَارِيعَ مَائِهٍ^(٧)
تَمَايِلَنَّ أَوْ مَالَتْ بَهْنَ الْمَآكِمِ^(٨)
إِذَا مَا دَعَتْ أَتَرَاهَا فَكَيْتَفَهْنَاهَا
نَزَّعَنَّ وَهُنَّ الْمُسْلِمَاتُ الظَّوَالِمُ
طَلْبَنَ الصَّبَّا حَتَّى إِذَا مَا أَصْبَنَهُ
نُمْ قال لا بن سُرَيْجٍ : يا أبا يحيى ؛ إنني تفكرت في رجوعنا مع العشيّة إلى
مكة مع كثرة الزحام والغبار وجلبة الحاج ، فتفقل على ؛ فهل لك أن ترُوح
رواحاً طيباً معتزلاً ، فترى فيهم من راح صادراً إلى المدينة من أهلها ، وترى أهل العراق

(١) الوليدة : الأمة وجمعها ولائد . (٢) المحصب : موضع رمى الجارعى . (٣) عارم : حاد

(٤) البيعة : كنيسة النصارى . (٥) بعيدة مهوى القرط : كثناية عن طول العنق . (٦) بهم : جمع بهمه ، الصغير من أولاد الصغار . (٧) أساريع الماء : طرائقه ، والمراد أنه يتفرق فيه

ماء الشباب . (٨) المآكم : جمع مآكمة وهي العجينة .

والشام ، ونتعلّل^(١) في عشيتنا وليلتنا ونستريح ؟ قال : وأنّى ذلك يا أبا الخطاب ؟
قال : على كثيّب أبى شحّوة^(٢) ، المشرف على بطن ياجع^(٣) بين ميني وسرف ،
فنبصر مرور الحاج بنا ونراهم ولا يروننا . قال ابن سريج : طيّب والله ياسيدى .
فدعوا بعض خدمه فقال : اذهبوا إلى الدار بمسكـة ، قاعـلوا لنـا سفرـة^(٤) ،
واحملوها مع شراب إلى الـكـثـيـب ، حتـى إـذـا أـبـرـدـنـا^(٥) ، ورـمـيـنا الجـمـزة^(٦)
صـرـنـا إـلـيـكـم .

فصارا إلَيْهِ فَأَكَلَا وَشَرَبَا، فَلَمَّا انتشلا أَخْذَابْنُ سُرِيجَ الدَّفَّ فَنَقَرَهُ، وَجَعَلَ يَغْنِيَّ، وَهُمْ يَنْظَرُونَ إِلَى الْحَاجَةِ، فَلَمَّا أَمْسِيَ رَفِعَابْنُ سُرِيجَ صَوْتَهُ فَغَنَى فِي الشَّمْرِ الَّذِي قَالَهُ عَمْرٌ، فَسَمِعَهُ الرَّهْبَانُ فَجَعَلُوا يَصِيحُونَ بِهِ: يَا صَاحِبَ الصَّوْتِ؛ أَمَا تَقِيَ اللَّهُ؟ فَقَدْ حَبَسَتَ النَّاسَ عَنْ مَنَاسِكِهِمْ! فَيَسْكُتُ قَلِيلًا؛ حَتَّى إِذَا مَضَوْا رَفِعَ صَوْتَهُ، وَقَدْ أَخْذَ فِيهِ الشَّرَابِ؛ فَيَقِفُ آخْرُونَ، إِلَى أَنْ مَرَّتْ قَطْعَةً مِنَ اللَّيلِ؛ فَوَقَفَ عَلَيْهِ فِي الْلَّيْلِ رَجُلٌ عَلَى فَرْسٍ عَتِيقٍ^(٧) عَرَبِيَّ مَرِحَّ مُسْتَنَ^(٨)، فَهُوَ كَانَهُ تَمِيلُ، حَتَّى وَقَفَ بِأَصْلِ الْكَثِيرِ، وَثَنَى رَجْلَهُ عَلَى قَرَبُوسٍ^(٩) مَرِجِهِ، ثُمَّ نَادَى: يَا صَاحِبَ الصَّوْتِ؛ أَيْسَهُلُ عَلَيْكَ أَنْ تَرُدَّ شَيْئًا مَا سَعَتْهُ؟ قَالَ: نَمْ، وَنَعْمَةُ عَيْنٍ^(١٠)، فَأَيْهَا تَرِيدُ؟ قَالَ: تَعِيدُ عَلَيْهِ^(١١):

أَلَا يَا غُرَابُ الْبَيْنِ مَالِكُ كُلَّمَا نَعْبَتَ بِفَقْدَانِ عَلَى تَحْوُمٍ
أَبِي لَبِينَ مِنْ عَفْرَاءَ أَنْتَ تُخَبِّرِي عَدِمْكَ مِنْ طَيْرٍ فَإِنْتَ مَسْهُومٌ
فَأَعْادُهُ ، ثُمَّ قَالَ لِهِ ابْنُ سُرَيْجٍ : ازدَادَ إِنْ شِئْتَ ، قَالَ : غَنِّيَ :
أَمْسِلَ (١) إِنِي - يَا بَنَ كُلٌّ خَلِيفَةٌ وَيَا قَرَ الأَرْضِ
شَكَرْتُكَ إِنَّ الشَّكَرَ حَبْلٌ مِنَ التَّقَىٰ وَمَا كُلٌّ مِنْ أَفْرَضْتَهُ نَعْمَةٌ يَقْضِي
وَنَوَّهْتَ لِي بِاسْمِي وَمَا كَانَ خَامِلًا وَلَكِنَّ بَعْضَ الذَّكَرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضٍ
فَفَنَاهُ ، قَالَ لِهِ : الْثَالِثُ ، وَلَا أَسْتَزِيدُكَ . قَالَ : قُلْ مَا شِئْتَ ، قَالَ :

تَغْنِيَفِي (٢) :

يَادَارُ أَقْوَتَ (٣) بِالْجَزْعِ فَالْكَتَبِ (٤) بَيْنَ مَسِيلِ الْمَذَبِ (٥) فَالْأَرْحَبِ (٦)
لَمْ تَتَقْنَعْ بِفَضْلِ مِنْزِرِهَا دَعْدُ وَلَمْ تُسْقَ دَعْنَدُ فِي الْعُلَبِ
فَفَنَاهُ ، قَالَ لِهِ ابْنُ سُرَيْجٍ : أَبَقِيَتْ لَكَ حَاجَةً ؟ قَالَ : نَعَمْ ، تَنْزَلُ إِلَيْيَ
لَا خَاطِبَكَ شَفَاهَا بِمَا أَرِيدُ . قَالَ لِهِ عُمَرْ : انْزَلْ إِلَيْهِ ، فَنَزَلَ ، قَالَ لِهِ : لَوْلَا أَنِي
أَرِيدُ وَدَاعَ الْكَعْبَةَ وَقَدْ تَقْدَمْنِي ثَقْلِي (٧) وَغَلَمَانِي لَأَطْلَاتُ الْمَقَامِ مَعَكَ ، وَلَنْزَلَتِ

(١) يزيد مسلمة بن عبد الملك . والشعر لأبي نخيلا الحناني . (٢) نسب هذا الشعر في اللسان - مادة (دعد) - لجبرير، وورد فيه كما يأتى:

يَادَارُ أَقْوَتَ بِجَافِ الْلَبِ
بَيْنَ تَلَاعِ الْقَعِيقِ فَالْكَتَبِ
صَوْبَ عَمَامِ بَلْجَلِ لَبِ
لَمْ تَتَلَفِعْ بِفَضْلِ مِنْزِرِهَا دَعْدُ وَلَمْ تَقْنَدْ دَعْدُ بِالْعُلَبِ
وَالْتَلَفُمْ : الْأَشْتَمَالُ بِالثَّوْبِ كَلْبَسَةِ نَسَاءِ الْأَعْرَابِ . وَالْعُلَبُ : أَقْدَاحُ مِنْ جَلَودِ ، الْوَاحِدُ عَلَبَةٌ يَحْلِبُ فِيهِ
الْأَلْبَنْ وَيَتَرَبُّ ، أَى : لَيْسَ دَعْدَ هَذِهِ مِنْ تَشْتَمَلُ بِثُوبِهَا وَتَتَرَبُّ الْأَلْبَنْ بِالْعُلَبَةِ كَنْسَةِ الْأَعْرَابِ
الشَّقَاقَاتِ وَلَكِنَّهَا مِنْ نَثَأَ فِي نَعْمَةِ ، وَكَسِي أَحْسَنَ كَسْوَةَ . (٣) أَقْوَتُ الدَّارِ : خَلَتْ . وَالْجَزْعُ :
مَنْعَطِ الْوَادِيِ . (٤) الْكَتَبُ : مَوْضِعُ بَدِيَارَطِيُّ . (٥) الْمَذَبِ : كَوَبِيرٌ : مَاءٌ ، أَرْبَعَةُ مَوَاضِعٍ
(٦) مَوْضِعٌ . (٧) الثَّقْلُ : مَتَاعُ السَّافِرِ .

عندكم؛ ولكنني أخاف أن يفضحني الصبح، ولو كان نقلـي معـي لما رضيـت لك
بـالـهـوـيـنـي^(١) ، ولكن خـذـ حـلـقـيـ هـذـهـ وـخـاتـمـيـ ولا تـمـدـعـ عنـهـماـ ، فـإـنـ شـرـاءـهاـ
أـلـفـ وـخـمـسـمـائـةـ دـيـنـارـ .

ثـمـ قـالـ لـهـ : بـالـهـ أـنـتـ اـبـنـ سـرـيـجـ ؟ـ قـالـ : نـعـ ،ـ قـالـ : حـيـاـكـ اللهـ .ـ وـهـذاـ عـمـ
ابـنـ أـبـيـ رـيـعـةـ ؟ـ قـالـ : نـعـ ؛ـ قـالـ : حـيـاـكـ اللهـ يـاـ أـبـاـ الـخـطـابـ !ـ
قـالـ لـهـ : وـأـنـتـ حـيـاـكـ اللهـ !ـ قـدـ عـرـفـتـنـاـ فـعـرـفـنـاـ نـفـسـكـ ،ـ قـالـ : لـاـ يـكـنـىـ
ذـلـكـ ،ـ فـغـصـبـ اـبـنـ سـرـيـجـ وـقـالـ : وـالـهـ لـوـ كـنـتـ يـزـيدـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ لـمـازـادـ ،ـ قـالـ
لـهـ : أـنـاـ يـزـيدـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ !ـ

فـوـثـبـ إـلـيـهـ عـمـرـ فـأـعـظـمـهـ ،ـ وـابـنـ سـرـيـجـ قـبـلـ رـكـابـهـ ،ـ ثـمـ مـضـىـ يـزـيدـ إـلـىـ ثـقـلـهـ ،ـ
وـدـفـعـ اـبـنـ سـرـيـجـ الـحـلـةـ وـالـخـاتـمـ إـلـىـ عـمـرـ فـأـعـطـاهـ إـيـامـهـ ،ـ وـقـالـ لـهـ : إـنـ هـذـيـنـ بـكـ
أـشـبـهـ مـنـهـمـ بـيـ ،ـ فـأـعـطـاهـ عـمـرـ ثـلـاثـمـائـةـ دـيـنـارـ وـغـدـاـ فـيـهـمـاـ إـلـىـ الـمـسـجـدـ ،ـ فـعـرـفـهـمـاـ النـاسـ ،ـ
وـجـعـلـوـاـ يـتـمـجـدـوـنـ وـيـقـولـوـنـ : كـأـنـهـمـاـ وـالـهـ حـلـةـ يـزـيدـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ وـخـاتـمـهـ ،ـ ثـمـ يـسـأـلـوـنـ
عـمـرـ فـيـخـبـرـهـمـ أـنـ يـزـيدـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ كـسـاـهـذـلـكـ !ـ

(١) المويـنـيـ : الأـمـهـونـ وـالـأـيـسـرـ .

١١ - في وادي العقيق*

كان ابن عائشة^(١) من أحسن الناس غناء، وأنفهم فيه، وأصيغهم خلقاً :
إذا قيل له غنّ ، يقول : أو لمثل يقال هذا ؟ على عشق رقبة إن غنيت يومي هذا !
فإن غنّ وقيل له : أحسنت ، قال : المثل يقال أحسنت ؟ على عشق رقبة إن غنيت
سأرّ يومي هذا .

فما كان في بعض الأيام سال وادي العقيق ، فجاء بالعجب ، فلم يبق بالمدينة
مخبأ ولا شابة ولا شاب ولا كهل إلا خرج ببصره ، وكان فيمن خرج ابن عائشة
المفني ، وهو معتجر^(٢) بفضل ردائه ، فنظر إليه الحسن بن الحسن بن على بن
أبي طالب - وكان فيمن خرج إلى العقيق - وبين يديه أسودان كأنهما ساريتان يشيان
بين يديه أمام دابتة ، فقال لهما : اذهبا إلى الرجل المعتجر بفضل ردائه فخذدا
بعصبيه^(٣) ، فإن فعل ما أمره به ، وإلا فاقذفا به في العقيق .

فضيا والحسن يقعدهما ، فلم يشعر ابن عائشة إلا وما آخذان بعصبيه ، قال :
من هذا ؟ فقال له الحسن : أنا هذا يا ابن عائشة ، قال : ليك وسعديك ! وبأبي
أنت وأمي ! قال : اسمع مني ما أقول ، واعلم أنك مأسور في أيديهما ، فلن مائة
صوت أو يطر حاك في العقيق ، وإن لم يفلا ذلك لاقطعن أيديهما !

* العقد الفريد : ٤ - ١١٠

(١) هو محمد بن عائشة : من المقدمين في صناعة الغناء ، ووضع الألحان في العصر الأموي ، توفي
نحو سنة ١٠٠ هـ . (٢) الاعتjar : لف العمامة . (٣) أخذ بعصبيه : أي بعضايه .

فَصَاحُ ابْنُ عَائِشَةَ : يَا وَيْلَاهُ ! وَاعْظَمُ مُصِيبَتَاهُ ! قَالَ : دَعْ صِيَاحَكَ ، وَخُذْ فِيهَا يَنْفَعُنَا .

قَالَ : أَقْتَرَحُ ، وَأَقِمْ مَنْ يَحْصِى ؟ وَأَقْبَلَ يَغْنِي ، فَتَرَكَ النَّاسُ الْعَقِيقَ ؛ وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ ؛ فَلَمَّا تَمَّتْ أَصْوَاتُهُ مَائِةً كَثِيرَ النَّاسُ بِلْسَانٍ وَاحِدٌ تَكْبِيرَةً وَاحِدَةً ، ارْجَمَتْهَا أَقْطَارُ الْمَدِينَةِ ، وَقَالُوا لِلْحَسْنِ : صَلِّ اللَّهُ عَلَى رُوحِكَ حَيًّا وَمِيتًا ! فَمَا اجْتَمَعَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ سَرُورٌ قَطُّ إِلَّا بِكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ .

فَقَالَ لِهِ الْحَسْنُ . إِنَّمَا فَلَتُّ هَذَا بَكَ يَا بَنَ عَائِشَةَ لِأَخْلَاقِكَ الشِّكْسَةِ ، قَالَ لَهُ ابْنُ عَائِشَةَ : وَاللَّهِ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ مُصِيبَةٌ أَعْظَمُ مِنْهَا .
فَكَانَ ابْنُ عَائِشَةَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا قِيلَ لَهُ : مَا أَشَدُّ مَا مَرَّ عَلَيْكَ ؟ قَالَ :
يَوْمُ الْعَقِيقَ .

١٢ — من أين صبّك الله علىَّ *

خرج ابن عائشة من عند الوليد بن يزيد وقد غناه :
أبعدك معيلاً أرجو وحصناً قد آعنتي العاقل والمحصنون
فأطربَه ؛ فأمر له بثلاثين ألف درهم وبمثل كارة القصار^(١) كسوة .
فيينا ابن عائشة يسير إذ نظر إليه رجل من أهل وادي القرى كان يشتهي
الغناة ويشرب النبيذ ؛ فدنا من غلامه وقال : من هذا الراكب ؟ قال : ابن عائشة
اللقمي ، فدنا منه وقال : جعلت فداءك ! أنت ابن عائشة أم المؤمنين ؟ قال : لا ،
أما مولى لقريش ، وعائشة أمي ، وحسبيك هذا ، فلا عليك أن تُكتُر ؛ قال : وما
هذا الذي أرأاه بين يديك من المال والكسوة ؟ قال : غنيمت أمير المؤمنين صوتاً
فأطربته فأمر لي بهذا المال وهذه الكسوة . قال : جعلت فداءك ؛ فهل تمن علىَّ
بأن تُسمِّعني ما أسمعته إياه ؟ فقال له : ويلك أمثلى يكلم بمثل هذا في الطريق !
قال : فما أصنع ؟ قال : الحقنى بالباب .

وحرَّك ابن عائشة بغلة شقراء كانت تحته لينقطع عنه ، فعدا معه حتى
وأفيًا الباب كفرسي رهان ، ودخل ابن عائشة فـكث طويلاً طمعاً في أن يضجر
فينصرف ؛ فلم يفعل ؛ فلما أعياه قال لغلامه : أدخله ، فلما دخل ، قال له : ويلك !
من أين صبّك الله علىَّ ؟ قال : أنا رجل من أهل وادي القرى ، أشتهرى هذا

الفناء ؟ فقال له : هل لك فيما هو أَنْفُعُ لك منه ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : مائة دينار عشرة أنواع تنصرف بها إلى أهلك ؟ فقال له : جعلت فدامك ؛ والله إنني لبُنْيَة ما في ذمها - علم الله - حلقه من الورق فضلا عن الذهب ، وإن لي لزوجة ، ما عليها - يشهد الله - قيسٌ ؛ ولو أعطيني جميع ما أمر لك به أمير المؤمنين على هذه الأَخْلَة^(١) والقر اللذين عرَّفْتَ كَهْما ؛ وأضفتَ لى ذلك ، لكان الصوت أَعْجَبَ إِلَيْيَ - وكان ابن عائشة تأثِّرَه^(٢) لا يغْنِي إِلَّا خليفة أو لذى قدرِ جليل من إخوانه - فتعجبَ ابن عائشة منه ورَحْمه ودعا بالآدَة^(٣) - وكان يغنى من تحلا - فنَّاه الصوت ؛ فطرب له طرَّاباً شديداً ، وجعل يحرّك رأسه حتى ظنَّ أنْ عُنْقَه سينقصف . ثم خرج من عنده .

وبَلَغَ الْخَبْرُ الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ ، فسأَلَ ابْنَ عَائِشَةَ عَنْهُ ، فجَعَلَ يَغْيِبُ عَنِ الْحَدِيثِ ؛ ثُمَّ جَدَّ الْوَلِيدَ بِهِ فصَدَقَهُ عَنْهُ . وَأَمْرَ بِطَلْبِ الرَّجُلِ فَطُلِبَ حَتَّى أَهْضَرَ ؛ وَوَصَّلَهُ صِلَّةً سَنِيَّةً ، وَجَعَلَهُ فِي نَدْمَائِهِ ، وَوَكَّلَهُ بِالسَّقِّ ، فَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ حَتَّى مَاتَ .

(١) الأَخْلَةُ : الحاجة والمُحاصَة . (٢) مِنْ النِّيَّهِ ، وَهُوَ الْصَّلْفُ وَالْكَبْرُ . (٣) الْأَدَةُ : آلةٌ مِنْ آلاتِ الْفَنَاءِ .

* .١٣ - ارجع إلى عملك راشداً *

أَتَى رَجُلٌ مِنْ الْعَرَاقِ الْمَدِينَةَ فِي طَلَبِ جَارِيَّةٍ - وُصِفتْ لَهُ - قَارِئَةٌ قَوَالِيَّةٌ :
 فَسْأَلَ عَنْهَا فَوْجَدَهَا عَنْدَ قاضِي الْمَدِينَةِ ، فَأَتَاهُ وَسَأَلَهُ أَنْ يَعْرِضَهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ :
 يَا عَبْدَ اللَّهِ ، لَقَدْ بَعْدَتِ الشُّفَقَةُ فِي طَلَبِ هَذِهِ الْجَارِيَّةِ فَا رَغْبَتُكَ فِيهَا ؟ قَالَ : إِنَّهَا
 تُخَفِّي فَتَجِيدُ . فَقَالَ الْقاضِي : مَا عَلِمْتُ بِهَا ، فَأَلْحَقَ عَلَيْهِ فِي عَرَضِهَا ، فَعُرِضَتْ
 بِحُضْرَةِ مَوْلَاهَا الْقاضِي . فَقَالَ لَهَا الْفَتِي : هَاتِي ، فَفَتَّتَ
 إِلَى خَالِدٍ حَتَى أَنْخَنَ بِخَالِدٍ فَنِعْمَ الْفَتِي يُرْجَى وَنِعْمَ الْمُؤْمَلُ !
 فَقَرَحَ الْقاضِي بِجَارِيَّتِهِ ، وَسَرَّ بِغَنَائِمِهِ ، وَغَشِيَهِ مِنَ الْطَّرَبِ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، وَقَالَ :
 هَاتِي شَيْئاً بَأْبَى أَنْتَ ؟ فَفَتَّتَ
 أَرْوَاحَ إِلَى الْقُصَاصِ^(١) كُلَّ عَشِيهِ أَرْجَى ثَوَابَ اللَّهِ فِي عَدَدِ الْخُطَاطِ
 فَزَادَ الْطَّرَبُ عَلَى الْقاضِي ، وَلَمْ يَدْرِ مَاذَا يَصْنَعُ ، فَأَخْذَ نَعْلَهُ فَلَمَّا قَدِمَ فِي أَذْنِهِ ، وَجَثَا
 عَلَى رَكْبَتِهِ ، وَجَعَلَ يَأْخُذُ بِطَرْفِ أَذْنِهِ ، وَالْتَّقَلُّ مَعْلَقَةً فِيهَا وَيَقُولُ : اهْدُونِي إِلَى
 الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، فَإِنِّي بَدَنَةٌ^(٢) ! حَتَى أَدْمَى أَذْنِهِ !
 فَلَمَّا أَمْسَكَتْ أَقْبَلَ عَلَى الْفَتِي فَقَالَ : انْصِرْفْ ! قَدْ كَنَّا فِيهَا رَاغِبِينَ قَبْلَ أَنْ
 نَلْمَ أَنْهَا تَقُولَ ، فَنَحْنُ الْآنَ فِيهَا أَرْغَبُ . فَانْصِرْفْ الْفَتِي .

* المسوودي : ٢ - ١٧٠

(١) القصاص : جمع قاص ، وكانوا يجلسون في صدر الإسلام في المساجد يفصلون ما في كتاب الله من قصص الأنبياء ، ابتقاء العبرة . (٢) البدنة : من الإبل والبقر ماتهدي إلى مكة .

وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : قاتله الله ! لقد استرقَّه الظرف ، وأمر
بصْرِفَه عن عمله .

فَلَمَا صُرِفَ قَالَ : لَوْ سَمِعَهَا عَمَرْ لَقَالَ : ارْكَبُونِي فَإِنِي مَطْيَةٌ
فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمَرْ ، فَأَشْخَصَ^(١) الْقَاضِي وَالْجَارِيَةِ ؟ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : أَعْدَ
مَا قَلَتْ ! قَالَ : نَعَمْ ! فَأَعْدَادَ مَا قَالَ ، فَقَالَ لِلْجَارِيَةِ : قَوْلِي ؟ فَفَنَتْ^(٢) :
كَانَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُونِ^(٣) إِلَى الصَّفَا أَئِنِّي وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَةَ سَامِرْ
بَلِي ! نَحْنُ كَنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا صَرْوَفُ الْلَّيْمَالِي وَالْجَدُودُ الْعَوَافِرُ
فَمَا فَرَغْتُ مِنِ الشِّعْرِ حَتَّى طَرَبَ عَمَرْ طَرَبًا بَيْنَا ، وَأَقْبَلَ يَسْتَعِيدُهَا ثَلَاثًا ،
وَقَدْ بَلَّتْ دَمْوَعُهُ لَحِيَتِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْقَاضِي ، فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَى عَمَلِكَ رَاشِدًا !

(١) أَشْخَصُ : الشَّخْوُمُونُ : السِّيرُ مِنْ بَلْدِي بَلْدِي : (٢) قَاتِلُ الْبَيْتَيْنِ : عَمَرُ وَبْنُ الْحَارِثُ بْنُ مَضَاصٍ
ابْنُ عَمَرٍ يَتَأْسِفُ عَلَى الْبَيْتِ . (٣) الْحَجُونُ : جَبَلٌ بِمَكَةَ .

* ١٤ - الأحوص يحتال حتى تسمع سلامه غناء الغريض *

وَجَّهَ يَزِيدُ^(١) بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى الْأَحْوَصِ فِي الْقُدُومِ عَلَيْهِ ، وَكَانَ
الْغَرِيبُ^(٢) مَعَهُ ، قَالَ لَهُ : اخْرُجْ مَعِي حَتَّى أَخْذَ لَكَ جَائِزَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتُغْنِيهِ ؛
فَإِنِّي لَا أَحْمِلُ إِلَيْهِ شَيْئًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْكَ ، نَفْرَجًا .

فَلَمَّا قَدِمَ الْأَحْوَصُ عَلَى يَزِيدٍ جَلَسَ لَهُ وَدَعَاهُ ؛ فَأَنْشَدَهُ مَدْاحِنَ فَاسْتَحْسَنَهَا ،
وَخَرَجَ مِنْ عَنْدِهِ ؛ فَبَثَثَتْ إِلَيْهِ سَلَامَةً جَارِيَةً يَزِيدَ بِلَطْفٍ^(٣) ؛ فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ : إِنَّ
الْغَرِيبَ عِنْدِي قَدِمْتُ بِهِ هَدِيَّةً إِلَيْكَ . فَلَمَّا جَاءَهَا الْجَوابُ اسْتَأْتَقَتْ إِلَى الْغَرِيبِ
وَإِلَى الْاسْمَاعِ مِنْهُ .

فَلَمَّا دَعَاهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَمَارَضَتْ وَبَعْثَتْ إِلَى الْأَحْوَصَ : إِذَا دَعَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
فَاقْتُلْ لَهُ فِي أَنْ تُذَكَّرَ لَهُ الْغَرِيبَ .

فَلَمَّا دَعَا يَزِيدَ الْأَحْوَصَ قَالَ لَهُ يَزِيدُ : وَيْحَكَ يَا أَحْوَصَ ! هَلْ سَمِعْتَ شَيْئًا فِي
طَرِيقِكَ تُطْرِفُنَا بِهِ ! قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ مَرَرْتُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ فَسَمِعْتُ
صَوْتًا أَعْجَبَنِي حُسْنُهُ وَجُودَهُ شِعْرَهُ ؛ فَوَقَفْتُ حَتَّى اسْتَقْصَيْتُ خَبَرَهُ ، فَإِذَا هُوَ
الْغَرِيبُ ، وَإِذَا هُوَ يَنْفِي بِأَحْسَنِ صَوْتٍ وَأَشْجَاهَ .

* الأغاني : ٨ - ٣٤٤

(١) بُويع يزيد بن عبد الملك بعد وفاة عمر بن عبد العزيز ، وكان صاحب له ولذات ، محبًا
لسماع الغناء . توفي سنة ١٠٥ هـ . (٢) اسمه عبد الملك ؛ والغريب لقبه ، أخذ الغناء عن ابن
سريج ، وبرع فيه وفاته . (٣) اللطف : البر .

أَلَا هاجَ الْقَذَّاكُ لِسَقَاماً وَنُكْسَ(١) الدَّاءُ وَالوَجَعُ الْفَرَاماً(٢)
 سَلَامَةً إِنَّهُ اهْمَى وَدَائِي وَشَرُّ الدَّاءُ مَا بَطَنَ الْعِظَاماً(٣)
 قَتَلَتُ لَهُ - وَدَمَعُ الْعَيْنِ يَجْرِى عَلَى الْخَدَّيْنِ أَرْبَعَةَ سِجَاماً(٤):
 عَلَيْكَ لَهَا السَّلَامُ فَنَ لِصَبَّى بَيْتُ الْلَّيْلِ يَهْذِى مُسْتَهَاماً

قال يزيد : وبلك يا أحوص ! أنا ذاك في هوئي خليلتي ، وما كنت أحسب
 مثل هذا يتافق ، وإن ذاك لما يزيد لها في قلبي . فما صنعت يا أحوص حين سمعت
 ذاك ! قال : سمعت ما لم أسمع يا أمير المؤمنين أحسن منه ، فما صبرت حتى
 أخرجت الغريض معى وأخفيت أمره ، وعلمت أن أمير المؤمنين يسألنى عمارأيت
 في طريق .

قال له يزيد : ائنني بالغريض ليلاً وأخفِ أمره ؟ فرجع الأحوص إلى منزله ،
 وبعث إلى سلامة بالخبر . فقالت للرسول : جزت خيراً . قد اتهى إلى كل
 ما قلت ، وقد تلطفت وأحسنت .

فلمَا وَارَى الْلَّيْلَ أَهْلَهُ بَعْثَى إِلَى الْأَحْوَصَ أَنْ عَجَّلَ الْجَىءَ إِلَى مَعْضِيقِكَ .

فجاء الأحوص مع الغريض فدخل عليه ؛ فقال : غُنِيَ الصوتَ الَّذِي أَخْبَرَنِي
 أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْكَ - وَكَانَ الْأَحْوَصُ قَدْ أَخْبَرَ الغَرِيبَ الْخَبَرَ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ شِعْرٌ قَالَهُ
 الْأَحْوَصُ يَرِيدُ أَنْ يَحْرُكَهُ بِهِ عَلَى سَلَامَةَ ، وَيَحْتَالُ لِلْغَرِيبِ فِي الدُّخُولِ عَلَيْهِ -

(١) النكس : عود المرض بعد النقاهة . (٢) البرام : الملازم الشديد . (٣) بطون : دخل .

(٤) يزيد المحاذين والمؤقتين للعيدين .

فَلَمَّا غَنَّاهُ الْغَرِيبُ دَمَعَتْ عَيْنُ يَزِيدَ، وَأَمْرَ بِإِحْضَارِ سَلَامَةَ الْخَضِيرَ، وَضُرِبَ
لَهَا حِجَابٌ فَلَسْتَ، وَأَعْدَادُ عَلَيْهِ الْغَرِيبُ صَوْتٌ؛ قَالَتْ : أَحْسَنَ وَاللهَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَاسْمَعْهُ مِنِّي . فَأَخْذَتِ الْعُودَ فَضَرَبْتُهُ وَغَنَّتِ الصَّوْتَ، فَكَادَ
يَزِيدَ يَطِيرُ فَرَحاً وَسُرُورًا، وَقَالَ : يَا أَحْوَصَ؛ إِنَّكَ لَمُبَارَكٌ ! يَا غَرِيبَ؛ غَنَّى فِي
لِيلَتِي هَذَا الصَّوْتُ، فَلَمْ يَزِلْ يَفْنِيهِ حَتَّى قَامَ يَزِيدَ وَأَمْرَ لَهَا بِعَالٍ، وَبَعْثَتْ سَلَامَةَ
إِلَيْهَا بِكُسْنَوَةٍ وَلَطَافَ كَثِيرٌ .

١٥ — غنائِي فِي خِتَّانُ

قال عبد الرحمن بن إبراهيم الخزومي : أرسلتني أمي وأنا غلام أسأل عطاء^(١) بن أبي رباح عن مسألة ، فوجده في دار يقال لها دار المعنى ، وعليه ملحة مقصورة ، وهو جالس على منبر ، وقد ختن ابنه ، والطعام يوضع بين يديه ، وهو يأمر به أن يفرق في الخلق ، فلموت مع الصبيان أمعن بالجوز حتى أكل القوم وتفرقو ، وبقي مع عطاء خاصته ، فقالوا : يا أبو محمد ، لو أذنت لنا ، فأرسلنا إلى الغريض وابن سريح ! فقال : ما شئتم . فأرسلوا إليهما ، فلما أتياً قاموا معها ، وثبتت عطاء في مجلسه فلم يدخل ، فدخلوا بهما بيتاً في الدار فغنّيَا وأنا أسمع ، فبدأ ابن سريح فنقر بالدف ، وتفن بشعر كثير :

بَلَيْلٌ وَجَارَاتٍ لِيَلِيٍّ كَانَهَا	نِعَاجُ الْمَلَأِ ^(٢) تُحْدَى بِهِنَّ الْأَبَاعِرُ
أَمْنَقَطِعُ يَا عَزَّ مَا كَانَ يَبْنَنَا	وَشَاجِرُنِي يَاعِزَّ فِيكَ الشَّوَّاجِرُ ^(٣)
إِذَا قِيلَ هَذَا بَيْتُ عَزَّةَ قَادَنِي	إِلَيْهِ الْهَوَى وَاسْتَعْجَلْتِنِي الْبَوَادِرُ ^(٤)
أَصَدُّ وَبِي مِثْلُ الْجَنُونِ لَكِي يَرَى	رُوَاهُ الْخَنَانِ أَنِي لِبَيْدِتِكِ هَاجِرُ
إِذَا بَنْتِ بَاعَ الصَّبَرَ لِعَنْكِ تَاجِرُ	أَلَا لَيْتَ حَظِيَ مِنْكِ يَا عَزَّ أَنِي

* الأغاني : ١ - ٢٧٨

(١) هو عطاء بن أسلم بن صفوان . تابعى من أجيال الفقهاء ، ولد فى اليمن ، ونشأ بمكة ، فسكن مفتى أهلها ومحظهم ، وتوفى فيها سنة ١١٥ هـ . (٢) الملأ : الصحراء . (٣) الشواجر : جمع شاجر : شجرة عن الأمر : صرفه عنه . (٤) البوادر : الدموع .

فَكَانُ الْقَوْمُ نَزَلَ عَلَيْهِمُ السُّبَاتُ، وَأَدْرَكَهُمُ النَّشْيُ، فَكَانُوا كَالْأَمْوَاتِ،
ثُمَّ أَصْفَعُونَا إِلَيْهِ بَذَانَهُمْ، وَشَخَصَتْ إِلَيْهِ أَعْيُنَهُمْ، وَطَالَتْ أَعْنَاقُهُمْ . ثُمَّ غَنِيَ ابْنُ
سُرْبِيجَ وَوَقَعَ بِالْقَضِيبِ، وَأَخْذَ الغَرِيفِ يَدُ الدَّفَّ، فَغَنِيَ بِشِعْرِ الْأَخْطَلِ :
فَقَلْتُ أَصْبَحُونَا^(١) لَا أَبَا لِأَيْكُمْ
وَمَا وَضَعُوا الْأَثْقَالَ إِلَّا لِيَفْعَلُوا
وَقَلْتُ : افْتَلُوهَا^(٢) عَنْكُمْ بِمَزاجِهَا
فَأَكْرَمْ بِهَا مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ
أَنَّا خُوا فَرِشُوا شَاصِيَاتٍ^(٣) كَانُهَا رَجَالٌ مِنَ السُّودَانَ لَمْ يَتَسَرَّ بِلُوا
فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُمْ تَحْرِكُوا وَلَا نَطَقُوا إِلَّا مُسْتَعْمِينَ لَا يَقُولُ .

ثُمَّ غَنِيَ الغَرِيفِ بِشِعْرِ آخَرَ ؛ وَهُوَ :

هَلْ تَعْرِفُ الرِّسَمَ وَالْأَطْلَالَ وَالدَّمَنَ؟ زِدْنَ الْفَوَادَ عَلَى مَا عِنْدَهُ حَزَنَا
دَارَ لِأَسْمَاءِ إِذْ كَانَتْ تَحْلُّ بِهَا وَإِذْ تَرَى الْوَصْلَ فِيمَا بَيْنَنَا حَسَنَا
إِذْ تَسْتَبِّيكَ بِمَصْقُولٍ عَوَادِيَّهُ^(٤) وَمُقْلَتَيْ جُوَذَرٍ لَمْ يَعْدُ أَنْ شَدَّنَا
ثُمَّ غَنِيَ الغَرِيفِ فِي شِعْرِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

كَفِيَ حَزَنًا أَنْ تَجْمَعَ الدَّارُ شَمْلَنَا وَأَمْسِيَ قَرِيبًا لَا أَزُورُكِ كُلَّنَا
دَعِيَ الْقَلْبَ لَا يَرْدَدَ خَبَالًا مِنَ الَّذِي
بِهِ مِنْكِ أَوْ دَارِي جَوَاهِ الْمَكْتَمَأ
وَمَنْ كَانَ لَا يَعْدُ هَوَاهُ لِسَانَهُ
قَدْ دَحَلَ فِي قَلْبِي هُوَاكِ وَخِيَا
وَلَكَنَّهُ قَدْ خَالَطَ اللَّهُمَّ وَالدَّمَّا
وَلِيَسْ يَتَزَوِّقِ^(٥) الْلَّسَانُ وَصَوْغَهُ

(١) أَصْبَحُونَا : لَيَتَوْنَا بِالصَّبْوَحِ ، وَهُوَ مَا يَشْرُبُ فِي الْفَدَاءِ إِلَى الْفَائِلَةِ . (٢) قَتْلُ الْخَرِ :
مِنْ جَهَّا بِالْمَاءِ . (٣) الشَّاصِيَاتُ : الْرِّفَاقُ الْمُلْمُوَدَةُ الشَّائِلَةُ الْقَوَامُ . (٤) الْعَوَادِيُّ : الشَّتَابِيُّ ، أَوْ
هُنَّ الْأَسْنَانُ الَّتِي تَبَدُّو مِنَ الْفَمِ عَنْدَ الْفَحْكَ . (٥) التَّزوِيقُ : التَّحسِينُ وَالْتَّزِينُ .

قال الراوى : وما زالا يفتیان و عطلا يسمع على منبره ومكانه ، و ربما رأيت
رأسه قد مال و شفتيه تتحرّك حتى بلغت الشمس ، فقام يريد منزله ، فما سمع
السامعون شيئاً أحسن منها ، وقد رفعا أصواتهما ، و تفنيا .

ولما بلغت الشمس عطاء قام وهو على طريقة واحدة في الغناء ، فاطلع في كُوَّة
البيت ، فلما رأوه قالوا : يا أبا محمد ؟ أيهما أحسن غناء ؟ قال : الرقيق الصوت .

يعنى ابن سرّيج !

١٦ — يضطرب حين سمع الغناء*

لقي عَطَاءً بْنُ أَبِي رَبَاحٍ ابْنَ سُرَيْجٍ^(١) بذِي طُوْيٍ^(٢) ، وعليه ثياب مصيّفة، وفي يده جَرَادَةً مشدودةً الرِّجْل بخيط يطيرُها ويحذبها به كَمَا تختلفتْ ، فقال له عطاء : يافتان ؟ أَلَا تكْفِي عما أَنْتَ عَلَيْهِ ! كفى اللهُ النَّاسَ مَثُونَتَكْ . فقال ابنُ سُرَيْجٍ : وما على النَّاسِ مِنْ تلويني ثيابي ولعبي بجَرَادَتِي ؟ فقال له : تفتقهم بِأَغانيكِ الْخَيْشِيَّةِ ، فقال له ابنُ سُرَيْجٍ : سَأْلُوكَ بِحَقِّ مَنْ بَعْتَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِحَقِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَّا مَا سَمِعْتَ مِنِي يَيْتَأً مِنِ الشِّعْرِ ، فَإِنْ سَمِعْتَ مِنِي مُنْكِرًا أَمْرَتَنِي بِالإِمْسَاكِ عَمَّا أَنَا عَلَيْهِ ، وَأَنَا أَقْسِمُ بِاللهِ وَبِحَقِّ هَذِهِ الْبَيْنِيَّةِ^(٣) لَئِنْ أَمْرَتَنِي بَعْدَ اسْمَاعِكَ مِنِي بِالإِمْسَاكِ عَمَّا أَنَا عَلَيْهِ لِأَفْعَلَنَّ ذَلِكَ .

فَأَطْمَعَ ذَلِكَ عَطَاءً فِي ابْنِ سُرَيْجٍ ، وَقَالَ : قُلْ ، فَانْدُفِعْ يَغْنِي بِشِعْرٍ

جَرِيرٌ :

إِنَّ الدِّينَ غَدَوا بِلْبِكَ غَادُوا وَشَلَّا^(٤) بِعِينَكَ لَا يَزَالُ مَعِينًا^(٥)

* الأغاني : ١ - ٥٦ ، نهاية الأرب : ٤ - ٢٤٥

(١) هو عبد بن سريج ، كان من أحسن الناس غناء ، وهو أول من ضرب بالعود على الغناء العربي بعكة ، انقطع إلى عبد الله بن جعفر ، ومات في خلافة هشام بن عبد الملك .

(٢) ذو طوى : موضع بعكة . (٣) البنيّة : الكعبة . (٤) الوشن : الدمع الكثير .

(٥) المعين : المجرى السائل .

غَيْضَنَ مِنْ عَبَرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنْ الْمَوْى وَلَقِينَا
فَلَمَّا سَمِعَ عَطَاءَ الْفَنَاءِ اضْطَرَبَ اضْطَرَابًا شَدِيدًا وَدَخَلَهُ أَرْيَحَيَّةُ، خَلَفَ أَلَّا يَكُلُّ
أَحَدًا بَقِيَّةً يَوْمَهُ إِلَّا بِهَذَا الشِّعْرِ، وَصَارَ إِلَى مَكَانِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَكَانَ
كُلُّ مَنْ يَأْتِيهِ سَائِلًا عَنْ حَلَالٍ أَوْ حَرامٍ أَوْ خَبَرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ، لَا يَجِدُهُ إِلَّا بِأَنَّ
يَضْرِبَ إِحْدَى يَدِيهِ عَلَى الْأُخْرَى، وَيَنْشِدُ هَذَا الشِّعْرَ حَتَّى صَلَى الْمَغْرِبُ، وَلَمْ يَعُودْ
ابْنَ سُرَيْجَ بَعْدَهَا وَلَا تَعَرَّضَ لَهُ.

١٧ - في قصر الوليد بن يزيد*

اشتاق الوليدُ بنُ يزيدَ إِلَى مَعْبُدٍ^(١) ، فوَجَّهَ إِلَيْهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَخْضَرَ ، وَبَلَغَ الْوَلِيدَ
قَدْوَمُهُ ؛ فَأَمْرَ بِزِيَارَةِ بَيْنَ يَدَيِّ مَحْلِسِهِ فَمُلِئَتْ مَاءً وَرَزِّيْ قدْ خُلِطَ بِعَسْكٍ وَزَعْفَرَانٍ ، ثُمَّ
فُرِشَ لِلْوَلِيدِ فِي دَاخِلِ الْبَيْتِ عَلَى حَافَّةِ الْبَرْكَةِ ، وَيُسْطِعَ مَعْبُدُ مَقَابِلِهِ عَلَى حَافَّةِ الْبَرْكَةِ ،
لِيُسْعِمُهَا ثَالِثٌ ، وَجَيَّبَ مَعْبُدُ فَرَأَى سِرْتَرًا مُرْخَى وَمُحَاسَّ رَجْلًا وَاحِدًا ، فَقَالَ لَهُ
الْحُجَّابُ : يَا مَعْبُدَ ؟ سَلَّمَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَاجْلِسْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَسَلَّمَ فَرَدًا عَلَيْهِ
الْوَلِيدُ السَّلَامَ مِنْ خَلْفِ السِّرْتَرِ ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ : حَيَّاكَ اللَّهُ يَا مَعْبُدَ ! أَنْدَرِي لِمَ وَجَهْتُ
إِلَيْكَ ؟ قَالَ : اللَّهُ أَعْلَمُ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : ذَكْرُ تَكَّ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَسْعِمَ مِنْكَ .
قَالَ مَعْبُدٌ : أَغْنَى مَا حَضَرَ أَمْ مَا يَقْتَرَحُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : بَلْ غَنَّى :
مَا زَالَ يَعْدُو عَلَيْهِمْ رَبِيبُ دَهْرِهِمْ حَتَّى تَفَانَوا وَرَبِيبُ الدَّهْرِ عَدَّا
أَبْسَكَى فِرَاقُومُ عَيْنِي وَأَرَقَمَا إِنَّ التَّفْرَقَ لِلأَحْبَابِ بِكَاهِ
فَقَنَاهَ ، فَما فَرَغَ مِنْهُ حَتَّى رَفَعَ الْجَوَارِيِّ السَّجْفَ^(٢) ، ثُمَّ خَرَجَ الْوَلِيدُ فَأَلْقَى نَفْسَهُ
فِي الْبَرْكَةِ فَغَاصَ فِيهَا ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا فَاسْتَقْبَلَهُ الْجَوَارِيُّ بِثِيَابٍ غَيْرِ الثِّيَابِ الْأُولَى ،
ثُمَّ شَرَبَ وَسَقَى مَعْبُدًا ، ثُمَّ قَالَ : غَنَّى يَا مَعْبُدَ :
يَارَبُّ مَالِكٍ لَا تُجِيبُ مَتَّيًا قَدْ عَاجَ^(٣) نَحْوَكَ زَانِرًا وَمَسْلَمًا

* الأغانى : ٥٣-١

(١) هو معبد بن وهب ، خل المغنين ، وإمام أهل المدينة في الفناء ، اشتغل في أول أمره بالتجارة ، ورعى الغنم ، واختلاف إلى نشيط الفارسي وسائل خاتر مولى عبد الله بن جعفر حتى اشتهر بالحنق وحسن الفناء وطيب الصوت ، مات بدمشق في أيام الوليد بن يزيد .

(٢) السجف : السترة . (٣) عاج : مال .

جادتكَ كُلُّ سحابيَّ هطالهِ حتى ترَى عن زهرةِ مُقبسماً
لو كفتَ تدري منْ دعاكَ أجيتهِ وبكية من حرقِ عليهِ إذنْ دما
فناه؛ وأقبل الجواري فرفعنَ السُّترَ، وخرج الوليد فألقى نفسه في البركة ففاص
فيها ثم خرج ، فليس ثياباً غير تلك ، ثم شرب وسقي معبداً ، ثم قال له : غتنى .
قال : بماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : غتنى :

عَجِبَتْ لِمَا رَأَتِنِي أَنْدَبُ الرِّبَعَ الْمُحِيلَا^(١)
وَاقِفًا فِي الدَّارِ أَبْكَى لَا أَرِي إِلَى الظَّلَوَلَا
كَيْفَ تَبْكِي لِأَنَّاسٍ لَا يَمْلُونَ الذَّمِيلَا^(٢)
كَلَّا قَلْتُ اطْمَانْتَ دَارُهُمْ قَالُوا الرَّحِيلَا

فَلَمَّا غَنَّاهُ رُمِيَ بِنَفْسِهِ فِي الْبَرْكَةِ ثُمَّ خَرَجَ فَرَدَّوْا عَلَيْهِ ثِيَابَهُ ، ثُمَّ شَرَبَ وَسَقَى
معبداً ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الْوَلِيدُ فَقَالَ لَهُ : يَا مَعْبُد ؟ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَزْدَادَ عِنْدَ الْمُلُوكَ حُظْوَةً
فَلِيَكُنْتُمْ أَسْرَارَهُمْ ، قَالَتْ : ذَلِكَ مَا لَا يَحْتَاجُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى إِيْصَافٍ بِهِ ، فَقَالَ :
يَا غَلام ؟ احْمِلْ إِلَى مَعْبُدِي عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ تُحَصَّلُ لَهُ فِي بَلْدَهُ ، وَأَلْفَيْ دِينَارٍ لِنَفْقَةِ
طَرِيقِهِ ، فَحُمِّلَتْ إِلَيْهِ كُلُّهَا ، وَحُمِّلَ عَلَى الْبَرِيدِ مِنْ وَقْتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ .

(١) المَحِيلُ : الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ أَحْوَالَ فَيِرْتَهُ . (٢) التَّمِيلُ : السِّيرُ الْأَدِينُ .

قال معبد : غنيت فأعجبني غنائي ، وأعجب الناس ، وذهب لي به صيت
وذكر ، قلت : لاتين مكة فلا شمع من المفنيين بها ، ولا غنائهم ، ولا تعرفن
إليهم .

فابتعدت حارا ، نفرجت عليه إلى مكة ، فلما قد متها بعث حماري ، وسألت
عن المفنيين : أين يجتمعون ؟ فقيل : بقعيقان^(١) ، في بيت فلان .

جئت إلى منزله بالفلس^(٢) ، فقرعت الباب ، فقال : من هذا ؟ قلت :
انظر عافاك الله ؛ فدنا وهو يسبح ويستعيد كأنه يخاف ، ففتح ، فقال : من أنت
عافاك الله ؟ قلت : رجل من أهل المدينة . قال : فما حاجتك ؟ قلت : أنا رجل
أشتهي الفناء ، وأزعم أنى أعرف منه شيئاً ، وقد بلغنى أن القوم يجتمعون عندك ،
وقد أحبيت أن تُنزلني في جانب منزلك وتخلطني بهم ، فإنه لا مثونة عليك
ولا عليهم .

فلوى^(٣) شيئاً ثم قال : انزل على بركة الله . فنقلت متعاي فنزلت في جانب
حجرة .

ثم جاء القوم حين أصبحوا واحداً بعد واحد حتى اجتمعوا فأنسكروني ، وقلوا :

* الأغاني : ١ - ٥٧

(١) قعيقان : اسم قرية بها مياه وزروع وتحليل قرب مكة . (٢) الفلس : ظلمة آخر الليل إذا
اختلطت بظلمة الصباح . (٣) فلوى شيئاً : فتمكت قليلاً .

مَنْ هَذَا الرَّجُلُ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ضَيْفٌ يَشْتَهِي النَّفَاءَ، وَيَطْرُبُ عَلَيْهِ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنْهُ عَنَاءً وَلَا مَكْرُوهٌ. فَرَحِبُوا بِهِ وَكَلَّهُمْ، ثُمَّ انْبَسَطُوا وَأَشْرَبُوا وَغَنَّوْا، فَجَعَلُتُ أَعْجَبَ بَعْنَاهُمْ وَأَظْهَرَ ذَلِكَ لَهُمْ، وَيَعْجِبُهُمْ مِنِّي حَتَّى أَقْنَا أَيَامًا، وَأَخْذَتُ مِنْ غَنَائِهِمْ - وَهُمْ لَا يَدْرُونَ - أَصْوَاتَهُمْ وَأَصْوَاتَهُمْ وَأَصْوَاتَهُمْ؛ ثُمَّ قَلَتْ لَابْنِ سُرَيْجِ^(١): أَمْسِكْ عَلَى صَوْتِكَ:

قَلْ لِهِنْدٍ وَتِرِبَّهَا^(٢) قَبْلَ شَحْطٍ^(٣) النَّوَى غَدَا

إِنْ تَجْمُودِي فَطَالِمَا بَتْ لِيلى مُهَدَّداً

قال: أو تحسن شيئاً؟ قلت: تنظر^(٤)، وعسى أن أصنع شيئاً، واندفعت فيه فتنية؛ فصاح وصاحوا، وقالوا: أحسنت! قاتلك الله! قلت: فأمسك على صوت كذا؛ فأمسكوه على فتنية؛ فازدادوا عجباً وصياحاً، فاتركت واحداً منهم إلا غنيمة من غناه أصواتاً قد تخيرتها؛ فصاحوا حتى علت أصواتهم، وهرقوبي^(٥)، وقالوا: لأنك أحسن بأداء غناتنا عننا مينا. قلت: فأمسكوا على ولا تضحكوا^(٦) بي حتى تسمعوا من غنائي. فأمسكوا على فتنية صوتاً من غنائي، فصاحوا بي، ثم غنיהם آخر وأخر؛ فونبوا إلى وقالوا: نخلف بالله إن لك بصيتا واستما وذكرة، وإن لك فيما هنا^(٧) لسهما عظيم، فمن أنت؟ قلت: أنا معبد؛ فقبلوا رأسى، وقالوا: لفقت^(٨) علينا وكنا تهاؤن^(٩) بك، ولا نعدك شيئاً، وأنت أنت! فاقت^(١٠) عندهم شهراً آخذ منهم ويأخذون مني، ثم انصرفت إلى المدينة.

(١) الترب: الله، وهو من يقاتل في سنك. (٢) الشحط: البعد، والشعر لعمرو بن أ Fioriyah.

(٣) تنظر: تأن وتبث. (٤) هرق به: مدح حتى جاوز القدر في الثناء والإطراء.

(٥) ضحك به ومنه بمعنى. (٦) سهما: نصيباً. (٧) لفقت علينا: أى سرت علينا أمرك.

١٩ — مَعْبُدٌ فِي السُّفِينَةِ *

كَانَ مَعْبُدٌ قَدْ عَلِمَ الْغُنَاءُ جَارِيَةً مِنْ جُوَارِي الْحِجَازِ تَدْعُى خَلْبَيَةً، وَعُنِيَّ بِتَخْرِيجِهَا؛
فَاشْتَرَاهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعَرَاقِ، فَأَخْرَجَهَا إِلَى الْبَصَرَةِ، وَبَاعَهَا هُنَاكَ، فَاشْتَرَاهَا رَجُلٌ
مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَازِ فَأَعْجَبَ بِهَا، ثُمَّ مَاتَتْ بَعْدَ أَنْ أَقَامَتْ عَنْهُ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ،
وَأَخْذَ جُوَارِيهِ أَكْثَرَ غُنَائِهَا عَنْهَا، فَكَانَ لَحْبَتِهِ إِلَيْهَا وَأَسْفَهِهِ عَلَيْهَا لَا يَزَالُ يَسْأَلُ
عَنْ أَخْبَارِ مَعْبُدٍ وَأَيْنَ مُسْتَقْرَرٌ؟ وَيُظْهِرُ التَّعَصُّبَ لِهِ وَلِلْمَلِيلِ إِلَيْهِ، وَالتَّقْدِيمَ لِشَانِهِ عَلَى
سَائِرِ أَغَانِيِّ أَهْلِ عَصْرِهِ إِلَى أَنْ عَرَفَ ذَلِكَ مِنْهُ.

وَبَلَغَ مَعْبُدًا خَبْرُهُ، خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ حَتَّى أَتَى الْبَصَرَةَ، فَلَمَّا وَرَدَهَا صَادَفَ
الرَّجُلَ، وَقَدْ خَرَجَ عَنْهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى الْأَهْوَازِ، فَأَكْتَرَى سُفِينَةً، وَجَاءَ مَعْبُدٌ
يَلْتَمِسُ سُفِينَةً يَنْحُدِرُ فِيهَا إِلَى الْأَهْوَازِ، قَلَمْ يُجَدِّدُ غَيْرُ سُفِينَةِ الرَّجُلِ، وَلَيْسَ يَعْرُفُ
أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، فَأَمَرَ الرَّجُلُ الْمَلَاحَ أَنْ يَجْلِسَهُ مَعَهُ فِي مَوَّخَرِ السُّفِينَةِ، فَقَعَ
وَانْحَدَرُوا.

فَلَمَّا صَارُوا فِي نَهْرِ الْأَبْلَةِ^(١) تَدَدَّوْ وَشَرَبُوا، وَأَمْرَ جُوَارِيهِ فَتَنَّ، وَمَعْبُدٌ
سَاكِنٌ، وَهُوَ فِي ثِيَابِ السَّفَرِ، وَعَلَيْهِ فَرُوتٌ وَخُفَّانٌ غَلِيظَانٌ وَزِيَّ جَافٍ مِنْ زِيَّ
أَهْلِ الْحِجَازِ، إِلَى أَنْ غَنَّتْ إِحْدَى الْجُوَارِيِّ :

بَانَتْ سُعَادٌ وَأَمْسَى حِبَّلَهَا اِنْصَرَمًا وَاحْتَلَتِ النَّفَرَ وَالْأَجْرَاعَ مِنْ إِحْمَانًا^(٢)

* الأغاني : ١ - ٤٨

(١) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة . (٢) الغور: المطمئن من الأرض ، والأجراع : جم جرع ، وهو مفرد أو جم جرعة ، وهي الرملة الطينية المنتشرة لا وعوته فيها ، وأرض : واد بجبل تهامة ، وهو الوادي الذي فيه المدينة ، والشعر للنافحة .

إِحْدَى بَلَىٰ وَمَا هَامَ الْقَوَادُ بِهَا إِلَّا السُّفَاهَةُ وَإِلَّا ذِكْرَةُ حُلُماً^(١)
 فَلَمْ تُجِدْ أَدَاءَهُ، فَصَاحَ بِهَا مَعْبُدَهُ: يَا جَارِيَةٌ! إِنْ غَنَاءَكَ هَذَا لَيْسَ بِمُسْتَقِيمٍ. قَالَ لَهُ
 مُولَاهَا— وَقَدْ غَضِبَ: وَأَنْتَ مَا يُدْرِيكُ الْفَنَاءَ مَا هُوَ! أَلَا تُمْسِكُ وَتَنْزِمُ شَائِكَ!
 فَأَمْسَكَ.

ثُمَّ غَنَتْ أَصْوَاتًا مِنْ غَنَاءِ غَيْرِهِ، وَهُوَ سَاكِنٌ لَا يَكُلُّمُ، حَتَّىٰ غَنَتْ:
 يَا بَنَةَ الْأَزْدِيِّ قَلْبِي كَثِيرٌ مُسْتَهَمٌ عَنْدَهَا مَا يُنْبِيُ
 وَلَقَدْ لَامُوا فَقْلَتْ: دَعْوَنِي إِنْ مَنْ تَهَوَّنَ عَنْهِ حَبِيبٌ
 إِنَّمَا أَبْلَى عَظَامِي وَجَسْمِي حَبْهَا، وَالْحُبُّ شَيْءٌ عَجِيبٌ
 أَيْهَا الْعَائِبُ عَنْدَهُ هُوَا هَا أَنْتَ تَقْدِي مِنْ أَرْاكَ تَعَيِّبُ
 فَأَخْلَقْتُ بِيَعْضِهِ؛ قَالَ لَهَا مَعْبُدٌ: يَا جَارِيَةٌ! لَقَدْ أَخْلَقْتَ بِهَا الصَّوْتَ إِخْلَالًا
 شَدِيدًا؛ فَغَضِبَ الرَّجُلُ وَقَالَ لَهُ: وَيْلَكَ! مَا أَنْتَ وَالْفَنَاءُ! أَلَا تَكْفُ عنْ هَذَا
 الْفُضُولِ! فَأَمْسَكَ وَغَنَّى الْجَوَارِيَ مَلِيَا؛ ثُمَّ غَنَتْ إِحْدَاهُنَّ:
 خَلِيلِي عُوجَا فَابْكِيَا سَاعَةً مَعِي عَلَى الرَّبِيعِ نَقْضِي حَاجَةً وَنَوْدَعُ
 لَعْزَةً لَاحْتَلِي بِيَدِيَاءَ بَلْقُونَ^(٢) وَلَا تَعْجِلَانِي أَنْ أَلِمَ بِيَدِيَةَ
 وَقُولَا لَقْلِبِي قدْ سَلَا: رَاجِعُ الْمَوْى
 فَلَا عَيْشَ إِلَّا مِثْلُ عِيشِ مَضِي لَنَا مَصِيفًا أَقْمَنَا فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَرْبِعٍ
 فَلَمْ تَصْنَعْ فِيهِ شَيْئًا، قَالَ لَهَا مَعْبُدٌ: يَا هَذِهِ! أَمَا تَقْوِيمِنَّ عَلَى أَدَاءِ صَوْتٍ وَاحِدًا!
 فَغَضِبَ الرَّجُلُ وَقَالَ لَهُ: مَا أَرَاكَ تَدْعُ^(٢) هَذَا الْفُضُولُ بِوَجْهٍ وَلَا حِيلَةٍ، فَأَقْسَمَ بِاللهِ
 لَئِنْ عَاوَدْتَ لِأَخْرُجَنَّكَ مِنِ السَّفِينَةِ!

(١) بَلَىٰ: اسْمَ قَبْلَةٍ، وَالْسُّفَاهَةُ: الطِّيشُ، وَالذِّكْرَةُ—بِالْكَسْرِ وَالْفَمِ: نَقْيَضُ النَّسِيَانِ.

(٢) تَدْعُ: تَرْكُ.

فأمسك معبد حتى إذا سكتت الجواري سكتة اندفع يغنى الصوت الأول حتى فرغ منه ؛ فصاح الجواري : أحسنـتـ والله يا رجل ؟ فأعـدـهـ ، فقال : لا ، والله ولا كرامة ! ثم اندفع يغنى الثاني ، فقلن لسيدهن : ويحك والله ! إن هـذاـ أـحـسـنـ الناس غـنـاءـ ، فـسـلـهـ أـنـ يـعـيـدـهـ عـلـيـنـاـ ولوـ مـرـةـ وـاحـدـةـ ، لـمـلـنـاـ نـاخـذـهـ عـنـهـ ؟ فـإـنـهـ إـنـ فـاتـنـاـ لمـ نـجـدـ مـثـلـهـ أـبـداـ . فقال : قد سـمـعـتـ سـوـءـ رـدـهـ عـلـيـكـنـ ، وـأـنـ خـائـفـ مـثـلـهـ مـنـهـ ، وقد أـسـلـفـنـاهـ^(١) الإـسـاءـةـ فـاصـبـرـنـ حـتـىـ نـدـارـيـهـ . ثـمـ غـنـيـ الثـالـثـ ، فـزـلـلـ الـأـرـضـ ، فـوـقـبـ الرـجـلـ وـقـبـلـ رـأـسـهـ ، وقال : يا سـيـدـيـ ؟ أـخـطـلـاـنـاـ عـلـيـكـ وـلـمـ نـعـرـفـ مـوـضـعـكـ . قالـ لهـ : فـهـبـكـ لـمـ تـعـرـفـ مـوـضـعـيـ ، قـدـ كـانـ يـنـبـغـيـ لـكـ أـنـ تـنـشـبـتـ وـلـاـ تـسـرـعـ إـلـىـ بـسـوـءـ الـعـشـرـةـ وـجـفـاءـ الـقـوـلـ ! قالـ لهـ : قـدـ أـخـطـأـتـ ، وـأـنـ أـعـتـذـرـ إـلـيـكـ مـاـ جـرـىـ ، وـأـسـأـلـكـ أـنـ تـنـزـلـ إـلـىـ ، وـتـخـتـلـطـ بـيـ ، قالـ لهـ : أـمـاـ الـآنـ فـلاـ .

فـلـمـ يـرـزـقـ^(٢) بـهـ حـتـىـ نـزـلـ إـلـيـهـ . قالـ الرـجـلـ : مـنـ أـخـذـتـ هـذـاـ الـغـنـاءـ ؟ قالـ : مـنـ بـعـضـ أـهـلـ الـحـجازـ ، فـنـ أـيـنـ أـخـذـهـ جـوـارـيـكـ ؟ قالـ : أـخـذـهـ عنـ جـارـيـهـ كـانـتـ لـيـ ، اـبـتـاعـهـاـ رـجـلـ منـ أـهـلـ الـبـصـرـةـ مـنـ مـكـةـ ، وـكـانـتـ قـدـ أـخـذـتـ عـنـ مـعـبـدـ ، وـعـنـيـ بـتـخـرـيـجـهـاـ^(٣) ، فـكـانـتـ تـحـلـ مـنـيـ مـحـلـ الـرـوـحـ مـنـ الـجـسـدـ ، ثـمـ اـسـتـأـثـرـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ بـهـاـ ، وـبـقـيـ هـؤـلـاءـ الـجـوـارـيـ وـهـنـ مـنـ تـعـلـيمـهـاـ ، فـأـنـاـ إـلـىـ الـآنـ أـنـعـصـبـ أـعـبـدـ ، وـأـفـضـلـهـ عـلـىـ الـمـغـنـينـ جـمـيـعاـ ، وـأـفـضـلـ صـنـعـتـهـ عـلـىـ كـلـ صـنـعـةـ .

قالـ لـهـ مـعـبـدـ : أـوـ إـنـكـ لـأـنـتـ هـوـ ؟ أـفـتـعـرـ فـنـيـ ؟ قالـ : لـاـ . فـصـكـ^(٤) مـعـبـدـ يـيـدـهـ صـلـعـتـهـ ، ثـمـ قـالـ : فـأـنـاـ وـالـلـهـ مـعـبـدـ ، وـإـلـيـكـ قـدـمـتـ مـنـ الـحـجازـ ، وـوـافـيـتـ الـبـصـرـةـ سـاعـةـ

(١) أـسـلـفـنـاهـ : قـدـمـنـاـ إـلـيـهـ . (٢) يـرـفـقـ بـهـ .

(٣) بـتـخـرـيـجـهـاـ : بـتـدـرـيـبـهـاـ . (٤) صـكـ : ضـرـبـ .

نزلت السفينة لأقصدك بالأهواز ؟ ووالله لا قَصَرْتُ فِي جوارِيك هؤلاً، وأجعلنَّ
لَكَ فِي كُلِّ واحِدةٍ مِنْهُنَّ خَلَافًا مِنَ الْمَاضِيَّةِ .

فَأَكَبَ الرَّجُلُ وَالْجَوَارِي عَلَى يَدِيهِ وَرَجْلِيهِ يَقْبَلُونَهَا، وَيَقُولُونَ: كَتَمْتَنَا فَسْكَ
طَوْلَ هَذَا الْوَقْتِ حَتَّى جَفَوْنَاكَ فِي الْخَاطِبَةِ، وَأَسَانَا عِشْرَتَكَ وَأَنْتَ سِيدُنَا وَمَنْ
نَمَنَى عَلَى اللَّهِ أَنْ نَلْقَاهُ .

ثُمَّ غَيَّرَ الرَّجُلُ زِيَّهُ وَحَالَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ عَدَةٌ خِلْمٌ وَأَعْطَاهُ ثَلَاثَةَ دِينَارٍ وَطَبِيعَةً وَهَدَى يَا
بَنْتَهَا، وَانْحَدَرَ مَعَهُ إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَأَقَامَ عَنْهُ حَتَّى حَذَقَ جَوَارِيهِ مَا أَخْذَنَهُ عَنْهُ ،
ثُمَّ وَدَّعَهُ وَانْصَرَفَ إِلَى الْحِجَازِ .

* ٢٠ — وفاة مالك بن أبي السمع لمعبد

كان مالك^(١) بن أبي السمع المغنى من طيء^{*} ، فأصابتهم حطمة^(٢) في بلادهم بالجبلين ؛ فقدمت به أمه وبأخوه له وأخواته أيتام لا شيء لهم ، فكان يسأل الناس على باب حزرة بن عبد الله بن الزبير - وكان معبد منقطعاً إلى حزرة يكون عنده في كل يوم يفتنه - فسمع مالك غناه ، فأعجبه وأشبهه .

فكان لا يفارق باب حزرة ، يسمع غناء معبد إلى الليل ، فلا يطوف المدينة ولا يطلب من أحد شيئاً ولا يرِيم^(٣) موضعه ، فينصرف إلى أمه ، ولم يكتسب شيئاً فتضسر به ، وهو مع ذلك يتزلم بالحان معبد ، يؤذيه دوزاراً دوزاراً ، في مواضع صيحاته ونبراته^(٤) نفماً بغير لفظ ولا رواية شيء من الشعر ؛ وجعل حزرة كلاماً غداً وراح ملازمًا لبابه ، فقال لغلامه يوماً : أدخل هذا الغلام الأعرابي إلى ؟ فادخله ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا غلام من طيء أصابتنا حطمة بالجبلين خطتنا إليكم ، وهي أم لي وإخوة ، وإنى قد لزمنت ببابك فسمعت من دارك صوتاً أعجبني فلزمنت ببابك من أجله ، قال : فهل تعرف منه شيئاً ؟ قال : أعرف لحنه كله ؛ ولا أعرف الشعر .

قال : إن كنت صادقاً فإنك لفهم .

ودعا بمعبد ، فأمره أن يُنْفَنِي صوتاً فناته ، ثم قال مالك : هل تستطيع أن

* نهاية الأربع : ٤ - ٢٨١ ، الأغانى : ٥ - ١٠٢

(١) أخذ مالك الفتاء عن جليلة ومعبد وأدرك الدولة العباسية ، وانقطع إلى بنى سليمان بن علي ، ومات في خلافة أبي جعفر المنصور . (٢) الحطمة : السنة والجدب . (٣) يريم موضعه : يفارقه .

(٤) نبرة المغنى : رفع صوته عن خفنه .

تقوله؟ قال: نعم، قال: هاته، فاندفع فنهان، فأدى نفمه بغير شعر، يؤودي مداداته ولياته، وعطفاته ونبراته، لا يخرب حرفًا.

قال لمعبد: خذ هذا الغلام إليك وخرجه فليكون له شأن، قال معبد: ولم أفعل ذلك؟ قال: لـ تكون محسنة منسوبة إليك.

قال: صدق الأمير، وأنا أفعل ما أمرتني به. ثم قال حمزة مالك: كيف وجدت ملازمتك لبابنا؟ قال: أرأيت لو قلت فيك غير الذي أنت له مستحق من الباطل أكنت ترضى بذلك؟ قال: لا. قال: وكذلك لا يسرك أن تحمد بما لم تفعل؟ قال: نعم. قال: فوالله ما شبيعت على بابك شبعة فقط، ولا انقلبت منه إلى أهل بخир. فأمر له ولاده وإلخوته بمنزل؛ وأجرى لهم رزقاً وكسوة، وأمر لهم بخدمتهم، وعبد يسقيهم الماء، وأجلس مالكا معه في مجالسه، وأمر معبداً أن يطارحه، فلم ينشب^(١) أن مهر وحذق، وكان في ذلك بعقب مقتل هدبة بن خشرم؛ نخرج مالك يوماً، فسمع امرأة تتوح على زيادة الذي قتله هدبة بن خشرم بشعر أخي زيادة:

أبُد الْذِي بِالنَّعْفِ ^(٢)	رَهِيفَةَ رَمْسِ ذِي تُرَابٍ وَجَنْدَلٍ
وَبُقْيَايَ أُنِي جَاهَدَ غَيْرَ مُؤْتَلِ ^(٣)	نَعْفٌ كُوَيْكِبٌ
فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي لَزِيدٍ بْنِ مَالِكٍ	أَذَّكَرُ بِالبُقْيَا عَلَى مَنْ أَصَابَنِي

(١) لم ينشب: لم يلبث. (٢) النعف: ما انحدر عن غلط الجبل وارتفع عن مجرى السيل.

(٣) غير مؤتل: غير مقصر، والبقيا: الاسم، من أبقت عليه إذا زعيت عليه ورجنته. وقد رد هذا البيت في اللسان منسوباً إلى أبي القمقام الأسدى هكذا:

أذكرا بالقوى على ما أصابنى . وبقوائى أنى جاهد غير مؤتل

وَإِلَّا أَنْلَى تَأْرِي من الْيَوْمِ أوْ غَدِير
 بَنِي عَنْدَنَا فَالدُّهُورُ ذُو مُتَطَوَّلٍ
 أَخْتَمْتُ عَلَيْنَا كَلْكَلَ الْحَرْبِ مَرَّةً فَنَحْنُ مُنْيَخُوهَا عَلَيْكُمْ بِكَلْكَلٍ
 فَقَنَى فِي هَذَا الشِّعْرِ لَحْنِينْ : أَحَدُهُمَا نَحْنَا فِيهِ نَحْنُوَ الْمَرْأَةُ فِي نَوْحَهَا وَرَفْقَهُ
 وَأَصْلَحَهُ ، وَزَادَ فِيهِ ، وَالآخَرُ نَحْنَا فِيهِ نَحْنُوَ مَعْبُدُ فِي غِنَائِهِ .

ثُمَّ دَخَلَ عَلَى حَمْزَةَ قَالَ لَهُ : أَيْهَا الْأَمِيرُ ؟ إِنِّي صَنَعْتُ غَنَاءَ فِي شِعْرٍ سَمِعْتُ
 بَعْضَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَنْشَدُهُ . وَقَدْ أَعْجَبَنِي ؛ فَإِنْ أَذْنَ الْأَمِيرِ غَنِيَّتُهُ فِيهِ . قَالَ : هَاتِهِ ؟
 فَغَنَاءَ اللَّهُنَّ الَّذِي نَحْنَا فِيهِ نَحْنُوَ مَعْبُدٌ ؟ فَطَرَبَ حَمْزَةُ ، وَقَالَ لَهُ : أَحْسَنْتَ يَا غَلَامُ !
 هَذَا الغَنَاءُ غَنَاءُ مَعْبُدٍ وَطَرِيقَتِهِ ، قَالَ : لَا تَعْجَلْ أَيْهَا الْأَمِيرُ ، وَاسْمَعْ مِنِّي شِيَّئًا لَيْسَ
 مِنْ غَنَاءَ مَعْبُدٍ وَلَا طَرِيقَتِهِ . قَالَ : هَاتُ ، فَغَنَاءَ اللَّهُنَّ الَّذِي تَشَبَّهُ فِيهِ بِنَوْحِ الْمَرْأَةِ ؟
 فَطَرَبَ حَمْزَةُ حَتَّى أَقَى عَلَيْهِ حُلَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ قِيمَتُهَا مَائَةُ دِينَارٍ .

وَدَخَلَ مَعْبُدُ فَرَأَى حُلَّةَ حَمْزَةَ عَلَيْهِ ، فَأَنْكَرَهَا ، وَعَلِمَ حَمْزَةُ بِذَلِكَ ، فَأَخْبَرَ
 مَعْبُدًا بِالسَّبِبِ ، وَأَمْرَ مَالِكًا فَغَنَاءَ الصُّوتَيْنِ ؟ فَفَضَبَ مَعْبُدٌ لِمَا سَمِعَ الصُّوتَ الْأَوَّلَ ،
 وَقَالَ : قَدْ كَرِهْتُ أَنْ آخُذَ هَذَا الْفَلَامَ فَيَقْتَلُمْ غَنَائِكَ وَلَا غَنَائِكَ ، وَأَمْرَهُ أَنْ يُغَنِّيَ الصُّوتُ
 لَا تَعْجَلْ وَاسْمَعْ غَنَاءَ صَنَعْهُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِكَ وَلَا غَنَائِكَ ، وَأَمْرَهُ أَنْ يُغَنِّيَ الصُّوتُ
 الْآخَرُ ، فَغَنَاءَ فَأَطْرَقَ مَعْبُدٌ ، قَالَ لَهُ حَمْزَةُ : وَاللهِ لَوْ افْرَدَ بِهِذَا لِصَاهَاكُ ، ثُمَّ
 يَزَادُهُ عَلَى الْأَيَّامِ ، وَكَلَّا كَبِيرًا وَزَادَ شِخْتَأَنْتَ وَنَقْصَتَ ، فَلَآنَ يَكُونُ مَنْسُوبًا
 إِلَيْكَ أَجْمَلُ .

قَالَ لَهُ مَعْبُدٌ - وَهُوَ مَنْكِرٌ : صَدِقَ الْأَمِيرُ ! ثُمَّ أَمْرَ حَمْزَةَ لِمَعْبُدٍ بِخَلْعَةٍ مِنْ
 ثِيَابِهِ وَجَاثَةً حَتَّى سَكَنَ وَظَابَتْ نَفْسَهُ ، قَامَ مَالِكٌ قَبْلَ رَأْسِ مَعْبُدٍ ، وَقَالَ لَهُ :

يَا أَبَا عِبَادٍ ؟ أَسَأَكَ مَا سَمِعْتَ مِنِّي ؟ وَاللَّهُ لَا أُغْنِي لِنفْسِي شَيْئاً ! بَدَا مَا دَمْتَ حَيَا ، وَإِنْ غَلَبْتِنِي نفْسِي فَقِنِيتُ فِي شِعْرٍ اسْتَحْسَنْتُهُ لَا نِسْبَتُهُ إِلَيْكَ ، فَطَبِّقْتُ نفْسَكَ وَارْضَ عَنِّي . قَالَ لِهِ مُعْبُدٌ : أَوْ تَفْعَلُ هَذَا وَتَسْفِي بِهِ ؟ قَالَ : إِنِّي وَاللَّهُ وَأَزِيدٌ .

فَكَانَ مَالِكٌ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا غَنَّى صُوتًا وَسَيَّلَ عَنْهُ قَالَ : هَذَا لِمُعْبُدٍ ، مَا غَنِيْتَ لِنفْسِي شَيْئاً قَطُّ ، وَإِنَّمَا أَخْدُ غَنَاءً مُعْبُدٍ فَأَنْقَلَهُ إِلَى الْأَشْعَارِ وَأَحْسَنَهُ وَأَزِيدَ فِيهِ وَأَنْقِصَ مِنْهُ .

٢١ - مالك بن أنس يغنى *

قال حُسين بن دَحْمَانَ الْأَشْقَرَ : كُنْتُ بِالْمَدِينَةِ ، فَخَلَّا لِي الطَّرِيقُ وَسَطَ النَّهَارُ
فَعَلَتُ أَنْفَنِي :

ما بَالُ أَهْلِكِ يَا رَبَّابُ خُزْرًا^(١) كَاهِمُ غِضَابُ

قال : فَإِذَا خَوْخَةً^(٢) قَدْ فَتَحْتَ ، وَإِذَا وَجْهَ قَدْ بَدَا تَقْبِعَهُ لَحْيَةً حَمْرَاءً ، فَقَالَ :
يَا فَاسِقُ ، أَسَأْتَ التَّادِيَةَ ، وَمَنْعَتَ الْقَائِلَةَ^(٣) ، وَأَذَعْتَ الْفَاحِشَةَ ؛ ثُمَّ اندْفَعَ يَغْنِيهِ ،
فَظَنَنْتُ أَنْ طُوَيْسًا قد نُشِرَ بِعِينِهِ .

فَقَلَتْ لَهُ : أَصْلَحْتَ اللَّهَ ! مَنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الغَنَاءُ ؟ فَقَالَ : نِسَاتٌ وَأَنَا غَلامٌ
حَدَثَ أَنْتَبَعَ الْمَغْنِينَ ، وَأَخْدُدُ عَنْهُمْ ؛ فَقَالَتْ لِي أُمِّي : يَا بْنِي ؛ إِنَّ الْمَغْنِي إِذَا كَانَ
قَبِيحُ الْوَجْهِ لَمْ يَلْقَفْتُ إِلَى غَنَائِهِ ؛ فَدَعَ الْفَنَاءَ وَاطْلَبَ الْفِقْهَ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ مَعَهُ قَبِحُ
الْوَجْهِ . فَتَرَكَتِ الْمَغْنِينَ وَاتَّبَعَتِ الْفَقِيَهَ ، فَبَلَغَ اللَّهُ بِي عَزَّ وَجَلَ مَا تَرَى . فَقَلَتْ لَهُ :
فَأَعِدْ ، جَعَلْتُ فَدَاءَكَ ! قَالَ : لَا ! وَلَا كَرَامَةً ، أَتَرِيدُ أَنْ تَقُولَ : أَخْذَتُهُ عَنْ مَالِكَ
ابْنِ أَنْسٍ ! وَإِذَا هُوَ مَالِكُ^(٤) بْنِ أَنْسٍ ، وَلَمْ أَعْلَمْ .

* الأغاني : ٤ - ٢٢٢

(١) الخزير : النظر بلحاظ العين . (٢) الخوخة : البويب ، أو الباب الصغير في الباب الكبير .

(٣) القائلة : القيلاولة . (٤) مالك بن أنس : أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة كان صلباً في

دينه بعيداً من الأمراء والملوك ، وهو صاحب كتاب الموطأ ، توفي سنة ١٧٩ م .

٢٢ - أَفْسَدَ آخِرًا مَا أَصْلَحَ أَوْلَاهُ

قدم ابن جامع السهمي مكّة بمال كثير ، فقرّقه في ضيفاء أهله؛ فقال سفيان بن عيينة^(١) : بلغنى أن هذا السهمي قدّم بمال كثير ! قالوا : نعم ، قال : فعلام يعطى ؟ قالوا : يغنى الملوك فيعطيونه . قال : وبأى شىء يغنيهم ؟ قالوا : بالشعر . قال : فكيف يقول ؟ فقال له فتى من تلاميذه : يقول :

أَطْوَفْ بِالْبَيْتِ مَعَ مَنْ يَطُوفُ وَأَرْفَعْ مِنْ مِئَزِي الْمَسْبِلِ^(٢)
 قال : بارك الله عليه ، ما أحسن ما قال ! ثم ماذا ؟ قال :
 وَأَسْجُدْ بِاللَّيْلِ حَتَّى الصَّبَاحِ وَأَتُو مِنْ الْمُخْكَمِ الْمُنْزَلِ
 قال : وأحسن أيضاً ، أحسن الله إليه ، ثم ماذا ؟ قال :
 عَسَى فَارِجُ الْمُمْ عنْ يَوْسُوفَ يَسْخَرُ لِ رَبَّ الْحَمْلِ
 قال : أَمْسِكْ ! أَفْسَدَ آخِرًا مَا أَصْلَحَ أَوْلَاهُ

* العقد الفريد : ٤ - ٩٣

(١) حدث الحرم ، كان حافظاً نقا ، واسع العلم ، ولد بالكوفة ، ومات بمكّة سنة ١٩٨ هـ .

(٢) المسبل : للرخي .

٢٣ — ابن جامع في دار الخلافة*

قال إسماعيل بن جامع السهمي^(١) :

ضَنَقَ^(٢) الدهر ضِنَقاً شديداً بِسَكَةٍ ، فَانْتَهَى مِنْهَا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَصْبَحَتْ يَوْمًا وَمَا أَمْلَكَ إِلَّا ثَلَاثَةَ دِرَاهِمَ ، فَهُنَى فِي كُمَّى إِذَا أَنَا بِجَارِيَةٍ مُهَمَّرِاءَ عَلَى رَقْبِهَا جَرَّةً تَرِيدُ الرَّكِي^(٣) تَسْعِي بَيْنَ يَدَيَّ ، وَتُرَكَمُ بِصَوْتٍ شَجِيٍّ تَقُولُ :

شَكَوْنَا إِلَى أَحْبَابِنَا طَوْلَ لَيْلَ عَنْدَنَا !	فَقَالُوا لَنَا : مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عَنْدَنَا !
وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّوْمَ يَغْشِي عَيْنَهُمْ	سِرَاجِاً وَمَا يَغْشِي لَنَا النَّوْمُ أُعْيَنَا
إِذَا مَا دَنَا اللَّيْلُ الْمُضِرُّ لِذِي الْمُوْيِ	جَزِّ عَنْنَا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ إِذَا دَنَا
فَلَوْ أَنْهُمْ كَانُوا يُلَاقُونَ مِثْلَ مَا	نُلَاقِي لَكَانُوا فِي الْمَضَاجِعِ مِثْلَنَا

فَأَخْذَ الْفَنَاءِ يَقْلُبِي ، وَلَمْ يَدْرِ لِي مِنْهُ حِرْفٌ . فَقَلَتْ : يَا جَارِيَة ؟ مَا أَدْرِي أَوْجُهُكَ أَحْسَنَ أَمْ غَنَاؤُكَ ! فَلَوْ شِئْتِ أَعْدَتِ . قَالَتْ : حَبَّاً وَكَرَامَةً . ثُمَّ أَسْنَدَتْ ظَهِيرَهَا إِلَى جِدَارِ قَرْبِهِ مِنْهَا وَوَضَعَتْ إِحْدَى رِجْلِيهَا عَلَى الْأُخْرَى ، وَوَضَعَتْ الْجَرَّةَ عَلَى سَاقِيهَا ، ثُمَّ انبَعَثَتْ تُغَنَّمِيَةً ؛ فَوَاللَّهِ مَا دَارَ لِي مِنْهُ حِرْفٌ . فَقَلَتْ : أَحْسَنْتِ !

* الأغانى : ٦ - ٣١١

(١) اشتهر ابن جامع بالفناء ، ولكنه كان من أحفظ خلق الله لكتاب الله ، وكان ورعاً تقىاً يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة ، فيصل إلى الصبح ثم يصنف قدميه حتى تطلع الشمس ، ولا يصل الناس الجمعة حتى يتم تم القرآن ، ثم ينصرف إلى منزله . (٢) ضمني: ضفتني واشتد على، من شدة الفقر . (٣) الركي: جمع الركبة ، وهي البُرْ .

فَلَوْ شِئْتِ أَعْدَتِ مَرْأَةً أُخْرَى ! فَقَطَّنْتِ وَكَلَّحْتِ^(١) وَقَالَتْ : مَا أَعْجَبَ أَمْرَكِ !
 أَهَدُكُمْ لَا يَزَالُ يَجِيءُ إِلَيَّ الْجَارِيَةُ عَلَيْهَا الْضَّرِبَيْةُ فَيَشْفَلُهَا ! فَضَرَبَتْ يَدِي إِلَى
 الْثَّلَاثَةِ الدَّرَاهِمِ فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا ، وَقَلَّتْ : أَقِيمِي بِهَا وَجْهَكِ الْيَوْمِ إِلَى أَنْ تَلْقَقِ .
 فَأَخْذَتْهَا كَالْكَارِهَةِ وَقَالَتْ : أَنْتَ الآنْ تَرِيدُ أَنْ تَأْخُذَ مِنِّي صَوْنَاً أَحْسِبُكَ سَأْخُذُ
 بِهِ أَلْفَ دِينَارٍ وَأَلْفَ دِينَارٍ وَأَلْفَ دِينَارٍ ؛ وَانْبَعَثْتُ تُغْنِي ؛ فَأَعْمَلْتُ فِكْرِي فِي
 غِنَائِهَا حَتَّى دَارَ لِي الصَّوْتُ وَفَهْمَتُهُ ، وَانْصَرَفْتُ مَسْرُورًا إِلَى مَنْزِلِي أَرَدَدُهُ حَتَّى
 خَفَّ عَلَى لِسَانِي .

نَمْ إِنِّي خَرَجْتُ أَرِيدُ بَغْدَادَ ، فَدَخَلْتُهَا ، فَنَزَلْتُ بِالْمُكَارِي عَلَى بَابِ مُحَوَّلَ^(٢) ؛
 فَبَقِيتُ لَا أُدْرِي أَيْنَ أَتَوْجَهُ وَلَا مَنْ أَقْصِدُ ! فَذَهَبْتُ أُمْشِي مَعَ النَّاسِ ، حَقِّ
 أَتَيْتُ الْجِسْرَ فَعَبَرْتُ مَعْهُمْ ، ثُمَّ اتَّهَمْتُ إِلَى شَارِعِ الْمَدِينَةِ ، فَرَأَيْتُ مَسْجِدًا بِالْقَرْبِ
 مِنْ دَارِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ مُرْتَفَعًا ، فَقَلَّتْ : مَسْجِدُ قَوْمِ سَرَّاً ؛ فَدَخَلْتُهُ وَحَضَرْتُ
 صَلَاةَ الْمَغْرِبِ ، وَأَقْتَبَتْ بِكَانِي حَتَّى صَلَيْتُ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ عَلَى جَوْعٍ وَتَبَ ،
 وَانْصَرَفَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ ، وَبَقِيَ رَجُلٌ يُصْلِي ، خَلْفَهُ جَمَاعَةٌ : خَدْمٌ وَخَوْلٌ يَنْتَظِرُونَ
 فَرَاغَهُ ، فَصَلَى مَلِيًّا ثُمَّ انْصَرَفَ ؛ فَرَآنِي فَقَالَ : أَحْسِبُكَ غَرِيبًا . قَلَّتْ : أَجَل . قَالَ :
 فَتَى كُنْتَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ ؟ قَلَّتْ : دَخَلْتُهَا آنَّا ، وَلَيْسَ لِي بِهَا مَنْزِلٌ وَلَا مَعْرِفَةٌ ،
 وَلَيْسَتْ صَنَاعَتِي مَا يُمْتَثِّلُ بِهَا إِلَى أَهْلِ الْخَيْرِ . قَالَ : وَمَا صَنَاعَتُكَ ؟ قَلَّتْ : أَنْفَنِي .
 فَوَنِبَ مُبَادِرًا ، وَوَكَّلَ بِي بَعْضَ مِنْ مَعِهِ ، فَسَأَلْتُ الْمَوَكِّلَ بِي عَنْهُ ، فَقَالَ : هَذَا
 سَلَامُ الْأَبْرَشِ^(٣) .

(١) كَلْحٌ : تَكْشِرُ فِي عَبُوسٍ . (٢) بَابُ مُحَوَّلٍ : حَمَّةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ حَمَّالِ بَغْدَادِ . (٣) سَلَامُ الْأَبْرَشِ : خَدْمُ النَّصُورِ وَتَوْلِي الظَّالِمِ لِلْمُهَدِّيِّ وَعَاصِرِ الْمَهَدِّيِّ وَالرَّشِيدِ .

قال ابن جامع : وإذا رسول قد جاء في طلبي ، فاتتهى بي إلى قصر من قصور الخلافة ، وجاز بي مقصورة إلى مقصورة ، ثم أدخلت مقصورة في آخر الدّهليز ، ودعا بطعم فأتيت بعائدة عليها من طعام الملوك ، فأكلت حتى امتلأت .

فإلى كذلك إذ سمعت ركضاً في الدّهليز وقائلاً يقول : أين الرجل ؟ قيل : هو ذا ، قال : ادعوا له بِغَسْوَل^(١) وخلعه وطيب . ففعل ذلك بي ، فحملت على دابة إلى دار الخلافة - وعرفتها بالحرس والتكبير والنميران - فخوازت مقاصير عدة ، حتى صررت إلى دار قوراء^(٢) فيها أسرة في وسطها ، قد أضيف بعضها إلى بعض .

فأمرني رجل بالصعود فصعدت ، وإذا رجل جالس ، عن يمينه ثلاث جوار في حجورهن العيدان ، وفي حجر الرجل عود ، فرحب الرجل بي ، وإذا مجالس حياله كان فيها قوم قد قاموا عنها ، فلم ألبث أن خرج خادم من وراء الستر ؛ فقال للرجل : تغرن ، فابعث يغنى بصوت لي وهو :

لَمْ يَمْشِ مِيلًا وَلَمْ تَرَكِبْ عَلَى قَبَّ وَلَمْ تَرَ الشَّمْسَ إِلَادُونَهَا السِّكَلَ^(٣)
يَمْشِي الْمُهَوِّيْنِيْ كَأَنَّ الْرِّيحَ تَرْجِعُهَا مَشَى الْيَعَافِيرِ فِي جَيْئَانِ الْوَهَلِ^(٤)
فَفَنَّى بِغَيْرِ إِصَابَةٍ ، وَبِأَوْتَارِ وَدَسَاتِينِ^(٥) مُخْتَلِفَةٍ ، ثُمَّ عَادَ الْخَادِمُ إِلَى الْجَارِيَةِ الَّتِي

(١) الفسول : الماء يقتتل به . (٢) الدار الفوراء : الواسعة . (٣) السكل : جمع كلة ، وهي ست يساط كالبيت . (٤) اليعافير : القلباء ، والوهل : الفزع . (٥) الدساتين : الرباطات التي توضع الأصابع عليها ، واحدها دستان .

تلَى الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهَا: تَغْنِيْ، فَغَنَتْ أَيْضًا بِصوْتِ لِي، كَانَتْ فِيهِ أَحْسَنَ حَالَةً مِنَ الرَّجُلِ، وَهُوَ:

يَادَارُ أَصْحَاتْ خَلَاءً لَا أَنِيسَ بِهَا
إِلَى الظَّبَابِ وَإِلَى النَّاسِطُ^(١) الْفَرِدُ^(٢)
أَيْنَ الَّذِينَ إِذَا مَا زَرْتُهُمْ جَذَّلُوا^(٣)
وَطَارَ عَنْ قَلْبِي التَّشَوَّقُ وَالْكَمَدُ!

ثُمَّ عَادَ الْخَادِمُ إِلَى الْجَارِيَةِ الَّتِي تَلَمِّهَا، فَانْبَعَثَتْ تَغْنِيْ:
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَيْغَلَبُنِي الْهَوَى
إِذَا جَدَ وَشَكَ الْبَيْنِ أَمْ أَنَا غَالِبُهُ؟
فَإِنْ أَسْتَطِعَ أَغْلِبُ، وَإِنْ يَغْلِبَ الْهَوَى
فَشَلُّ الذِّي لَاقِيتُ يَغْلِبُ صَاحِبُهِ
ثُمَّ عَادَ الْخَادِمُ إِلَى الْجَارِيَةِ الْثَالِثَةِ فَغَنَتْ:

مَرَرْنَا عَلَى قَيْسِيَّةٍ عَامِرِيَّةٍ
لَهَا بَشَرٌ صَافِ الْأَدِيمِ هَجَانٌ^(٤)
فَقَالَتْ، وَأَلْقَتْ جَانِبَ السُّتُرِ دُونَهَا:
مَنْ آيَةٌ أَرْضٌ أَوْ مَنْ الرَّجُلَانِ؟
فَقَلَتْ لَهَا: أَمَّا تَمِيمٌ فَأَسْرَتِي
هُدُبِيتٌ، وَأَمَا صَاحِبِي فَيَمَانٌ
رَفِيقَانٌ ضَمَّ السَّفَرُ يَدِنِي وَيَدِنِهِ
وَقَدْ يَلْتَقِي الشَّتَّى فَيَأْتِفَانِ
ثُمَّ عَادَ إِلَى الرَّجُلِ فَغَنَيْ صَوْتًا فَشَبَهَ^(٥) فِيهِ وَهُوَ:

أَمْسَى بِأَسْمَاءٍ هَذَا الْقَلْبُ مُمْوَدًا
إِذَا أَقْوَلُ سَحَا يَقْنَادُهُ عِيدَادًا
أَجْرِيَ عَلَى مَوْعِدٍ مِنْهَا فَتَخْلُفُني
فَمَا أَمَلُ وَلَا تَوْفِيَ الْوَاعِيدَا
كَانَ أَحْوَرَ مِنْ غِزْلَانَ ذِي بَقَرَ^(٦)
أَعَارَهَا شَبَهَ الْعَيْنَيْنِ وَالْجَيْدَا
قَامَتْ تَرَاءَى وَقَدْ جَدَ الرَّحِيلُ بِنَا

(١) الناشط: الثور الوحشى. (٢) الفرد: المنفرد. (٣) جزلوا: فرحا. (٤) المجان: الآيسن: الحال من كل شيء. (٥) شبه: خلط فيه ولم يحسن أدائه. (٦) ذو بقر: قرية في ديار بني أسد.

بِشَرْقٍ كَشْعَاعُ الشَّمْسِ بِهِجَتْهُ وَمُسْبِكِرٍ^(١) عَلَى لِبَاتِهَا سُودَا
ثُمَّ عَادَ إِلَى الْجَارِيَةِ، فَتَغَفَّلَ :

تَعَيَّنَّا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا
وَمَا ضَرَّنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا
وَإِنَا لِقَوْمٍ مَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةَ
يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَانَا لَنَا
فَقُلْتُ لَهَا : إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلٌ
عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ
إِذَا مَا رَأَاهُ عَامِرٌ وَسَلُولٌ
وَتَكْرُهُ آجَالُهُمْ فَطَوْلٌ

وَتَغَفَّلَ الثَّانِيَةُ :

وَدِدْتُكِ لَمَّا كَانَ وَدْدُكِ خَالِصًا
وَلَا يَلْبِسُ الْحَوْضُ الْجَدِيدُ بَنَاؤهُ
وَأَعْرَضْتُ لَمَّا صِرْتُ نَهِيًّا مَقْسُمًا
عَلَى كُثْرَةِ الْوَرَادِ أَنْ يَتَهَدَّمَا

وَتَغَفَّلَ الثَّالِثَةُ :

وَمَا كَرَّ إِلَّا كَانَ أَوْلَ طَاعِنٍ
فِي دُرِّكِ ثَارًا وَهُوَ لَمْ يُخْطِلِ الْفِنَى
فَلَسْتُ أُرْزَأَ بِ——دَهْ بِرْزِيَّةِ
وَمَا أَبْصَرْتُهُ الْخَيْلُ إِلَّا اقْشَعَرَتِ

وَغَنَى الرَّجُلُ :

لَهُ اللَّهُ صَلُوكًا مُنَاهَ وَهُمْ
يَنْامُ الصَّحَا حَتَّى إِذَا لِيْلُهُ اتَّهَى
وَلَكِنْ صَلُوكًا يَسَاوِرُ هُمْ
كُرِيعًا، وَإِنْ يَسْقُنَ يَلْقَهَا

مِنَ الدَّهْرِ أَنْ يَلْقَى لَبُوسًا وَمَطْعَماً
تَنْبَهَ مَثْلُوْجَ الْفَوَادَ مُورَّمًا^(٢)
وَيَمْضِي عَلَى الْمَيْجَاءِ لِيَنَا مَقْدَمًا

(١) شعر مسبكر : مسترسل . (٢) مورما : أي متنيخا بادنا لعدم ما يشغله من أمور الحياة .

وتفتت الجارية :

إذا كنتَ رَبّاً^(١) للْقُلُوصِ فَلَا يَكُنْ رَفِيقُكَ يَشَى خَلْفَهَا غَيْرَ رَاكِبٍ
فَذَاكَ ، وَإِنْ كَانَ الْعِقَابُ^(٢) فَعَاقِبٍ أَنْجَهَا فَأَرْدِفْهُ فَإِنْ حَمَلْتَكَا

وتفتت الثانية :

سَمِعْتُ نَدَاءَ يَصْدَعُ الْقَلْبَ يَا عَمْرُوا !
أَغْشَنَا بَانًا عَصْبَةً مَذْحَيَّةً تَزَارُ عَلَى وَفْرٍ وَلَيْسَ لَنَا وَفْرٌ

وتفتت الثالثة :

فَلَمَا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَسْفَرَتْ وَجْهُ زَهَاهَا الْحُسْنُ أَنْ تَقْنَعَا
بِتَالِهَنَ بِالْعِرْفَانَ لَمَّا عَرَفْنَى وَقْلَنَ امْرُؤٌ بَاغِرٌ أَكَلَّ وَأَوْضَعَ^(٣)
وَلَا تَنَازَعْنَ الْأَحَادِيثَ قَلْنَ لِي أَخِفْتَ عَلَيْنَا أَنْ نُفَرَّ وَنُخَدِّعَا
قَالَ ابْنُ جَامِعٍ : وَتَوَقَّعْتُ مُجِيئَ الْخَادِمِ إِلَيَّ ، فَقَلَّتُ لِلرَّجُلِ : بَأْبِي أَنْتَ !
خُذِ الْعُودَ ، فَشُدَّ وَتَرَ كَذَا وَارْفَمُ الْطَّبَقَةَ ، وَحُطَّ دُسْتَانَ كَذَا ، فَقُلْ مَا أَمْرَتُهُ .

وَخَرَجَ الْخَادِمُ قَالَ لِي : تَغَنَّ ، عَافَكَ اللَّهُ ! فَفَنَّيْتُ بِصَوْتِ الرَّجُلِ الْأَوَّلِ عَلَى
غَيْرِ مَاغْنَاهُ ، فَإِذَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْخَدَمِ يَحْضُرُونَ حَتَّى اسْتَنَدُوا إِلَى الْأُسْرَةِ ، وَقَالُوا :
وَيَمْلِكُ ! لِمَنْ هَذَا الْفَنَاءُ ؟ قَلَّتْ : لِي . فَانْصَرَفُوا عَنِ بَلَكِ السُّرْعَةِ ، وَخَرَجَ إِلَيَّ
الْخَادِمُ وَقَالَ : كَذَبْتَ ! هَذَا الْفَنَاءُ لِابْنِ جَامِعٍ . وَدَارَ الدُّورُ ، فَلَمَّا انتَهَى الْفَنَاءُ إِلَيَّ
قَلَّتُ لِلْجَارِيَةِ الَّتِي تَلَى الرَّجُلَ : خُذِ الْعُودَ فَعَلَّمْتُ مَا أَرِيدُ ، فَسَوْتُ الْعُودَ عَلَى
غَنَائِيْهَا لِلصَّوْتِ الثَّانِي فَفَنَّيْتُ بِهِ ؛ نَخْرَجْتُ الْجَمَاعَةَ الْأُولَى مِنَ الْخَدَمِ قَالُوا :

(١) رَبَا : صَاحِبَا . (٢) الْعِقَابُ : هُوَ أَنْ تَرْكِبَ النَّاقَةَ مَرَّةً ، وَيُرْكِبُهَا صَاحِبَكَ مَرَّةً أُخْرَى .

(٣) أَكَلَّ : أَعْيَا . وَأَوْضَعَ : أَسْرَعَ : يَرِيدُ أَنْهُ أَوْضَعُ فَأَكَلَّ ، وَلَكِنْ قَدْمَ وَآخِرَ .

وَيَنْحَكَ ! لِمَنْ هَذَا ؟ قَلْتَ : لِي . فَرَجُعُوا وَخَرَجَ الْخَادِمُ قَالَ : كَذَبْتَ ، ثُمَّ تَفَنِّيْتُ
بِصَوْتِ لِي ، فَلَا يُعْرِفُ إِلَّا بِي ، وَهُوَ :

عُوجِي عَلَىٰ فَسْلَى جَبْرُ فِيمَ الصَّدُودُ وَأَتَمُ سَفْرُ^(١)
مَا نَلَقَنِي إِلَّا ثَلَاثَ مِنِّي حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَنَا الدَّهْرُ
فَتَزَلَّتْ وَاللَّهُ الدَّارُ عَلَيْهِمْ ، وَخَرَجَ الْخَادِمُ قَالَ : وَيَنْحَكَ ! لِمَنْ هَذَا الغَنَاءُ ؟
قَلْتَ : لِي . فَرَجَعَ ، ثُمَّ خَرَجَ قَالَ : كَذَبْتَ ! هَذَا غَنَاءُ ابْنِ جَامِعٍ ، قَلْتَ :
فَأَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَامِعٍ .

فَأَشْعَرْتُ إِلَّا وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَجَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى قَدْ أَقْبَلَ مِنْ وَرَاءِ السُّتُّرِ الَّذِي
كَانَ يَخْرُجُ مِنْهُ الْخَادِمُ . قَالَ لِي الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعَ : هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَقْبَلَ
إِلَيْكَ ؟ فَلَمَّا صَعَدَ السُّرِيرَ وَثَبَتَ قَائِمًا ، قَالَ لِي : ابْنُ جَامِعٍ ؟ قَلْتَ : ابْنُ جَامِعٍ ،
جَعْلَنِي اللَّهُ فَدَاكَ يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : وَيَحْكَ ! مَتَى كَنْتَ فِي هَذِهِ الْبَلَدَةِ ؟ قَلْتَ :
آنَّا ، دَخَلْنَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي عَلِمْتُ بِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : اجْلِسْ ، وَيَحْكَ
يَا بْنَ جَامِعٍ !

وَمضى هُو وَجَعْفَرُ ، يَخْلُسَا فِي بَعْضِ تِلْكَ الْجَالِسَ ، وَقَالَ لِي : أَبْشِرْ وَابْسُطْ
أَمْلَكْ ؟ فَدَعَوْتُ لَهُ . ثُمَّ قَالَ : غَنْتُ يَا بْنَ جَامِعٍ ، نَفَطَرْ بِقَلْبِي صَوْتُ الْجَارِيَةِ
الْحَمِيرَاءِ ، فَأَمْرَتُ الرَّجُلَ بِإِصْلَاحِ الْعُودِ عَلَى مَا أَرْدَتُ مِنَ الطَّبِيقَةِ ، فَعُرِفَ مَا أَرْدَتُ ،
فَوَزَنَ الْعُودَ وَزْنَنَا ، وَتَعَاهَدَهُ حَتَّى اسْتَقَامَتِ الْأُوتَارُ ، وَأَخْذَتِ الدَّسَاتِينُ مَوَاضِعَهَا ،
وَانْبَعَثْتُ أَغْنِي بِصَوْتِ الْجَارِيَةِ الْحَمِيرَاءِ :

(١) سَفَرٌ : مَسَافِرُونَ .

شَكُونَا إِلَى أَحْبَابِنَا طَوْلَ لِيلِنَا
 قَالُوا لَنَا : مَا أَقْصَرَ الْلَّيْلَ عِنْدَنَا !
 وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّوْمَ يَغْشِي عَيْنَاهُمْ
 سِرَاعًا وَمَا يَغْشِي لَنَا النَّوْمُ أَعْيُنَا
 إِذَا مَادَنَا اللَّيْلُ الْمُفِرِّضُ لِذِي الْهَوَى
 جَزِّعْنَا وَهُمْ يَسْتَبَشِّرُونَ إِذَا دَنَا
 فَلَوْأَنْهُمْ كَانُوا يَلْأَقُونَ مُثْلَنَا
 لُلَاقِ لَكَانُوا فِي الْمَضَاجِعِ مِثْلَنَا

فَنَظَرَ الرَّشِيدُ إِلَى جَعْفَرٍ وَقَالَ : أَسْمَعْتَ مِثْلَ هَذَا قَطًّا ! قَالَ : لَا وَاللهِ مَا خَرَقَ
 مَسَامِعِي قَطًّا مِثْلُهُ . فَرَفَعَ الرَّشِيدُ رَأْسَهُ إِلَى خَادِمِ الْقُرْبَى مِنْهُ ، وَدَعَا بِكَيْسٍ فِيهِ
 أَلْفَ دِينَارٍ ، خَاءَ وَرَحَى بِهِ إِلَى فَصِيرَتِهِ تَحْتَ نَفْذِي وَدَعَوْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

قَالَ : يَا بْنَ جَامِعٍ ؛ رُدْدَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الصَّوْتُ ، فَرَدَدَتْهُ ، وَتَزَيَّدَتْ
 فِيهِ ؛ قَالَ لِهِ جَعْفَرٌ : يَا سَيِّدِي ؛ أَمَا تَرَاهُ كَيْفَ يَتَزَيَّدُ فِي الْفَنَاءِ ! هَذَا خَلَافٌ
 مَا سَمِعْنَاهُ أَوْلًا ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ فِي الْأَلْحَنِ وَاحِدًا .

فَرَفَعَ الرَّشِيدُ رَأْسَهُ إِلَى ذَلِكَ الْخَادِمِ ، وَدَعَا بِكَيْسٍ آخَرَ فِيهِ أَلْفَ دِينَارٍ ،
 خَاءَنِي بِهِ ، فَصِيرَتِهِ تَحْتَ نَفْذِي ، وَقَالَ : تَغَنَّ يا إِسْمَاعِيلَ . مَا حَضَرَكَ ،
 فَجَعَلْتُ أَقْصَدَ الصَّوْتَ مِنْ . بَعْدَ الصَّوْتِ ؛ مَا كَانَ يَلْفَغُ أَنَّهُ يَشْتَرِي
 عَلَيْهِ الْجَوَارِيَ فَأَغْنَيْهُ ، فَلَمْ أَزِلْ أَفْعَلْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ عَسَّسَ^(١) الْلَّيْلَ . قَالَ :
 أَتَعْبُنَاكَ يا إِسْمَاعِيلَ هَذِهِ الْلَّيْلَةَ بِالْفَنَاءِ ؟ فَأَعْدَدْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّوْتَ (يُعْنِي
 صَوْتَ الْجَارِيَةِ) فَتَعْنَيْتُ ؛ فَدَعَا الْخَادِمَ وَأَمْرَهُ فَأَحْضَرَ كَيْسًا ثَالِثًا فِيهِ أَلْفُ
 دِينَارٍ ؛ فَذَكَرْتُ مَا كَانَ الْجَارِيَةَ قَالَتْ لِي فَتَسَمَّتُ ، وَلَحْظَنِي ؛ قَالَ :
 مِمَّ تَسَمَّتْ ؟ فَجَثَوْتُ عَلَى رَكْبَتِي وَقَلَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ الصَّدَقُ مَنْجَاهَا ،

(١) عَسَسَ الْلَّيْلَ : أَقْبَلَ ظَلَامَهُ .

فقال لي بانتهار : قل ! فقصصتُ عليه خبر الجارية ، فلما استوعبه^(١) قال :
صدقَتْ ، قد يكون هذا ؟ وقام .

ونزلتُ من السرير ولا أدرى أينْ أقصد ، فابتدرني^(٢) فرآشان فصار أبي إلى
دارِ قد أَمَرَ بها أمير المؤمنين ، فقرشتْ وأعدهَ فيها جميعُ ما يكُون في مثيلها من آلة
جلساء الملوك وندماءِهم ، ومن كلِّ آلة وحوَل^(٣) إلى جوارِ ووُصَفاء ، فدخلت
بغداد فقيراً وأصبحت من جلة^(٤) أهلها ومياسيرهم !

(١) عرفه كله . (٢) ابتدرني : أسرع إلى . (٣) الحول : الخدم .

(٤) الجلة جمع جليل : عظيم .

٢٤ — ابن جامع وأبو يوسف القاضي *

قدم ابن جامع قَدْمَةً له من مَكَّةَ على الرشيد - وكان ابنُ جامع حسنَ السُّمْتِ كثِيرَ الصلاة ، قد بَانَ أَمْرُ السجودِ فِي جَبَّتِه ، وكان يَعْتَمَ بعامة سوداء على قَلْنَسُوَةَ طويلة ، ويلبس لباسَ الْفُقَهَاءِ ويركب حماراً مِرْيِسِيَا^(١) فِي زِيَّ أَهْلِ الحجاز .

فيينا هو واقفٌ عَلَى بَابِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ يَلْتَمِسُ الْإِذْنَ ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو يَوسُفُ الْقَاضِي بِاصْحَابِه أَهْلِ الْقَلَانِسَ ، فَلَمَّا هَجَّمَ عَلَى الْبَابِ نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَقْفَى إِلَى جَانِبِه وَيَحْادِثُه ، فَوَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى ابْنِ جَامِعٍ ، فَرَأَى سَمْتَهُ وَحْلَوَةَ هِيَتِهِ ؛ فَجَاءَ فَوَقَفَ إِلَى جَانِبِه ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَمْتَعَ اللَّهُ بِكَ ؟ تَوَسَّمْتُ فِيكَ الْحِجَازِيَّةَ وَالْقُرْشِيَّةَ ، قَالَ : أَصْبَطْتُ ، قَالَ : فَمَنْ أَيّْقَنْتَ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَنْ بْنَ سَاهِمَ . قَالَ : فَأَيُّ الْحَرَمَيْنِ مَنْزَلُكُ ؟ قَالَ : مَكَّةَ ، قَالَ : وَمَنْ لَقِيتَ مِنْ قَهْمَاهِمَ ؟ قَالَ : سَلْ عَمْ شَتَّ ، فَقَاتَحَهُ الْفَقِهُ وَالْحَدِيثُ فَوُجِدَ عَنْهُ مَا أَحَبَّ ؛ فَأَعْجَبَ بِهِ ، وَنَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِمَا قَالُوا : هَذَا الْقَاضِي أَبُو يَوسُفَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَى الْمُغْنَى - وَأَبُو يَوسُفَ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ ابْنُ جَامِعٍ ؟ فَقَالَ أَصْحَابُهُ : لَوْ أَخْبَرْنَاهُ عَنْهُ ! ثُمَّ قَالُوا : لَا ، لَعْلَهُ لَا يَعُودُ إِلَى موافَقَتِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ فَلَمَّا نَفَمْ !

فَلَمَّا كَانَ الْإِذْنُ الثَّانِي لِيَحْيَى غَدَّا عَلَيْهِ النَّاسُ وَغَدَّا عَلَيْهِ أَبُو يَوسُفَ ، فَنَظَرَ يَطْلُبُ ابْنَ جَامِعٍ فَرَآهُ ، فَذَهَبَ فَوَقَفَ إِلَى جَانِبِه ، فَخَادَةٌ طَوِيلَةٌ كَمَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ

الأولى ، فلما انصرف قال له أصحابه : أينما القاضي ؟ أتعرّف هذا الذي تُواقيف^(١) وتحادِث ؟ قال : نعم ؛ رجل من قريش من أهل مكة من الفقهاء . قالوا : هذا ابنُ جامع المغنى ، قال : إنا لله ! قالوا : إن الناس قد شَهَرُوك بِمُوافقته ، وأنكروا ذلك من فُعلك .

فلمـا كان الإذْنُ الثالث جاء أبو يوسف ونظر إليه فتنـكـبـهـ، وعرف ابنـ جامـعـ أنه قد أـنـدـرـ بهـ، فجـاءـ فـوقـ فـسـلـمـ عـلـيـهـ، فـرـدـ عـلـيـهـ أـبـوـ يـوسـفـ بـغـيرـ ذـلـكـ الـوـجـهـ الـذـيـ كـانـ يـلـقـاهـ بـهـ، ثـمـ اـخـرـفـ عـنـهـ.

فـدـنـاـ مـنـهـ اـبـنـ جـامـعـ، وـعـرـفـ النـاسـ الـقـصـةـ، وـكـانـ اـبـنـ جـامـعـ جـهـيزـاـ، فـرـفـعـ صـوـتـهـ . ثـمـ قـالـ : يـاـ أـبـاـ يـوسـفـ ؛ مـالـكـ تـنـحـرـفـ عـنـيـ ! أـئـ شـيـءـ أـنـكـرـتـ ؟ قـالـواـ لـكـ : إـنـيـ اـبـنـ جـامـعـ الـمـغـنىـ، فـكـرـهـتـ مـوـاقـفـيـ ! أـسـأـلـكـ عـنـ مـسـأـلـةـ ثـمـ اـصـنـعـ ماـشـتـ . وـمـالـ النـاسـ فـأـقـبـلـوـ نـحـوـهـ يـسـقـمـعـونـ . قـالـ : يـاـ أـبـاـ يـوسـفـ، لـوـأـنـ أـعـرـاـيـأـ چـلـفـاـ وـقـفـ بـيـنـ يـدـيـكـ فـأـنـشـدـ بـجـفـاءـ وـغـلـظـةـ مـنـ لـسـانـهـ وـقـالـ : يـاـ دـارـ مـيـةـ بـالـعـلـيـاءـ فـالـسـنـدـ أـقـوـتـ وـطـالـ عـلـيـهـ سـاـلـفـ الـأـمـدـ أـكـنـتـ تـرـىـ بـذـلـكـ بـأـسـاـ ؟ قـالـ : لـاـ، قـدـ رـوـيـ عـنـ النـبـيـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـيـ الشـعـرـ قـوـلـ وـرـوـيـ فـيـ الـحـدـيـثـ .

قـالـ اـبـنـ جـامـعـ : فـإـنـ قـلـتـ أـنـاـ هـكـذـاـ . . . ثـمـ اـنـدـفـعـ يـتـغـنـيـ فـيـهـ حـتـىـ أـتـىـ عـلـيـهـ، ثـمـ قـالـ : يـاـ أـبـاـ يـوسـفـ ؛ رـأـيـتـنـيـ زـدـتـ فـيـهـ أـوـ نـقـصـتـ مـنـهـ ؟ قـالـ : عـافـكـ اللـهـ ؛ أـعـفـنـاـ مـنـ ذـلـكـ . ثـمـ قـالـ : يـاـ أـبـاـ يـوسـفـ ؛ أـنـتـ صـاحـبـ فـتـيـاـ، مـاـ زـدـتـهـ عـلـىـ أـنـ حـسـنـتـهـ بـالـفـاظـيـ، لـخـسـنـ فـيـ السـمـاعـ، وـوـصـلـ إـلـىـ الـقـلـبـ ! ثـمـ تـنـحـيـ عـنـهـ اـبـنـ جـامـعـ !

(١) وـاقـفـهـ : سـأـلـهـ الـوـقـوفـ .

* سرقة الغناء — ٢٥

قال الرشيد يوماً لجعفر بن يحيى : قد طال سماعنا هذه العصابة على اختلاطِ الأمر فيها ، فهم أفالكم إياها وأخبارك ؟ فاقسموا المغنيين ، على أن جعلا بإزار كلِّ نظيره ؛ وكان ابن جامع في حيز الرشيد ، وإبراهيم الموصلى في حيز جعفر بن يحيى ، وحضر التدمة لمحة (١) المغنيين .

وأمر الرشيد ابن جامع فتى صوتاً أحسنَ فيه كلَّ الإحسان ، وطرب الرشيدُ غايةَ الطرف ، فلما قطعه قال الرشيد لإبراهيم : هات يا إبراهيم هذا الصوت فنه . فقال : لا ، والله يا أمير المؤمنين ما أعرفه ؛ وظهر الانكسار فيه ، فقال الرشيد لجعفر : هذا واحد .

ثم قال لإسماعيل بن جامع : عن يا إسماعيل ؟ فتنى صوتاً ثانياً أحسن من الأول ، فلما استوقفاه قال الرشيد لإبراهيم : هاته يا إبراهيم ، قال : ولا أعرف هذا ! فقال : هذان اثنان ! عن يا إسماعيل ؟ فتنى ثالثاً يتقدم الصوتين الأولين ويفضلُهما . فلما أتى على آخره قال : هاته يا إبراهيم ، قال : ولا أعرف هذا أيضاً . فقال له جعفر : أخرزَك الله .

وأتمَ ابن جامع يومه ، والرشيد مسرور به ، وأجازه بحوائِز كثيرة ، وخلع عليه خلماً فاخرة ، ولم يزل إبراهيم مُنخدِلاً منكسرًا حتى انصرف . ومضى إلى

* الأغاني : ٥ - ٢٠٦

(١) المحة : الاختبار .

منزله ، فلم يستقر فيه حتى بعث إلى محمد المعروف بالزَّفَ (١) - وكان من المغنين الحسينين ، وكان أسرعَ مَنْ عُرِفَ في أيامه في أخذ صوت يربِّدَ أخذَه ، وكان الرشيد قد وَجَدَ (٢) عليه في بعض ما يجده الملك على أمثاله ، فازمه بيته وتناساه - فقال إبراهيم الزَّفَ : إني اخترتكَ على مَنْ هو أحبُّ إلى منك لأمْرٍ لا يصلح له غيرك ، فانظر كيف تكون ! قال : أبلغُ في ذلك مَحِبَّتكَ ، إن شاء الله تعالى . فأدَى إليه الخبر ، وقال : أريدُ أن تمضِيَ الساعة إلى ابن جامع ، فتعلمه أنك صررتَ إليه مهنتَّا بما تهياً له على وتنقصَّنى وتشلُّبُنى (٣) وتشتتُّنى ، وتحتال في أن تسمع منه الأصوات وتأخذها منه ، ولكل ما تُحِبُّ من جهتي مِنْ عَرَضٍ من الأعراض مع رضا الخليفة إن شاء الله .

فضى واستأذنَ على ابن جامع فأذِنَ له ، فدخل وسلم عليه وقال :
جئتُكَ مهنتَّا بما بلغني مِنْ خبرك ، والحمد لله الذي أخْزَى ابنَ الجرمقانية (٤)
على يدك ، وكشف الفضلَ في محلك من صناعتك ، قال : وهل بذلك خبرنا ؟
قال : هو أشهرُ من أن يخفِّ على مثلِي ، قال : ويحك ! إنه يقصُّ عن العيان .
قال : أيها الأستاذ ؟ سُرْتَني بأنْ أسمِعَه مِنْ فِيكَ حتى أرويهُ عنك ؟ قال : أَقِمْ
عندِي حتى أَفْعَلْ ، قال : السمع والطاعة .

فدعاه ابنُ جامع بالطعام فـ كلا ودعا بالشراب ، ثم ابتدأ خدمته بالخبر حتى

(١) هو محمد بن عمرو ، مولى بن نعيم ، كوف الأصل والمولد ، والزف لقب غالب عليه ، كان مغنياً ضارباً ، طيب المسنون ، صالح الصنعة ، مليح النادرة ، أسرع خلق الله أخذنا للفناء .

وأشحهم أداء له ، كان يتccbip لابن جامع ، مات في خلافة الرشيد . (٢) وجد عليه : غصب .

(٣) ثلبه : عابه وتنقصه . (٤) الجرمقاني واحد الجرامقة : وهم قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل الإسلام .

اتبعى إلى خبر الصوت الأول . فقال له الزف : وما هو أية الأستاذ ؟ ففناه ابن جامع إيه ، فحمل محمد يصفع وينقر ويشرب وابن جامع مجتهد في شأنه حتى أخذه عنه ، ثم سأله عن الصوت الثاني ففناه إيه . وفعل مثل فعله في الصوت الأول ، ثم كذلك في الصوت الثالث .

فَلَمَا أَخْذَ الْأَصْوَاتَ الْثَّلَاثَةِ وَأَحْكَمَهَا، قَالَ لَهُ: يَا أَسْتَادِي؛ قَدْ بَلَغْتُ مَا أَحْبَبْتُ
فَتَأْذِنْ لِي فِي الْاِنْصَارَافِ؟ قَالَ: إِذَا شِئْتَ.

فَانْصَرَفَ مُحَمَّدٌ مِنْ وَجْهِهِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَلَمَّا طَلَمَ مِنْ بَابِ دَارِهِ قَالَ لَهُ: مَا وَرَأَتِكَ؟
قَالَ: كُلُّ مَا تَحْبَبْتَ؛ ادْعُ عَلَى بُعُودِ، فَدَعَا لَهُ بِهِ؛ فَضَرَبَ بِغَنَّاهُ الْأَصْوَاتَ . قَالَ إِبْرَاهِيمَ:
وَأَيْكَ هِيَ بِصُورِهَا وَأَعْيَانِهَا؛ رَدَّهَا عَلَى آلَّانِ، فَلَمْ يَزِلْ يَرْدَدُهَا حَتَّى صَحَّتْ
لِإِبْرَاهِيمَ، وَانْصَرَفَ الزَّفُّ إِلَى مَنْزِلِهِ .

وَغَدَّا إِبْرَاهِيمُ إِلَى الرَّشِيدِ فَلَمَّا دَعَا بِالْمُغَنِّينَ دَخَلَ فِيهِمْ، فَلَمَّا بَصُرَّ بِهِ قَالَ لَهُ:
أَوْ قَدْ حَضَرْتَ ! أَمَا كَانَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَجْلِسَ فِي مَنْزِلِكَ شَهْرًا بِسَبِيلِ مَالِقِيتَ
مِنْ ابْنِ جَامِعٍ ! قَالَ: وَلَمَّا ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ جَعَلَنِي اللَّهُ فَدَاكَ ! وَاللَّهُ لَئِنْ
أُذْنَتَ لِي أَنْ أَقُولَ لِأَقْوَانَ، قَالَ: وَمَا عَسَاكَ أَنْ تَقُولَ ! قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ
يَنْبَغِي لِي وَلَا لَنِيرِي أَنْ يَرَاكَ نَشِيطًا لَشَىٰ، فَيَعْرَضُكَ، وَلَا أَنْ تَكُونَ مَعْصِبًا
لَحِيرٍ وَجَنْبَةً^(١) فِيَغَالِبِكَ؛ وَإِلَّا فِي الْأَرْضِ صَوْتٌ لَا أَعْرِفُهُ . قَالَ: دَعْ ذَا عَنْكَ؛
قَدْ أَفْرَتَ أَمْسَ بِالْجَهَالَةِ بِمَا سَمِعْتَ مِنْ صَاحِبِنَا، فَإِنْ كُنْتَ أَمْسَكْتَ عَنْهِ بِالْأَمْسِ
عَلَى مَعْرِفَةٍ كَمَا تَقُولُ فَهَاهِيَ الْيَوْمُ، فَلَيْسَ هُنْنَا عَصَبَيَّةٍ وَلَا تَمِيزَ .

(١) المجنبة : الناحية .

فاندفع فامر الأصوات كلها ، وابن جامع مُصنف يسمع منه ، حتى أتى على آخرها ، فاندفع ابن جامع خلف بالأيمان المحرجة أنه ما عرفها قط ولا سمعها ، ولا هي إلا من صنعته ، ولم تخرج إلى أحد غيره ، فقال له : ويحك ! فما أحدثت بعدى ! قال : ما أحدثت شيئاً .

قال : يا إبراهيم ؟ بحياتي ، أصدقني . فقال : وحياتك لأصدقنَّاك ؟ رميته بحجره ^(١) ، فبعثت إليه بمحمد الزَّف وضفت له ضمانتِ ، أوَّلها رضاك عنه ، فضى فاحتال لى عليه حتى أخذها عنه ونقلتها حتى سقط الآن اللومُ عن بإقراره ، لأنَّه ليس علىَّ أن أعرف ما صنعته هو ولم يُخْرِجْه إلى الناس ، وهذا بابٌ من الفيسب ، وإنما يلزمني ألا يعرف هو شيئاً من غناه الأوائل وأجهله أنا ، وإلا فلو لزمني أن أُرْزُقَ صنعته للزِّمْه أن يرويَ صنعتي ولزم كلَّ واحدٍ منا لسائِر طبقته ونظراته مثل ذلك ، فمن قصر كان مذموماً ساقطاً .

قال له الرشيد : صدقتَ يا إبراهيم وانضَختَ ^(٢) عن نفسك وقت بمحبتك . ثم أقبل على ابن جامع ، فقال له : يا إسْعِيل ؟ أتيت أتيت ! دُهِيت دُهِيت ! أبطل عليك الموصلى مافعلته به أمس ، وانتَصَفَ اليومَ منك ، ثم دعا بالزَّف فرَضَيَ عنه .

(١) روى فلان بمحبته : لماذا قرن بيته . (٢) نفع عن نفسه : دفع عنها بالمحجة .

* ٢٦ - أنا والصبح كَفَرَسِيْ رِهان

قال إبراهيم^(١) الموصلى :

قال لى الرشيد يوماً : يا إبراهيم ؟ بَكَرَ عَلَى عَدَا حَتَى نَصْطَبَحُ ؟ قَلْتُ لَهُ : أَنَا وَالصَّبَحُ كَفَرَسِيْ رِهانٌ ، فَبَكَرْتُ إِذَا أَنَا بِهِ خَالِيًّا ، وَبَيْنِ يَدِيهِ جَارِيَةٌ كَأْنَهَا خُوطٌ^(٢) بَانٍ ، حُلُوَّةُ الْمُنْظَرُ ، دَمَثَةُ الشَّمَائِلُ ، وَفِي يَدِهَا عُودٌ ، فَقَالَ لَهُ : غَنِيٌّ ، فَغَنَتْ فِي شِعْرِ أَبِي نَوَاسٍ وَهُوَ :

تَوَهَّمَهُ قَلْبِي فَأَصْبَحَ خَدَّهُ وَفِيهِ مَكَانٌ الْوَهْمُ مِنْ نَظَرِي أَمْرٌ^(٣)
وَمَرَّ بِفِكْرِي خَاطِرًا غَرَحْتُهُ وَلَمْ أَرْ جِسْمًا قَطَّ يَجْرِيْهُ الْفِكْرُ
وَصَافَّهُ قَلْبِي فَأَلَمَ كَفَهُ فِنْ عَمْزِ قَلْبِي فِي أَنَامِلِهِ عَقْرٌ^(٤)
قال إبراهيم : فَذَهَبَتْ وَاللهِ بِعْقَلِي حَتَى كِدْتُ أَنْ أَفْضِّحَ ، قَلْتُ : مَنْ هَذِهِ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ : هَذِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا الشَّاعِرُ :

لَمَا قَلْبِي الْفَدَاءَ وَقَابُهَا لِي فَنَحَنُ كَذَاكَ فِي جَسَدَيْنِ رُوح
ثُمَّ قَالَ : غَنِيٌّ ، فَغَنَتْ :

تَقُولُ عَدَا الْبَيْنَ إِحْدَى نَسَائِهِمْ : لِيَ الْكَبِيدُ الْحَرَّى فِسْرٌ وَلَكَ الصَّبَرُ^(٥)

* الأغاني : ٥ - ٢٢٨

(١) أوحد زمانه في الفناء وانتزاع الألحان ، اتصل بالخلفاء فـكانت له عندهم منزلة حسنة .
ومات في بغداد سنة ١٨٨ هـ . (٢) الخوط : الغصن ، والبان : نوع من الشجر ، لب عمره
دهن طيب . (٣) أمير الجرح : أميره يبقى بعد ما يبرأ . (٤) العقر : الجرح . (٥) الشعر
لأبي الشيس .

وقد خنتها عَبْرَةً فَدُمُوعُهَا على خدّها بيضٌ وفي نحرها صفرٌ
 قال : فشرب وسقاني ثم سقاها ، ثم قال : غَنَّ يا إِبْرَاهِيمْ ؛ فغَنَّيت حسبَ
 ما في قلبي غير مُتَحَفَّظٍ من شىءٍ :
 تشربَ قلبِي حبَّهَا وَمَشَّى بهِ تَمَشِّيَ حَيَّا الْكَأْسِ فِي جَسْمِ شَارِبٍ
 وَدَبَّ هُوَاهَا فِي عِظَامِي فَشَفَّهَا كَادَبَّ فِي الْمَسْوَعِ سُمُّ الْعَقَارِبِ
 قال : فقطِن بتعريفى - وكان جهالةً مُنْ - وأمرني بالانصراف ، ولم يدعنى
 شهراً ، ولا حَضَرْتُ مجلسهَ .

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ شَهْرِ دُسَّ إِلَى خَادِمًا مَعَهُ رِقْعَةً ، فِيهَا مَكْتُوبٌ :
 قَدْ تَخَوَّفْتُ أَنْ أَمُوتَ مِنَ الْوَجْدِ وَلَمْ يَدْرِي مَنْ هُوَيْتُ بِهَا يِي
 يَا كَتَابِي فَاقْرَأْ السَّلَامَ عَلَى مَنْ لَا أَسْمَى وَقَلْ لَهُ يَا كَتَابِي
 إِنَّ كَفَّا إِلَيْكَ قَدْ بَعْثَتْنِي فِي شَقَاءِ مُوَاصِلِ وَعَذَابِ
 فَأَتَانِي الْخَادِمُ بِالرِّقْعَةِ ؛ فَقَلَّتْ لَهُ مَا هَذَا ؟ قَالَ : رِقْعَةُ الْجَارِيَةِ فِلَانَةُ الَّتِي
 غَنَّتْكَ بَيْنَ يَدِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَأَحْسَسْتُ الْقَصَّةَ ، فَشَقَّمْتُ الْخَادِمَ وَوَثَبَتْ عَلَيْهِ
 وَضَرَبَتْهُ ضَرِبَةً شَفَّيْتُ بِهِ نَفْسِي وَغَيَّظَنِي .

وَرَكِبْتُ إِلَى الرَّشِيدِ مِنْ فَوْرِي فَأَخْبَرْتُهُ الْقَصَّةَ وَأَعْطَيْتُهُ الرِّقْعَةَ ؛ فَضَحِّكَ حَتَّى
 كَادَ يَسْتَلْقِي ، ثُمَّ قَالَ : عَلَى عَمْدِي فَلَمْ فَلَتْ ذَلِكَ بِكَ لِأَمْتَحِنَ مَذْهَبَكَ وَطَرِيقَتَكَ ،
 ثُمَّ دَعَا بِالْخَادِمِ ، فَلَمَّا خَرَجَ رَآنِي فَقَالَ لِي : قَطْعَ اللَّهِ يَدِيكَ وَرَجْلِيكَ ، وَيَحْكِ !
 قَتَّلَتْنِي ؛ فَقَلَّتْ : الْقَتْلُ وَاللَّهُ كَانَ بَعْضَ حَقِّكَ لَمَّا وَرَدَتْ بِهِ عَلَيَّ ، وَلَكِنْ رَحْمَنْكَ
 فَأَبْقَيْتُ عَلَيْكَ ، وَأَخْبَرْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِيَأْتِي فِي عَقْوَبَتِكَ بِمَا تَسْتَحْقَهُ . وَأَمْرَ لِي
 الرَّشِيدَ بِصَلَةِ سَنِيَّةٍ .

* ٢٧ - ما هذا يجزأني منك

قال الأصمعي ^(١) : مررت بدار الزبير بالبصرة ، فإذا شيخ قديم من أهل المدينة من ولد الزبير ، يكنى أباً زحافة ، جالس بالباب عليه شملة ^(٢) تستره ؛ فسلمت عليه ؛ وجلست إليه ؛ فيبأنا أنا كذلك إذ طلت علينا سعيداء ، تحمل قربة ، فلما نظر إليها لم يمالك أنْ قام إليها ، فقال لها : بالله غنى صوتاً ! فقالت : إن موالى أغجلوني ^(٣) ؛ فقال : لا بد من ذلك ! قالت : أما والقربة على كتف فلا ! قال : فأنا أحيلها ؛ فأخذ القربة منها ؛ فاندفعت ^{تعنّي} :

فؤادُ أَسِيرٍ لَا يَفْكَرُ وَمُهْجَتٌ تَقْيِضُ ، وَأَحْزَانِي عَلَيْكَ تَطْوُلُ
 ولِي مَقْلَةً قَرْحَى لَطْوِ اشْتِيَاقَهَا
 إِلَيْكَ ، وَأَجْفَانِي عَلَيْكَ هُولُ ^(٤)
 فَدَيْتُكَ ! أَعْدَائِي كَثِيرٌ ، وَشُقْقَتِي بَعِيدٌ ، وَأَشْيَاعِي لَدِيكَ قَلِيلٌ

فطرب ، وصرخ صرخة ، وضرب بالقربة إلى الأرض فشقها !

ف قامت الجارية تبكي ، وقالت : ما هذا يجزأني منك ! أسعفتك ب حاجتك
 فعرضاً ضئني لما أكره من موالى !

قال : لا تفتقدي ؛ فإن المصيبة على حصلت ! وتزع شملته ، وابتاع لها قربة
 جديدة ! وقعد ؛ فاجتاز به رجل من ولد على بن أبي طالب ؛ فعرف حاله ،

* زهر الآداب : ١ - ١٥٦

(١) هو عبد الملك بن قريب ، اشتهر بالرواية والتضليل في اللغة ، توفي سنة ٢١٦ هـ . (٢) الشملة : كساء دون القطيفة يشتمل به . (٣) أجعله : استجهنه . (٤) تقip بالضم .

قال : يا أبا رِيحَانَة ؛ أحسبك من الذين قال الله فيهم : **{فَمَا رَبَحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}** ^(١) .

قال : لا ؛ يا بنَ رسول الله ، ولکنی من الذين قال الله فيهم : **{فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ إِلْقَوْلَ ، فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ}** ^(٢) !

فضحک وأمر له بآلف درهم .

(١) سورة البقرة ، آية ١٦

(٢) سورة الزمر ، آية ١٧ ، ١٨

٢٨ — ما نفعني الغِنَاءُ إِلَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ *

قال إبراهيم^(١) بن المهدى : حججت مع الرشيد ، فيبئنا نحن في الطريق وقد اقفردتُ أَسِيرُ وَحْدِي ، وأنا على دابّتى إذ غلبتني عيناي ، فسلّكتُ بِالدَّارِيَةِ غيرَ الطريق ، فانقيمتُ وأنا على غيرِ الجادة^(٢) ، فاشتدَّ بِالحرّ ، فعطشتَ عطشاً شديداً ، فازْتَعَ لِخِبَاءٍ فقصدته ، فإذا بِقُبَّةٍ ، وبجنبها بُرْ ماء ، بقرب مزرعة - وذلك بين مكة والمدينة - ولم أر بها إنسياً ، فاطلعت في القبة ، فإذا أنا بأسود نائم ، فاحسَّ بي ، ففتح عينيه ثم استَوَى جالساً ، فإذا هو عظيم الصورة . قلت : يا أسود ، اسقني من هذا الماء ، فقال : يا أسود ، اسقني من هذا الماء ، تُحَا كِيَالِي . وقال : إن كنتَ عطشان فاذلِّ واشرب ، وكان تحتي بِرْذون^(٣) خيث نَفُور ، فخشيتُ أن أُنْزَلَ عنه ، فَيَنْفِرُ ، فضررتُ رأسَ الْبِرْذُونَ .

وما نفعني الغِنَاءُ قطّ إِلَّا في ذلكَ الْيَوْمِ ، وذلكَ أَنِّي رفتُ عَقِيرَتِي وَغَنِيتَ . فرفعَ الأَسْوَدُ رَأْسَه إِلَيَّ ، وقال : أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ ، أَنْ أَسْقِيكَ ماءَ وَحْدَهُ ، أو ماءَ وَسَوِيقًا^(٤) ؟ قات : الماءُ وَالسوِيقُ . فاخْرَجَ قَعْبَه^(٥) لِهِ ، فصَبَ السَّوِيقَ فِي الْقَدْحِ فَسَقَانِي ، وأَقْبَلَ يَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى رَأْسِهِ وَصَدْرِهِ ، وَيَقُولُ : وَاحِرَّ صَدْرَاهُ ! يا مولاي ؟ زِدْنِي وَأَنَا أَزِيدُكَ ، وَشَرَبَتُ السَّوِيقَ ، ثُمَّ قَالَ لِي : يامولي ، إِنَّ بِينَكَ

* المسعودي : ٢ - ٢٧٠

(١) هو إبراهيم بن محمد المهدى أخو هارون الرشيد ، كان أسود حالك اللون فصبح اللسان واسع الصدر ، سخن الـكَف حاذقاً بصنعة الغناء ، توفي سنة ٢٢٤ هـ . (٢) الجادة: معظم الطريق . (٣) البرذون: الدارية . (٤) السويف: ما يتخذ من الحنطة والشعير . (٥) القدح: القدر الضخم .

وَبَيْنَ الطَّرِيقَ أَمْيَالًا ، وَلَسْتُ أُشَكُ أَنِّكَ تَعْطَشُ ؛ لَكُنِي أَمْلَأَ قِرْبَتِي هَذِهِ وَأَحْمِلُهَا
قُدَّامَكَ . فَقَلَّتْ : افْلَ .

فَلَأُقِرْبَتِهِ ، وَسَارَ قُدَّامِي وَهُوَ يَجْعَلُ فِي مِشِيَّتِهِ غَيْرَ خَارِجٍ عَنِ الْإِيقَاعِ ، فَإِذَا
أَمْسَكَ لِأَسْتَرِيحَ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ، قَالَ : يَا مَوْلَايٰ ؟ عَطَشْتَ ؟ فَأَغْنِيَهُ إِلَى أَنْ أَوْقَنَّ
عَلَى الْجَادَةِ ، ثُمَّ قَالَ لِي : سِرْ رَعَاكَ اللَّهُ ، وَلَا سَلَبَكَ مَا كَسَاكَ مِنْ هَذِهِ النَّعْمَ -
بِكَلَامِ عَجَمِي ، مَعْنَاهُ هَذَا الدُّعَاءِ - فَلَحِقْتُ بِالْقَافْلَةِ ، وَالرَّشِيدُ قَدْ فَقَدَنِي ، وَقَدْ بَثَّ
الْخَيْلَ فِي طَلَبِي ، فَسُرِّبَ بِي حِينَ رَأَنِي ، فَأَتَيْتُهُ قَصَصْتُ عَلَيْهِ الْأَمْرَ ، قَالَ :
عَلَيْهِ بِالْأَسْوَدِ ، فَمَا كَانَ إِلَّا هُنْيَّةً حَتَّى مَثَلَ بَيْنَ يَدِيهِ ، قَالَ لَهُ : وَيْاكَ ! مَا حَرَّ
صَدْرُكَ ؟ قَالَ : يَا مَوْلَايٰ ، مِيمُونَةٌ ! قَالَ : وَمَنْ مِيمُونَةٌ ؟ قَالَ : حَبَشِيَّةٌ يَا مَوْلَايٰ ؛
فَأَمَرَ مِنْ يَسْتَفْهِمُهُ ، فَإِذَا الأَسْوَدُ عَبْدُ لَبْنِ جَعْفَرِ الطِّيَارِ ، وَإِذَا السُّودَاءُ الَّتِي يَهْوَاهَا
قَوْمٌ مِنْ وَلَدِ الْحَسَنِ بْنِ عَلَيْهِ ؛ فَأَمَرَ الرَّشِيدَ بِأَتِيَاعِهِ لَهُ ، فَأَبَى مَوَالِيهَا أَنْ يَقْبِلُوهَا
عَنْهَا ، وَوَهْبُوهَا لِلرَّشِيدِ ، فَاشْتَرَى الْأَسْوَدَ وَأَعْتَقَهُ ، وَزَوَّجَهُ مِنْهَا ، وَوَهَبَ لَهُ مِنْ
مَالِهِ بِالْمَدِينَةِ حَدِيقَتَيْنِ وَثَلَاثَائِنَ دِينَارٍ .

٢٩ - طَفِيلٌ ولَكْنَهٔ ظَرِيفٌ *

حدَثَ إِسْحَاقُ^(١) الْمُوصَلِيَّ قَالَ : غَدَوْتُ يَوْمًا وَأَنَا ضَاجِرٌ مِنْ مُلَازِمَةِ دَارِ
الخِلَافَةِ وَالخِدْمَةِ فِيهَا ؛ نَفَرْجَتُ وَرَكِبْتُ بُكْرَةً^(٢) ، وَعَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَطْوَفَ
الصَّحْرَاءَ وَأَقْرَبَ . قَلَتْ لِغِلْمَانِيَّ : إِنْ جَاءَ رَسُولُ الْخَلِيفَةِ أَوْ غَيْرُهُ فَعَرَّفْهُ أَنِّي
بَكَرْتُ فِي بَعْضِ مُهِمَّاتِي ، وَأَنْكُمْ لَا تَعْرِفُونَ أَينْ تَوَجَّهُتْ !

وَمُضِيَتْ وَطُفْتُ مَا بَدَأَلِي ، ثُمَّ عَدْتُ وَقَدْ حَمِيَ النَّهَارُ . فَوَقَفْتُ فِي
الشَّارِعِ الْمُعْرُوفِ بِالْمُخَرَّمِ^(٣) فِي فَسَاءِ ثَخِينِ الظَّلِّ ، وَجَنَاحِ رَحْبٍ^(٤) عَلَى الطَّرِيقِ
لَا سَرِيعٌ .

فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ جَاءَ خَادِمٌ يَقْوِدْ حَمَارًا فَأَرِهَا عَلَيْهِ جَارِيَةً رَاكِبَةً ، تَحْتَهَا مَنْدِيلٌ
دَرِيقٌ^(٥) ، وَعَلَيْهَا مِنَ الْبَلْسِ الْفَاخِرِ مَا لَا غَایَةَ بَعْدِهِ . وَرَأَيْتُ لَهَا قَوَامًا حَسَنًا
وَشَمَائِلَ حَسَنَةً .

فَخَرَّصْتُ^(٦) أَنْهَا مُغَنِيَّةً ، فَدَخَلْتُ الدَّارَ الَّتِي كُنْتُ وَاقِفًا عَلَيْهَا .
ثُمَّ لَمْ أَلْبَثْ أَنْ جَاءَ رَجُلًا شَابًا ، فَاسْتَأْذَنَاهَا فَأَذْنَاهَا ، فَنَزَلا ، وَنَزَلتُ مَعَهُمَا

* الأغانى : ٥ - ٤٢٣

(١) إِسْحَاقُ الْمُوصَلِيَّ : مِنْ أَشْهَرِ نَدَاءِ الْخَلِيفَةِ ، تَفَرَّدَ بِصَنْعَةِ الْغَنَاءِ ، وَكَانَ عَالِمًا بِالْلِغَةِ وَالْمُوسِيقِ
وَالتَّارِيخِ وَعِلْمِ الدِّينِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ ، وَرَاوِيَةً لِلشِّعْرِ وَحَافِظًا لِلْأُخْبَارِ . تَوْفِيق٢٣٥ . (٢) بَاكْرًا

(٣) الْخَرَمُ : مَحَلَّ بَيْغَدَادِ . (٤) رَحْبٌ : وَاسِعٌ . (٥) دَرِيقٌ : مَنْسُوبٌ إِلَى دَرِيقٍ ، وَهِيَ بِلِيدَةٍ
كَانَتْ بَيْنَ الْفَرْمَا وَتَنِيسَ مِنْ أَعْمَالِ مَصْرُ ، وَقَنْبُسٌ إِلَيْهَا الشَّيْبُ . (٦) خَرَصَتْ : ظَنِنتْ .

ودخلت ؛ فظننا أن صاحب الدار دعاني وظن صاحب الدار أني معهمما ؛ فجلسنا
وأثني بالطعام فـ كـ لـ كـ نـا وـ بـ الـ شـ رـ اـ بـ فـ وـ عـ ضـ ، وـ خـ رـ جـ تـ الـ جـ اـ رـ يـةـ وـ فـ يـ دـ هـ اـ عـ وـ دـ عـ ؟ فـ قـ نـتـ ؟
وـ شـ رـ بـ نـا ؟ وـ قـ مـ تـ قـ وـ مـ ةـ ؟ فـ سـ اـ لـ صـ اـ حـ بـ المـ نـ زـ الـ رـ جـ لـ يـ نـ عـ ؟ ، فـ أـ خـ بـ رـ اـ هـ اـ نـ هـ مـ اـ
لـ اـ يـ عـ رـ فـ اـ نـ ؟ فـ قـ قـ لـ : هـ ذـ اـ طـ فـ يـ لـ وـ لـ كـ بـ نـهـ ظـ طـ يـ فـ ، فـ اـ جـ لـ حـ لـواـ عـ شـرـ تـ ، وـ جـ هـ تـ بـ لـ جـ لـ سـ ؟
وـ غـ نـتـ الـ جـ اـ رـ يـةـ فـ لـ حـ نـ لـ ؟ ، فـ اـ دـ اـ تـ هـ اـ دـ اـ ءـ صـ الـ حـ اـ ؟ ئـ نـمـ غـ نـتـ اـ صـ وـ اـ تـ اـ شـ تـ ، وـ غـ نـتـ فـ
أـ ضـعـافـهاـ مـنـ صـنـعـيـ ؟

الـ طـ لـ لـ اـ لـ دـ وـ اـ رـ اـ سـ فـ اـ رـ قـ تـ اـ الـ اوـ اـ نـ اـ سـ

اوـ حـ شـ اـ تـ بـ مـ دـ اـ هـ لـ هـ اـ فـ هـ قـ فـ رـ بـ سـ اـ بـ سـ ؟^(١)

فـ كـ انـ اـ مـ رـ هـ اـ فـ يـهـ اـ صـ لـ حـ اـ مـ نـهـ فـ الـ اوـ لـ ؟ ئـ نـمـ غـ نـتـ اـ صـ وـ اـ تـ اـ مـنـ القـ دـ يـمـ وـ الـ حـ دـ يـثـ ،
وـ غـ نـتـ فـ اـ ثـ نـ اـ هـ اـ مـنـ صـنـعـيـ ؟

قـ لـ لـ مـ نـ صـ دـ اـ عـ اـ تـ بـ اـ وـ نـ اـ عـ نـكـ جـ اـ بـ اـ

قـ دـ بـ لـ غـ تـ اـ لـ اـ زـ اـ دـ اـ تـ وـ إـ بـ اـ كـ فـ تـ لـ اـ عـ بـ اـ

فـ كـ انـ اـ صـ لـ حـ مـ اـ غـ نـتـ هـ . فـ اـ سـ تـ عـ دـ تـ هـ مـ نـهاـ لـ اـ صـ حـ حـ هـ لـ . فـ اـ قـ بـ عـ لـ اـ عـ رـ جـ لـ مـنـ
الـ رـ جـ لـ يـنـ ، وـ قـ اـ لـ : مـاـ رـأـيـتـ طـ فـ يـ لـ اـ صـقـ وـ جـهـاـ مـنـكـ ! لـمـ تـ رـضـ بـالـ تـطـفـيلـ حـتـيـ
اـ قـ تـ حـتـ ، وـ هـذـاـ غـايـهـ الثـلـ : « طـ فـ يـ لـ مـقـرـحـ » ؟ فـ اـ طـ رـ قـ تـ وـ لمـ أـ جـ بـهـ . وـ جـ مـلـ
صـاحـبـهـ يـكـفـهـ عـنـ فـلاـ يـكـفـ ؟ ئـ نـمـ قـامـواـ لـ الصـلـاـةـ وـ تـأـخـرـتـ قـلـيلـاـ ، فـ اـ خـذـتـ عـوـدـ
الـ جـ اـ رـ يـةـ ، ئـ نـمـ اـ صـلـحـتـهـ إـصـلـاحـاـ مـحـكـمـاـ ، وـ عـدـتـ إـلـىـ مـوـضـيـ فـصـلـيـتـ . وـ عـادـواـ ئـ نـمـ
أـخـذـ ذـلـكـ الرـجـلـ يـعـنـفـيـ وـ أـنـاـ صـامـتـ .

(١) بـاسـ ، لـغـةـ فـيـ السـبـابـسـ : الصـحـارـيـ .

ثُمَّ أَخْذَتِ الْجَارِيَةِ الْعُودَ فَجَسَّتْهُ وَأَنْكَرَتْ حَالَهُ، وَقَالَتْ : مَنْ مَسَّ عُودِي؟
قَالُوا : مَا مَسَّهُ أَحَدٌ، قَالَتْ : بَلِي، وَاللَّهِ لَقَدْ مَسَّهُ حَادِقٌ مُتَقْدِمٌ وَأَصْلَحَهُ إِصْلَاحًا
مُمْكِنٌ مِنْ صَنَاعَتِهِ، فَقَلَتْ لَهَا : أَنَا أَصْلَحَتُهُ؛ قَالَتْ : فَبِاللَّهِ حُذْهُ وَاضْرِبْ بِهِ؛ فَأَخْذَتِهِ
وَضَرَبَتْ بِهِ مِبْدَأً ظَرِيفًا مُجَبِّيًّا صَعِيبًا، فِيهِ نَقَرَاتٌ مُتَحَرِّكَةٌ. فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ مِنْهُ إِلَّا
وَثَبَ عَلَى قَدْمِيهِ وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

ثُمَّ قَالُوا : بِاللَّهِ يَا سَيِّدَنَا؛ أَنْفَقْنَا؟ فَقَلَتْ : نَعَمْ، وَأَعْرَفُكُمْ نَفْسِي؛ أَنَا إِسْحَاقُ
ابْنُ إِبْرَاهِيمَ الْوَصْلِيُّ، وَوَاللَّهِ إِنِّي لَا أَنْتَيْهُ عَلَى الْخَلِيفَةِ إِذَا طَلَبْنِي، وَأَنْتُمْ تُسْمِعُونِي
مَا أَكْرَهُ مِنْهُ مِنْ الدِيْنِ لِأَنِّي نَزَّلْتُ بِكُمْ! فَوَاللَّهِ لَا نَطَقْتُ بِحَرْفٍ وَلَا جَلَسْتُ مَعَكُمْ
حَتَّى تُخْرِجُوا هَذَا الْمُعَرِّبَدَ^(١) الْمَقِيتَ^(٢) الْفَتَّ. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : مِنْ هَذَا حَدِيرَتُ
عَلَيْكُمْ. فَأَخْذَ يَعْتَذِرُ؛ فَقَلَتْ : وَاللَّهِ لَا نَطَقْتُ بِحَرْفٍ وَلَا جَلَسْتُ مَعَكُمْ حَتَّى يُخْرُجَ
فَأَخْذُوا بِيَدِهِ فَأَخْرَجُوهُ وَعَادُوا.

فَبَدَأْتُ وَغَنَيَّتِ الْأَصْوَاتُ الَّتِي غَنَّتْهَا الْجَارِيَةُ مِنْ صَنْعَتِي، فَقَالَ لِي الرَّجُلُ :
هَلْ لَكَ فِي خَصْلَةٍ؟ قَلَتْ : مَا هِي؟ قَالَ : تَقْبِيمُ عَنْدِي شَهْرًا وَالْجَارِيَةُ وَالْحَمَارُ لَكَ
مَعَ مَا عَلَيْهَا مِنْ حُلٍُّ؟ قَلَتْ : أَفْعُلُ. فَأَقْمَتُ عَنْهُ ثَلَاثَيْنِ يَوْمًا لَا يَدْرِي أَحَدٌ أَينِ
أَنَا، وَالْمُؤْمِنُ يَطْلُبُنِي فِي كُلِّ مَوْضِعٍ فَلَا يَعْرِفُ لِي خَبْرًا.
فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثَيْنِ يَوْمًا أَسْلَمَ إِلَى الْجَارِيَةَ وَالْحَمَارَ وَالْخَادِمَ فَجَبَتْ بِذَلِكَ إِلَى
مَنْزِلِي، وَرَكِبَتْ إِلَى الْمُؤْمِنِ مِنْ وَقْتِي، فَلَمَّا رَأَنِي قَالَ : إِسْحَاقُ! وَيَحْكُ! أَيْنَ
تَكُونُ؟ فَأَخْبَرَتُهُ بِخَبْرِي. قَالَ : عَلَى^{*} بِالرَّجُلِ السَّاعَةِ؛ فَدَلَّلَتُهُمْ عَلَى بَيْتِهِ فَأَحْضَرَ.

(١) الْمَعْرِبُ ، رَجُلٌ مَعْرِبٌ : يَؤْذِي نَدِيْمَهُ . (٢) الْمَقِيتُ : الْمَكْرُوهُ .

فَسَأَلَهُ الْمُؤْمِنُ عَنِ الْقِصَّةِ فَأَخْبَرَهُ . قَالَ لَهُ : أَنْتَ رَجُلٌ ذُو مَرْوَةٍ ، وَسَبِيلُكَ أَنْ
تُعَاوِنَ عَلَيْهَا . وَأَمْرَ لَهُ بِعَاشرَةِ أَلْفِ دَرْهَمٍ ، وَأَمْرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفِ دَرْهَمٍ ، وَقَالَ :
أَخْضُرْ فِي الْجَارِيَةِ . فَأَخْضُرْتُهَا فَفَتَّهُ . قَالَ لَى : قَدْ جَعَلْتُ لَهَا نَوْبَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ
غَلْاثَاءَ تُعْنِيَنِي وَرَاءَ السُّرُّ مَعَ الْجَوَادِيِّ . وَأَمْرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفِ دَرْهَمٍ ، فَرَبَحْتُ وَاللهُ
بِتَلْكَ الرَّكْبَةِ وَأَرْبَحْتُ .

٣٠ — زرِياب وإسحاق الموصلي

كان زَرِياب^(١) تلميذًا لإسحاق الموصلي ببغداد ، فتلقف من أغانيه استرقاً ، وهُدِيَّ من فهم الصناعة وصدق العقل ، مع طيب الصوت ، إلى مافق به إسحاق ، وإسحاق لا يشعر بما فتح به عليه ، إلى أن اقترح الرشيد عليه أن يأتيه بمعنى غريبٍ يُحيي للصنعة ، لم يشهر مكانه إليه ؛ فذكر له تلميذه هذا ، وقال : إنه موْلَى لكم ، وسمعت له فَزَعَاتٍ حسنة ، ونَفَماتٍ رائفة مُلْتَاطَة^(٢) بالنفس ، وهو من اختراعي واستنباطٍ فكري ، وأَحْدِس^(٣) أن يكون له شأن .

قال الرشيد : هذا طَلِبْتِي ، فَأَحْضِرْ نِيَه ، لعل حاجتي عنده . فَأَحْضَرَه ، فَلَمْ كُلِّه الرشيد أَعْرَبْ عن نفسه بأَحْسَنِ مِنْطق ، وأَوْجَزْ خطاب ؛ وسأله عن معرفته بالفناء ، فقال : نعم ، أَحْسِنُ ما يُحْسِنُه الناس ، وأَكْثَر ما أَحْسِنَه لا يُحْسِنُونَه ، مما لا يَحْسَنُ إِلا عندك ، ولا يُدَّخِّرُ إِلا لك ؛ فَإِنْ أَذْنَتَ غَنِيْتُك مَا لمْ تسمعه أَذْنَ قَبْلَك .

فَأَمْرَ بِإِحْضار عَوْدِ أَسْتَاذِه إِسْحاق ، فَلَمَّا أَدْنَى إِلَيْهِ وَقَفَ عَنْ تَنَاؤْلِه ، وَقَالَ :

* نفح الطيب : ٢ - ١٠٩

(١) كان زَرِياب مع عالمه بصناعة الفناء عالِمًا بالنجوم ، شاعرًا أدبيًا حلو الحديث ، لطيف المعاشرة ، ماهرًا في خدمة الملوك ، توفى سنة ٣٣٠ هـ . (٢) الناط بالقلب : لزق به . (٣) الحدس : الظن والتخمين .

لِي عُودْ نَحْتَهُ يَدِي ، وَأَرْهَقْتَهُ بِالْحَكَامِي ، لَا أَرْتِضِي غَيْرَهُ ، وَهُوَ بِالْبَابِ ، فَلِيَادَنْ
لِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي اسْتِدْعَاهُ ؛ فَأَمْرَ بِيادِ خَالِهِ إِلَيْهِ .

فَلَمَّا تَأْمَلَهُ الرَّشِيدُ - وَكَانَ شَبِيهًّا بِالْعُودِ الَّذِي دُفِعَ إِلَيْهِ - قَالَ : مَا مَنْعَكَ أَنْ
تَسْعِمَ عُودَ أَسْتَاذِكَ ؟ قَالَ : إِنْ كَانَ مَوْلَايَ يَرْغُبُ فِي غِنَاءِ أَسْتَاذِي غَنِيَّتُهُ
بِعُودِهِ ، وَإِنْ كَانَ يَرْغُبُ فِي غِنَائِي فَلَا بدَّ لِي مِنْ عُودِي ! قَالَ لَهُ : مَا أَرَاهَا إِلَّا
وَاحِدًا ؟ قَالَ : صَدَقَتْ يَا مَوْلَايَ ؟ وَلَا يُؤْدِي النَّظَرُ غَيْرَ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّ عُودِي
وَإِنْ كَانَ فِي قَدْرِ جَسْمِ عُودِهِ ، وَمِنْ جِنْسِ خَشْبِهِ ، فَهُوَ يَقْعُدُ مِنْ وِزْنِهِ فِي الثَّلَاثَ ؛
وَوَصَفَهُ وَصَفَهَا اسْتَبْرَعُهُ الرَّشِيدُ ، وَأَمْرَهُ بِالْفَنَاءِ ، فَجَسَّ ثُمَّ اندْفَعَ فَفَتَاهُ :

يَا يَهَا لِلْمَلِكِ الْمِيمُونُ طَائِرُهُ هَارُونَ رَاحَ إِلَيْكَ النَّاسُ وَابْتَكَرُوا^(١)

فَلَمَّا أَتَمْ طَارَ الرَّشِيدَ طَرَبَا ، وَقَالَ لِإِسْحَاقَ : وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي أَعْلَمُ مِنْ صِدِّيقِكَ
وَتَصْدِيقِهِ لَكَ ؟ مِنْ أَنْكَ لَمْ تَسْفَعْهُ قَبْلُ لِأَنْزَلْتُ بِكَ الْعَقُوبَةَ ؛ لِتَرَكِكَ إِعْلَامِي
بِشَأْنِهِ ؛ فَخَذَهُ إِلَيْكَ وَاعْتَنَّ بِهِ ، حِينَ أَفْرَغَ لَهُ ، فَإِنْ لَيْ فِيهِ نَظَرًا .

فَسُقِطَ فِي يَدِ إِسْحَاقَ ، وَهَاجَ بِهِ مِنْ دَاءِ الْحَسْدِ مَا غَلَبَ عَلَى صَبْرِهِ ، فَخَلَ
بِزْرِيَّابَ ، وَقَالَ : يَا عَلَىَّ ، إِنَّ الْحَسْدَ أَقْدَمُ الْأَدْوَاءِ^(٢) . وَالدُّنْيَا فِتْنَةٌ ، وَالشَّرْكَةُ
فِي الصِّنَاعَةِ عَدَاوَةٌ ، وَلَا حِيلَةٌ فِي حَسْمِهَا ، وَقَدْ مَكَرْتَ بِي فِيمَا انْطَوَيْتَ عَلَيْهِ مِنْ
إِجَادَتِكَ ؛ وَعَلَوْ طَبْقَتِكَ ، وَقَصَدْتُ مَنْفَعَتِكَ ، فَإِذَا أَنَا قَدْ أَتَيْتُ نَفْسِي مِنْ مَأْمَنِهَا
بِيَادِ نَائِكَ ، وَعِنْ قَلِيلٍ تَسْقَطُ مِنْزَلَتِي ، وَتَرْتَقِي أَنْتَ فَوْقِي ، وَهَذَا مَا لَا أَصْاحِبُكَ عَلَيْهِ

(١) ابْتَكَرُوا : أَنْوَهَ بِكَرَةً ، وَالْبَكَرَةُ : الْفَدْوَةُ . (٢) جَمِ دَاءُ .

ولو أنك ولدِي؛ ولو لا رَغْيٍ لِذمَّةٍ تربَّيتك لما قدَّمتُ شيئاً على أن أُذْهِبَ نفْسَك،
ويكونُ في ذلك ما يكون .

فتخيَّرْتُ في ثَنْتَيْنِ لَا بدَّ لَكَ مِنْهُما : إِمَّا أَنْ تَذَهَّبَ عَنِ الْأَرْضِ الْعَرِيشَةِ ،
لَا أَسْمَعُ لَكَ خَبْرًا ، بَعْدَ أَنْ تَعْطِيَنِي عَلَى ذَلِكَ الْأَيْمَانِ الْمُوْقَتَةِ ؛ وَأَنْهُضُكَ لِذَلِكَ بِمَا
أَرْدَتَ مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ ، وَإِمَّا أَنْ تَقْيِيمَ عَلَى كُرْهَتِي وَرَغْمِي مُسْتَهْدِفًا إِلَيْهِ ؛ فَخَذِ
الآن حِذْرَكَ مِنِي ، فَلَسْتُ - وَاللَّهُ - أَبْقِيَ عَلَيْكَ ، وَلَا أَدْعُ اغْتِيَالَكَ ، بِإِذْلَالِ فِي
ذَلِكَ بَدَنِي وَمَالِي ، فَاقْضِ قَضَاءَكَ !

فَخَرَجَ زَرِيَّابُ لِوقْتِهِ ، وَعِلمَ قَدْرَتَهِ عَلَى مَا قَالَ ، وَاخْتَارَ الْفِرَارَ ، فَأَعْانَهُ إِسْحَاقُ
عَلَى ذَلِكَ سَرِيعًا ، وَرَاشَ^(١) جَنَاحَهُ ، فَرَحْلَ عَنْهُ وَمَضَى يَبْغِي مَغْرِبَ الشَّمْسِ ، وَاسْتَرَاحَ
قَلْبُ إِسْحَاقَ مِنْهُ .

وَتَذَكَّرَ الرَّشِيدُ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ شُفْلِ كَانَ مَنْفَمْسَأَ فِيهِ ، فَأَمْرَ إِسْحَاقَ بِإِحْضَارِهِ؛
فَقَالَ : وَمَنْ لِي بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! ذَلِكَ غَلامٌ مَجْنُونٌ ، يَزْعُمُ أَنَّ الْجَنَّةَ تَكَلُّمُهُ ،
وَتَطَارِحُهُ مَا يُرْهِي^(٢) بِهِ مِنْ غِنَائِهِ ، فَمَا يَرِي فِي الدُّنْيَا مِنْ يَعْدِلَهُ^(٣) ، وَمَا هُوَ إِلَّا
أَنْ أَبْطَأَتْ عَلَيْهِ جَائِزَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَدَرَ التَّقْصِيرُ بِهِ ، وَالْتَّهْوِينَ بِصِنَاعَتِهِ ، فَرَحْلَ
مُغَاضِبًا^(٤) ذَاهِبًا عَلَى وَجْهِهِ ، مُسْتَخْفِيَا عَنِّي ، وَقَدْ صَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
فَإِنَّهُ كَانَ بِهِ لَمَّا^(٥) يَغْشَاهُ ، وَقَدْ كَانَ يَفْرَطُ خَبْلَهُ ، فَيُفْزِعُ مِنْ رَآءِهِ .

فَسَكَنَ الرَّشِيدُ إِلَى قَوْلِ إِسْحَاقَ ، وَقَالَ : عَلَى مَا كَانَ بِهِ ، فَقَدْ فَاتَنَا مِنْهُ سُرُورٌ
كَثِيرٌ !

(١) راشَ : إِذَا أَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَرَاشَ صَدِيقَهُ : إِذَا أَطْعَمَهُ وَسَقَاهُ وَكَاهَ . (٢) زَهِيَ بِهِ : أَعْجَبَ
بِهِ . (٣) يَعْدِلُهُ : يَسَاوِيهِ . (٤) مُغَاضِبَ : مُغَاضِبَ الرَّجُلِ : أَغْضَبَهُ وَكَرْهَتْهُ . (٥) الْلَّمَمُ : الْجَنُونُ .

ومضى زرياب إلى المغرب^(١)، وعلم عبد الرحمن بن الحكم بخبره؛ فكتب إلى
عماله على البلاد أن يُحْسِنوا إليه، ويوصلوه إلى قُرْطُبَةَ، وأمر من يلقاه بيفعال
وآلاتِ حسنة.

فدخل هو وأهله ليلاً، وأنزله في دار من أحسن الدور، وحمل إليها جميع
ما يحتاج إليه، وخلع عليه. ثم أجرى عليه راتباً، وأقطعه من الدور والمستقلات
بقرطبة وبساتينها، ومن الصناع ما يقُوَّمُ بأربعين ألف دينار، فلما قضى له
سُؤْلَهُ، وأنجز موعدَهُ، وعلم أن قد أرضاه، وملك نفسه استدعاه، ولما سمع غناءه
اطرح كل غناء سواه، وأحبه حباً شديداً، وقدمه على جميع المغنين.

(١) يزيد الأندلس.

* ٣١ - في مسجد رسول الله تغنى؟

قال إبراهيم الخرافي : حججتُ مع أمير المؤمنين الرشيد ، فدخلتُ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فبينا أنا بين القبر والمنبر إذا أنا برجل حسن الهيئة خاصب ، ومه رجل في مثل حاله ، خانت مني التفاتة ، فإذا هو يقوس حاجبيه ، ويفتح فاه ، ويلوي عنقه ، فتجوزت^(١) في صلاته ، ثم سلمت قلت : أفي مسجد رسول الله تغنى ! فقال : ما أجهلك ! أما في الجنة غناء ! قلت : بلى ! لعمري ، فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ! قال : أما نحن في روضة من رياض الجنة ؟ قلت : نعم ! قال : واحر بآه ! أترد على رسول الله قوله : « بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة » ! فتحن في تلك الروضة . قلت : قبح الله شيخاً ما أسفه ! قال : بالقبر والمنبر لما^(٢) أنت إلى ! فتحوافت ألا أنت . فاندفع بفني بصوت يخفيه :

وليسَتْ عَشِيَّاتُ الْحَيِّ بِرَوَاجِعٍ
إِلَيْكَ ، وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِيكَ تَدْمَعَا
بَكْتُ عَيْنِيَ الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتُهَا
فَوَاللهِ إِنْ قَتَّ إِلَى الصَّلَاةِ لِمَا دَخَلَ قَلْبِي ! فَلَمَّا رَأَى مَا نَزَلَ بِي ، قَالَ : يَا بْنَ أَمِّي ؛
أَرَى نَفْسَكَ قَدْ اسْتَجَابَتْ وَطَابَتْ ، فَهَلْ لَكَ فِي زِيَادَةٍ ؟ قَالَ : وَيَحْكُمُ أَنِّي مُسْجِدٌ

* ذيل زهر الآداب : ٤٨

(١) تجوز في صلاته : خفف . (٢) ما : إلا .

رسول الله ! قال : أنا والله أعرف بالله ورسوله منك ! فدعني من جهلك ،

ثم تغنى :

فلو كان واش باليام داره ودارى بأقصى حضر موت اهتدى ليها
وماذا لهم - لا أحسن الله حفظهم - من الشأن في تصريح^(١) ليني حباليها
قال له صاحبه : يابن أم ، أحسنت والله ، وعشق ما أملك لو كان أمير المؤمنين
الرشيد حاضراً خلعم عليك ثيابه مشقوقة طرباً .

فقمت ، وما لا يعلم من أنا ؟ فدخلت على أمير المؤمنين فأعلمه الخبر ، فقال:
أدرِكُمَا لا يفوتاك !

فوجئت من جاء بهما . فلما دخلا عليه دخلا بوجوه قد ذهب ما وها ، وأنا
قائم على رأسه ؛ فقال : يا إبراهيم ؟ هذان ما ؟ قلت : نعم ! فنظر إلى المغنى منهما ،
وقال : سِعاية^(٢) في جوار رسول الله ! فسرّى عن أمير المؤمنين بعض غضبه ،
وبتسلّم ، فقال : ما كنت فيه ؟ قالا : في خير ! قال : فما الخير ؟ فسكتا .

قال للغنى منهما : من أنت ؟ فابتدره جماعة فقالوا : يا أمير المؤمنين ؟ إنه
ابن جرّيج^(٣) فقيه مكة ! فقال : فقيه مكة يغنى في مسجد رسول الله !

قال : يا أمير المؤمنين ؟ لم يسكن ذلك مني بالقصد للغناه ، ولكنني كنت
أشمعت هذا الخزوجي - يعني صاحبه - صوتين ، فلم يزالا في قلبي حتى التقينا ،
فأحبببت أن يأخذها عنى فأخذها ، وحلف أني أحسنت ، وأنه لو كان في الموضع
أمير المؤمنين خلعم على - وسكت .

(١) صرمتة ، وصارمته : قاطعته . (٢) سِعاية : وشایة . (٣) ابن جرّيج : وهو عبد الملك ابن عبد العزيز بن جرّيج ، ويكنى أبا الوليد .

قال الرشيد : تركتَ من الحديث شيئاً ؟ قال : ماتركتُ شيئاً يا أمير المؤمنين !
قال : والله لتقولَنَّ . قال : يا أمير المؤمنين ؟ زعم أنك لو كنتَ في موضعه خلعت
على ثياباً مشقوقة طرَبَاً !

فتبسم ، وقل : أَمَّا هذَا فلَا ، ولَكِنْ نَخْلُعُهَا عَلَيْكَ صَحِيحَةً ، فَهِيَ خَيْرٌ لَكَ !
ثم دعا بثياب فليسها ونبذَ إِلَيْهِ ثيابَهُ ، وأمرَ له بعشرين ألف درهم ولصاحبه
بعشرةَ آلَاف درهم !

وقال : لا تعودَنَّ هذَا . قال صاحبه : إِلَّا أَنْ يَحْجُجَ أمير المؤمنين ثانية .
فضحِلَّ وقل : أَلْحَقُوهُ بِصَاحْبِهِ فِي الْجَائِزَةِ !

* ٣٢ - شِعْرُ رَقِيق*

قال إِسْحَاقُ الْوَصْلِيُّ : حَضَرَ مَسَامِرَةُ الرَّشِيدِ عَبْرَ الْمَغْنَى - وَكَانَ فَصِيحَّاً مَتَادِبَاً ،
عَلَى الشِّعْرِ ، ذَا صَوْتٍ حَسَنٍ - فَقَدَا كَرَوْا رِقَّةً شِعْرَ الْمَدْنِينَ ، فَأَنْشَدَ بَعْضُ
جَلْسَانَهُ أَبِيَاتًا لَا بَنَ الدَّمِيَّةَ حِيثُ يَقُولُ :

وَأَذْكُرْ أَيَامَ الْحِمَى ثُمَّ أَنْتَنِي عَلَى كَبْدِي مِنْ خَشِيَّةٍ أَنْ تَصَدَّعَ^(١)
وَلِيَسْتَ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوْاجِعٍ عَلَيْكَ ، وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِيكَ تَدْمِعَا
بَكَتْ عَيْنَيَ الْيَنِيِّ فَلَمَّا زَجَرْتُهَا عَنِ الْجَهْلِ بِمَدِ الْحَلْمِ أَسْبَلْتَهَا مَعَا

وَأَعْجَبَ الرَّشِيدَ بِرِقَّةِ الْأَبِيَاتِ ، قَالَ لَهُ عَبْرَرُ : يَا مِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ إِنَّ هَذَا
مَدْنِيُّ رَقِيقٌ ، قَدْ غَذَى بَمَاءَ الْعَقِيقِ ، حَتَّى رِقَّ وَصَفَا ، فَصَارَ أَصْفَى مِنَ الْهَوَاءِ ؛
وَلَكِنْ إِنْ شَاءَ مِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْشَدَهُ مَا هُوَ أَرْقَ مِنْ هَذَا وَأَحْلَى ، وَأَصْلَبُ وَأَقْوَى
لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَّةِ ! قَالَ : فَإِنِّي أَشَاءَ . قَالَ : وَأَتَرَمُ بِهِ يَا مِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ :
وَذَلِكَ لَكَ ، فَغَنِيَ لَجَرِيرُ :

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِلُبْكَ غَادُوا وَشَلَّا^(٢) بَعْيَنِكَ لَا يَزَالُ مَعِينَا
غَيْضَنَ^(٣) مِنْ عَبَرَاتِنَّ وَقَانَ لِي : مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْمَسْوَى وَلَقِينَا
قَالَ : صَدَقْتَ يَا عَبْرَرُ ، وَخَلَمْ عَلَيْهِ وَأَجَازَهُ .

* العقد الفريد : ٤ - ١٠٩

(١) أصله تتصدعا . (٢) الوشن : القليل من الدمع والــكثير منه . (٣) غيضن من عبراتهن : سيلن دموعهن حتى نزفتها ، ومن هنا للتبسيط أو زائدة .

* ٣٣ — صَوْتُ بَدْرِهِمِينَ *

قَدِيمٌ إِسْمَاعِيلُ^(١) بْنُ الْهِرَبِيْذُ عَلَى الرَّشِيدِ مِنْ مَكَّةَ ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ وَعِنْدَهُ أَبُو جَامِعٍ
وَإِبْرَاهِيمَ وَابْنِهِ إِسْحَاقَ وَفُلَيْحَ وَغَيْرَهُمْ ، وَالرَّشِيدُ يَوْمَئِذٍ خَافِرُ^(٢) ، فَغَنِيَ ابْنُ جَامِعٍ
ثُمَّ فُلَيْحُ ثُمَّ إِبْرَاهِيمُ ثُمَّ إِسْحَاقُ ، فَمَا خَرَّكَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَا أَطْرَبَهُ ؛ فَانْدَفَعَ ابْنُ
الْهِرَبِيْذُ يُغْنِي ، فَجَبَوْا مِنْ إِقْدَامِهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ عَلَى الرَّشِيدِ ، فَغَنِيَ :
يَارَا كِبَّ الْعِيسِ^(٣) الَّتِي وَفَدَتْ مِنَ الْبَلَدِ الْحَرَامِ .
قَلَ لِلإِمَامِ ابْنِ الإِمَامِ مَأْخِي الإِمَامِ أَبِي الإِمَامِ
زَيْنِ الْبَرِيَّةِ إِذْ بَدَا فِيهِمْ كَصْبَاحُ الظَّلَامِ .
جَمَلُ الْإِلَهِ الْهِرَبِيْذِيِّ فِدَاكَ مِنْ بَيْنِ الْأَنَامِ .
فَكَادَ الرَّشِيدُ يَرْقُضُ ، وَاسْتَخْفَهُ الْطَّرْبُ حَتَّى ضَرَبَ بِيَدِيهِ وَرِجْلِيهِ ، ثُمَّ أَمْرَهُ
بِعَشْرَةِ آلَافِ درَمٍ . قَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ إِنَّ هَذَا الصَّوْتَ حَدَّبَنَا ؛ فَإِنَّ أَذْنَنِ
مُولَى حَدَّثَنَا بِهِ ؛ قَالَ : حَدَّثَ .

قَالَتْ : كَسْتُ مَلُوكًا لِرَجُلٍ مِنْ وَلَدِ الزَّبِيرِ ؛ فَدَفَعَ إِلَيَّ دَرَمِينَ أَبْتَاعَهُمَا لِهِمَا ،
فَرُحِّتُ فَلَقِيتُ جَارِيَةً عَلَى رَأْسِهَا جَرَّةً مَلُوكَةً مِنْ مَاءِ الْعَقِيقِ ، وَهِيَ تُغْنِي هَذِهِ
الْأَنْجُونَ فِي شِعْرٍ غَيْرِ هَذَا الشِّعْرِ عَلَى وَزْنِهِ وَرَوْيَهُ ، فَسَأَلَتْهَا أَنْ تَعْلَمَنِيهِ ؛ قَوْلَتْ :

* الأغاني : ٧ - ١٠٤ *

(١) إِسْمَاعِيلُ بْنُ هَرَبِيْذُ : مَوْلَى آلِ الزَّبِيرِ بْنِ الْعَوَامِ ، أَدْرَكَ آخِرَ أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَغَنِيَ الْوَلِيدُ بْنُ
هَرَبِيْذُ ، وَعُمِرَ لَى آخِرِ أَيَّامِ الرَّشِيدِ . (٢) خَرَثَتْ نَفْسُهُ : غَثَتْ وَنَفَلَتْ وَاخْتَلَطَتْ .

(٣) الْعِيسِ : الْإِبْلُ .

لَا وَحْقُ الْقَبْرِ إِلَّا بِدِرْهَمَيْنِ ؛ فَدَفَعَتْ إِلَيْهَا الدِّرْهَمَيْنِ وَعَلَمَتْنِيهِ، فَرَجَعَتْ إِلَى مَوْلَائِي
بَغْيَرِ لَحْمٍ، فَضَرَبَنِي ضَرَبًا مِنْهُ حَسْعِلَتْ مَعَهُ بِنَفْسِي فَأَنْسَيْتُ الصَّوْتَ .

ثُمَّ دَفَعَ إِلَى دِرْهَمَيْنِ آخَرَيْنِ بَعْدَ أَيَّامٍ أَبْتَاعَ لَهُ بَهْمَا لَحْمًا، فَلَقِيَنِي الْجَارِيَةُ فَسَأَلَتْهَا
أَنَّ تَعِيدَ عَلَى الصَّوْتِ ؛ فَقَالَتْ : لَا وَاللهِ إِلَّا بِدِرْهَمَيْنِ، فَدَفَعَتْهَا إِلَيْهَا، وَأَعْدَدَهُ عَلَى
مَرَارًا حَتَّى أَخَذَهُ .

فَلَمَّا رَجَعَتْ إِلَى مَوْلَائِي أَيْضًا وَلَا لَحْمًا مَعِي، قَالَ : مَا الْقَصَّةُ فِي هَذِينِ الدِّرْهَمَيْنِ؟
فَصَدَّقَتِهِ الْقَصَّةُ، وَأَعْدَدَتْ عَلَيْهِ الصَّوْتَ، فَقَبَّلَ بَيْنِ عَيْنَيْهِ وَأَعْتَقَنِي ؛ فَرَحَلَتْ إِلَيْكِ
بِهَذَا الصَّوْتِ، وَقَدْ جَعَلَتْ ذَلِكَ الْلَّهْنَ فِي هَذَا الشِّعْرِ، قَالَ : دَعِ الْأُولَى وَتَنَاسَهُ،
وَأَقْمَ عَلَى الْفَنَاءِ بِهَذَا اللَّهْنِ فِي هَذَا الشِّعْرِ، فَأَمَّا مَوْلَاكَ فَسَادَفَ إِلَيْهِ بَدْلَ كُلِّ درَهم
أَلْفَ دِينَارٍ، ثُمَّ أَمْرَ لَهُ بِذَلِكَ فَحُمِّلَ إِلَيْهِ .

٣٤ - أم جعفر تتوخ على الرشيد*

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

سمعت نائحة تتوخ بهذا الشعر^(١) :

قد لعمرى بت ليلى كأختي الداء الوجع
 وننجى المم مينى بات أدنى من ضلوعى
 كلما أبصرت ربنا دارسا^(٢) فاخت دموعى
 مفيرا من سيدى كان لنا غير مضيع

فلا سمعته منها استحسنته واحتسيته ، ولهبت به ، فكنت أترتم به كثيراً ،
 فسمع ذلك مني أبي ، فقال : ما تصنع بهذا ؟ قلت : شعر قاله الأخصوص وصنعيه
 معبد لسلامة ، وناحت به سلامة على يزيد .

ثم ضرب الدهر^(٣) ؛ فلما مات الرشيد إذا رسول أم جعفر قد وافقني فأمرني
 بالحضور . فسررت إليها ؛ فبعثت إلى : إنى قد جمعت بنات الخلفاء وبنات هاشم
 لتوخ على الرشيد في ليقنا هذه ؛ قل الساعة أبيانا رقيقة ، وأصنعن صنعة حسنة
 حتى أنوح بهن .

* الأغاني : ٨ - ٣٤٨

(١) الشعر للأخصوص والتوخ لمعبد ، وكان صنعه لسلامة ، وناحت به سلامة على يزيد بن عبد الملك . (٢) الدارس : العاف الذي اخى . (٣) ضرب الدهر بيتنا : فرقنا .

فأردتُ نفسي على أن أقول شيئاً ما حضرني ، وجعلتُ ترسل إلى تهشى ،
فذكرتُ هذا النوح ، فرأيتُ أني أصنع شيئاً ، ثم قلت : قد حضرَنِي القول ، وقد
صنعتُ فيه ما أمرت ، فبعثتُ إلى بكنيزَة ، وقالت : طارِحها حتى ظارِحِيه ،
فأخذتْ كنيزَة العودَ ورددته عليهما حتى أخذته ، ثم دخلت فطارحته أم جعفر ،
فبعثتُ إلى عائنة ألف درهم وماة ثوب .

٣٥ — أَمَا إِلَيْك سَبِيلٌ غَيْر مَسْدُوداً*

قال إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيُّ : لَمَ أَفْضَلَتِ الْخَلَافَةَ إِلَى الْمُؤْمِنِ أَقْأَمَ عَشْرِينَ
شَهْرًا لَمْ يَسْمَعْ حَرْقَانًا مِنَ الْغِنَاءِ ؛ ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَنْ تَفَضَّلَ بِحُضُورِهِ أَبُو عَيسَى ، ثُمَّ
وَاضْطَرَّ عَلَى السَّمَاعِ ، وَسَأَلَ عَنِ ، فَبَرَّحَنَ عَنْهُ بَعْضُ مَنْ حَسَدَنِي ؛ فَقَالَ : ذَلِكَ
رَجُلٌ يَتَّبِعُهُ عَلَى الْخَلَافَةِ ؛ فَقَالَ الْمُؤْمِنُ : مَا أَبْقَى هَذَا مِنَ التَّيِّهِ شَيْئاً ، وَأَمْسَكَ
عَنِ ذِكْرِي .

وَجَفَانِي كُلُّ مَنْ كَانَ يَصِلُّنِي لِمَا ظَهَرَ مِنْ سُوءِ رَأِيهِ ؛ فَأَضْرَرَ ذَلِكَ بِي حَتَّى
جَاءَنِي يَوْمًا عَلَوِيهِ ، قَالَ لِي : أَتَأْذُنُ لِي الْيَوْمِ فِي ذِكْرِكَ ، فَإِنِّي الْيَوْمِ عَنْهُ ؟
قَلَّتْ : لَا ، وَلَكِنْ غَنَّهُ بِهَذَا الشِّعْرِ ؛ فَإِنَّهُ سَيَعْنَهُ عَلَى أَنْ يَسْأَلَكَ : مِنْ أَينْ هَذَا ؟
فَيُنْفَتَحُ لَكَ مَا تَرِيدُ ، وَيَكُونُ الْجَوابُ أَمْثَلُ عَلَيْكَ مِنَ الْابْتِداءِ ؛ فَفَضَى عَلَوِيهِ ،
فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَجْلِسُ غَنَّاهُ الشِّعْرُ الَّذِي أَمْرَتُهُ بِهِ ، وَهُوَ
يَا مَشْرَعَ الْمَاءِ قَدْ سُدَّتْ مَسَالِكَهُ أَمَا إِلَيْك سَبِيلٌ غَيْرُ مَسْدُودٍ !

لِحَائِمٍ حَارَ حَتَّى لَا حَيَاةَ بِهِ مَشْرِدٌ عَنْ طَرِيقِ الْمَاءِ مَطْرُودٌ

فَلَمَّا سَمِعَهُ الْمُؤْمِنُ : قَالَ : وَيْلَكَ ! لِمَنْ هَذَا ؟ قَالَ : يَا سَيِّدِي ، لَمْ يَبْدِ
مِنْ عَيْدِكَ ، جَفَوْتَهُ وَاطَّرَحْتَهُ ، قَالَ : إِسْحَاقُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ :
لِي حُضُورُ السَّاعَةِ .

قال إِسْحَاقُ : فَجَاءَنِي الرَّسُولُ ، فَسَرَّتُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا دَخَلْتُ قَالَ : أَدْنُ ، فَدَنَوْتُ فِرْفَعَ يَدِيهِ وَقَدْ مَدَّهَا ، فَاتَّكَأْتُ عَلَيْهِ ؛ فَاحْتَضَنَنِي يَدِيهِ ؛ وَأَظْهَرَ مِنْ إِكْرَامِ وِرْتَى مَالُو أَظْهَرَهُ صَدِيقٌ لِي مُؤَاسٍ لَسْرَنِي .

* ٣٦ — عَنْدَ مُخَارِقَ

قال بعضُ الرُّوَاةِ : كُنْتُ عَنْدَ مُخَارِقَ^(١) أَنَا وَهَارُونَ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ هَشَامَ ، قُلْبُ مَعْ هَارُونَ بِالنَّزْدِ ، فَقَمَرَةُ^(٢) مُخَارِقَ ، وَمَرَّ بِهَارُونَ فَصِيلُ^(٣) يَنَادِي عَلَيْهِ ، فَاشْتَرَاهُ بِأَرْبَعَةِ دَنَارِيَّةٍ ، وَوَجَهَ بِهِ إِلَى مُخَارِقَ ، وَقَالَ : أَطْعَمْنَا مِنْ هَذَا الْفَصِيلِ . فَاجْتَمَعْنَا وَطَبَخْ مُخَارِقَ بِيَدِهِ جَزْوِرِيَّةً ، وَعَمِلْ مِنْ سَنَامَهُ وَكَبْدَهُ طَعَامًا شُوَى فِي التَّنَورِ ، وَعَمِلَ مِنْ لَحْمِهِ لَوْنَا يُشَبِّهُ الْأَهْرِيسَةَ بِشَعِيرٍ مُقْسَرٍ فِي نَهَايَةِ الطَّيِّبِ ، فَأَكَلْنَا وَجَلَسْنَا نَشَرِبُ ؟ فَإِذَا نَحْنُ بِأَمْرِ اُنْتِ تَصْبِحُ مِنَ الشَّطَّ : يَا أَبَا الْمَهْنَأَ ، اللَّهُ ، اللَّهُ فِي ! حَلَفَ زَوْجِي بِالْطَّلاقِ أَنْ يَسْمَعْ غَنَاءَكَ وَيَشْرَبَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : اذْهِبِي وَجِئِي بِهِ ، فَجَاءَ فَجَلَسَ ، فَقَالَ لَهُ : مَا حَمَلْتَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ فَقَالَ لَهُ : يَا سَيِّدِي ؟ كُنْتُ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ صَنْعَتِكَ فَطَرَبْتُ عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَخَفَنَى الْطَّرَبَ ، خَلَفْتُ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ شَفَةً يَإِجَابَتْكَ رَغْبَةً زَوْجِي ؟ فَقَالَ : وَمَا هَذَا الصَّوتُ ؟ فَقَالَ :

* الأُغَانِيُّ : ٢١ - ١٥١

(١) هو أبو المهنأ بن يحيى ، منشأه بالمدينة ، وكان أبوه جزاراً ، فكان وهو صبي ينادي على ما يبيعه أبوه ، فلما بان طيب صوته علمته مولاته طرفاً من الغناء ثم اشتهر أمره وغنى الرشيد والأمين والمؤمن والمعتصم والوافق ، توفى أيام المتوكل . (٢) غالب .

(٣) الفصيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمها .

بَكْرَتْ عَلَيْكَ فَهِيجَتْ وَجْدًا هُوجُ^(١) الْرِّيَاحِ وَأَذْ كَرْتْ نَجْدًا
 أَنْجَنَّ مِنْ شَوْقٍ إِذَا ذُكِرْتْ نَجْدًا وَأَنْتَ تَرْكَتْهَا عَمَدًا !
 فَنَاهَ إِيَاهُ ، وَسَقَاهُ رَطْلًا ، وَأَمْرَهُ بِالْاِنْصَرَافِ ، وَنَاهَ أَنْ يَعَاوِدْ ؛ نَفْرَجَ .

قَالَ الرَّاوِي : فَالْبَلَى أَنْ عَادَتِ الْمَرْأَةُ تَصْرَخُ : اللَّهُ ، اللَّهُ فِي يَا أَبَا الْمَهْنَدَا ! قَدْ
 أَعْادَ زَوْجِي الْمَشْتُومِ الْمَيْنِ ؟ أَنْ تَفْنِيهِ صَوْتًا آخَرَ ؟ فَقَالَ لَهَا : أَحْضِرْهِ ، فَأَحْضَرْتَهُ
 أَيْضًا ، فَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ ! مَالِي وَلَكَ ؟ مَا قِصْتُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : يَا سَيِّدِي ؟ أَنَا رَجُلٌ
 طَرُوبٌ ، وَكُنْتُ قَدْ سَمِعْتُ صَوْتًا لَكَ آخَرَ فَاسْتَفَزَّنِي الْطَّرُوبُ إِلَى أَنْ حَلَفْتُ بِالْطَّلاقِ
 ثَلَاثَةَ أَنِي أَسْمَعْهُ مِنْكَ ، قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : لَحْنُكَ :

أَبْلَغْ سَلَامَةَ أَنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَأَ^(٢) وَأَنَّ صَحْبَكَ عَنْهَا رَأَخْوَنْ غَدَا
 هَذَا الْفِرَاقُ يَقِينًا إِنْ صَبَرْتَ لَهُ أَوْلَا فَإِنْكَ مِنْهَا مَيْتَ كَمَدَا
 لَا شَكَّ أَنَّ الَّذِي بِي سُوفَ يُهْلِكُنِي إِنْ كَانَ أَهْلَكَ حُبًّا قَبْلَهُ أَحْدَا
 فَنَاهَ إِيَاهُ مُخَارِقَ ، وَسَقَاهُ رَطْلًا وَقَالَ لَهُ : احْذَرْ ، وَيْلَكَ أَنْ تَعَاوِدْ .

قَالَ الرَّاوِي : وَلَمْ تَلْبِثْ أَنْ عَاوَدَتِ الصَّيَاحَ تَصْرَخُ : يَا سَيِّدِي ! قَدْ عَاوَدْ
 الْمَيْنِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي وَفِي أَوْلَادِي ! قَالَ : هَاتِيهِ ، فَأَحْضَرْتَهُ ، فَقَالَ لَهَا : اِنْصَرِفْ
 أَنْتَ ؟ فَإِنْ هَذَا كَلَا اِنْصَرِفْ حَلْفُ وَعْدَ ، فَدَعِيهِ يَقِيمْ يَوْمَ كَلَهُ ، فَتَرْكَتْهُ وَانْصَرَفَ ،
 قَالَ لَهُ مُخَارِقَ : مَا قِصْتُكَ أَيْضًا ؟ قَالَ : قَدْ عَرَّفْتُكَ يَا سَيِّدِي أَنِّي رَجُلٌ طَرُوبٌ ،
 وَكُنْتُ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ صَنْعِكَ فَاسْتَخْفَنِي الْطَّرُوبُ لَهُ ، خَلَفْتُ أَنِي أَسْمَعْهُ مِنْكَ ،
 قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ :

أَلِفَ الظَّبَّيُّ بِعَادِي وَنَفَّ الْمُمُّ رَقَادِي

(١) هُوجُ الْرِّيَاحُ : شَدِيدُ الْرِّيَاحِ . (٢) أَفْدَأَ : دَنَ ، وَأَزْفَ .

وَعَدَاهُ الْمَهْجُورُ عَلَى الْوَصْلِ بِأَسِيفٍ حِدَادٍ
قُلْ لَمْ نَرَيْنَا وَدَىٰ : لَسْتَ أَهْلًا لِوَدَادِي
فَقَنَاهُ إِيَاهُ وَسَقَاهُ رَطَّلًا ، ثُمَّ أَمْرَبَهُ فُبِطْحٌ ، وَأَمْرَبَضَرَبَهُ خَسِينٌ مِقْرَعَةً^(١) ، وَهُوَ
يَسْتَغْيِثُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : اخْلِفْ أَنِّكَ لَا تَذَكَّرْنِي أَبْدًا ، وَإِلَّا كَانَ هَذَا دَأْبُكَ إِلَى
اللَّيْلِ ، خَلَفَ عَلَى مَا أَمْرَبَ بِهِ ، ثُمَّ أَقِيمَ فَأَخْرَجَ عَنِ الدَّارِ ، فَجَعَلَنَا نَضْحِكَ بَقِيَة
يَوْمَنَا مِنْ تُحْمِقَهُ .

(١) أَصْلُ الْمِقْرَعَةِ مَا تَقْرَعُ بِهِ الدَّابَّةُ .

٣٧ — مفارق يغنى لأبي العطاية في شعره*

حدَّثْ مفارق ، قال : جاءني أبو العطاية ، فقال : قد عزمتُ على أن أتزوجَ
منك يوماً تَهْبِهُ لى فتى تنشط ؟ قلت : متى سِنْتَ وإن طلبني الخليفة ، فقال :
يكون ذلك في غد ؟ قلت : أَفْلَ .

فَلَمَّا كَانَ مِنْ غَدَ بَأْكَرَنِي رَسُولُهُ فِجْتَهُ ، فَأَدْخَلَنِي يَيْتَاهُ لِهِ فَرَشْنُ نَظِيفٍ ، ثُمَّ
دَعَا بِمَايَنَةٍ عَلَيْهَا خُبْزٌ سَمِيدٌ^(١) وَخَلٌّ وَبَقْلٌ وَمِلحٌ وَجَذْبٌ مَشْوِيٌّ ، فَأَصْبَنَنِي مَنْهُ حَتَّى
أَكْتَفِيَنِي ، ثُمَّ دَعَا بِحَلْوَاءٍ فَأَصْبَنَنِي مِنْهَا ، وَغَسَلَنِي أَيْدِينِي ، وَجَاءُونِي بِنَافَّاكَهَةٍ وَرَيْحَانَ
وَأَلْوَانَ مِنَ الْأَنْبِيَّدَةِ ، فقال : أَخْتَرْ مَا يَصْلُحُ لَكَ مِنْهَا ، فَاخْتَرْتُ وَشَرِبْتُ ؟ قَدْ حَانَمْ
قال : غَنَّى فِي قَوْلِي :

أَحَمْ قال لِي وَلَمْ يَدْرِ مَا بِي أَتَحْبَّ الْفَدَاهَ عُتْبَةَ حَقًا !

فَغَنَّيَتْهُ ، فَشَرَبْ قَدْحًا وَهُوَ يَبْكِي أَحَرَّ بَكَاءً ، ثُمَّ قال : غَنَّى فِي قَوْلِي :
لَيْسَ لَنْ لَيْسَ لَهُ حِيلَةٌ مَوْجُودَةٌ خَيْرٌ مِنَ الصَّبَرِ
فَغَنَّيَتْهُ وَهُوَ يَبْكِي وَيَنْشِجْ^(٢) ، ثُمَّ شَرَبْ قَدْحًا آخَرَ ، ثُمَّ قال : غَنَّى فَدِيقَكْ
فِي قَوْلِي :

خَلِيلِي مَالِي لَا تَرَالُ مَضَرَّتِي تَكُونُ مَعَ الْأَقْدَارِ حَتَّى مَنْ الْحَتْمِ
فَغَنَّيَتْهُ إِيَاهُ ، وَمَا زَالَ يَقْتَرَحُ عَلَيْهِ كُلَّ صَوْتٍ غَنَّى بِهِ فِي شِعْرِهِ فَأَغْنَيَهُ وَيَشْرَبْ
وَيَبْكِي حَتَّى الْعَقْمَةِ^(٣) ، فقال : أَحَبْ أَنْ تَصْبِرَ حَتَّى تَرَى مَا أَصْنَعُ . فَجَلَسَتْ ، فَأَمْرَ

* الأغاني : ٤ - ١٠٧

(١) السميد : الدقيق الأبيض . (٢) نشج الباكى : غص بالبكاء في حلقة من غير انتداب .

(٣) العقمة : وقت صلاة العشاء .

ابنه وغلامه فـ كسر كل ما بـ يدينا من النبيذ والـ آله والـ ملاهي ، ثم أمر باخراج كل ما في بيته من النبيذ والـ آله ، فـ أخرج جـ جميعه ، فـ ما زال يـ كسره ويـ صبـ النبيذ ، وهو يـ بكـ حتى لم يـ بقـ من ذلك شـيء ، ثم نـزع ثـيابـه واغـسلـ ، ثم لـبس ثـيابـاً يـ بـضاً من صـوفـ ، ثم عـاقـفـني وـ بكـ ، ثم قال : السلام عليك يا حـبيـبي سـلامـ الفـراقـ الـذـى لا لـقاءـ بـعـدهـ ، وـ جـعلـ يـ بكـ وـ قالـ : هـذا آخرـ عـهـدـي بـكـ . فـ ظـنـتـ أـنـها بـعـضـ حـماـقاتـهـ .

فـ انـصرفـتـ وـ ما لـقيـتهـ زـمانـاً ، ثم تـشـوقـتـ إـلـيـهـ فـأـتيـتـهـ ، فـ اسـتـأـذـنـتـ عـلـيـهـ ، فـأـذـنـ لـيـ ، فـ دـخـلتـ فـإـذـا هو قـدـ أـخـذـ قـوـصـرـتـينـ^(١) ، وـ تـقـبـ إـحـداـهـاـ ، وـ أـدـخـلـ رـأـسـهـ وـ يـدـيهـ فـيـهاـ ، وـ أـقـامـهـاـ مـقـامـ الـقـميـصـ ، وـ تـقـبـ أـخـرىـ ، وـ أـخـرجـ رـجـلـيهـ مـنـهاـ ، وـ أـقـامـهـاـ مـقـامـ السـراـوـيلـ .

فـلـما رـأـيـتـهـ نـسيـتـ كـلـ ما كـانـ عـنـدـيـ مـنـ الـفـمـ عـلـيـهـ وـ الـوـحـشـةـ لـعـشرـتـهـ ، وـ ضـحـكـتـ وـ اللهـ ضـحـكـاـ ما ضـحـكـتـ مـثـلـهـ قـطـ . فـ قـالـ : مـنـ أـئـىـ شـيءـ تـضـحـكـ ؟ فـ قـلـتـ : أـسـخـنـ^(٢) اللهـ عـيـنـكـ ! هـذا أـئـىـ شـيءـ هوـ ؟ مـنـ بـلـفـكـ عـنـهـ أـنـهـ فـعـلـ مـشـلـ هـذاـ مـنـ الـأـنـبـيـاءـ وـ الـزـهـادـ وـ الصـحـابـةـ وـ الـمـاجـنـيـفـ ! اـنـزـعـ عـنـكـ هـذاـ يـاسـخـينـ الـعـيـنـ ! فـ كـلـأـنـهـ اـسـتـحـيـاـ مـنـيـ .

ثـمـ بـلـفـنـيـ أـنـهـ جـلـسـ حـجـاماًـ ، فـ جـهـدـتـ أـنـ أـرـاهـ بـقـلـكـ الـحـالـ ، فـلـمـ أـرـهـ ، ثـمـ مـرـضـ فـبـلـفـنـيـ أـنـ أـغـنـيـهـ ، فـأـتـيـتـهـ عـائـدـاًـ ؛ فـ خـرـجـ إـلـيـهـ رـسـولـهـ يـقـولـ : إـنـ دـخـلتـ إـلـيـ جـدـدـتـ لـيـ حـزـنـاًـ ، وـ تـاقـتـ نـفـسـيـ مـنـ سـمـاعـكـ إـلـيـ ما قـدـ غـلـبـتـهاـ عـلـيـهـ ، وـ أـنـأـسـتـوـدـعـكـ اللهـ ، وـ أـعـتـذرـ إـلـيـكـ مـنـ عـدـمـ الـلـقـاءـ ، ثـمـ كـانـ آخـرـ عـهـدـيـ بـهـ .

(١) القوصرة: وعاء من قصب يوضع فيه المتر . (٢) أـسـخـنـ اللهـ عـيـنـهـ : أـبـكـاهـ وـأـحـزـنـهـ .

* ٣٨ — المُفْنُونَ عِنْدَ الْوَاقِفِ

تناول المُفْنُونَ يوْمًا عِنْدَ الْوَاقِفِ ، فَذَكَرُوا الصَّرَابَ وَحِذْقَمَ ؛ فَقَدَمَ إِسْحَاقَ زَلْزَلًا^(١) عَلَى مُلْاحِظٍ ، وَمُلْاحِظٍ فِي ذَلِكَ الرِّيَاسَةِ عَلَى جَمِيعِهِمْ ، قَالَ لَهُ الْوَاقِفُ : هَذَا حَيْفٌ وَتَعَدِّيْ مِنْكَ ؟ قَالَ إِسْحَاقُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ اجْمَعَ بَيْنَهُمَا وَامْتَحِنُهُمَا ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ سَيِّدٌ كَشْفُ لَكَ فِيهِمَا ، فَأَمْرَ بِهِمَا فَأَخْضَرَا ؛ قَالَ لَهُ إِسْحَاقُ : إِنَّ لِلصَّرَابِ أَصْوَاتًا مَعْرُوفَةً ، أَفَمْتَحِنُهُمَا بِشَيْءٍ مِنْهُمَا ؟ قَالَ : أَجَلُ ، افْعُلُ ، فَسَمَّى نَلَاثَةً أَصْوَاتٍ كَانُ أَوْلَاهَا :

عَلَقَ قَلْبِي ظَبَيْهَ السَّيْبَ ^(٢)	جَهَلَ قَدْ أُغْرِيَ بِتَعْذِيبِ
بَمَتْ عَلَيْهَا حِينَ مَرَّتْ بِنَا	بَمَسِيدِ ^(٣) يَنْفَخْنَ بِالطَّيْبِ
تَصْدُّعَنَا عَجُوزُهَا	مُنْكَرَةً ^(٤) ذَاتُ أَعْجَابِ
فَكَلَمًا هَمَتْ ^(٥) بِإِتِيَانِهَا	قَالَتْ تَوَقِّيْعَدُوْزَ الدَّذِيبَ ^(٦)

فَضَرَبَ عَلَيْهِ ، فَقَدَمَ زَلْزَلَ وَقَصَّرَ عَنْهُ مُلْاحِظَ ، فَعَجَبَ الْوَاقِفُ مِنْ كَشْفِهِ عَمَّا ادْعَاهُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ . قَالَ لَهُ مُلْاحِظٌ : فَمَا بِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُحِيلُكَ عَلَى النَّاسِ ! وَلَمْ يُضْرِبْ هُوَ ! قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدُ فِي زَمَانِي أَضْرَبَ مِنْ

* الأغاني : ٥ - ٢٨٠

(١) كان زلزل من سواد أهل الكوفة، وقفه إبراهيم الموصلى على القناة العربية، وأراه وجوه النغم وتفقه، ثم أصبح بعد ذلك من حذائق الصراب. (٢) السيب: كورة من سواد الكوفة. (٣) المحسد: القمchan الذى صبغت بالزعفران. (٤) مكررة: مبغضة مكرورة

(٥) همت: همت، وهم بالشيء: أراده ونواه. (٦) الذيب: الذئب.

إلا أنكم أعفيتمني ؛ فقلت مِنِي ، على أن معى بقية لا يتعلّق بها أحدٌ من هذه
الطبقة .

ثم قال : يا ملاحظ ؟ شَوْشُ عودك وها ته ، فجعل ذلك ملاحظ : قال : يا أمير المؤمنين ؛ هذا يخلط الأوتار تخليط متعنت ، فهو لا يأثر إفسادها ، ثم أخذ العود فجسسه
ساعة حتى عرف موافقه ، ثم قال : يا ملاحظ ؟ غَنَّ أى صوت ، فجئ ملاحظ
صوتا ، وضرب إسحاق بذلك العود الفاسد التسوية ، فلم يخرج جه عن لحيته في موضع
واحد حتى استوفاه عن نقرة واحدة ، ويده تصعد وتتحدر على الدساتين ^(١) ،
فقال له الواقع : لا والله ما رأيت مثلك ولا سمعت به اطرح هذا على
الجواري .

قال : هيهات يا أمير المؤمنين ! هذا لا تعرفه الجواري ولا يصلح لهن ، إنما
بلغني أن الفهليذ ضرب يوماً بين يدي كسرى فأحسن ، فخسده رجل من حُذَّاق
أهل صنعته ، فترقبه حتى قام لبعض شأنه ، ثم خالقه إلى عود فشوش بعض أوتاره ،
فرجم فضرب وهو لا يدرى ، وللملوك لا تصلح في مجالسها العيدان ، فلم ينزل بضرب
ذلك العود الفاسد إلى أن فراغ ، ثم قام على رجله فأخبر الملك بالقصة ، فامتحن
العود فعرف مافيه ، ثم قال : « زه زه ^(٢) وزهان زه » ، ووصله بالصلة التي كان يصل
بها من خطبه هذه الخطابة ؛ فلما تواتأت الرواية بهذا أخذت نفسى ورُضتها عليه ،
وقلت : لا ينبغي أن يكون الفهليذ أقوى على هذا مِنِي ، فازلت أستنبطه بضع

(١) الدساتين : ما عليه أطراف أو تار العود من مقدمة .

(٢) كلة فارسية معناها أحسنت أحست .

عشرة سنة حتى لم يبق في الأرض موضع على طبقة من الطبقات إلا وأنا أعرف
نفمتَه كيف هي ، والمواضع التي يخرج النعم كلها منه فيها ، من أعلىها إلى أسفلها ،
وكل شيء منها يُجَانِس شيئاً غيره كما أعرف ذلك في مواضع البداسين ، وهذا شيء
لا تفهُمُ^(١) به الجنواري . قال له الواشق : صدقت ، ولئن مُتْ لَمْ تَوْقَنْ هذه الصناعة
معك ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

* ٣٩ - في دارِ الواشق*

حدث ابن بُسْخَنْرَ ، قال : كانت لي نوبة في خدمة الواشق في كل جمعة فإذا حضرت ركبت إلى الدار ؛ فإن نشط أقت عنده ، وإن لم ينشط انصرف ، وكان ربّهنا ألا يحضر أحد منا إلا في يوم نوبته .

فأني لقي منزلي في غير يوم نوبتي فإذا رُسْلُ الْخَلِيفَةِ قد هجموا علىَّ ، وقالوا لي : احضر ! قلت : أَلِخَيْر ؟ قالوا : خير ، قلت : إن هذا يوم لم يحضرنا فيه أمير المؤمنين فقط ، ولعلكم غلطتم . قالوا : الله المستعان ! لاتطولوا وباذر ، فقد أمرنا ألا ندعك تستقر على الأرض . فدخلت فزع شديد ، وخفت أن يكون ساع قد سعى بي أو بليلة قد حدثت في رأي الخليفة علىَّ .

فركبت حتى وافيت الدار ؛ فذهبت لأدخل من حيث كنت أدخل فلم يفتح ، وأخذ بيدي الخدم فأدخلوني وعذلوا بي إلى ممرات لا أعرفها ، فزاد ذلك في جزع وغمى ، ثم لم يزل الخدم يسلونني من خدم إلى خدم ، حتى أفضيت إلى دار مفروشة الصحن ، ملبسة الحيطان بالوشي المنسوج بالذهب ، ثم أفضيت إلى رواق أرضه وحيطانه ملبسة بمثل ذلك ، وإذا الواشق في صدره على سرير مرصع بالجوهر ، وعليه ثياب منسوجة بالذهب وإلى جانبيه فريدة^(١) ، جاريته ، عليها مثلثيات ، وفي حجرها عود . فلما رأني قال : إلينا إلينا ! فقلت الأرض ثم قلت :

يا أمير المؤمنين ؟ خيراً ! قال : خيراً ، أما ترَانا ! أنا طلبتُ والله ثالثاً يُؤْسِنَا فلم أرْ
أحقَّ بذلك منك ، فبِحِيَاتِي بادِرْ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَبادِرْ إِلَيْنا . قلتُ : قد والله
يا سيدِي أَكَلْتُ وَشَرَبْتُ أَيْضًا ، قال : فاجلسْ ، فجلسْتُ . قال : هاتوا لَهُمْ
رِطْلًا في قَدَحَ ، فأخضر ذلك ، واندفعت فريدةٌ تغْنِي :
أَهَابُكِ إِجْلَالًا وَمَا بِكِ قَدْرَةٌ عَلَىٰ وَلَكُنْ مَلِهٌ عَيْنٍ حَبِيبُهُ
وَمَا هَجَرْتِكِ النَّفْسُ يَا لَيْلَ أَهْنَاهَا قَلْتَكِ^(١) وَلَا أَنْ قَلْتَكِ نَصِيبُهَا
خَاءَتْ وَالله بالسُّحْرِ ، وَجَعَلَتْ تُغْنِي الصَّوْتَ بَعْدَ الصَّوْتِ ، وَأَغَّنَيَ أَنَا فِي خَلَالِ
غِنَائِهَا ؛ فَرَّ لَنَا أَحْسَنُ مَا مَرَّ لِأَحَدٍ .

فَإِنَا لَكَذَلِكَ إِذْ رَفَعَ رِجْلَهُ فَضَرَبَ بِهَا صَدْرَ فَرِيدَةَ ضَرْبَةً تَدَخَّرَتْ مِنْهَا
مِنْ أَعْلَى السَّرِيرِ إِلَى الْأَرْضِ وَتَفَقَّطَ عَوْدُهَا ، وَمَرَتْ تَعْدُو وَتَصِيمْ ، وَبَقِيتْ أَنَا
كَالْمَزْوَعِ الرُّوحِ ، فَأَطْرَقَ سَاعَةً إِلَى الْأَرْضِ مُتَعَيِّنًا ، وَأَطْرَقَتْ أَنْوَعَ ضَرْبَ الْعَنْقِ .
فَإِنِّي لَكَذَلِكَ إِذْ قَالَ لِي : يَا مُحَمَّدٌ ؟ فَوَبَثْتُ . قَالَ : وَيَحْكُمُ ! أَرَأَيْتَ أَغْرِبَ
مَا تَهْيَأَ لَنَا ؟ قَلْتُ : يَا سيدِي ؟ السَّاعَةُ وَالله تَخْرُجُ رُوحِي . فَلَمِنْ أَصَابَنَا بِالْعَيْنِ
لَعْنَةُ الله ! فَمَا كَانَ السَّبِبُ ! أَلِذَّنَبُ ؟ قَالَ : لَا وَالله وَلَكُنْ فَكَرْتُ أَنْ جَعَفَرًا
يَقْعُدُ هَذَا الْمَقْعَدُ ، وَيَقْعُدُ مَعْهَا كَمَا كَانَ قَاعِدَةً مَعِي ، فَمِنْ أَطْقَلِ الصَّبَرِ ، وَخَامِرِنِي مَا أَخْرُجُ فِي
إِلَى مَا رَأَيْتُ . فَسَرَّى عَنِي وَقَلْتُ : بَلْ يَقْتَلُ الله جَعَفَرًا وَيَحْيَا أَمِيرُ المؤْمِنِينَ أَبْدًا ،
وَقَبَّلَ الْأَرْضَ وَقَلْتُ : يَا سيدِي ؟ الله الله ! ارْجِهَا وَمُرْ بِرَدَّهَا . قَالَ لِبَعْضِ الْخَدْمِ
الْوَقْوفُ : مَنْ يَبْحِي بِهَا ؟ فَلَمْ يَكُنْ بِأَسْرَعِ مِنْ أَنْ خَرَجَتْ فِي يَدِهَا عَوْدُهَا ، وَعَلَيْهَا
غَيْرُ الشِّيَابِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا . فَلَمَّا رَأَهَا لَا طَفَهَا ، فَبَكَتْ وَجَعَلَهُو يَبْكِي ، وَاندفَعَتْ
أَنَا فِي الْبَكَاءِ ، قَالَتْ : مَا ذَبَنِي يَا مَوْلَاي وَسِيدِي ؟ وَبَأْيِ نَبَيِ استَوْجَبَتْ هَذَا ؟

(١) قَلْتَكِ : أَبْنَصْتَكِ وَكَرْهْتَكِ .

فَاعْدُ عَلَيْهَا مَا قَالَهُ وَهُوَ يَبْكِي وَهِيَ تَبْكِي ! قَالَتْ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا ضَرَبْتَ عَنِّي السَّاعَةَ وَأَرَحْتَنِي مِنَ الْفَكْرِ فِي هَذَا ، وَأَرَحْتَ قَلْبِكَ مِنَ الْهَمِّ يَبِي ؛ وَجَعَلْتَ تَبْكِي وَيَبْكِي ، ثُمَّ مَسَحَا أَعْيُنَهُمَا ، وَرَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا .

وَأَوْمًا إِلَى خَدَمٍ وَقَوْفٍ بِشَىٰ لَا أَعْرِفُهُ ، فَضَوا وَأَحْضَرُوا أَكِياسًا فِيهَا عَيْنَ وَوَرِقٍ^(١) وَرَزْمًا فِيهَا ثِيَابٌ كَثِيرَةٌ ، وَجَاءَ خَادِمٌ بِدَرْجٍ فَفَتَحَهُ وَأَخْرَجَ مِنْهُ عِقْدًا مَارَأَيْتُ قَطًّا مِثْلَ جَوْهَرٍ كَانَ فِيهِ ، فَأَلْبَسَهَا إِلَيَاهُ ، وَأَحْضَرَتْ بَدْرَةً فِيهَا عِشْرَةَ آلَاف درَمٍ ، فَجُعِلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَخَمْسَةَ تَخْوِيتٍ فِيهَا ثِيَابٌ ، وَعَدَنَا إِلَى أَمْرِنَا وَإِلَى أَحْسَنِ مَمَّا كَنَا فِيهِ ، فَلَمْ نَزِلْ كَذَلِكَ إِلَى اللَّيلِ :

ثُمَّ تَفَرَّقْنَا وَضَرَبَ الدَّهْرُ ضَرْبَهُ^(٢) ، وَتَقْلَدَ التَّوْكِلُ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي مَنْزِلِي بَعْدَ يَوْمِ نَوْبَتِي إِذْ هَبَمْ عَلَى رَسُولِ الْخَلِيلَةِ ، فَمَا أَمْهَلَنِي حَتَّى رَكِبْتُ وَصَرَّتُ إِلَى الدَّارِ ، فَأَذْهَلْتُ وَاللهِ الْحَجَرَةَ بِعِينِهَا ، وَإِذَا التَّوْكِلُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ الْوَاتِقُ عَلَى السَّرِيرِ بِعِينِهِ وَإِلَى جَانِبِهِ فَرَيْدَةً ، فَلَمَّا رَأَنِي قَالَ : وَيَحْكُ ! أَمَا تَرَى مَا أَنَا فِيهِ مِنْ هَذِهِ ! أَنَا مِنْ دُعْوَةِ أَطَالِبُهَا بِأَنْ تَغْنِيَنِي فَتَأْبِي ذَلِكَ ! قَلْتُ لَهَا : سَبَحَنَ اللَّهُ ؟ أَتَخَالِفُنِي سَيِّدَكَ وَسَيِّدَنَا وَسَيِّدَ الْبَشَرِ ! بِخِيَانَهِ غَنِّيٌّ ، فَغَزَّفَتْ ، وَاللهِ نَمْ اندفَعَتْ تَغْسِيَّ :

مَقِيمٌ بِالْمَحَازَةِ^(٣) مِنْ قَنْوَنِ^(٤) وَأَهْلُكُ بِالْأَجَيْفَرِ فَالثَّمَادِ^(٥)

فَلَا تَبْعُدْ فَكُلْ فَتَّى سِيَّاتِي عَلَيْهِ الْمَوْتُ بَطْرَقُ أَوْ يُغَادِي

(١) العين : الذهب المضروب ، والورق : الدرهم المضروب من الفضة . (٢) يقال : ضرب الدهر من ضربه ، أي مر من مروره وذهب بعده . (٣) المجازة : منزل من مازل طريق مكة .

(٤) قنونا : واد من أودية السراة يصب إلى البحر . (٥) الأجيفر والثماد : موضعان .

ثُمَّ رَمَتْ بِالْعُودِ الْأَرْضَ، وَرَمَتْ بِنَفْسِهَا عَنِ السَّرِيرِ، وَمَرَتْ نَدْوَ وَنَصِيفَ:
وَاسِيْدَاهْ؟

فَقَالَ لِي: وَيْحَكَ! مَا هَذَا؟ فَقُلْتَ: لَا أَدْرِي وَاللهِ يَا سَيِّدِي. فَقَالَ: فَمَا تَرَى؟
فَقُلْتَ: أَرَى أَنَّ أَنْصَرَفَ أَنَا وَتَحْضُورُ هَذِهِ وَمَعْهَا غَيْرُهَا، فَإِنَّ الْأَمْرَ يَتَوَلُّ إِلَى
مَا يَرِيدُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَانْصَرَفْ فِي حَفْظِ اللهِ، فَانْصَرَفْتُ، وَلَمْ أَدْرِي مَا كَانَ
الْقَصَّةُ!

٤٠ - محبوبة جارية المتكول*

قال على بن الجهم : كانت محبوبة أهديت إلى المتكول ، أهداها إليه عبد الله ابن طاهر في جلة أربعاءة جارية ، وكانت بارعة الحسن والظرف والأدب ، مغنية محسنة ، فحيطت عند المتكول حتى إنه كان يجلسها خلف ستارة وراء ظهره فإذا جلس للشرب ، فلما خل رأسه إليها ويدشها ويراهما في كل ساعة ؛ ففاض بها يوماً وهجرها ، ومنع جواريه جميعاً من كلامها ، ثم نازعته نفسه إليها ، وأراد ذلك ، ثم منعه العزة منها ، وامتنعت من ابتدائه إدلاً عليه بمحلها منه !

قال ابن الجهم : فبكرت إليه يوماً قال لي : يا على ؟ إن رأيت البارحة محبوبة في نومي كأني قد صاحتها ، فقلت : أفر الله عينيك يا أمير المؤمنين ، وأنامك على خير ، وأيقظك على سرور ، وأرجو أن يكون هذا الصالح في اليقظة .
فيينا هو يحدّثني وأجيئه إذا بوصيفة قد جاءته فأسرت إليه شيئاً ، فقال لي : أتدرى ما أسرت هذه إلى ؟ قلت : لا . قال : حدثني أنها اجتازت محبوبة الساعة ، وهي في حجرتها تُغنى ! أفلأ تعجب إلى هذا ! إن مفاصيلها وهي متداونة بذلك ، لا تبدؤني بصلاح ، ثم لا ترضى حتى تُغنى في حجرتها ! قم بنا يا على حتى نسمع ما تُغنى ، ثم قام ، وتبعده حتى انتهى إلى حجرتها ، فإذا هي تُغنى وتقول :
أدور في القصر لا أرى أحداً أشكوا إليه ولا يكلمني
حتى كأني ركبت معصية لست لها توبة تخالصني

* نهاية الأرب : ٥ : ١٠٩

فَهَلْ لَنَا شافِعٌ إِلَى مَالِكٍ قَدْ زَارَنِي فِي السَّكْرَى^(١) فِصَالْحِنِي
حَتَّى إِذَا مَا الصَّبَاحُ لَاحَ لَنَا عَادَ إِلَى هَجَنْرَهُ فَصَارَ مَنِي^(٢)
فَطَرَبَ الْمُتَوَكِّلُ ، وَأَحْسَتْ بِمَكَانِهِ ، نَفَرَجَتْ إِلَيْهِ ، وَتَنْحَيَتْ ، فَخَدَّتْهَا
رَأْنَهُ فِي مَنَامِهَا ، وَقَدْ صَالَحَاهَا فَانْتَهَتْ ، وَقَالَتْ هَذِهِ الْأَبِيَاتُ ، وَغَنَتْ فِيهَا ؛ فَخَدَّتْهَا
هُوَ أَيْضًا بِرَؤْيَاهُ ، وَاصْطَلَحَا ، وَبَعْثَ إِلَى بِحَازْنَةٍ وَخِلْمَةٍ .
وَلَمَّا قُتِلَ تَسْلَى عَنْهُ جَمِيعُ جَوَارِيهِ غَيْرِهَا ، فَإِنَّهَا لَمْ تُرِلْ حَزِينَةً ، هَاجَرَةً لِكُلِّ
لَذَّةٍ حَتَّى مَاتَتْ .

(١) السَّكْرَى : النَّوْمُ .

(٢) الْصَّرْمُ : الْقَطْعُ وَالْمَهْجَرُ .

٤١ — قيَّنةٌ تُحْنُثُ إِلَى بَغْدَادَ *

قال أبو علي بن الأسكن المצרי ، كنت من جلاسِ تيم بن أبي هميم وِمِنْ
يُخِفَّ عَلَيْهِ ، فَأُتِيَّ مِنْ بَغْدَادَ بِجَارِيَةٍ رَاشَةً فَأَتَتِ الْفَنَاءَ ، فَدَعَا جَلَاسَهُ وَمُدَّتِ السَّتَّارَةَ
وَأَمْرَهَا فَقَنَتْ :

بَرْقٌ تَالَقَ مَوْهِنًا لِمَعَانِهِ
صَعْبُ الدُّرَا مَقْتَنِعٌ أَرْكَانُهُ
نَظَرًا إِلَيْهِ وَصَدَهُ أَشْجَانُهُ
وَالْمَاءُ مَا سَحَّتْ بِهِ أَجْفَانُهُ
وَبَدَّ الْمَنْ بَعْدَمَا اندَمَلَ الْمَوْيِ
يَبْدُو كَحَاشِيَّ الرِّدَاءِ وَدُونَهُ
وَبَدَا لِي نَظَرٌ كَيْفَ لَاحَ فَلَمْ يُطِقُ
فَالنَّارُ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضَلَوْعَهُ
فَأَحْسَنَتْ مَا شَاهَتْ ، وَطَرَبَ تَيمُ وَمَنْ حَضَرَ ، ثُمَّ غَنَتْ :

أَوَائِلُهُ مُحَمَّدَةٌ وَآخِرُهُ
عَلَى الْبَرِّ مُذْسَدَتٌ عَلَيْهِ مَازِرَهُ
سَتُسْلِيَكَ عَمَافَاتِ دُولَةِ مُفْضِلٍ
ثَنَى اللَّهُ عِظَفَيْهِ وَأَلَّفَ شَخْصَهُ

فَطَرَبَ تَيمُ وَمَنْ حَضَرَ طَرَبًا شَدِيدًا ، ثُمَّ غَنَتْ :
أَسْتَوْدَعَ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَرَأَ
بِالْكُرْنَخِ مِنْ فَلَكِ الْأَزْرَارِ مَطْلَعَهُ

فَأَفْرَطَ تَيمُ فِي الطَّرَبِ جَدًّا ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : تَمَسَّنِي مَا شَنَّتِ فَلَكَ مُنَاكَ ، فَقَالَتْ :
أَتَمَنَّى عَافِيَةَ الْأَمِيرِ وَسَعَادَتَهُ ، فَقَالَ : لَا بَدَّ وَاللَّهُ ! فَقَالَتْ : عَلَى الْوَفَاءِ أَتَمَنَّى أَيْهَا الْأَمِيرِ ؟
فَقَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَتْ : أَتَمَنَّى أَنْ أَغْنَى هَذِهِ النَّوْبَةَ بِبَغْدَادَ . . . فَتَغَيَّرَ وَجْهُ تَيمِ ،

وَتَكْدِرُ الْجَلْسُ ، وَقُمْنَا ؛ فَلَحْقَنِي بَعْضُ خَدْمَهُ فَرَدَّنِي ، فَلَمَّا وَقَتَ بَيْنَ يَدِيهِ قَالَ لِي :
وَبِنَحْكَ ! أَرَأَيْتَ مَا امْتَحِنَّا بِهِ ؟ وَلَا بُدَّ مِنِ الْوَفَاءِ ، وَمَا أَنْقَ في هَذَا بَغْرِيكَ ، فَتَأْهَبْ
لِتَحْمِلَهَا إِلَى بَغْدَادَ ، فَإِذَا غَنَتْ هَنَاكَ فَاصْرِفْهَا . فَقَالَتْ : سَمِعَّا وَطَاعَةً .

فَأَصْبَحَهَا جَارِيَّةً سُودَاءً تَخْدِمُهَا وَتَعْادِلُهَا^(١) ، وَأَمْرَ لِي بِنَاقَةٍ وَيَحْمِلُ عَلَيْهِ هَوْدَجَ ،
فَأَدْخَلْتُ فِيهِ ، وَسَرَّنَا مَعَ الْقَافْلَةِ إِلَى مَكَّةَ ، فَقَضَيْنَا حِجَّنَا ، ثُمَّ لَمَّا وَرَدْنَا الْقَادِسِيَّةَ ،
أَتَنْتَنِي السُّودَاءَ فَقَالَتْ لِي : تَقُولُ لَكَ سَيِّدِنِي : أَينَ نَحْنُ ؟ فَقَلَتْ : نَحْنُ نَزُولُ
بِالْقَادِسِيَّةِ ، فَأَخْبَرْتُهَا ، فَسَمِعَتْ صَوْتَهَا قَدْ ارْتَفَعَ بِالْغَنَاءِ :

لَمَّا نَزَلْنَا الْقَادِسِيَّةَ حَيْثُ جُمِعَ الرَّفَاقَ
وَشَمِّتُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَّا زَنْسِيمَ أَنْفَاسِ الْعَرَاقِ
أَيْقَنْتُ لِي وَلِنَ أَحِبَّ بِجَمْعِ شَمْلِ وَانْتَفَاقِ
وَضَحْكَتُ مِنْ فَرَحِ الْلَّقا ء كَا بَكِيتُ مِنْ الْفَرَاقِ
فَصَاحَ مِنْ أَقْطَارِ الْقَافْلَةِ : أَعِيدِي ، أَعِيدِي ؛ فَما يُمْعِنْ لِهَا كَلَمةً .

فَلَمَّا نَزَلْنَا الْيَاسِرِيَّةَ - عَلَى خَمْسَةِ أَمِيالٍ مِنْ بَغْدَادِ فِي بَسَاتِينِ مَتَّصَلَةِ يَيِّنَتِ النَّامِ
بِهَا ثُمَّ يَبْكِرُونَ لِبَغْدَادَ - بَتَنَا هَنَاكَ ، وَلَمَّا قَرُبَ الصَّبَاحِ إِذَا بِالْسُّودَاءِ قَدْ أَتَنْتَنِي
مَذْعُورَةً ، فَقَالَتْ : إِنَّ سَيِّدِنِي لَيْسَ بِمَحَاضِرَةٍ ، وَوَاللَّهِ لَا أَدْرِي أَيْنَ هِيَ ؟ فَظَلَبَتُهَا
فَلَمْ أَجِدْهَا ، وَلَا وَجَدْتُ لَهَا بِبَغْدَادِ خَبْرًا ، فَقَضَيْتُ حَوَانِجِي بِبَغْدَادَ ، وَانْصَرَفْتُ
إِلَى تَمِيمٍ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرَهَا ، فَلَمْ يَرْكَلْ وَاجِمًا^(٢) عَلَيْهَا !

(١) وَتَعَادِلُهَا : تُوكِبُ مَعَهَا . (٢) وَاجِمًا : حَزِينًا .

البَابُ الثَّانِيُ

فِي الْقَصْصِ الَّتِي تُفْصِحُ عَنْ رِقَّةٍ فِي قُلُوبِ الْعَرَبِ ،
وَرِفَاهَةٍ عَوَاطِفِهِمْ ، وَسَمْوٌ نَفْوِهِمْ بِالْإِخْبَارِ عَنْ وَقْعِ
الْحُبُّ فِي قَلْبِهِ ، وَامْتِزَاجُ الْعَفَافُ وَالشَّرْفِ بِجَهَنَّمِهِ ،
وَلَكِنْ امْتَنَعَ عَلَيْهِ أَمْلَهُ ، فَبَقِيَ مَعْذَبًا فِي سَبِيلِ مَنْ أَحْبَبَ ،
وَرَاحَ شَهِيدًا لِرِقَّةٍ وَعَفَافٍ .

٤٢ — جَنِي الْجَالُ عَلَى نَصْرٍ فَغَرَّ بِهِ
* عن المَدِينَةِ تَبَكِّيْهِ وَيَبَكِّيْهَا

عشقَتْ امْرَأَةً مِنْ الْمَدِينَةِ فَتَىْ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ ، يَقَالُ لَهُ نَصْرُ بْنُ حَاجَاجَ - وَكَانَ أَحْسَنَ أَهْلَ زَمَانِهِ - فَضَنِيَّتْ مِنْ حُبِّهِ ، وَدَنَفَتْ^(١) مِنْ الْوَجْدِ بِهِ ، ثُمَّ لَهِتَ بِذِكْرِهِ حَتَّىْ صَارَ ذِكْرُهُ هِيجِيرَاهَا^(٢) .

وَخَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَابَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ذَاتَ لِيْلَةِ يَعْسُنَ ، وَمِنَّ بَدَارِهَا ، فَسَمِعَهَا تَقُولُ رَافِعَةً عَقِيرَتَهَا^(٣) :

هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى سَحْرٍ فَأَشْرَبَهَا أَمْ هَلْ سَبِيلٍ إِلَى نَصْرٍ بْنَ حَاجَاجَ
فَقَالَ عَمْرٌ : أَمَّا مَا عَشْتُ فَلَا ، لَا أَرَى مَعِي رَجُلًا لَا تَهِيفُ بِهِ الْعَوَاقِنُ
فِي خَدْوَزَهَنَّ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ دُعَا نَصْرَ بْنَ حَاجَاجَ ، فَأَبْصَرَهُ ، فَإِذَا هُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهًا ، وَأَصْبَحُهُمْ وَأَمْلَأَهُمْ حَسْنَاءً ، فَأَمْرَأَ أَنْ يُطَامَ^(٤) شِعْرَهُ فَخَرَجَتْ جَبَّهَةُ فَازِدَادَ حَسْنَاءً ، قَالَ لَهُ عَمْرٌ : اذْهَبْ فَاعْتَمْ ، فَاعْتَمْ فَبَدَأَتْ وَفْرَتَهُ^(٥) ، فَأَمْرَ بِحَلْقَهَا فَازِدَادَ حَسْنَاءً ، قَالَ لَهُ : فَتَنَتْ نِسَاءُ الْمَدِينَةِ يَا بْنَ حَاجَاجَ ، فَقَالَ : وَأَى ذَنْبٍ لِي فِي ذَلِكَ ! قَالَ عَمْرٌ :

* بِحُمَّ الْأَمْثَالِ : ١ - ٣٧٩ ، ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ : ٣ - ٩٣ ، ثُمَّرَاتُ الْأَوْرَاقِ : ٢٣٦

(١) دَنَفَ : إِذَا لَازَمَهُ الْمَرْسُ . (٢) هِيجِيرَاهَا : دَأْبُهَا وَشَأْنُهَا . (٣) الْمَقِيرَةُ : صَوْتُ الشَّاكِرِ وَالْبَاكِ وَالْمَنْفِي . (٤) طَمَ شِعْرَهُ : عَقْصَهُ . (٥) الْوَفْرَةُ : مَاسَالُ عَلَى الْأَذْنَيْنِ مِنَ الشِّعْرِ .

صدقَتَ ، الذِّنْبُ لِي إِنْ تَرَكْتُكُ فِي دَارِ الْمَجْرَةِ ، ثُمَّ أَزْكَبَهُ جَلَّا وَسَيْرَهُ
إِلَى الْبَصْرَةِ .

وَأَقَامَ نَصْرٌ بِالْبَصْرَةِ مَدْةً ، ثُمَّ سَمِعَ يَوْمًا مَنَادِيًّا يُنَادِي : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ
إِلَى أَهْلِهِ بِالْمَدِينَةِ أَوْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا فَلِمَكْتُبٍ ؟ فَإِنَّ بَرِيدَ الْمُسْلِمِينَ خَارِجٌ »
فَكَتَبَ النَّاسُ ، وَدَسَّ نَصْرٌ بْنُ حِجَاجَ كِتَابًا فِيهِ : « لَعْبُ الدُّلُّ عَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
مِنْ نَصْرٍ بْنِ حِجَاجٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، أَمَا بَعْدَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :

لَعْمَرٍ لِئِنْ سَيَرْتَنِي أَوْ حَرَمْتَنِي لَمَّا نِلْتَ مِنْ عِرْضِي عَلَيْكُ حَرَامٌ
أَإِنْ غَنَتِ الدَّلَفَاءُ يَوْمًا بِمُنْيَةٍ
وَبَعْضُ أَمَانِي النَّسَاءِ غَرَامٌ
ظَنَنْتَ بِي الظَّنَّ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ
بَقَاءٌ ، فَالى فِي النَّدِيٰ كَلَامٌ
وَأَصْبَحْتُ مَنْفِيًّا عَلَى غَيْرِ رِبَّيَةٍ
وَقَدْ كَانَ لِي بِالْمَكَّتَيْنِ^(١) مُقَامٌ
سِيمَنْعَى مَا تَظَنَّ تَكْرَشِي
وَآبَاءٌ صَدِيقٌ سَالِفُونَ كَرَامٌ
وَيَنْعُها مَا تَمَنَّتْ صَلَاتُهَا
فَهَاتَانِ حَالَانِ ، فَهَلْ أَنْتَ رَاجِعٍ^(٢) ؟ قَدْ جَبَ مِنِّي كَاهِلٌ وَسَنَامٌ^(٣)
وَلَا بَلَغَ عَمَرَ بْنِ الْخَطَابَ قَالَ : أَمَا وَلِي وِلَايَةً فَلَا ، وَأَفْطَعَهُ بِالْبَصْرَةِ
أَرْضاً وَدَارًاً .

ثُمَّ بَدَا لِمُجَاشِعَ بْنِ مُسْعُودَ السَّلْمَى أَنْ يُنْزِلَهُ مِنْزَلَهُ لِقَرَابَتِهِ ، فَصَرَّيْرَهُ إِلَيْهِ ، وَأَخْدَمَهُ
أَمْرَأَتَهُ شَمِيلَةً - وَكَانَتْ أَجْلَ امْرَأَةً بِالْبَصْرَةِ - فَقَلِيقَتْهُ وَعَلِقَتْهَا ، وَخَفِيَ عَلَى كُلِّ
وَاحِدٍ مِنْهُمَا خَبْرُ الْآخَرِ لِمُلازِمَةِ مُجَاشِعَ لَضِيَافِهِ ، وَكَانَ مُجَاشِعُ أَمِيَّاً وَنَصَرَ وَشَمِيلَةَ

(١) بَرِيدُ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ عَلَى التَّفْلِيبِ . (٢) رَاجِعٍ : رَادِي . (٣) جَبَ : قَطْعٌ ، وَالْكَاهِلُ :
مَقْدَمُ أَعْلَى الظَّهَرِ مَا يَلِي الْعَنْقِ ؛ ذَكَرُوا أَنَّ التَّمَنِيَّةَ هِيَ الْفَارِعَةُ أَمَّا الْحِجَاجُ ، وَقَبْلَهُ مِنْ جَدَةِ الْحِجَاجِ
أَمْ أَيْهَ (ابْن خَلْكَانٌ : ص ١٢٤ ، ج ١) .

كَاتِبَيْنَ ، فَعِيلَ صِيرُ نَصْرَ ، فَكَتَبَ عَلَى الْأَرْضِ بِحُضُورِ مَجَاشِعٍ : «إِنِّي قَدْ أَحِبْتُكَ حُبًّا لَوْ كَانَ فَوْقَكَ لَأَظْلَكَ ، وَلَوْ كَانَ تَحْتَكَ لَأَفْلَكَ» . فَوَقَعَتْ تَحْتَهُ غَيْرُ مُخْتَشِمَةٍ «وَأَنَا» . قَالَ هَا مَجَاشِعٌ : مَا الَّذِي كَتَبْتَ؟ قَالَتْ : كَتَبْتَ كَمْ؟ كَمْ تَحْلِبُ نَاقَتَكَمْ؟ قَالَ : وَمَا الَّذِي كَتَبْتَ تَحْتَهُ ، قَالَتْ : كَتَبْتَ وَأَنَا؟ قَالَ مَجَاشِعٌ : كَمْ تَحْلِبُ نَاقَتَكَمْ ، وَأَنَا؟ مَا هَذَا هَذَا بَطَابَقَ^(١)! قَالَتْ : أَصْدَقُكَ ، إِنَّهُ كَتَبَ ، كَمْ تُنْفِلُ أَرْضَكَمْ ، وَأَنَا؟ مَا بَيْنَ كَلَامِهِ وَجَوابِكَ قِرَابَةٌ! ثُمَّ كَفَأَ عَلَى الْكِتَابَةِ جَفْنَةً وَدَعَا بَغَلامَ مِنَ الْكِتَابَ^(٢) ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ ، فَالْتَّفَتَ إِلَى نَصْرٍ وَقَالَ : يَا بْنَ عَمٍّ؛ مَا سَيِّرَكَ عَمُّا مِنْ خَيْرٍ؟ فَقَمَ فَإِنَّ وَرَاءَكَ أَوْسَعَ ، فَتَهَضُّ مُسْقَطَحِيَّاً ، وَعَدَلَ إِلَى مَنْزِلِ بَعْضِ السَّلَمِيِّينَ؛ وَوَقَعَ جَنْبَهُ ، فَضَنَّى مِنْ حُبَّ شَمِيلَةٍ؛ وَدَنِيفَ^(٣) وَانْتَشَرَ خَبْرُهُ .

ثُمَّ إِنَّ مَجَاشِعًا وَقَفَ عَلَى خَبْرِ عَلَّتَهُ؛ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَلَاحَقَهُ رِقَّةٌ لَمَّا رَأَى مَا بَهِ منَ الدَّافَعِ؛ فَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ؛ وَقَالَ لِشَمِيلَةَ : عَزَّمْتَ عَلَيْكَ لَمَّا أَخْذَتِ خُبْزَةَ^(٤) فَلَمَّا كُتِّبَتِهَا بِسَمْنٍ ، ثُمَّ بَادَرَتِ بَهَا إِلَى نَصْرٍ؛ فَبَادَرَتْ بَهَا إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَكُنْ بِهِ نَهْوٌ؛ فَجَعَلَتْ تَلْقِمَهُ بِيَدِهَا ، فَعَادَتْ قُوَاهُ وَبَرَأَ كَانَ لَمْ يَكُنْ بِهِ قَلْبَةَ^(٥). فَلَمَّا فَارَقَتْهُ عَاوِدُهُ النَّكْسَ^(٦) ، فَلَمْ يَرْزُلْ بِتَرَدِدِ فِعلَتِهِ حَتَّى مَاتَ فِيهَا!

(١) الطبق من كل شيء: مساواه. (٢) الكتاب والمكتب: موضع التعليم، أو هو جمع كاتب.

(٣) الدتف: المرض الملائم. (٤) الجبزة: عجبين يوضع في الملة حتى يتضاعج. (٥) يقال: ما به

قلبة — بالتعريفي: أي داء وتعب. (٦) النكس: عود المرض.

* ٤٣ — عُرْوَةُ وَعَفْرَاءُ

هلك حِزَام ، وترك ابنه عروة^(١) صغيراً في حجر عمّه عقال ؛ وكانت عفراء ترباً^(٢) لعروة ، يلبّيان جمِيعاً ، ويكونان معاً ، حتى تألف كلُّ واحدٍ منهما صاحبه إلَّفَا شديداً ؛ وكان عقال يقول لعروة لما يرى من إلْفَهْمَا: أبشرْ فإنْ عفراةْ أَمْتَكْ^(٣)
إن شاء الله !

فكان كذلك حتى لحت عفراة بالنساء ، ولحق عروة بالرجال ؛ فأقى عروة عمّة له يقال لها: هند ، وقال لها في بعض ما يقول: يا عمّة ؟ إني لـكـلمـك ؟ وإنـي منـكـ لـسـقـحـيـ ، ولـكـنـ لمـ أـفـعـلـ هـذـاـ حتـىـ ضـقـتـ ذـرـعـاـ بـماـ أـنـاـ فـيـهـ .

فذهبت عمّه إلى أخيها ، قالت له: يا أخي ؟ قد أتيتك في حاجة أحب أن تُحسن بها ، فإن الله يأجرك^(٤) لصلة رحمك بي ؟ قال لها: قولي ، فلن تسألي حاجة إلا ردّتُك بها ، قالت: تزوج عروة ابن أخيك بابنتك عفراة ، قال: ما عنه مذهب ، ولا هو دون رجل يُرغَب فيه ، ولا بِنَانَ عنده رغبة ؛ ولكنه ليس بذوي مال ، وليس عليه عَجَلة .

* الأغانى : ٢٠ - ١٥٢

(١) هو عروة بن حرام بن مالك ، شاعر لبيب حاذق متمن في العشق ، قيل: إنه أول عاشق مات بالهجرة من العذريين ، ولشدة مقاساته في العشق ضرب به المثل بين العرب . مات سنة ٣٠ هـ ، ودفن بوادي القرى قرب المدينة . (٢) الترب: من ولد معك . (٣) يريد زوجتك وامرأتك . (٤) يأجرك: يجازيك .

فطابت نفس عروة؛ وسكن بعض السّكُون ، وكانت أمّها سيدة الرأي فيه
تريد لابنتها ذاماً ووفر^(١) ، وكانت عرضة^(٢) لذلك كائلاً وجائلاً.

لما تكاملت سنّه ، وبلغ أشدّه ؛ عرف أن رجلاً من قومه ذايسار ومالٍ
كثير يخطبها ؛ فاتى عمه ، فقال : ياعم ؟ قد عرفت حقّي وقرابتي ؛ وإنى ولدك
وربيت في حجرك ؛ وبلغني أن رجلاً خطب عفراً ؛ فإن أسعفتهم بطلبته فتلقنى
وسفكـت دمي ؛ فأنشدك الله ورحـى وحـق ! فرقـ له ؛ وقال : يابـي ؛ أنت مـعدـمـ
وحاـلـنا قـرـيبةـ منـ حـالـكـ ؛ ولـستـ مـخـرجـهاـ إـلـىـ سـوـاكـ ، وأـمـهاـ أـبـتـ أـنـ تـزـوـجـهاـ
إـلـاـ بـمـهـرـ غالـ .

فـضـرـبـ فـيـ الـأـرـضـ يـتـقـنـ الرـزـقـ ، ثـمـ جـاءـ إـلـىـ أـمـهاـ فـأـلـطـفـهاـ^(٣) وـدـارـاـهاـ ، فـأـبـتـ
أـنـ تـجـيـهـ إـلـاـ بـمـاـ تـحـتـكـمـ مـنـ الـمـهـرـ ، وـبـعـدـ أـنـ يـسـوقـ شـطـرـهـ^(٤) إـلـيـهـ ، فـوـعـدـهـاـ بـذـلـكـ ،
وـعـلمـ أـنـهـ لـاـ تـنـفـعـهـ قـرـابـهـ لـاـ غـيرـهـ إـلـاـ مـالـ الذـىـ يـطـلـبـونـهـ ، فـعـملـ عـلـىـ قـصـدـ اـبـنـ عـلمـ
مـوـسـرـ ، وـكـانـ مـقـيـماـ بـالـرـأـيـ ، فـجـاءـ إـلـىـ عـمـهـ وـأـمـأـتـهـ ، فـأـخـبـرـهـاـ بـعـزـمـهـ ، فـصـوـبـاـهـ وـوـعـدـاهـ
أـلـاـ يـجـدـثـاـ حـدـثـاـ حـتـىـ يـعـودـ .

وـصـارـ فـيـ لـيـلـةـ رـحـيـلـهـ إـلـىـ عـفـرـاءـ ، فـجـاسـ عـنـدـهـاـ هـوـ وـجـوارـيـ الحـىـ يـتـحدـثـونـ
حـتـىـ أـصـبـحـواـ ، ثـمـ وـدـعـهـاـ وـوـدـعـ الحـىـ ، وـشـدـ عـلـىـ رـاحـلـتـهـ ، وـصـحـبـهـ فـيـ طـرـيقـهـ
فـتـيـانـ كـانـ يـأـلـفـانـهـ ، وـكـانـ فـيـ طـولـ سـفـرـهـ سـامـاـ يـكـلـمـانـهـ فـلـاـ يـفـهـمـ ، فـسـكـرـهـ فـيـ عـفـرـاءـ
حـتـىـ بـرـدـاـ عـلـيـهـ القـولـ مـِرـارـاًـ .

(١) الوفـرـ : الفـقـىـ . (٢) عـرـضـةـ لـذـلـكـ : أـىـ أـهـلـاـ لـذـلـكـ . (٣) أـلـطـفـهاـ : بـرـهاـ .

(٤) الشـطـرـ : النـصـفـ .

وسار إلى أنْ قدم على ابن عمه ، فلقيه ، وعرَّفه حاله وما قدم له ، فوصله
وكاه وأعطاه مائةَ من الإبل ، فانصرف بها إلى أهله .

وقد كان رجلٌ من أهل الشام من أنساب بني أمية نزل في حي عُفرا ، فتحرَّ
ووهب وأطعم ، وكان ذا مال ، فرأى عُفرا ، وكان منزله قريباً من منزلهم ، فاعجبته
وطيبها إلى أبيها ، فاعتقد زدر إليه وقال : قد سمعتها إلى ابن أخي لي يعدها عندي ،
وما إليها الغير سبيل . فقال له : إنِّي أُرْغِبُك في المهر ، قال : لا حاجة لي بذلك ؛
فعدل إلى أمها ، فوافق عندها قبولاً لبدلها ، ورغبت في ماله ، فأجابته ووعده ،
وجاءت إلى عقال وقالت : أي خير في عُزُوة حتى تخبس ابنتي عليه وقد جاءها
الغِقِّ يَطْرُقُ عليها بابها ؟ والله ما تدرى أُعْرُوهُ حي أم ميت ؟ وهل ينقلب إليك
بخير أم لا ؟ فتكلّم قد حرمتك خيراً حاضراً ورزقاً سَنِينَا ، فلم تزل به حتى
قال لها : فإنْ عاد لي خاطبأً أجيته .

فوجَّهَتْ إِلَيْهِ : أَنْ عُدْ إِلَيْهِ خاطبأً . فلما كان من غد نحر جُرَّاً عِدَّةً ، وأطعم
ووهب ، وجمع الحَيَّ معه على طعامه ، وفيهم أبو عُفرا ، فلما طعموا أعاد القول
في الخطبة ، فأجابه وزوجها ، وساق إليه المهرَ وحوَّلتْ إِلَيْهِ عُفرا ، وقالت قبل أنْ
يدخلَ بها :

ياعُرو إِنَّ الْحَيَّ قد نقضُوا عَهْدَ الْإِلَهِ وحاولوا الفَدْرَا
فما كان الليل دخل بها زوجها ، وأقام فيهم ثلاثة ، ثم ارتحل
بها إلى الشام ، وعَمَدْ أبوها إلى قَبْرِ عتيقٍ فجددَهُ وسوَاه ، وسألَ الْحَيَّ
كتنان أمرها .

وقدم عُرُوة بعد أيام ، فَتَعَاها أَبُوها إِلَيْهِ ، وَذَهَبَ بِهِ إِلَى ذَلِكَ الْقَبْرَ ، فَكَثَرَ
يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ أَيَّامًا وَهُوَ مُضْطَنى هَالِكَ ، حَتَّى جَاءَهُ جَارِيَةً مِنْ جَوَارِيِّ الْحَىِّ فَأَخْبَرَتَهُ
الْخَبْرُ ؛ فَتَرَكَهُ وَرَكَبَ بَعْضَ إِبلِهِ وَأَخْذَ مَعَهُ زَادًا وَنَفَقَةً ، وَرَحَلَ إِلَى الشَّامَ فَقَدِمَهَا ،
بَسْأَلَ عَنِ الرَّجُلِ ، فَأَخْبَرَهُ بِهِ وَدُلُّ عَلَيْهِ ، فَقَصَدَهُ وَانْتَسَبَ إِلَيْهِ فِي عَدْنَانَ ، فَأَكَرَمَهُ
وَأَحْسَنَ ضِيَافَتَهُ ، فَكَثَرَ أَيَّامًا حَتَّى أَنْسُوا بِهِ .

ثُمَّ قَالَ جَارِيَةٌ لَهُمْ : هَلْ لَكُمْ فِي يَدِي تُولِينِيهَا ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : تَدْفَعِينَ
خَاتَمِي هَذَا إِلَى مَوْلَاتِكَ ، قَالَتْ : سُوءَ لَكَ ! أَمَا تَسْتَحِي لِهَذَا الْقَوْلِ ! فَأَمْسَكَ عَنْهَا
مِمْ أَعْدَ عَلَيْهَا ، وَقَالَ لَهَا : وَيَحْكُ ! هِيَ وَاللَّهِ بَنْتُ عَمِّي ، وَمَا أَحَدٌ مِنَّا إِلَّا وَهُوَ أَعَزُّ
عَلَى صَاحِبِهِ مِنَ النَّاسِ ، فَاطْرُحْ جِيَهُ هَذَا الْخَاتَمَ فِي صَبَّحَتْهَا ، فَإِنْ أَنْكَرْتَ عَلَيْكَ
قَوْلِي لَهَا : اصْطَبِعْ ضَيْفَكَ قَبْلَكَ وَلَعَلَهُ سَقَطَ مِنْهُ !

فَرَقَتْ لَهُ الْجَارِيَةُ ، وَفَلَمَّا مَرِبَتْ عَفَرَاءُ الْابْنِ رَأَتِ الْخَاتَمَ
فَرَفَقَهُ فَشَهِيقَتْ ، ثُمَّ قَالَتْ جَارِيَتَهَا : أَصْدَقَنِي الْخَبْرُ ، فَصَدَّقَتْهَا ، فَلَمَّا جَاءَ زَوْجُهَا
قَالَتْ لَهُ : أَنْدَرْتِي مَنْ ضَيْفَكَ هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ! فَلَانَ ابْنَ فَلَانَ (لِلنَّسْبِ الَّذِي
انْتَسَبَهُ لَهُ عُرُوْةُ) . قَالَتْ : كَلَّا وَاللَّهِ ، بَلْ هُوَ عُرُوْةُ بْنُ حَزَامَ ابْنَ عَمِّي ، وَقَدْ كَتَمَكَ
نَفْسَهُ حِيَاءً مِنْكَ .

فَبَعْثَتْ إِلَيْهِ ، فَدَعَاهُ وَعَاتَبَهُ عَلَى كِتَمِهِ نَفْسِهِ إِيَّاهُ ، وَقَالَ لَهُ : بِالرَّحْبِ وَالسُّعَةِ ،
نَشَدْتُكَ اللَّهُ إِنْ رِمْتَ^(١) هَذَا الْمَكَانَ أَبْدًا ، وَخَرَجَ وَتَرَكَهُ مَعَ عَفَرَاءَ يَتَحَدَّثَانَ ،
وَأَوْصَى خَادِمَاهُ بِالْاسْتِمَاعِ عَلَيْهِمَا ، وَإِعْادَةِ مَا تَسْمَعُهُ مِنْهُمَا عَلَيْهِ .

(١) دَامَ الْمَكَانُ : بِرْحَهُ وَتَرَكَهُ .

فَلَمَّا خَلُوا تَشَاهَ كِيَا مَا وَجَدَا بَعْدَ الْفَرَاقِ ، فَطَالَتِ الشَّكْوَى وَهُوَ يَبْكِي أَحْرَ
بَكَاءً ، ثُمَّ أَتَهُ بِشَرَابٍ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يُشَرِّبَهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا دَخَلَ فِي جَوْفِ حَرَامٍ
قُطُّ ، وَلَا ارْتَكَبْتَهُ مِنْذَ كَفْتَ ، وَلَوْ اسْتَحْلَلْتُ حَرَاماً لَكُنْتُ قَدْ اسْتَحْلَلْتُهُ مِنْكَ ،
فَأَنْتَ حَظِّي مِنَ الدُّنْيَا ، وَقَدْ ذَهَبْتِ مِنِي وَذَهَبْتُ بَعْدَكَ فَأُعِيشُ ، وَقَدْ أَجْمَلَ هَذَا
الرَّجُلُ الْكَرِيمُ وَأَحْسَنُ ، وَأَنَا أَسْتَحْيِي مِنْهُ ، وَاللَّهُ لَا أَقِيمُ بَعْدَ عِلْمِهِ مَكَانٌ ، وَإِنِّي
عَلَمُ أَنِّي رَاجِلٌ إِلَى مَنِيَّتِي ، فَبَكَتْ وَبَكَى وَانْصَرَفَ .

فَلَمَّا جَاءَ زَوْجُهَا أَخْبَرَهُ الْجَارِيَةُ بِمَا دَارَ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ : يَا عَفَرَاءُ ! امْنَعِي أَبْنَ
عُمْكَ مِنَ الْخُرُوجِ ، فَقَالَتْ : لَا يَمْتَنِعُ ، هُوَ وَاللَّهِ أَكْرَمُ وَأَشَدُ حَيَاةً مِنْ أَنْ يَقِيمَ بَعْدَ
مَا جَرَى بَيْنَكُمَا ؛ فَدُعَاهُ وَقَالَ لَهُ : يَا أَخِي ! اتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ ، فَقَدْ عَرَفْتُ خَبَرَكَ ؛
وَإِنَّكَ إِنْ رَحَلْتَ تَلِفْتَ ، وَاللَّهُ لَا أَمْنَعُكَ مِنَ الْاجْتِمَاعِ مَعْهَا أَبْدَأْ ، وَلَئِنْ شَنَثَ
لَا فَأَرْقَنَهَا ، وَلَا تُزَلِّنَهَا لَكَ ، فَقَالَ لَهُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْراً وَأَنْتَ عَلَيْهِ . وَقَالَ : إِنَّمَا
كَانَ الطَّمْعُ إِلَيْهَا آفَتِي ، وَالآنَ قَدْ يَثْسُنْتُ ، وَحَمَلْتُ نَفْسِي عَلَى الصَّبْرِ ، فَإِنَّ الْيَاسَ
يُسْلِي ، وَلِيْ أُمُورٌ لَا بَدَّ مِنْ رَجُوعِي إِلَيْهَا ، فَإِنْ وَجَدْتُ بِي قُوَّةً عَلَى ذَلِكَ ، وَإِلَّا
عَدْتُ إِلَيْكُمْ وَزُرْتُكُمْ حَتَّى يَقْضِي اللَّهُ مِنْ أَمْرِي مَا يَشَاءُ ؛ فَزُوَّدُوهُ وَأَكْرَمُوهُ
وَشَيْعُوهُ فَانْصَرَفَ .

فَلَمَّا رَحَلَ عَنْهُمْ نُكِسَ بَعْدَ صَلَاحِهِ وَتَمَاسِكِهِ ، وَأَصَابَهُ غَشْيٌ وَخَفْقَانٌ ، فَكَانَ
كُلُّمَا أُغْمِيَ عَلَيْهِ أَلْقَى عَلَى وَجْهِهِ حِمَاراً لِعَفَرَاءَ زَوْدَتْهُ إِيَاهُ فَيُغْفِيقَ .

وَلَقِيَهُ فِي الطَّرِيقِ أَبْنُ مَكْحُولٍ عَرَافُ الْيَامَةِ ، فَرَآهُ وَجَلَسَ عَنْهُ وَسَأَلَهُ عَمَّا بِهِ
وَهُلْ هُوَ خَبَلٌ أَوْ جُنُونٌ ؟ فَقَالَ لَهُ عَرُوْةُ : أَلَكَ عِلْمٌ بِالْأَوْجَاعِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

فابي مِنْ خَبْلٍ وَلَا بِجُنَاحٍ
أَقْوَلُ لِرَفَافِ الْيَمَامَةِ دَاوِي
فِيَا كَبِدًا أَمْسَتْ رُفَاتَانَا كَانِهَا
عَشِيَّةً لَا عَفَرَاءَ مِنْكَ بَعِيدَةٌ
فَوَاللهِ لَا أَنْسَاكَ مَا هَبَتِ الصَّبَّا
وَإِنِّي لِتَعْرُونِي لِذِكْرِكَ هِزَّةٌ

ولَكُنْ عَمِيْ يَا أَخَيْ كَذُوبٌ
فَإِنَّكَ إِنْ دَاوَيْتَنِي لَطَبِيبٌ
مُيلَذْعُمًا بِالْمُوْقِدَاتِ طَبِيبٌ
فَقَسْلُوْ لَا عَفَرَاءَ مِنْكَ قَرِيبٌ
وَمَا عَقْبَتْهَا فِي الرِّياحِ جَنُوبٌ
هَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَبِيبٌ

وقال يُخَاطِبُ صَاحِبِيهِ بِقصَّتِهِ (١) :

خَلِيلٌ مِنْ عَلِيَا هَلَالٌ بْنُ عَامِرٍ
وَلَا تَرْهَدَّافُ الأَجْرِ عِنْدِي وَأَجْهَلَا
أَلَمَا عَلَى عَفَرَاءَ إِنْكَا غَدَّا
فِيَا وَآشِيَّ عَفْرَا دَعَانِي وَنَظَرَةَ
أَغَرَّ كَا مِنْ قِيمَصَ لَبَسْتِهِ
مَتَى تَكْشِفَا عَنِ الْقَمِيصَ تَبَيَّنَا
وَتَعْتَرِفَا لَمَّا قَلِيلًا وَأَعْظَمَا
عَلَى كَبِدِي مِنْ حُبٌّ عَفَرَاءَ قُرْحَةٌ
فَعَفَرَاءُ أَرْجَى النَّاسِ عِنْدِي مُودَّةٌ
فِيَالِيتَ كُلَّ اثْنَيْنِ يَلْتَقِيَانِ هُوَيِّ

بِصَنْعَاءِ عُوجَا الْيَوْمَ وَانتَظَرَانِي
فَإِنَّكَا بِي الْيَوْمَ مُبْتَلِيَانِ
بِوَشْكِ التَّوَى وَالْبَيْنِ مُعْتَرَفَانِ
تَقْرَأُ بَهَا عَيْنَاهِي ثُمَّ كِلَانِي
جَدِيدٌ وَبَرْدَا يَمْنَةِ زَهِيَانِ
بِي الْفَشَّرَ مِنْ عَفَرَاءَ يَا فَقِيَانِ
بَلِينَ وَقَلْبَا دَائِمَ الْخَفَقَانِ
وَعَيْنَاهِي مِنْ وَجْدِي بَهَا تَسْكِفَانِ
وَعَفَرَاءَ عَنِ الْمُعْرِضِ (٢) الْمُتَوَانِي
مِنَ النَّاسِ وَالْأَنْسَامِ يَلْتَقِيَانِ

(١) راجع هذه القصيدة بتمامها من ١٥٨ إلى ١٦٢ من ذيل الأمالي طبعة دار الكتب.

(٢) قال صاحب الأمالي : ذكر المعرض ، لأنَّه أراد : وعفَرَاءَ عن الشخص المعرض ، أو ذكره بناء على التشبيه وأراد : وعفَرَاءَ عن مثل المعرض .

فِيْقَى حَبِيبٌ مِنْ حَبِيبِ لُبَانَةَ
 وَهُوَ نَاقِى خَلْفِي وَقَدَّاى الْمُوَى
 تَحْمَلَتْ مِنْ عَفْرَاءَ مَا لِيْسَ لِيْ بِهِ
 كَانَ قَطَاةَ عَلَقْتْ بِجَنَاحِمَا
 وَقَدْ تَرْكَتْنِي لَا أَعْيَ لِحَدَّثْ
 جَعَلَتْ لِعَرَافِ الْمِيَامِةَ حُكْمَهُ
 فَقَالَ : نَعَمْ نَشَفِى مِنَ الدَّاءِ كَلَّهُ
 فَسَارَكَأَ مِنْ رُمْقَيَةَ يَعْلَمَانِهَا
 وَمَا شَفَيَا الدَّاءَ الَّذِي بِيْ كَلَّهُ
 وَقَالَ : شَفَاكَ اللَّهُ ، وَاللَّهُ مَا لَنَا
 فَوَبِلَى عَلَى عَفْرَاءَ وَبِلَّا كَانَهُ
 أَحَبَ ابْنَةَ الْعَذْرَى حَبَّاً وَإِنْ نَأْتُ
 فِيَارِبُّ أَنْتَ الْمُسْتَعْنُ عَلَى الَّذِي
 تَحْمَلَتْ مِنْ عَفْرَاءَ مِنْذَ زَمَانِ
 ثُمَّ تُوفَى^(٢) وَهُوَ رَاجِعٌ بِالشَّامِ . وَلَمَّا بَلَغَ عَفْرَاءَ مَوْتَهُ قَالَ لِزَوْجِهَا : قَدْ كَانَ مِنْ
 خَبْرِ ابْنِ عَمِيْ مَا بَلَغْتُكَ ، وَوَاللَّهِ مَا عَرَفْتُ مِنْهُ قَطَّ إِلَّا الْحَسَنَ ، وَقَدْمَاتِيْ وَبِسْبِيْ؛
 وَلَا بَدَّلَى مِنْ أَنْ أَنْدَبَهُ فَأَقِيمْ مَأْتَاهُ عَلَيْهِ ، قَالَ : أَفْعَلَ ؟ فَهَازَتْ تَنْدَبَهُ ثَلَاثَةَ تُوفِيتَ
 فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ ، وَبَلَغَ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفِيَانَ خَبَرَهُمَا ؛ فَقَالَ : لَوْ عَلِمْتُ بِحَالِ هَذِينِ
 الْحَرَّيْنِ السَّكَرِيْمِيْنِ جَمِيعَتْ بِيْنَهُمَا .

(١) الْوَانِي : قَصْرًا فِي حَقٍ . (٢) اَنْظُرِ الْقَصَّةَ التَّالِيَةَ .

* ٤٤ — قتيل الحب*

قال النعمان بن بشير :

استعملني معاوية على صدقات بلي وعذرَة^(١) ، فإني لفي بعض مياهم إذا أنا
في بيت منحرِد^(٢) ناحية ، وإذا بفنائهِ رجلٌ مُسْتَلْقٍ ، وعنده امرأة ، وهو يقول ،
أو يَتَعَفَّفُ بهذه الأبيات :

جعلت لعراف اليمامة حكمه
وقالا : نعم ، نشفي من الداء كله
فـ اتركـا من رقـية يعلـمـها
فقـالـا : شـفـالـكـ اللهـ ، وـالـلهـ ماـ لـنـاـ
فـقلـتـ لهاـ : ماـ قـصـتهـ ؟ فـقالـتـ : هوـ مـريـضـ ، ماـ تـكـلمـ بـكـلمـةـ ، وـلـأـنـ أـنـةـ
منـ وـقـتـ كـذـاـ وـكـذـاـ إـلـىـ السـاعـةـ ، ثـمـ فـتـحـ عـيـنـيهـ ، وـأـنـشـأـ يـقـولـ :
مـنـ كـانـ مـنـ أـمـهـاتـيـ باـكـيـاـ أـبـداـ فـاليـومـ إـنـ أـرـانـيـ الـيـوـمـ مـقـبـوضـاـ
يـسـمـعـنـيـهـ ، فـإـنـيـ غـيـرـ سـمـعـهـ إـذـ هـمـلـتـ عـلـىـ الـأـعـنـاقـ مـغـرـوـضاـ
ثـمـ خـفـتـ فـمـاتـ ، فـقـمـضـهـ وـغـسـلـهـ ، وـصـلـيـتـ عـلـيـهـ وـدـفـتـهـ ، وـقـلـتـ لـلـمـرـأـةـ :
مـنـ هـذـاـ ؟ فـقـالـتـ : هـذـاـ قـتـيـلـ الـحـبـ ! هـذـاـ عـرـوـةـ بـنـ حـزـامـ !

* ذيل الأمال . ١٥٧

(١) بلي وعذرَة : قبيلتان . (٢) منحدر : منفرد منعزل .

* ٤٥ - قیس ولبَنِی *

- 1 -

كان منزلُ قيسٍ^(١) في ظاهرِ المدينة، وكان هو وأبوه من حاضرةِ المدينة؛ فهرَ قيسٌ بعض حاجته بخيام بني كعب بن خزاعة، فوقف على خيمةٍ منها؛ والحي خلوف^(٢)، وانحيم خيمةً لبني بنتِ الحباب الـكعبيَّة، فاستسقى ماءً، فسقتْه وخرجتْ إلينه به، وكانت امرأةً مديدةً لاقامةٍ شهلاً^(٣) حلوةَ المنظر والكلام.

فَلَمَا رَأَاهَا وَقَعَتْ فِي نَفْسِهِ، وَشَرَبَ الْمَاءَ، قَالَتْ لَهُ : أَنْزِلْ فَتَبَرَّدَ عَنْدَنَا ؟
قَالَ : نَعَمْ ؛ فَنَزَلَ بِهِمْ . وَجَاءَ أَبُوهَا فَنَحَرَهُ وَأَكْرَمَهُ ، فَانْصَرَفَ قَيْسُ وَفِي قَلْبِهِ مِنْ
لُبْنَى حَرَشًا لَا يُطْفَأُ ، فَجَعَلَ يَنْطِقُ بِالشِّعْرِ فِيهَا حَتَّى شَاعَ وَرُوِيَ .
ثُمَّ أَتَاهَا يَوْمًا آخَرَ ، وَقَدْ اشْتَدَّ وَجْدُهُ بِهَا ، فَسَلَّمَ فَظَهَرَتْ لَهُ وَرْدَتْ سَلَامَةَ ،
وَتَحَفَّتَ^(٤) بِهِ ، فَشَكَا إِلَيْهَا مَا يَلْقَى مِنْ حُبُّهَا ، وَشَكَتْ إِلَيْهِ مِثْلَ ذَلِكَ فَأَطَالَتْ ،
وَعُرِفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَالَهُ عِنْدَ صَاحِبِهِ .

الأغانى : ٩ = ١٨١ *

(١) هو قيس بن ذريع من كنانة ، كان هو وأبوه من حاضرة المدينة ، و Ashton قيس مجده لبني بنت الحباب الـ كعبية ، وهي التي أهتمت القول وأنطقته بالشعر ، توفى نحو سنة ٧٠ هـ (٢) خالوف : غريب . (٣) الشهلاع: التي يخالط سواد عينيها زرقة . (٤) تحفمت: باللغت في إكرامه ، وأظهرت السرور والفرح .

فانصرف إلى أبيه وأعملمه حاله ، وسأله أن يزورجه إليها . فأتى عليه ، وقال : يا بني ؟ عليك بإحدى بناتِ عمك ، فهن أحقُّ بك - وكان ذريجُ كثيرَ المال مُوسِرًا ، فأحبَّ ألا يخرج ابنته إلى غريبة .

فانصرف قيس ، وقد ساءه ما خاطبه أبوه به ، فأتى أمَّه فشكَا ذلك إليها ، واستعن بها على أبيه ؟ فلم يجدْ عندها ما يحبُّ .

فأتى الحسينَ بن علي بن أبي طالب وابنَ أبي عتيق ، فشكَا إليهم ما به وما رأى عليه أبوه . فقال له الحسينُ : أنا أكفيك . فشى معه إلى أبي لبني ؟ فلما بصر به أعظمه ووَتَّ إليه وقال له : يا بنَ رسول الله ؟ ما جاءتك ؟ ألا بعشتَ إلى فاتيتك ! قال : إنَّ الذي جئتُ فيه يُوجِّب قصداً ، وقد جئتُ خاطبًا ابنتك لبني لقيس بن ذريج . فقال : يا بنَ رسول الله ؟ ما كنا لنعصي لك أمرًا ، وما بنا عن الفتى رغبة ؟ ولكن أحبَّ الأمر إلينا أن يخطبها ذريج أبوه ، وأن يكون ذلك على أمرِه ؛ فإننا نخافُ إن لم يسعَ أبوه في هذا أن يكون عارًا وسبَّةً علينا .

فأتى الحسينُ رضي الله عنه ذريجًا وقومه وهم مجتمعون ، فقاموا إليه أعظاماً له ، وقالوا له مثل قول الحزاعيين^(١) . فقال لذريج : أقسمتُ عليك إلا خطبتَ لبني لا بنك قيس . قال : السمع والطاعة لأمرك .

خرج معه في وجوهِ من قومه حتى أتوا دار لبني ، فخطبها ذريج على ابنته إلى أبيها ، فزوجها به إليها وزفتُ إليه بعد ذلك ، فأقامَت معه مدةً لا يُنكر أحدٌ من صاحبه شيئاً .

(١) الحزاعيون : قوم لبني .

وكان أبَّ النَّاسِ بِأَمْهٌ ، فَالْهُنَّةُ لُبْنِي وَعَكْوَفُهُ عَلَيْهَا عَنْ بَعْضِ ذَلِكَ ، فَوُجِدَتْ أَمْهٌ فِي نَفْسِهَا وَقَالَتْ : لَقَدْ شَغَلْتَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ ابْنِي عَنْ بَرِّي ، وَلَمْ تَرْ لِلْكَلَامِ فِي ذَلِكَ مَوْضِعًا حَتَّى مَرَضَ مَرْضًا شَدِيدًا . فَلَمَّا بَرَأَ مِنْ عَلَتِهِ قَالَتْ أَمْهٌ لِأَبِيهِ : لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَمُوتَ قَيْسٌ وَمَا يَرْتَكِ خَلْقًا وَقَدْ حَرَمَ الْوَلَدُ مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ ، وَأَنْتَ ذُو مَالٍ فَيُصِيرُ مَالُكَ إِلَى الْكَلَالَةِ^(١) ، فَزَوْجُهُ بَغِيرِهَا لِعْلَ اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا ؛ وَأَلْحَثَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ .

فَأَمْهَلَّ قَيْسًا حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ قَوْمُهُ دَعَاهُ فَقَالَ : يَا قَيْسُ ؟ إِنَّكَ أَعْقَلْتَ هَذِهِ الْعَلَةَ فَخِفْتُ عَلَيْكَ وَلَا وَلَدَ لَكَ وَلَا سِواكَ ، وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ لَيْسَتْ بِوَلُودٍ ؛ فَتَزَوَّجْ إِحْدَى بَنَاتِ عَمِّكَ ؛ لَعْلَ اللَّهَ أَنْ يَهَبَ لَكَ وَلَدًا تَقْرَئُ بِهِ عَيْنُكَ وَأَعْيُنُنَا .

فَقَالَ قَيْسٌ : لَسْتُ مَتَزَوَّجًا غَيْرِهَا أَبْدًا ؛ فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : فَإِنَّ فِي مَالِي سَعَةً فَتَسَرَّرَ بِالْإِمَاءِ ، قَالَ : وَلَا أَسْوِهَا بَشِّي أَبْدًا وَاللَّهُ . قَالَ أَبُوهُ : فَإِنِّي أَقْسِمُ عَلَيْكَ إِلَّا طَلَقَتَهَا . فَأَبَى وَقَالَ : الْمَوْتُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ أَسْهَلُ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنِي أَخِيرُكَ خَصْلَةً مِنْ ثَلَاثَ خَصَالٍ . قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : تَنْزَوَجْ أَنْتَ فَلَعْلَ اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَكَ وَلَدًا غَيْرِي . قَالَ : فَإِنِّي فَضَلَّتُ لَذَلِكَ . قَالَ : فَدُعِيَ أَرْتَحِلَّ عَنْكَ بِأَهْلِي وَأَصْنَعَ مَا كَنْتَ صَانِعًا لَوْمَتُ فِي عَلَيِّ هَذِهِ . قَالَ : وَلَا هَذِهِ . قَالَ : فَأَدْعُ لُبْنِي عَنْدَكَ وَأَرْتَحِلَّ عَنْكَ فَلَمَلِي أَسْلُوها فَإِنِّي مَا أُحِبُّ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ نَفْسِي طَيِّبَةً أَنْهَا فِي خَيَالِي .

قَالَ : لَا أَرْضِي أَوْ تَطْلُقُهَا ، وَحَلْفٌ لَا يَكُنْهُ سَقْفُ بَيْتِ أَبْدَا ، حَتَّى يَطْلُقْ لُبْنِي ، فَكَانَ يَخْرُجُ فَيَقْفُ فِي حَرَّ الشَّمْسِ وَيَحْمِنُ قَيْسَ فَيَقْفُ إِلَى جَانِبِهِ فَيُظْلِهِ

(١) يَرَادُ بِالْكَلَالَةِ هَذَا : مِنْ عَدَا الْأَبِ وَالْابْنِ مِنَ الْوَرَثَةِ .

بردائه ، ويصلّى هو بحرَّ الشمس حتى ينفيَ النَّفَّ^(١) فينصرف عنه ، ويدخل إلى لبني فيعانقها وتعانقه ، وي بكى وت بكى معه ، وتقول له : ياقيس ؟ لا تطعْ أباك فمهلك وتهلكنَّكني . فيقول : ما كنت لأطعْ أحداً فيك أبداً، ومكث كذلك سنة ثم طلقها.

فَلَمَّا بَاتَ لُبْنَى بِطَلَاقِهِ، وَرَغَّ مِنَ الْكَلَامِ لَمْ يَلْبِسْ حَتَّى اسْتُطِيرَ عَقْلَهُ وَذَهَبَ بِهِ، وَلَحْقَهُ مِثْلُ الْجَنُونِ، وَتَذَكَّرَ لُبْنَى وَحَالَهَا مَعَهُ، فَأَسْفَى وَجْهُهُ يَبْكِي وَيَنشِيِّجُ^(٢) أَخْرَى نَشِيِّجٍ . وَبَلَغَهَا الْخَبَرُ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا لِيَحْمِلَهَا؛ فَأَقْبَلَ أَبُوهَا بِهَوْدَجٍ عَلَى نَاقَةٍ وَبَابِلٍ تَحْمِلُ أَثَاثَهَا .

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَيْسَ أَقْبَلَ عَلَى جَارِيَّهَا قَالَ : وَيْحَكَ ! مَا دَهَانِي فِيهِ كُمْ ؟ قَالَتْ : لَا تَسْأَلْنِي وَسَلْ لُبْنَى ، فَذَهَبَ لِيلَمَ بِجَنَابَهَا فِي سَاهَا، فَنَعَهُ قَوْمُهَا . فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهِ قَالَتْ لَهُ : مَالِكَ ؟ وَيْحَكَ ! تَسْأَلُ كَانْكَ جَاهِلُ أَوْ مُتَجَاهِلُ ! هَذِهِ لُبْنَى تَرْتَحِلُ الْلَّيْلَةِ أَوْ غَدَاءً ، فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ لَا يَعْقُلُ ، ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ :

وَإِنِّي لَمَفْنَى دَمْعَ عَيْنَيَ بِالْبُكَاءِ حِذَارَ الذِّي قَدْ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنُ
وَقَالُوا : غَدَاءً أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ الْلَّيْلَةِ فَرَاقُ حَبِيبٍ لَمْ يَبْيَنْ وَهُوَ بَائِنُ
وَمَا كَنْتُ أَخْشِي أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتِي بِكَفِيْكِ إِلَّا أَنَّ مَا حَانَ حَانِ
ثُمَّ التَّفَتْ فَرَأَى غُرَابًا سَقَطَ قَرِيبًا مِنْهُ ، فَجَعَلَ يَنْعَقُ مِرَارًا ، فَتَطَيِّرَ مِنْهُ
وَقَالَ :

فَطَارَ الْقَلْبُ مِنْ حَذَرِ الْغَرَابِ لَقَدْ نَادَى الْغَرَابُ بَيْنَ لُبْنَى
وَتَنَايَ بَعْدَ وَدِ وَافْتَرَابِ وَقَالَ : غَدَاءً تَبَاعِدُ دَارُ لُبْنَى

(٢) النَّشِيِّجُ : أَنْ يَغْصُ الْبَاكِي بِالْبَكَاءِ مِنْ

(١) النَّفَّ : مَا كَانَ شَمْسًا فَيَنْسَخُهُ الظَّلَلُ .

غَيْرِ اتِّحَادِ .

فقلت : تَعِسْتَ وَيَحْكَ من غرائبِ وكان الدهرَ سعيك في تَبَاكِ

ومنه قومُه من الإمام بها ، فقال :

أَلَا ياغرَابَ الْبَيْنِ ؟ وَيَحْكَ ! نَبِيٌّ
 بِعِلْمِكَ فِي لُبْنَى وَأَنْتَ خَبِيرُ
 فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُخْبِرْ بِمَا قَدْ عَلِمْتَهُ
 فَلَا طِرْنَتَ إِلَّا وَالجَنَاحُ كَسِيرُ
 وَدُرْنَتَ بِأَعْدَاءِ حَبِيبِكَ فِيهِمُ كَمْ قَدْ تَرَانِي بِالْحَبِيبِ أَدُورُ

ثُمَّ أَدْخَلْتَ فِي هُودِجَهَا ، وَرَحْلَتْ وَهِيَ تَبْكِي ! فَاتَّبَعْهَا وَهُوَ يَقُولُ :

أَلَا ياغرَابَ الْبَيْنِ ؟ هَلْ أَنْتَ مُخْبِرِي
 بِخَبْرِ كَمْ خَبَرْتَ بِالنَّأْيِ وَالشَّرِّ
 وَقَلَتْ : كَذَاكَ الْدَّهْرُ مازالَ فَاجِعًا
 صَدَقَتْ ، وَهُلْ شَيْءٌ يَبْقِي عَلَى الْدَّهْرِ

ثُمَّ عَلِمَ أَنَّ أَبَاهَا سَيْمَنَعَهُ مِنَ الْمَسِيرِ مَعْهَا ؛ فَوَقَفَ يَنْظَرُ إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي ، حَتَّى غَابُوا
 عَنْ عَيْنِهِ ، فَكَرِرَ رَاجِعًا ؛ وَنَظَرَ إِلَى أَثْرِ حُفَّ بَعِيرَهَا ؛ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ يَقْبَلَهُ ، وَرَجَعَ
 يَقْبَلُ مَوْضِعَ مَجَلِسِهَا وَأَثْرَ قَدْمَهَا ؛ فَلَمْ يَعْلَمْ عَلَى ذَلِكَ وَعَنْفَةَ قَوْمِهِ عَلَى تَقْبِيلِ التَّرَابِ ،
 فَقَالَ :

وَمَا أَحِبْتُ أَرْضَكُمْ وَلَكُنْ أَقْبَلْ إِنْزَرَ مَنْ وَطَى التُّرَابَا
 لَقَدْ لَا قَيْتُ مِنْ كَلَفِي بُلْبَنَى بَلَاءَ مَا أُسِيْغَ بِهِ الشَّرَا با
 إِذَا فَادَى النَّادِي بِاسْمِ لُبْنَى عَيْتُ فَمَا أُطِيقُ لَهُ جَوَابَا

وَقَالَ ، وَقَدْ نَظَرَ إِلَى آثارِهَا :

أَلَا يَارَبَّ لُبْنَى مَا تَقُولُ ؟ أَبْنَ لِي الْيَوْمَ مَا فَلَ الْحَلَولُ
 فَلَوْ أَنَّ الدِّيَارَ تُحِبِّ صَبَّاً لَرَدَ جَوَابِيَ الرَّبِيعُ الْمُحِيمَلُ
 وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ غَدَاءَ قَالْتُ : غَدَرْتَ ، وَمَاءَ مُقْلِمَهَا يَسِيلُ

نَحْرَتُ النَّفْسَ حِينَ سَمِعَتْ مِنْهَا
مَقَالَتِهَا وَذَلِكَ لَهَا قَلِيلٌ
شَفِيتُ غَلِيلَ نَفْسِي مِنْ فِعَالِي
وَلَمْ أَغْبَرْ بِلَا عَقْلِي أَجُولُ
كَأْنِي وَإِلَهٌ بِفِرَاقِ لِبْنَى
تَهِيمٌ بِقُدْرٍ وَاحِدِهَا شَكُولُ
أَلَا يَا قَلْبُ وَيَحْكُمْ إِنْ جَلِيدَا ؛
فَقَدْ رَحَلَتْ ، وَفَاتَ بِهَا الدَّمِيلُ^(١)
إِذَا رَحَلَتْ ، وَإِنْ كَثُرَ الْعَوْيَلُ
وَكَمْ قَدْ عِشْتَ ؟ كَمْ بِالْقُرْبِ مِنْهَا !
فَصَبَرَا ؛ كُلُّ مُؤْتَفَنٍ يَوْمًا
فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَانْفَرَدَ ، وَأَوْيَ إِلَى مَضْبُوْعِهِ لِمْ يَأْخُذْهُ الْقَرَارُ ، وَجَعَلَ
يَتَمَلَّمُ فِيهِ تَمَلَّمُ السَّلِيمِ ، ثُمَّ وَثَبَ حَتَّى أَتَى مَوْضِعَ خِبَابِهَا ؛ فَجَعَلَ يَتَمَرَّغُ فِيهِ
وَيَسْكُنُ وَيَقُولُ :

بِثُ وَالْهُمْ يَا لَبْنَى ضَحِيعِي
وَجَرَتْ مَذْنَأْيَتِي دُمُوعِي
وَتَنْفَسْتُ إِذْ ذَكَرْتُكِ حَتَّى
زَالَتِ الْيَوْمَ عَنْ فَوَادِي ضُلُوعِي
أَنْتَاسَاكِ كَيْ يُرِيغَ^(٢) فَوَادِي
ثُمَّ يَشْتَدُّ عَنْدَ ذَلِكَ وَلُوعِي
يَا لَبْنَى ! فَدَتَكِ نَفْسِي وَأَهْلِي !
هَلْ لَدْهِ لَنَا مِنْ رَجُوعِ

وَمَرَضَ قِيسُ ، فَسَأَلَ أَبُوهُ فَتَيَاتِ الْحَى أَنْ يَعْدُنَهُ وَيَحْدِثُنَهُ ، لَعَلَهُ أَنْ يَتَسْلِي ؛
فَفَعَلَنَ ذَلِكَ ، وَدَخَلَ الطَّبِيبَ إِلَيْهِ لِيَداوِيهِ ، وَالْفَتَيَاتُ مَعَهُ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُنَ عَنْهُ جَعَلُنَ
يَحْادِثُنَهُ ، وَأَطْلَنَ السُّؤَالَ عَنْ سَبْبِ عَلَتِهِ ، فَقَالَ :

(١) الدَّمِيلُ : السِّيرُ الْلَّيْلِ . (٢) يُرِيغُ : يَحْمِيدُ .

عِيدَ قَيْسَ مِنْ حُبٍ لِّبْنِي، وَلِبْنِي
وَإِذَا عَادَنِي الْعَوَادِنُ يَوْمًا
لَيْتَ لِبْنِي تَعُودَنِي ثُمَّ أَقْضِي
وَيَحْ قَيْسَ لَقَدْ تَضَمَّنَ مِنْهَا
فَقَالَ لِهِ الطَّبِيبُ : مَنْذُ كُمْ هَذِهِ الْعَلَةُ ؟ وَمَنْذُ كُمْ وَجَدْتَ بِهَذِهِ الْمَرْأَةَ مَا وَجَدْتَ ؟

فَقَالَ :

تَعْلَقَ رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خَلَقْنَا
فَزَادَ كَارِزِدَنَا ، فَأَصْبَحَ نَامِيًّا
وَلَكِنَّهُ باقٍ عَلَى كُلِّ حَادِثٍ
فَقَالَ لِهِ الطَّبِيبُ : إِنَّ مَا يُسْلِيَكَ عَنْهَا أَنْ تَقْذِكَرْ مَا فِيهَا مِنَ الْمَسَاوِيِّ وَالْمَعَايِبِ ،
وَمَا تَعَافَهُ النَّفْسُ مِنْ أَقْدَارِ بَنِي آدَمَ ، فَإِنَّ النَّفْسَ حِينَئِذٍ تَنْبُو وَتَسْلُو وَيَخْفُ مَا بِهَا ،

فَقَالَ :

إِذَا عَيْتُهَا شَبَهَهَا الْبَدْرَ طَالِعًا
لَقَدْ فَضَّلَتْ لِبْنِي عَلَى النَّاسِ مِثْلَ مَا
وَحْسُبَكَ مِنْ عِيْبَهَا شَبَهَهَا الْبَدْرِ
عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ فُضَّلَتْ لِيَلَةُ الْقَدْرِ

وَدَخَلَ أَبُوهُ وَهُوَ يَخَاطِبُ الطَّبِيبَ بِهَذِهِ الْمَخَاطِبَةِ ، فَأَنْبَهَ وَلَامَهُ ، وَقَالَ لَهُ :
يَا بَنِي ؟ اللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ ! فَإِنَّكَ مَيِّتٌ إِنْ دُمْتَ عَلَى هَذَا ، فَقَالَ :
وَفِي عُرُوْةَ (١) الْعَذْرِيِّ إِنْ مَتْ أَسْوَةَ
وَعَمْرُو (٢) بْنَ عَجْلَانَ الَّذِي قُتِلَتْ هِنْدُ

(١) هو عروة بن حزام أحد المتيين الذين قتلهم الحوي (انظر صفحة ١١٣). (٢) شاعر جاهلي أحد من قتلهم الحوي، وكان له زوجة يقال لها هند فطلقها ثم ندم عليها، ولما تزوجت زوجاً غيره مات أسفًا (الأغاني ص ١٠٢، ج ١٩).

وَبِي مِثْلٌ مَا مَاتَّا بِهِ ، غَيْرَ أُنْتِي وَقُتُّهُ بَعْدُ
هَلْ الْحَبُّ إِلَّا عَبْرَةٌ بَعْدَ زَفْرَةٍ وَحَرَّ عَلَى الْأَحْشَاءِ لَيْسَ لَهُ بَرْدٌ
وَفَيْضٌ دُمُوعٌ تَسْهَلُ إِذَا بَدَا لَنَا عَلَمٌ مِنْ أَرْضَكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو

— ٣ —

وَلَمَّا طَالَ عَلَى قَيْسٍ مَا بِهِ مِنَ الْأَمْرِ بَعْدَ طَلاقِ لُبْنِي ، أَشَارَ قَوْمَهُ عَلَى أَبِيهِ
بْنَ يَزْوَّجَهُ امْرَأَةً جَمِيلَةً ، فَعَلِمَ أَنَّ يَسْلُو بَهَا عَنْ لُبْنِي ؟ فَدَعَاهُ إِلَى ذَلِكَ فَأَبَاهُ وَقَالَ :
لَقَدْ حِفْتُ إِلَّا تَقْنَعَ النَّفْسَ بَعْدَهَا بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ مَقْنِعًا
وَأَزْجَرَ عَنْهَا النَّفْسَ إِذْ حَيَّلَ دُونَهَا وَتَأْبَى إِلَيْهَا النَّفْسُ إِلَّا تَطَعُّمَا
فَأَعْلَمُهُمْ أَبُوهُ بَنَارَدَ عَلَيْهِ . قَالُوا : فَمَرْهُ بِالْمَسِيرِ فِي أَحْيَاءِ الْعَرَبِ وَالنَّزُولِ عَلَيْهِمْ
فَلَمَّا عَيْنَهُ أَنْ تَقْعَ عَلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ . فَأَقْسَمَ عَلَيْهِ أَبُوهُ بَنَارَادَ أَنْ يَفْعُلُ .

فَسَارَ حَتَّى نَزَلَ بِجَيِّيَّ مِنْ فَزَارَةَ ، فَرَأَى جَارِيَّةَ حَسَنَاءَ قَدْ حَسِرَتْ بُرْقُعُ خَزِّ
عَنْ وَجْهِهَا وَهِيَ كَالْبَدْرُ لِيَلَةَ تِمَّهِ ، قَالَ لَهَا : مَا أَسْمَكَ يَا جَارِيَّةً ؟ قَالَتْ : لُبْنِي .
فَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَنَضَحَتْ عَلَى وَجْهِهِ مَاءٌ وَارْتَاعَتْ لِمَا عَرَاهُ ، ثُمَّ
قَالَتْ : إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا قَيْسَ بْنَ ذَرِيعَ إِنَّهُ لِجَنُونٌ ! فَأَفَاقَ فَنَسَبَتْهُ فَانْتَسَبَ .
قَوْمَتْ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ قَيْسٌ ، وَلَكِنْ نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ وَبِحَقِّ لُبْنِي إِلَّا أَصْبَتَ مِنْ
طَعَامَنَا وَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ طَعَامًا ، فَأَصَابَ مِنْهُ بِإِصْبَاعِهِ ، وَرَكَبَ فَأَتَى عَلَى أَثْرِهِ أَتَخَلَّهَا كَانَ
غَائِبًا فَرَأَى مُنَاخَ نَاقِتهِ ؛ فَسَأَلَهُمْ عَنْهُ فَأَخْبَرُوهُ ، فَرَكَبَ حَتَّى رَدَّهُ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَحَافَ عَلَيْهِ
لِيُقِيمَنَّ عَنْهُ شَهْرًا . قَالَ لَهُ : لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ ، وَلَكِنِّي سَأَتَّبِعُ هُوَاكَ ، وَالْفَزَارِيُّ

يزداد إعجاباً بحديثه وعقله وروايته ، فعرض عليه الصهر . فقال له : يا هذا ؟ إن فيك لرغبة ، ولكنني في سُفْل لا يُنْتَفِعُ بي معي .

فلم يزل يعاوِدُه والجَيْل يلومونه ويقولون له : قد خَشِبَنا أن يصِيرَ علينا فَعْلَك سُبْبَة .
قال : دَعُونِي ففي مثل هذا الفتى يرَغِبُ الْكِرَام . فلم يزل به حتى أجا به ، وعقدَ
الصَّهْرَ بينه وبينه على أخته المسماة لُبْنَى ، وقال له : أنا أُسُوقُ عنك صَدَاقَها . فقال :
أنا والله يا أخي أَكْثُرُ قومي مَا لَه . فما حاجتك إلى تَكْلِيفِ هذا ؟ أنا ناسائر إلى قومي
وسائقٌ إِلَيْهَا الْمَهْر . ففعَلَ وأعلم أباه الذي كان منه ؛ فَسَرَّه وساقَ الْمَهْرَ عنه .

ورجع إلى الفَزَارِيَّين حتى أَدْخَلَتْ عليه زوجته ، فلم يَرَوْهْ هَشَّ إِلَيْها ولادَنَا
منها ؛ ولا خاطَبَها بحَرْفٍ ولا نَظَرَ إِلَيْها .

وأقام على ذلك أيامًا كثيرة ؛ ثم أعلمهم أنه يريد الخروج إلى قومه أيامًا ، فأذنوا
له في ذلك ؛ فمضى لوجهه إلى المدينة ، وكان له صديقٌ من الأنصار بها ، فأناه فأعلمه
الأنصار أنَّ خبرَ تزويجه بلغ لُبْنَى فَغَمَّهَا وقالت : إنه لَغَدَار ! ولقد كنتُ أُمْتنعُ من
إِجابة قومي إلى التزويج فَأَنَا الآن أَجِيبُهُم .

وقد كان أبوها شَكَا قَيْسًا إلى معاوية ، وأعلمه تعرُضه لها بعدَ الطلاق ، فكتب
إلى مروان بن الحكم يُهَذِّرُ دَمَه إِنْ تَعْرَضَ لها ، وأمرَأَها أن يُزَوِّجَهار جلا يعرف
بِخَالدِ بْنِ حِلْزَة ، فزوجها أبوها منه ، فجعل نساء الجَيْل يَقْلُنَ ليلة زِفافها :

لُبْنَى زوجُها أصبحَ لا حَرَّ بِوَادِيه

لَهْ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ بما باطَ تُنَاجِيهِ

وَقِيسٌ مِيَّتْ حَيٌّ صَرِيعٌ فِي بُوَاكِيهِ

فَلَا يُبَعِّدُهُ اللَّهُ وَبَعْدًا لِنِواعِيهِ

فَيَجِزِّعَ قِيسَّ جَزِعاً شَدِيداً ، وَجَعْلَ يَنْشِّحَ أَحَرَّ نَشِيجَ وَبِكَى أَحَرَّ بَكَاءَ .
ثُمَّ رَكَبَ مِنْ فَوْزِهِ حَتَّى أَتَى مَحَاجَةَ قَوْمِهَا ، فَنَادَاهُ النِّسَاءُ : مَا تَصْنَعُ الْآنَ هَاهُنَا !
قَدْ نُقْتِلْتُ لُبْنَى إِلَى زَوْجَهَا ! وَجَعْلَ الْفَتَيَانُ يُعَارِضُونَهُ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ وَأَشْبَهُهَا وَهُوَ
لَا يَجِيئُهُمْ حَتَّى أَتَى مَوْضَعَ خِبَابِهَا ، فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ وَجَعْلَ يَتَمَعَّكَ^(١) فِي مَوْضِعِهَا ؛
وَيُمْرَغُ خَدَّهُ عَلَى تُرَابِهَا ، وَبِكَى أَحَرَّ بَكَاءَ ، ثُمَّ قَالَ :

إِلَى الله أَشْكُوكَوْ قَدْ لَبَنَ كَاشَكَا
يَتِيمٌ جَفَاهُ الْأَقْرَبُونَ فِي حِسْمَهُ
نَحِيلٌ وَعَمَدُ الْوَالِدَيْنَ قَدِيمٌ
بَكْتُ دَارُهُمْ مِنْ نَأْيِهِمْ فَتَهَلَّتُ
أَمْسِكَبَرَا يَبْكِي مِنْ الشَّوْقِ وَالْهَوْيِ
تَهِيَضَنِي^(٢) مِنْ حُبِّ لُبْنَى عَلَاقَهُ
دَمْوَعِي ، فَأَيُّ الْجَازِعِينَ أَلُومُ ؟
يَمْتُ أَوْ يَعْشُ مَا عَاشَ وَهُوَ كَلِيمٌ
وَمَنْ يَتَعَلَّقُ حُبَّ لُبْنَى فَوَادُهُ
فَإِنِّي وَإِنْ أَجْمَعَتُ عَنِّكَ تَجَلَّدُهُ
وَإِنَّ زَمَانًا شَتَّتَ الشَّمْلَ يَبْنَنَا
عَلَى الْعَمَدِ فِيهَا يَبْنَنَا لَقِيمُ
وَبَيْنَكُمْ فِيهِ الْعِدَّا لَمْشُومُ
أَفِي الْحَقِّ هَذَا أَنْ قَلْبِكِ فَارِغٌ
صَحِيحٌ وَقَلْبِي فِي هَوَاكِ سَقِيمٌ !

وَشَخَصُ أَبُو لُبْنَى إِلَى مَعَاوِيَةَ ، فَشَكَا إِلَيْهِ قِيسًا ، وَتَعَرَّضَهُ لَا بُنْتَهُ بَعْدَ طَلاقِهِ
إِيَاهَا ، فَكَتَبَ مَعَاوِيَةً إِلَى مَرْوَانَ يُهُدِّرْ دَمَهُ إِنْ أَلَمْ بَهَا ، وَأَنْ يَشْتَدْ فِي ذَلِكَ .

(١) يَتَمَعَّكَ : يَمْرَغُ . (٢) تَهِيَضَنِي : انسَكَسَرَ .

فـ كـتـبـ مـرـوـانـ فـ ذـلـكـ إـلـىـ صـاحـبـ الـمـاءـ الـذـيـ يـنـزـلـهـ أـبـوـ لـبـنـيـ كـتـابـاـ وـ كـيـداـ؛
وـ وجـهـتـ لـبـنـيـ رـسـوـلـ قـاصـدـاـ إـلـىـ قـيـسـ تـعـلـيمـهـ مـاـ جـرـىـ وـ تـحـذـرـهـ.
وـ بـلـغـ أـبـاهـ الـخـبـرـ، فـ عـاتـبـهـ، وـ قـالـ لـهـ : اـنـتـهـيـ بـكـ الـأـمـرـ إـلـىـ أـنـ يـهـذـرـ السـلـطـانـ
دـمـكـ ؟ فـ قـالـ :

فـإـنـ يـحـجـبـوـهـاـ أـوـ يـحـلـ دـوـنـ وـصـلـهـاـ
فـلـنـ يـمـنـعـوـاـ عـيـنـيـ مـنـ دـائـمـ الـبـسـكـاـ
إـلـىـ اللـهـ أـشـكـوـ مـاـ أـلـاقـيـ مـنـ الـمـوـيـ
وـمـنـ حـرـقـ لـلـحـبـ فـ باـطـنـ الـحـشـىـ
سـأـبـكـ عـلـىـ نـفـسـيـ بـعـيـنـ غـزـيرـةـ
وـكـنـاـ جـيـمـاـ قـبـلـ أـنـ يـظـهـرـ الـمـوـيـ
فـاـبـرـحـ الـواـشـونـ حـتـىـ بـدـأـتـ لـهـ
لـقـدـ كـنـتـ حـسـبـ الـنـفـسـ لـوـ دـامـ وـصـلـنـاـ

وـ حـجـ قـيـسـ بـنـ ذـرـيـحـ، وـ اـتـقـ أـنـ حـجـتـ لـبـنـيـ فـ تـلـكـ السـنـةـ، فـ رـآـهـاـ وـمـعـهاـ
أـمـرـأـةـ مـنـ قـوـمـهاـ؛ فـ دـهـشـ، وـ بـقـيـ وـاقـفـاـ مـكـانـهـ وـمـضـتـ لـسـيـلـهـاـ.
ثـمـ أـرـسـلـتـ إـلـيـهـ بـالـمـرـأـةـ تـبـلـغـهـ السـلـامـ وـتـسـأـلـهـ عـنـ خـبـرـهـ، فـ أـلـفـقـهـ جـالـسـاـ وـحـدهـ
يـنشـدـ وـبـيـكـ :

وـبـيـومـ مـنـ أـعـرـضـتـ عـنـ فـلـمـ أـقـلـ
بـحـاجـ نـفـسـ عـنـدـ لـبـنـيـ مـقـالـاـ
وـفـ الـيـاسـ لـلـنـفـسـ الـمـرـيـضـ رـاحـةـ
إـذـاـ النـفـسـ رـامـتـ خـطـةـ لـاـ تـنـالـهـ

فدخلتْ خباءً وجعلتْ تحدّثه عن أُلْبَنِي ويحدثُها عن نفسه مَلِيًّا ، ولم تعلمه أنْ
لُبْقَ أرسلتها إليه ، فسألها أنْ تبلغُها عنه السلام ، فامتنعت عليه ؛ فأنشأ يقول :

إذا طلعتْ شمسُ النهارِ فسلّى فَآيَةُ تسليمِي عليك طلوعُها
بعشرِ تحياتٍ إِذَا الشَّمْسُ أُشْرَقَتْ
ولو أَبْلَقْتَهَا جارةً قوليَّ آسْلَى
وبَانَ الَّذِي تُخْفِي مِنَ الْوَجْدِ الْحَسْنِي إِذَا جاءَهَا عَنِ الْحَدِيثِ يَرْوُعُهَا

وقضى الناسُ حَجَّهُمْ ، وانصرفوا ؛ فرِضَ قيسُ فِي طرِيقِهِ مِرْضًا شديداً أَشْفَى
منه على الموت ؛ فلم يأتِهِ رَسُولُهَا عائِدًا ؛ لأنَّ قومَهَا رأوه وعلموا به فقال :

أَلْبَنِي لَقَدْ جَلَّتْ عَلَيْكَ مَصِيبَتِي غَدَاءَ غَدِّي إِذْ جَلَّ مَا أَتَوْعَقَ
تُمْنِينَنِي نَيْلًا وَتَلْوِينِي بِهِ فَنفْسِي شَوْقًا كُلَّ يَوْمٍ تَقْطَعُ
فَوَأَكْبِدِي قَطًّا مَا يَلِينُ لِمَا يَرَى وَقَلْبِكِ قَطًّا مَا يَلِينُ لِمَا يَرَى
لِعَمْرِي ، وَأَجْنَفِي لِلْمَحْبَّ وَأَقْطَعُ
فَمَا فَاضَ مِنْ عَيْنِيكَ لِلْوَجْدِ مَدْمَعٌ
وَإِنْ كَانَ دَائِي كَلَّهُ مِنْكَ أَجْمَعُ
فَظَلَّتْ عَلَيَّ الْعَائِدَاتُ تَفَجَّعُ
وَقَائِلَةً لَا ، بل تَرَكَنَاهُ يَنْزِعُ^(١)
فَأَغْشِيَتْ عَيْنِيكَ مِنْ ذَاكَ عَبْرَةً وَعَيْنِي عَلَى مَا بَيْ بِذِكْرِ الْأَكِ تَدْمَعُ
فَبَلَّةَهَا الْأَبِيَاتُ ؛ بَخْرَعَتْ جَزْعًا شديداً ، وبَكَتْ بَكَاءً كَثِيرًا ، ثُمَّ خَرَجَتْ

(١) فِي النَّزْعِ : أَى عَلَى شَفَا الْمَوْتِ .

إِلَيْهِ لِيَلَا عَلَى مَوْعِدٍ ؛ فَاعْتَذَرْتُ . وَقَالَتْ : إِنَّا أَبْقَى عَلَيْكَ وَأَخْشَى أَنْ تُقْتَلَ ، فَإِنِّي
أَحْمَاكَ لِذَلِكَ ، وَلَوْلَا هَذَا مَا افْتَرَنَا ، وَوَدَّعْتُهُ وَانْصَرَفْتُ .

وَبَلَغَهُ أَنَّ أَهْلَهَا قَالُوا لَهَا : إِنَّهُ عَلِيلٌ لِمَا بَهُ ، وَإِنَّهُ سِيمُوتُ فِي سَفَرَهُ هَذَا ،
فَقَالَتْ لَهُمْ لَتَدْفَعُوهُمْ عَنْ نَفْسِهِمْ : مَا أَرَاهُ إِلَّا كَاذِبًا فِيهَا يَدْعُى ، وَمَتَعَلَّلًا لَا عَلِيلًا ،
فَبَلَغَهُ ذَلِكَ قَالَ :

تَكَادُ بِلَادُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَعْمَرٍ بِمَا رَجَبْتَ يَوْمًا عَلَى تَضِيقِ

إِلَى أَنْ قَالَ :

سَعِ الدَّهْرُ وَالْوَاسْوَنَ بَيْنِهَا وَبَيْنِهَا قُطْعَ حَسْلُ الْوَصْلِ وَهُوَ وَثِيقٌ
هَلِ الصَّبْرُ إِلَّا أَنْ أَصْدَّ فَلَا أَرَى بِأَرْضِكَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ طَرِيقٌ
ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ ، فَاقْتَطَعَ قِطْعَةً مِنَ الْإِبْلِ ، وَأَعْلَمَ أَبَاهُ أَنَّهُ يَرِيدُ الْمَدِينَةَ لِيَبِعَهَا ،
وَيَمْتَارَ لِأَهْلِهِ بِشَمْنَاهَا . فَعَرَفَ أَبُوهُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَرِيدُ لَبْنِي ، فَعَاتَهُ وَزَجَرَهُ عَنْ ذَلِكَ ؛
فَلَمْ يَقْبِلْ مِنْهُ ، وَأَخْذَ إِبْلَهُ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ .

فَبَيْنَمَا هُوَ يَعْرِضُهَا إِذْ سَاوَمَهُ زَوْجُ لَبْنِي بِنَاقَةً مِنْهَا ، وَمَا لَا يَتَعَارَفُ فَبَاعَهُ
إِلَيْهَا . فَقَالَ لَهُ : إِذَا كَانَ غَدَّ فَأَتِيَ فِي دَارِ كَثِيرِ بْنِ الصَّلَتِ فَاقْبِضْهُ ثُمَّ . قَالَ :
نَعَمْ . وَمَضَى زَوْجُ لَبْنِي إِلَيْهَا ، فَقَالَ لَهَا : إِنِّي أَبْقَيْتُ نَاقَةً مِنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ،
هُوَ يَأْتِنَا غَدًا لِقَبْضِ ثُنَمَاهَا ، فَأَعِدْهُ لِهِ طَعَامًا ، فَفَعَلَتْ .

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْفَدِ جَاءَ قَيسُ فَصُوتَ بِالْخَادِمِ وَقَالَ : قَوْلِي لِسِيَدِكَ : صَاحِبُ النَّاقَةِ
بِالْبَابِ . فَعَرَفَتْ لَبْنِي نَعْمَتَهُ فَلَمْ تَقْلِ شَيْئًا . فَقَالَ زَوْجُهَا لِلْخَادِمِ : قَوْلِي لَهُ : ادْخُلْهُ .
فَدَخَلَ خَلْسَ . فَقَالَتْ لَبْنِي لِلْخَادِمِ : قَوْلِي لَهُ : يَا فَتِي ؟ مَالِ أَرَاكَ أَشْعَثَتْ أَغْبَرَ ؟

فقالت له ذلك . فتنفس ثم قال لها : هكذا تكون حالُ مَنْ فارق الأَحِيَّةَ واختار الموت على الحياة ، وبكي .

قالت لها لُبْنَى : قولي له : حَدَّثْنَا حَدِيشَك ؟ فلما ابتدأ يُحَدِّث به كشفت الحجاب ، وقالت : حسْبُك ! قد عرْفْنَا حديثك وأُسْبَلَتِ الحجاب ؟ فبُهْت ساعة لا يتكلّم ، ثم انفجر باكيا ونهض نخرج ؛ فناداه زوجها : ويُحَكَ ! ما قصّتك ؟ ارجع أقبضْ ثمنَ ناقِتك وإن شئتَ زِدْ ناك . فلم يكلمه ، ومضى .

وقالت لبني لزوجها : ويحك ! هذا قيس بن ذريح . فما حملك على ما فعلت به ؟
قال : ماعرفته . وجعل قيس يبكي في طريقه ، ويندب نفسه ، ويوبخها على
فعله ، ثم قال :

أَبْكَى عَلَى لُبْنَى وَأَنْتَ تَرْكَتَهَا
 فَإِنْ تَكَنَ الدُّنْيَا بِلُبْنَى تَقْلِبْتَ
 لَقَدْ كَانَ فِيهَا لِلأَمَانَةِ مَوْضِعٌ
 وَالْحَاجِمِ الْعَطْشَانِ رِئَى بِرِيقَهَا
 كَأَنِّي هَلْ أَرْجُوهُ مَذْيَدًا بَيْنَ أَحْبَلِ
 إِذَا ذُكْرَةٌ (١) مِنْهَا عَلَى الْقَلْبِ تَخْطُلُ
 وَأَنْتَ عَلَيْهَا بِالْمَلَأِ أَنْتَ أَقْدَرَ
 عَلَى فَلَلِدُنْيَا بُطُونٌ وَأَظْهَرَ
 وَلِلْكَفِ مُرْتَادٌ وَلَلَّهِ مَنْ نَظَرَ
 وَلِلْمَرْحِ الخَنَالِ خَمْرٌ وَمُسْكِرٌ

وَعَادَ إِلَى قَوْمِهِ بَعْدَ رُؤُيَتِهِ إِيَّاهَا وَقَدْ أَنْكَرَ نَفْسَهُ، وَأَسْفَ، وَلَحْقَهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ!
فَانْكَرُوهُ، وَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ فَلَمْ يَخْبِرْهُمْ؛ وَمَرْضٌ مَرْضًا شَدِيدًا أَشْرَفَ فِيهِ عَلَى الْمَوْتِ.
فَدَخَلَ إِلَيْهِ أَبُوهُ وَرَجَالُ قَوْمِهِ فَكَلَمُوهُ وَعَاتَبُوهُ وَنَاسَدُوهُ اللَّهُ . فَقَالَ : وَيَحْكُمُ !

(١) الذكرة : ضد النسان .

أَتَرَوْنِي أَمْرَضْتُ نَفْسِي أَوْ وَجَدْتُ لَهَا سَلَوةً بَعْدَ الْيَأسِ فَاخْتَرْتُ الْهَمَّ وَالْبَلَاءَ ،
أَوْلِي فِي ذَلِكَ صُنْعٌ ! هَذَا مَا اخْتَارَهُ لِأَبْوَاهِي وَقَاتَلَنِي بِهِ .

فَجَعَلَ أَبُوهُ يَبْكِي ، وَيَدْعُو لَهُ بِالْفَرْجِ وَالسَّلَوةِ ، فَقَالَ قَيسُ :

لَقَدْ عَذَّبْنِي يَا حَبَّ لُبْنَى فَقَعْ إِمَّا بُوتٍ أَوْ حِيَاةٍ
فِيْنَ الْمَوْتَ أَرْوَحُ مِنْ حِيَاةٍ تَدْوِمُ عَلَى التَّبَاعِيدِ وَالشَّتَاتِ
وَقَالَ الْأَقْرَبُونَ : تَعَزَّ عَنْهَا قَلْتُ لَهُمْ : إِذَنْ حَانَتْ وَفَاتِي^(١)

(١) قد اختلف في آخر أمر قيس ولبني، فذكر أكثر الرواية أنهم ما تنا على افتراهم؛ وذكر بعضهم أنه تزوجها فلم تزل معه حتى ماتا (راجع الأغاني من ٢١٩، ٢٢٠، ج ٩).

٤٦ - ما أبالي ما نيل مين شعرى ومن بشرى *

كان بـشـر^(١) بن مـروـان شـديـداً عـلـى العـصـاـة فـكـان إـذ ظـفـر بـالـعـاصـي أـقـامـه
عـلـى كـرـسـي وـسـرـكـفـيـه فـالـحـائـط بـمـسـمـار، وـنـزـع الـكـرـسـيَّ مـن تـحـتـه فـيـضـطـربـ
مـعـلـقاً حـتـى يـمـوتـ.

وكان فتى من بني عجل مع المُهَلَّبٍ رَّهُو يحاربُ الأزارقة، عاشقاً لابنة عمِّه، فكتبت إليه تَسْتَزِيرَهُ؛ فكتب إليها:

لولا نخافة بشرٍ أو عقوبةٍ أو كفي مسماً
إذن لطلاتٍ تغري (٢) ثم زرْ شَكْمُ

فكتبت إليه :

ليس المحبُّ الذي يخشى العقابَ ولو كانت عُقوبَتَه في إلْفِهِ النَّارِ
بل المحبُّ الذي لا شَيْءٌ يُمْنَعُهُ أو تَسْتَقِرُّ وَمَنْ يَهُوَيْ بِهِ الدَّارُ

فَلَمَا قَرَأَ كِتَابَهَا عَطَّلَ ثُغْرَهُ، وَانْصَرَفَ إِلَيْهَا، وَهُوَ يَقُولُ :
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِذْ خِفْتُ الْأَمِيرَ وَلَمْ أَخْشَ الَّذِي أَنَا مِنْهُ غَيْرُ مُتَّصِرٍ
فَشَاءَ بَشَرٌ بَلْ حَمْيٌ فَلَمَّا يُدْبَدَبَهُ أَوْ يَعْفُ عَفْوًا أَمِيرٌ خَيْرٌ مُقْتَدِرٌ

الأُمَالِي : ٢ - ٣٠ *

(١) بشر بن مروان: أمير كان سجيناً جواداً، ولـ إمرة العراقيـن لأخيه عبد الملك، توفـ سنة ٧٥ هـ

٢) الشغر : موضع المخافة من فروج البلدان .

فَا أَبَالِي - إِذَا أَمْسَيْتِ رَاضِيَةً يَاهْنَدُ مَانِيلَ مِنْ شَعْرِي وَمِنْ بَشَرِي
نَمْ قَدِمَ الْبَصَرَةُ، فَمَا أَقَامَ إِلَّا يَوْمَيْنِ حَتَّى وَشَى بِهِ وَأَشَى إِلَى بَشَرٍ؛ فَقَالَ : عَلَى
بِهِ ! فَأُتْقِى بِهِ، فَقَالَ : يَا فَاسِقٌ، عَطَلَتْ نَفْرَكَ ! هَلَّمُوا إِلَى الْكَرْنَسِيَّ، فَقَالَ : أَعَزَّ اللَّهَ
الْأَمِيرَ، إِنَّ لِي عُذْرًا ، فَقَالَ : وَمَا عُذْرُكَ ؟ فَأَنْشَدَهُ الْأَبِيَاتُ ، فَرَقَّ لَهُ وَكَتَبَ إِلَى
الْمَهَلَبَ فَأَتَبَتَهُ فِي أَصْحَابِهِ .

* ٤٧ — فِي الْقَلْبَيْنِ هُوَ دَفِينٌ

كان حبُّ عشق المجنونِ^(١) ليلى ، أله أقبل ذاتَ يَوْمٍ على ناقَةَ لَهْ كَرِيمَةَ ،
وعليه حُتَّانٌ من حُلَّالِ الملوكِ ، فَرَّ بِامرأةٍ مِنْ قَوْمِهِ يَقَالُ لَهَا : كَرِيمَةُ ، وَعِنْدَهَا نِسْوَةٌ
يَتَحَدَّثُنَّ ، فِيهِنَّ لِيلَى ، فَأَعْجَبَهُنَّ جَاهَهُ وَكَاهَهُ ، فَدَعَوْنَهُ إِلَى النَّزُولِ وَالْحَدِيثِ ، فَنَزَلَ
وَجَعَلَ يَحْدُثُنَّ ، وَأَمْرَ عَبْدًا لَهُ كَانَ مَعَهُ ، فَقَرَرَ لَهُنَّ نَافِيَّةً ، وَظَلَّ يَحْدُثُنَّ بَقِيَّةَ
يَوْمِهِ .

فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِنَّ فَتَّى عَلَيْهِ بُرُودَةُ مِنْ بُرُودِ الْأَغْرَابِ يَقَالُ لَهُ :
« مُنَازِلُ » يَسُوقُ مِعْزِيَّ لَهُ ، فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَقْبَلْنَ عَلَيْهِ ، وَتَرَكْنَ الْمَجْنُونَ ، فَضَضَبَ
وَخَرَجَ مِنْ عَنْدِهِنَّ وَأَنْشَأَ يَقُولَ :

أَعْقِرُهُنْ جَرَّا^(٢) كَرِيمَةَ نَاقَتِي
وَوَصَلَ مَفْرُوشَ^(٣) لَوْصَلْ مُنَازِلِ
إِذَا جَاءَ قَقْعَنَ الْحَلِيلِ وَمَأْكُونَ
مَتَّ مَا اتَّضَلَّنَا^(٤) بِالسَّهَامِ نَضَلَّتِهِ^(٥)
وَإِنْ فَرْمَ رُشْقَانًا^(٦) عَنْدَهَا فَهُنْ نَاضِلِي
فَلَمَّا أَصْبَحَ لِيَسْ حُلْقَيَّهُ ، وَرَكَبَ نَاقَةً لَهُ أُخْرَى ، وَمَضَى مَتَّعْرِضًا لَهُنَّ ، فَأَلَّفَ
لِيلَى قَاعِدَةَ بِقَنَاءِ يَيْتَهَا ، وَقَدْ عَلِقَ حَبَّهُ بِقَلْبِهَا وَهُوَ يَتَهَّهَ ، وَعَنْدَهَا جُوَيْرِيَّاتٌ يَتَحَدَّثُنَّ

* الأغاني : ٢ : ١٢ *

(١) هو قيس بن الملوح من بني عامر ، وصاحبته هي ليلي بنت مهدى، وتكنى أم مالك ، وقد استفانست
كتب الأدب بأخبار عشقه ، واختلف الرواة في صحة نسبتها إليه ، توفى سنة ٨٠ هـ (٢) من
جرا : من أجل (٣) مفروش : مهدلوا ضله وسبيل إليه (٤) اتضلنا : ترامينا (٥) نضلته :
سبته (٦) الرشق : روى أهل النصال ما معهم من السهام في جهة واحدة .

معها ، فوق بهنَّ وسلم ، فدعونَه للنزول وقلن له : هل لك في محادثةٍ من لا يشفع له عنك مُنازِل ولا غيره ؟ فقال : إى أمْرِي ! فنزل و فعل مثلـ ما فعله بالأمس ، فارادت أن تعلم ، هل لها عندَه مثلـ ماله عندَها ، فجملت تعرِض عن حدِيـته ساعةً بعد ساعة ، و تحدثَ غيره ، وقد كان علِق بقلبها مثلـ جبها إياه ، و شفقتُه واستملأَها .

فيينا هي تُحدِّثه إذ أقبل فتَّى مِنَ الْحَيَّ ، فدعنته و سارَتْه سِرَاراً^(١) طويلاً ، ثم قالت له : انصرُفْ ، و نظرتُ إلَى وجْهِ المجنون فوجده قد تَغَيَّرَ ، و انتَقَعَ^(٢) لونُه ، و شقَّ عليه فعلُها ، فأذنَّتْه تقول :

كِلَانَا مُظَهِّرُ النَّاسِ بُغْضًا وَ كُلُّهُ عِنْدَ صَاحِبِه مَكِينٌ^(٣)
تَبَلَّغُنَا الْعَيْنُ بِمَا أَرَدْنَا وَ فِي الْقُلُوبِ ثَمَّ هُوَيَ دَفِينٌ
فَلَمَّا سَمِعَ الْبَيْتَيْنِ شَهَقَ شَهَقَةً شَدِيدَةً وَأَغْمَى عَلَيْهِ ، فَكَثُرَ عَلَى ذَلِكَ سَاعَةً .
وَنَصَحَّوَا الْمَاءَ عَلَى وَجْهِه حَتَّى أَفَاقَ ، وَمَسَكَ حُبُّ كُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي قَلْبِ صَاحِبِه
حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ كُلَّ مُبْلِغٍ .

(١) سِرَاراً : مصدر ساره في أذنه مسارة و سراراً (٢) انتَقَعَ : تغير لونه (٣) فلان مكين مت خلان : بين المكائن .

٤٨ — أَخْبَرْتِي عَنْ لِيلَةِ الْغَيْلِ *

اجتاز قَيْسُ بْنُ ذَرَيْحَ بِالْجَنُونِ وَهُوَ جَالِسٌ وَحْدَهُ فِي نَادِي قَوْمِهِ ، وَكَانَ كُلُّهُ
وَاحِدٌ مِنْهُمْ مُشْتَاقًا إِلَى لَقَاءِ الْآخَرِ ، وَكَانَ الْجَنُونُ قَبْلَ تَوْحِشِهِ لَا يَجِدُ سَرَفَرَدًا ،
وَلَا يَجِدُ أَحَدًا ، وَلَا يَرْدُعُ عَلَى مُتَكَلِّمٍ جَوَابًا ، وَلَا عَلَى مُسْلِمٍ سَلَامًا ، فَسَلَمَ عَلَيْهِ
قَيْسُ بْنُ ذَرَيْحَ ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ فَعَانَقَهُ وَقَالَ : سَرَحْبًا بَكَ يَا أَخِي ، أَنَا وَاللَّهُ مَذْهُوبٌ
فِي ، مُشْتَرِكُ الْأَلْبَ فَلَا تَلْمِنِي ؟ فَتَحَدَّثَ سَاعَةً وَتَشَاكِيَا وَبَكِيَا .

ثُمَّ قَالَ لِهِ الْجَنُونُ : يَا أَخِي ؟ إِنَّ حَيَّ لِيَ مِنَا قَرِيبٌ ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَضَيَّ إِلَيْهِ
فَتَبَلَّغَهُ عَنِ السَّلَامِ ؟ فَقَالَ لَهُ : أَفْعُلُ .

فَفَضَى قَيْسُ بْنُ ذَرَيْحَ حَتَّى أَنْ لَمَّا فَسَلَمَ وَانْتَسَبَ ؛ فَقَالَتْ لَهُ : حِيَاكَ اللَّهُ ،
أَنْكَ حَاجَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ ابْنُ عَلِكَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ بِالسَّلَامِ ؛ فَأَطْرَقْتُ ثُمَّ قَالَتْ :
مَا كَفَتَ أَهْلًا لِلتَّحْمِيَةِ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ رَسُولُهُ ، قَلَ لَهُ عَنِي : أَرَأَيْتَ قَوْلَكَ :

أَبَتْ لِيَلَةً بِالْغَيْلِ ^(١) يَا أَمَّ مَالِكٍ لَكُمْ غَيْرَ حَبِّ صَادِقٍ لَيْسَ يَكْذِبُ
أَلَا إِنَّمَا أَبْقَيْتَ يَا أَمَّ مَالِكٍ صَدَى ^(٢) أَيْنَا تَذَهَّبُ بِهِ الرَّيْحَ يَذَهَبُ
أَخْبَرْتِي عَنْ لِيلَةِ الْغَيْلِ ، أَئِ لِيلَةٌ هِيَ ؟ وَهَلْ خَلَوْتُ مَعَكَ فِي الْغَيْلِ أَوْ غَيْرِهِ

ليلًا أو نهاراً؟ فقال لها قيس : يا بنت عم ، إنَّ النَّاسَ تأْمُلُوا كلامَه على غير ما أراد ،
فلا تكوفي مثلهم ، إنما أَخْبَرَ أَنَّهَ رَآكِ ليلة الغَيْل فذهبَتْ بقلبه ، لا أَنَّهَ عَنَاكَ^(١) بسواء .
فأطْرَقَتْ طويلاً ودموعُهَا تجْرِي وهى تُكْفُرُ كُفْهَا ، ثم انتَهَتْ حَتَّى ظنَّ
أنَّهَ تقطَعَتْ حِيَازَتُهَا^(٢) ؛ ثُمَّ قالتْ : اقرأْ على ابنِ عَمِّي السَّلَامَ ، وقلْ لِهِ :
بنفسي أنت ! والله إِنْ وَجَدْتِ بِكَ لَفَوْقَ مَا تَجَدُ ، ولكنْ لا حِيلَةَ لِفِيكَ ؛
فانصرفَ قيسُ لِيخْبُرَهُ فلم يَجِدْهُ !

(١) عَنَاكَ : قصدك

(٢) حِيَازَمْ : جم حِيزُومْ ، وهو الصدر أو وسطه .

* ٤٩ — أَيَا شِبْهَةَ لَيْلِي لَا تَرَاعِي

مَرَّ الْجَنُونُ بِرَجْلِيْنِ قَدْ صَادَ أَظْبِيَّةَ فَرِيَطَاهَا بِحَبْلٍ وَذَهَبَاهَا ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا
وَهِيَ تَرْكُضُ فِي جِبَاهُمَا دَمَعَتْ عَيْنَاهَا ، وَقَالَ لَهُمَا : حُلَّاهَا وَخُذَا مَكَانَهَا شَاءَ مِنْ
غَنَّمِيْ ، ثُمَّ أَشَدَّهَا :

فِي الْحَبْلِ شِبْهَةَ لَيْلِيْلِيْ نَمْ غَلَّاهَا إِنِّي أَرَى الْيَوْمَ فِي أَعْظَافِ شَاتِيْكُمَا ثُمَّ أَعْطَاهَا الشَّاةَ فَحَلَّاهَا ، فَوَلَّتْ هَارِبَةَ قَوْالَ— وَقَدْ نَظَرَ إِلَيْهَا وَهِيَ تَعْدُوْ :	يَا صَاحِبِيَ الَّذِينَ يَوْمَ قَدْ أَخَذَاهَا مُشَابِهَاهَا أَشَبَهَتْ لَيْلِيْلِيْ فَحَلَّاهَا أَيَا شِبْهَةَ لَيْلِيْلِيْ لَا تَرَاعِي ^(١) ؟ فَإِنِّي وَيَا شِبْهَةَ لَيْلِيْلِيْ لَوْ تَلْبَسْتِ سَاعَةَ فَيَنِيكِ عَيْنَاهَا وَجِيدُكِ جِيدُهَا أَتُولُ وَقَدْ أَطْلَقْتُهَا مِنْ وَنَاقِهَا
---	---

* الأغاني : ٢ - ٨١ - لسان العرب - مادة روع .

(١) لا تراعي : لا تخافي .

٥٠ — استَبَكَانِي السَّيْلُ إِذْ جَرَى *

قال رجل من بنى عامر :

مُطَرِّنَا مَطْرًا شَدِيدًا فِي رِيعَ ، وَدَامَ الْمَطْرُ ثَلَاثًا ، ثُمَّ أَصْبَحَنَا فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ
 عَلَى صَخْوِي ، وَخَرَجَ النَّاسُ يَمْشُونَ عَلَى الْوَادِي ، فَرَأَيْتَ رَجُلًا جَالِسًا حَبْرَةً^(١)
 وَحْدَهُ ؛ فَقَصَدْتُهُ ، فَإِذَا هُوَ الْجَنُونُ جَالِسٌ وَحْدَهُ يَبْكِي ، فَوَعَظْتُهُ وَكَلَّمْتُهُ طَوِيلًا ،
 وَهُوَ سَاكِنٌ لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ إِلَيْهِ ؛ ثُمَّ أَنْشَدْنَاهُ بِصَوْتٍ حَزِينٍ لَا أَنْسَاهُ أَبْدًا :

جَرَى السَّيْلُ فَاسْتَبَكَانِي السَّيْلُ إِذْ جَرَى
 وَفَاضَتْ لَهُ مِنْ مُقْلَمَيْ غُرُوبٍ^(٢)
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا حِينَ أَيْقَنْتُ أَنَّهُ يَكُونُ بِوَادٍ أَنْتَ فِيهِ قَرِيبٌ
 يَكُونُ أَجَاجًا^(٣) دُونَكُمْ فَإِذَا اتَّهَى إِلَيْكُمْ تَلَقَّ طَيَّبَكُمْ فَيَطِيبُ
 أَظَلَّ غَرِيبَ الدَّارِ فِي أَرْضِ عَامِرٍ أَلَا كُلُّ مَهْجُورٍ هُنَاكَ غَرِيبٌ
 وَإِنَّ الْكَثِيرَ الْفَرَدَ مِنْ أَيْمَنِ الْحَمَى إِلَيْهِ وَإِنَّ لَهُ أَتِهِ لَحِيبٌ
 فَلَا خَيْرٌ . الدِّنِيَا إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزُرْ حَبِيبًا وَلَمْ يَطَرَبْ إِلَيْكَ حَبِيبٌ

* الأغنى : ٢ - ٦٣

(١) حَبْرَةٌ : نَاحِيَةٌ (٢) الغروب : جَمْعُ غَرْبٍ ، وَهُوَ الْمَعْ (٣) مَاهُ أَجَاجٌ : مَلْحُ مَرٌ.

* ٥١ — عَهُود جَبَل التَّوْبَاد

كان المجنونُ وليلي وها صَيْبَان يَرْعَيَانْ غَنَّماً لأهابها عند جَبَلٍ في بلادها
 يقال له التَّوْبَاد^(١) ، فلما ذهب عَقْلُه وتوحشَ كان يجسِّي إلى ذلك الجبل فيقيم به ،
 فإذا تذَكَّرَ أَيَامَ كَان يُطِيفُ هو وليلي به جَزِيع جَزَعاً شديداً ، واستوحش ؟
 فهَمَ على وجههِ حتى يأتِي نواحي الشَّامِ ، فإذا نَابَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ رأى بلداً لا يعرِفُه ؟
 فيقول لَمَنْ يلقاهُم من الناس : بأبِي أنتَ ! أين التَّوْبَادُ من أَرْضِ بني عامر ؟
 فيقال له : وأين أنتَ من أرض بني عامر ! أنتَ بالشَّامِ ! عليك بنجمٍ كذا فَاهُ
 فيمضي على وجههِ نحو ذلك النجم حتى يقعَ بأرض اليمين ، فيرى بلداً يُنْسِكِرُهَا
 وقوماً لا يَعْرِفُهم فيسلمُهم عن التَّوْبَاد وأرض بني عامر ، فيقولون : وأين أنتَ من
 أرض بني عامر ! عليك بنجمٍ كذا وكذا ، فلا يزالُ كذلك حتى يقعَ على التَّوْبَاد ،
 فإذا رأَاه قال في ذلك :

وأَجْهَشْتُ^(٢) لِلتَّوْبَاد حِين رَأَيْتُه وَكَبَرَ لِلرَّحْمَنْ حِين رَأَيْتُه
 وأَذْرِيتُ دمعَ العَيْن لَمَّا عَرَفْتُهُ وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ فَدَعَانِي
 قَلْتُ لَهُ : قَدْ كَانَ حَوْلَكَ حِيرَةُ
 فَقَالَ : مَضَوْا وَأَسْتَوْدَعُونِي بِلَادِهِمْ
 وَإِنِّي لَأَبْكِي الْيَوْمَ مِنْ حَذَرِي غَدَّاً
 فِرَاقَكَ وَالْمَيَانِ مُجْتَمِعَانِ
 وَسَحَّا وَتَسْجَمَانِ^(٣) إِلَى هَمَّـلَانِ
 سِجَالًا وَتَهَنَّـانِ^(٤) وَوَبَلًا وَدِيمَةَ

* الأغاني : ٢ - ٠

(١) جبل بنجد (٢) أجْهَشَ إِلَيْهِ : فزع إِلَيْهِ وهو يرى البكاء (٣) هَنَّـت السَّهَاءُ : صفت

(٤) سجَّمت السَّهَاءُ مطرها إذا صبته .

* ٥٢ — حديث الجنون عن ليلي*

قال أحد الرتوة : قلتُ لقيس بن الملوح قبل أن يخالطَ^(١) : ما أُعجِبُ شئْ أصابكَ في وجْدِكَ بليلي ؟ قال : طرَفَنا ذات ليلةً أصيافَ ، ولم يكنْ عندنا لهم أدمَ ، فبعثتني أبي إلى منزل أبي ليلي ، وقال لي : اطلبْ لنا منه أذماً . فأتتهنَ فوقفتُ على خبائثه فصَحَّتْ به ، فقال : ما تشاء ؟ فقلتُ : طرَفَنا ضيفانَ ولا أدمَ عندنا لهم ، فارسلني أبي أطلبْ منك أذماً ، فقال : يا ليلي ؛ آخر جي إلى ذلك النجحى^(٢) ، فاملئ له إناه من السمنَ . فآخر جنته ومعي قعب^(٣) ، فجعلتَ تصبُ السمنَ فيه وتحدَّثَ ، فألهانا الحديثُ وهي تصبُ السمنَ وقد امتلا القعبُ ولا نعلم جيماً ، وهو يسيلُ حتى استنقَعَتْ أرجلنا من السمنَ .

فأتيتهم ليلةً ثانيةً أطلبْ ناراً ، وأنا متلعمٌ ببردي لي ، فأخرجتَ لي ناراً في عطبة^(٤) لي فاعطَنِيهَا ، ووقفنا تحدَّثَ ، فلما احترقت العطبة خرقتَ من برودي خرقة ، وجعلتَ النارَ فيها ، فكلما احترقتْ خرقتَ أخرى ، وأذكَيتُ بها النار حتى لم يبقَ على من البرد إلا ما وارى عورتَ ، وما أعقلُ ما أصنع !

* الأغاني : ٢ - ٣١

(١) خلط في عقله : نسد عقله (٢) النجحى : الرزق يوضع فيه السمن (٣) القعب : القدر الضخم النلين (٤) العطبة : خرقة تؤخذ بها النار .

* ٥٣ — حَلَالٌ لِلِّيْلَ شَتَمْنَا

سُأْلَ الْمَلَوْحَ — أَبُو الْجَنُونَ — رَجُلًا قَدِيمًا مِنَ الطَّائِفَ أَنْ يَمْرُّ بِالْجَنُونِ فِي جَلْسَةٍ
إِلَيْهِ فِي خِبْرِهِ أَنَّهُ لَقِيَ لِيْلَى وَجَلَسَ إِلَيْهَا ، وَوَصَّفَ لَهُ صَفَاتٍ مِنْهَا وَمِنْ كَلَامِهَا يَعْرَفُهُ
الْجَنُونُ ؛ وَقَالَ لَهُ : حَدَّثَهُ بِهَا ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ قَدْ اشْرَأَبَ^(١) لِحْدِيثَكَ وَاشْهَادَ فَعْرَفْتَ أَنَّكَ
ذَكَرْتَهُ لَهُ وَوَصَّفْتَ مَا بِهِ فَشَبَّهْتَهُ وَسَبَّتَهُ ، وَقَالَتْ : إِنَّهُ يَكْذِبُ عَلَيْهَا وَيُشَهِّرُهَا^(٢)
بِعَلْهِ ، وَإِنَّهَا مَا جَمِعْتَ بِهِ قَطُّ كَمَا يَصِفُّ .

فَفَعَلَ الرَّجُلُ ذَلِكَ ، وَجَاءَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ بِلِقَائِهِ إِيَاهَا ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ يُسَائِلُهُ
عَنْهَا ، فِي خِبْرِهِ بِمَا أَمْرَاهُ بِهِ الْمَلَوْحُ ، فَيُزَدَّادُ نَشَاطًا وَيُشَوِّبُ إِلَيْهِ عَقْلُهُ ، إِلَى أَنْ أَخْبَرَهُ
بِسَبِّهِ إِيَاهَا وَشَتَمِهِ لَهُ ، فَقَالَ — وَهُوَ غَيْرُ مُكْتَرِثٍ لِمَا حَكَاهُ عَنْهَا :

تَمَرُ الصَّبَّابَا صَفْحَا	بِسَاكِنِ ذِي الْفَضَّى
وَيَصْدَعُ قَلْبِي أَنْ يَهْبَطْ هُبُوبُهَا	
إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ الشَّمَالُ فَإِنَّمَا	
جَوَايِ بِاَتَهُدِى إِلَى جَنُوبِهَا	
هُوَ كُلُّ نَفْسٍ حِيثُ كَانَ حِبِّهَا	قَرِيبَةُ عَهْدِ الْحَلِيبِ وَإِنَّمَا
بَدَارِ قِلْيَ تُسَى وَأَنْتَ غَرِيبُهَا	وَحَسْبُ الْلَّيَالِي أَنْ طَرَحْنَكَ مَطْرَحًا
هَنِينَا وَمَغْفُورٌ لِيَلِي ذُنُوبُهَا	حَلَالٌ لِلِّيْلَ شَتَمْنَا وَاتَّقَاصُنَا

* الأغانى : ٢ - ٨٠

(١) اشْرَأَبٌ إِلَيْهِ : مَدْ عَنْقَهُ لِيُنْظَرُ ، أَوْ ارْتَفَعَ .

(٢) الشَّهْرَةُ : ظَهُورُ الشَّيْءِ فِي شَنْعَةٍ ، شَهْرَهُ كَنْهُهُ ، وَشَهْرُهُ وَاشْهَرُهُ فَاسْهَرُ .

٥٤ — إِنْ دَانِي وَدَوَانِي أَنْتِ *

قال بعضُ مشايخ بنى عاصِ :

مِرَّ الْجَنُونُ فِي تَوَحِيدِهِ ، فَصَادَفَ حَتَّى لَيْلَى رَاحَلًا ، وَلَقِيَهَا فَجَاءَ ، فَعَرَفَهَا
وَعَرَفَتْهُ ، فَصَعِقَ وَخَرَّ مُغْشِيًّا عَلَى وَجْهِهِ .

وَأَقْبَلَ فِتْيَانٌ مِنْ حَتَّى لَيْلَى ؛ فَأَخْذُوهُ وَمَسَحُوا التَّرَابَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَأَسْنَدُوهُ
إِلَى صَدُورِهِمْ ، وَسَأَلُوا لَيْلَى أَنْ تَقِفَ لَهُ وَقْفَةً ؛ فَرَقَتْ لِمَا رَأَتْهُ بِهِ ؛ وَقَالَتْ : أَمَا هَذَا
فَلَا يَجُوزُ أَنْ أَفْتَضِحَ بِهِ ، وَلَكِنْ يَا فَلَانَةً - لَأَمَّةً لَهَا - اذْهِبِي إِلَى قِيسٍ قَوْلِي لَهُ
لَيْلَى تَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ ، وَتَقُولُ لَكَ : أَغْزِزْ عَلَى بِمَا أَنْتَ فِيهِ ، وَلَوْجَدْتُ سِيلَادًا
إِلَى شَفَاءِ دَائِثَكَ لَوْقِيتُكَ بِنَفْسِي مِنْهُ ، فَقَضَتِ الْوَلِيدَةُ ^(١) إِلَيْهِ ، وَأَخْبَرَتْهُ بِعُولَمَاهَا ،
فَأَفَاقَ وَجَلَسَ وَقَالَ : أَبْلِغِيهَا السَّلَامَ وَقَوْلِي لَهَا : هَيَّاهاتِ ! إِنْ دَانِي وَدَوَانِي أَنْتِ ؛
وَإِنَّ حَيَانِي وَوَفَاتِي لَفِي يَدِيكَ ، وَلَقَدْ وَكَلْتِ بِي شَفَاءَ لَازِمًا ، وَبَلَاءَ طَوِيلًا ، ثُمَّ
بَكَى وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَقُولُ لِأَحْمَابِي هِي الشَّمْسُ ضَوْءُهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاؤِلِهَا بُعْدُ
لَقَدْ عَارَضَتْنَا الرَّيحَ مِنْهَا بِنَفْحَتِهِ عَلَى كَيْدِي مِنْ طَبِّ أَرْوَاحِهَا بِرَزْدُ

* الأنفاني : ٢ - ٦٤

(١) الْوَلِيدَةُ : المَجَارِيَةُ .

فَازْلَتْ مُغْشِيًّا عَلَىٰ وَقْدَ مَضَتْ
 أَنَّاَةٌ^(١) وَمَا عَنْدِي جَوَابٌ وَلَا رَدٌّ
 أَقْلَبُ بِالْأَيْدِي وَأَهْلِي بِعَوْلَةٍ^(٢)
 وَلَمْ يَقِنْ إِلَّا الْجِلْدُ وَالْعَظْمُ عَادِيَا
 أَدْنِيَّاَيِّ مَالِي فِي افْطَاعِي وَرَغْبَيِّي
 عِدِّيَّنِي - بِنَفْسِي أَنْتِ - وَعَدَّا فَرِّيَّمَا
 وَقْدَ يُبَتَّلِي قَوْمٌ وَلَا كَبِيلِيَّتِي
 غَزَّتِي جِنُودُ الْحَبَّ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
 جَلَّاكُونَةَ الْمَكْرُوبِ عَنْ قَلْبِي الْوَعْدُ
 إِلَيْكِ ثَوَابُ مِنْكِ دِينٌ وَلَا نَقْدٌ
 وَلَا عَظَمٌ لِي إِنْ دَامَ مَا بِي وَلَا جَلْدٌ
 إِلَيْكِ شَوَّابٌ مِنْكِ دِينٌ وَلَا نَقْدٌ
 إِذَا حَانَ مِنْ جَنْدِ قُفُولٍ^(٤) أَتِي جَنْدُ
 يُقْدِئُونِي لَوْ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَقْدُوا

(١) أَنَّاَةٌ : انتظار (٢) العولة : رفع الصوت بالبكاء (٣) الجد : الحظ (٤) القفول :
 رجوع الجند بعد الفزو .

٥٥ — مارأيت مثل حزنها ووجدها عليه*

قال بعض أشياخ بنى مرّة : خرج منا رجلٌ إلى ناحية الشام والمحجاز وما يلى
تيماء والسرّاء^(١) وأرض نجد ; في طلب بغية له ، فإذا هو بخيمة قد رفقت له
وقد أصابه المطر ؛ فدخل إليها وتنحنح ، فإذا امرأة قد كامته ، فقالت : انزل ،
فنزل - وراحـت إلـهمـ وغمـمـ فإذا أمر عظـمـ - فقالـتـ سـوـاـ هـذـاـ الرـجـلـ مـنـ
أينـ أقبلـ ؟ فقلـتـ منـ نـاحـيـةـ تـهـامـةـ وـنـجـدـ ، فـقـالـتـ اـدـخـلـ أـيـهـ الرـجـلـ .

فـدخلـتـ إـلـىـ نـاحـيـةـ منـ الـخـيـمةـ ، فـأـرـختـ بـيـنـهاـ سـتـراـ ، ثـمـ قـالـتـ لـىـ :
يـاـ عـبـدـ اللـهـ ؟ أـيـ بـلـادـ نـجـدـ وـطـيـثـ ؟ فـقـالـتـ كـلـهاـ ؛ قـالـتـ فـبـيـنـ نـزـلتـ هـنـاكـ ؟
قـلـتـ بـيـنـ عـامـرـ ، فـتـفـنـسـتـ الصـعـدـاءـ ، ثـمـ قـالـتـ فـبـأـيـ بـيـنـ عـاسـرـ نـزـلتـ ؟ فـقـالـتـ
بـيـنـ الـخـرـيـشـ ، فـاسـتـعـبـرتـ^(٢) ثـمـ قـالـتـ فـهـلـ سـمـعـتـ بـذـكـرـ فـتـيـ منـهـ يـقـالـ لـهـ :
قـيـسـ بـنـ الـلـوـحـ وـيـلـقـبـ بـالـجـنـونـ ؟ قـلـتـ بـلـيـ وـالـلـهـ ! وـعـلـىـ أـيـهـ نـزـلتـ ، وـأـتـيـتـهـ
فـنـظـرـتـ إـلـيـ يـهـيـمـ فـتـلـكـ الـفـيـافـ^(٣) ، وـيـكـونـ مـعـ الـوـاحـشـ لـاـ يـعـقـلـ وـلـاـ يـفـهـمـ إـلـاـ
أـنـ تـذـكـرـ لـهـ اـسـرـأـةـ يـقـالـ لـهـ : لـيـلـيـ ، فـيـيـكـيـ وـيـذـشـدـ أـشـعـارـاـ قـالـهـاـ فـيـهـاـ .

فـرـفـتـ السـتـرـ بـيـنـهاـ ، فـإـذـاـ فـلـقـةـ قـرـ لمـ تـرـ عـيـنـيـ مـنـهـاـ ؛ فـبـكـتـ حـتـىـ
ظـنـنـتـ وـالـلـهـ - أـنـ قـلـبـهاـ قـدـ اـنـصـدـعـ ، فـقـالـتـ أـيـهـاـ الـمـرـأـةـ ؛ اـتـقـيـ اللـهـ فـاـ قـلـتـ بـأـسـاـ .
فـبـكـتـ طـوـيـلاـ عـلـىـ تـلـكـ الـحـالـ مـنـ الـبـكـاءـ وـالـنـحـيـبـ ، ثـمـ قـالـتـ :

* الأغاني : ٢ - ٣٦

(١) السرة : الجبال والأرض الحاجزة بين تهامة ونجد (٢) استعتبرت : جرت عبرتها وحزنت

(٣) الصحاري .

أَلَا لِيْتْ شِعْرِيْ ، وَالْمُطْبُوبُ كَثِيرَةٌ
مَتَّى رَحْلُ قِيسٍ مُسْتَقْلٌ^(١) فَرَاجِعُ
بِنَفْسِيْ مَنْ لَا يُسْتَقْلُ بِرَحْلِهِ وَمَنْ هُوَ إِنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهُ ضَائِعُ
ثُمَّ بَكَتْ حَتَّى سَقَطَتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا ، قَلَّتْ لَهَا : مَنْ أَنْتَ يَا أَمَّةَ اللَّهِ؟ وَمَا
قِصْتَكْ؟ قَالَتْ : أَنَا لَيْلَ صَاحِبَتِهِ الْمَشْوَمَةُ - وَاللَّهُ عَلَيْهِ، غَيْرُ الْمَوْنَسَةِ لَهُ، فَارَأَيْتَ
مَثَلَ حُزْنِهَا وَوَجْدِهَا عَلَيْهِ قَطَّ .

(١) استقل القوم : ذهبوا وارتحلوا .

* ٥٦ — عند السَّكْعَبَةِ

رُوِيَ أَنَّ أَبَا الْمَجْنُونِ وَأَمَّهُ وَرَجُالَ عَشِيرَتِهِ اجتَمَعُوا إِلَى أَبِي لَيْلَى ، فَوَعَظُوهُ وَنَاسَدُوهُ اللَّهُ وَالرَّحْمَةَ ، وَقَالُوا لَهُ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلُ مَلَكٌ ، وَقَبْلَ ذَلِكَ هُوَ فَبَعْ من الْمَلَائِكَ بِذَهَابِ عَقْلِهِ ، وَإِنَّكَ فَاجِعٌ بِهِ أَبَاهُ وَأَهْلَهُ ، فَنَسَدَنَاكَ اللَّهُ وَالرَّحْمَةُ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ ، فَوَاللَّهِ مَا هِيَ أَشْرَفُ مِنْهُ وَلَا كُلُّ مَالٍ أَبِيهِ ، وَقَدْ حَكَمْتَ فِي الْمُهْرَ ، وَإِنْ شَتَّتَ أَنْ يَخْلُمَ نَفْسَهُ إِلَيْكَ مِنْ مَالِهِ فَعَلَ .

فَأَبَى وَحَلَّفَ بِاللَّهِ وَبِطَلَاقِ أُمَّهَا إِنَّهُ لَا يَرْزُوْجُهُ إِيَّاهَا أَبْدًا ، وَقَالَ : أَفَصَحُ نَفْسِي وَعَشِيرَتِي وَآتَى مَا لَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ ، وَأَسِمُّ^(١) ابْنَتِي بِمِيسَمٍ فَضْيَحَةً ! فَانْصَرَفُوا عَنْهُ ، وَخَالَفُوهُمْ لِوَقْتِهِ فَزُوَّجَهَا رَجُلًا مِنْ قَوْمِهَا وَأَدْخَلَهَا إِلَيْهِ .

فَاَمْسَى إِلَى وَقْدَ بَنَى بَهَا^(٢) ، وَبَلَغَ الْمَجْنُونَ الْخَبْرُ فَأَيْسَ^(٣) مِنْهَا حِينَئِذٍ وَزَالَ عَقْلُهُ ، فَقَالَ رَجُالُ الْحَى لِأَبِيهِ : اخْبُجْ بِهِ إِلَى مَكَةَ ، وَادْعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ لَهُ ، وَمَرُّهُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ السَّكْعَبَةِ ، فَيَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يَعْفُوْعَهُ مَا بِهِ ، وَيُبَغْضَهُ إِلَيْهِ ، فَلَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يُخْلِصَهُ مِنْ هَذَا الْبَلَاءِ .

فَحَجَّ بِهِ أَبُوهُ ؛ فَلَمَّا صَارُوا بِنِي سَمِعُ صَاحِبَّا فِي الْلَّيلِ يَصِيحُ : يَا لَيْلَى ! فَصَرَخَ حَرَخَةً ظَنَّوا أَنَّ نَفْسَهُ قَدْ تَفَاهَتْ ، وَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَرْزُلْ كَذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحَ شَمَ أَفَاقَ حَائِلَ^(٤) الْلَّوْنَ ذَاهِلًا ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

* الأَغْنَى : ٢ - ٢١

(١) أَسِمٌ : أَسْفٌ (٢) يَبِي : دَخَلَ بَهَا (٣) أَيْسٌ : يَبْشِرُ (٤) حَائِلٌ الْلَّوْنُ : مُتَغَيِّرٌ .

عَرَضْتُ عَلَى قَلْبِي الْعَزَاءَ قَالَ لِي : مِنَ الْآنَ فَيَأْسُ لَا أَعْزَكُ مِنْ صَبَرٍ
 إِذَا بَانَ مَنْ تَهَوَّى وَأَصْبَحَ نَائِمًا
 فَلَا شَيْءٌ أَجْدَى مِنْ حُلُوكَ فِي الْقَبْرِ
 فَهِيجَ أَحْزَانَ الْفَؤَادِ وَمَا يَدْرِي
 دُعَاءٌ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْخَلِيفِ^(١) مِنْ مِنَى
 دُعَا بِاسْمِ لَيْلَى غَيْرَهَا ، فَكَانَ
 أَطَارَ بِلَيْلَ طَائِرًا كَانَ فِي صَدْرِي
 دُعَا بِاسْمِ لَيْلَى ضَلَالَ اللَّهِ سَعِيَهُ
 وَلَيْلَى بِأَرْضٍ عَنْهُ نَازِحَةٍ فَغَرَّ
 ثُمَّ قَالَ لِهِ أَبُوهُ : تَعَلَّقُ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، وَاسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يَعَافِيكَ مِنْ حَبَّ
 لَيْلَى ؛ فَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ زِدْنِي لِلَّيْلَ حَبَّاً ، وَبَهَا كَفَّاً ، وَلَا تُنْسِنِي
 ذِكْرَهَا أَبْدًا . فَهَامَ حِينَذَ وَاخْتَلطَ .

فَكَانَ يَهِيمُ فِي الْبَرِّيَّةِ مَعَ الْوَحْشِ ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مَا يَنْبَتُ فِي الْبَرِّيَّةِ مِنْ بَقْلٍ ،
 وَلَا يَشْرَبُ إِلَّا مَعَ الظَّبَابِ إِذَا وَرَدَتْ مَنَاهِلَهَا ، وَطَالَ شَعْرُ جَسَدِهِ ، وَرَأْسِهِ ، وَأَفْقَتْهُ
 الظَّبَابُ وَالْوَحْشُ ، فَكَانَتْ لَا تَنْفِرُ مِنْهُ ، وَجَعَلَ يَهِيمَ حَتَّى يَبْلُغَ حَدُودَ الشَّامِ ، فَإِذَا
 نَابَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ سَأَلَ مَنْ يَمْرُّ بِهِ مِنْ أَهْيَاءِ الْعَرَبِ عَنْ نَجْدٍ ؟ فَيُقَالُ لَهُ : وَأَنْ أَنْتَ
 مِنْ نَجْدٍ ! قَدْ تَسَارَقْتَ الشَّامَ ! أَنْتَ فِي مَوْضِعٍ كَذَا ، فَيَقُولُ : فَأَرْوَنِي وِجْهَةَ
 الطَّرِيقِ ، فَيَرْجُونَهُ وَيَعْرُضُونَ عَلَيْهِ أَنْ يَحْمِلُوهُ أَوْ يَكْسُوَهُ فَيَأْبَى ، فَيَدْلُوْهُ عَلَى طَرِيقِ
 نَجْدٍ فَيَتَوَجَّهُ نَحْوَهُ !

(١) الْخَلِيفُ : نَاحِيَةٌ فِي مَنِي .

* ٥٧ — ذهول

قال نوفل بن مساحق : قدِمْتُ الْبَادِيَةَ فَسَأَلْتُ عَنِ الْجَنُونِ ، قَيْلَى : تَوَحَّشَ
وَمَا لَنَا بِهِ عَهْدٌ ، وَلَا نَذْرٍ إِلَى أَيْنَ صَارَ .

خَرَجْتُ يَوْمًا أَتْصِيدُ الْأَرْوَى^(١) ، وَمَعِي جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِي ، حَتَّى إِذَا كَفَتُ
بِنَاحِيَةِ الْحَمَى إِذَا نَحْنُ بِأَرَاكَةٍ^(٢) عَظِيمَةٌ ، قَدْ بَدَأَ مِنْهَا قِطْعَةٌ مِنَ الظَّبَاءِ ، فِيهَا
شَخْصٌ إِنْسَانٌ يُرَى مِنْ خَلْلِ تِلْكَ الْأَرَاكَةِ ؛ فَعَجِبَ أَصْحَابِي مِنْ ذَلِكَ ، فَعَرَفَتُهُ
وَأَتَيْتُهُ ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْجَنُونُ الَّذِي أَخْبَرْتُ عَنْهُ .

فَنَزَلْتُ عَنْ دَابِتِي ، وَتَخَفَّفتُ^(٣) مِنْ ثِيَابِي ، وَخَرَجْتُ أَمْشِي رُوَيْدًا ، حَتَّى
أَتَيْتُ الْأَرَاكَةَ ؛ فَارْتَقَيْتُ حَتَّى صِرَتُ عَلَى أَعْلَاهَا ، وَأَشْرَفْتُ عَلَيْهِ وَعَلَى الظَّبَاءِ ؛
فَإِذَا بِهِ وَقَدْ تَدَلَّ الشَّعْرُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَلَمْ أَكُنْ أَعْرِفَهُ إِلَّا بِتَأْمِلٍ شَدِيدٍ ، وَهُوَ بَرَّتَنِي
فِي ثَمَرِ تِلْكَ الْأَرَاكَةِ ؛ فَرَفِعَ رَأْسَهُ فَقَمَّثَتُ بَيْسِتَهُ مِنْ شِعْرِهِ :
أَتَبْكِي عَلَى لَمِيلٍ وَنَفْسُكَ بَاعْدَتْ . مَزَارَكَ مِنْ لِيَلِي وَشِعْبَا كَمَا مَعَا
فَنَفَرَتِ الظَّبَاءِ ؛ وَأَنْدَعَ فِي باقِ الْقَصِيمَةِ يُنْشِدُهَا ، فَمَا أَنْسَى حُسْنَ نَفْعِمَهِ
وَحُسْنَ صُوتِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ^(٤) :
فَا حَسَنَ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِهَا وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِيَ التَّسْبِيَّةِ أَسْمَعَا

* الأغاني : ٢ - ٦٦

(١) الأروى : الوعول ، وهى تيوس الجبل ، واحده أروية . (٢) الأراك : واحدة الأراك
وهو شجر كثير الورق والأغصان . (٣) أى نزعت شيئاً منها . (٤) بعض هذه الأبيات ينسب
إلى غير الجنون (انظر الأغاني ج ٢٢ ، ص ٦٧ ، والأمالى ج ١ ص ١٩٠).

بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرِى فَلَمَازَ جَرَّتْهَا
 عن الجهل بعد الحلم أُسْبَلَتَا معاً^(١)
 وَأَذْكُرْ أَيَامَ الْحَمَى ثُمَّ أَنْشَفْ
 على كَبِدِى مِنْ خَشْبَى أَنْ تَصَدَّعَا
 فليستْ عَشِيَّاتُ الْحَمَى بِرَوَاجِعِ
 عليكَ ولَكُنْ خَلَّ عينيكَ تَدَمِّعَا
 مَعِى كُلُّ غَيْرِ قَدْعَى عَادِلَاتِهِ
 بِوَصْلِ الْغَوَائِى مِنْ لَدُنْ أَنْ تَرَعَّعاً
 إِلَيْهِ الْعَيْونُ النَّاظِرَاتُ التَّطَالُعاً
 إِذَا رَاحَ يَعْشَى فِي الرَّدَاءِينَ أَسْرَعَتْ
 ثُمَّ سَقْطَ مَغْشِيَّاً عَلَيْهِ ، فَتَمَثَّلَ بِقَوْلِهِ :

يَادَارَ لَيْلَى بِسَقْطِ (٢) الْحَمَى قَدْرَسَتْ إِلَّا الشَّمَامُ وَإِلَّا مَوْقِدَ النَّارِ^(٣)
 فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَىٰ وَقَالَ : مَنْ أَنْتَ حَيَّاكَ اللَّهُ ؟ قَلَّتْ : أَنَا نَوْفَلُ بْنُ مُسَاحِقٍ ،
 فِيَّانِي قَلَّتْ لَهُ : مَا أَحْدَثْتُ بَعْدِي فِي يَأْسِكِ مِنْهَا ؟ فَأَنْشَدَنِي يَقُولُ :
 إِلَّا حُجَّبَتْ لَيْلَى وَآلَى أَمِيرُهَا عَلَىٰ يَمِينَاهَا جَاهِدًا لَا أَزُورُهَا
 وَأَوْعَدَنِي فِيهَا رَجَالٌ أَبُو هُمَّ أَبِي وَأَبُوهَا خُشْتَ لِصُدُرُهَا
 عَلَىٰ غَيْرِ جُرْمٍ غَيْرِ أَنِي أُحِبُّهَا وَأَنَّ فَوَادِي رَهْنُهَا وَأَسِيرُهَا
 ثُمَّ سَنَحَتْ لَهُ ظِباءُ قَفَامَ يَعْدُونَ فِي أَثْرِهَا حَتَّىٰ لَحْقَهَا ، فَفَرَى مِمَّا .

(١) أُسْبَلَتِ السَّمَاءُ : أَمْطَرَتْ : أَى بَكَتْ عَيْنَاهُ . (٢) السَّقْطُ : حِيثَ افْقَطَ مَعْظَمُ الرَّمْلِ وَرَقَّ .

(٣) الشَّمَامُ : نَبْتٌ فِي الْبَادِيَةِ ، كَانَ الْعَرَبُ يَسْدُونَ بِهِ خَاصَّمَ الْبَيْوتِ .

٥٨ — خاتمة المجنون*

خرج شيخٌ من بني مُرَّة لِيأقِنُ الجنونَ فِي أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ ثُمَّ حَدَّثَ قَالَ :
دِلْلَتُ عَلَى مَحَلِّتِهِ فَأَتَيْتُهَا ، فَإِذَا أَبُوهُ شِيفَخٌ كَبِيرٌ وَإِخْوَةُهُ لَهُ رِجَالٌ ، وَإِذَا نَعَمَ
كَثِيرٌ^(١) وَخَيْرٌ ظَاهِرٌ ، فَسَأَلْتُهُمْ عَنْهُ فَاسْتَعْبَرُوا جَمِيعًا .

وَقَالَ الشِّيفَخُ : وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ آثَرُ فِي نَفْسِي مِنْ هُؤُلَاءِ وَأَحَبَّهُمْ إِلَيَّ ! وَإِنَّهُ
هُوَيَّ امْرَأً مِنْ قَوْمِهِ ، وَاللَّهِ مَا كَانَتْ نَطْمَعُ فِي مَثْلِهِ ، فَلَمَّا أَنْ فَشَّا أَمْرُهُ وَأَمْرُهُ
كَرِهَ أَبُوهَا أَنْ يُزَوِّجَهَا مِنْهُ بَعْدَ ظَهُورِ الْخَبْرِ ، فَزَوَّجَهَا مِنْ غَيْرِهِ ، فَذَهَبَ عَقْلُ أَبْنِي
وَلَحِقَهُ خَبَلُ ، وَهَامَ فِي الْفَيَافِيِّ وَجَدَأَ عَلَيْهَا ، فَخَبَسْتَاهُ وَقَيْدَنَاهُ ، فَجَمِلَ يَعْصُمُ اسَانِهِ
وَشَفَتَيْهِ ، حَتَّى خَفَنَا عَلَيْهِ أَنْ يَقْطَعَهُمَا ، نَفَلَّيْنَا سَبِيلَهُ ، فَهُوَ يَهْرِيمُ فِي هَذِهِ الْفَيَافِيِّ مَعَ
الْوَحْشِ ؛ يَذْهَبُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ بِطَعَامِهِ فَيُوضَعُ لَهُ حِيثُ يَرَاهُ ، فَإِذَا تَنَحَّوْا عَنْهُ
جَاءَ فَأَكْلُهُ كُلُّهُ .

فَسَأَلْتُهُمْ أَنْ يَدْلُوْنِي عَلَيْهِ ، فَدَلَّوْنِي عَلَى فَتَّى مِنْ الْحَىٰ كَانَ صَدِيقًا لَهُ ، وَقَالُوا :
إِنَّهُ لَا يَأْنَسُ إِلَّا بِهِ وَلَا يَأْخُذُ أَشْعَارَهُ عَنْهُ غَيْرُهُ ؛ فَأَتَيْتُهُ فَسَأَلْتَهُ أَنْ يَدْلُنِي عَلَيْهِ ،
قَالَ : إِنْ كَنْتَ تَرِيدُ شِعْرَهُ فَكُلْ شِعْرَهُ فَكُلْ شِعْرَهُ قَالَهُ إِلَى أَمْسِ عِنْدِي ، وَأَنَا ذَاهِبٌ
إِلَيْهِ غَدًا ، فَإِنْ كَانَ قَلْ شِيشَنَا أَتَيْتُكَ بِهِ . فَقَلَّتْ : بَلْ أَرِيدُ أَنْ تَدْلُنِي عَلَيْهِ لِآتِيهِ ؛

* الأغاني : ٢ - ٨٨ ، المسعودي : ٢ - ٤١٧

(١) النعم : يذكر ويؤثر .

قال لي : إن نفر منك نفر مني فيذهب شعره ، فأيّت إلا أن يدلني عليه ، فقال : اطلبه في هذه الصحاري ، فإذا رأيته فادن منه مستائسا ، ولا تر أنه تهابه ، فإنه يهددك ويتوعّدك أن يرميك بشيء ، فلا يروعنك ، واجلس صارفا بصرك عنه ، والحظه أحيانا ، فإذا رأيته قد سكن من نقاره فأنسد شعراً غزا ، وإن كنت تروي من شعر قيس بن ذريح شيئاً فأنسده إياه فإنه معجب به .

خرجت طلبت يومي إلى المسر ؛ فوجدت جالسا على رمل قد خط فيه ياصبعة خططا ، فدنوت منه غير متنقض ، فنفر مني نفوراً الوحش من الإنس ، وإلى جانبه أحجار فتناول حجرا ، فأعرضت عنه ، فكث ساعة كأنه نافر يريد القيام ، فلما طال جلوسي سكن وأقبل يخط ياصبعة . فأقبلت عليه وقت : أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول :

ألا ياغرَابَ البَيْنِ وَيَحْلَّ نَبَّئِ^(١)
بِهِكَفِي لُبْنَى وَأَنْتَ خَبَرِي
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُخْبِرْ بَشِّي عَلِمْتَهِ فَلَا طِرْتَ إِلا وَالجَنَاحُ كَسِيرُ
وَدُرْتَ بِأَعْدَاءِ حَبِيبِكَ فِيهِمْ كَاهَ دَتَرَانِي بِالْحَبِيبِ أَدُورُ
فَأَقْبَلَ عَلَيَّ وَهُوَ يَبْكِي ، ثُمَّ قَالَ : وَأَنَا أَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلًا حِيثُ أَقُولُ :
كَانَ الْقَلْبَ لِيَلَةَ قِيلَ بُغْدَى بِلِيَالِي الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ
قَطَّاءَ عَزَّهَا^(٢) شَرَكَ فَبَاتَ تَنَازِعَهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ
فَأَمْسَكَتْهُ عَنِهِ هُنْيَةً ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ قَلْتُ : وَأَحْسَنَ وَاللهِ قيس

(١) نبني : نبني وأخبرني .

(٢) عزها : غلبها .

ابن ذریح حيث يقول :

وإني لفْنِ دمَعَ عَيْنَيَ بالبُكَا
حِذَاراً لـ أَقْدَ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنُ
وَقَالُوا : غَـداً أَوْ بَعْدَ ذَاكَ بَلِيلَةٍ
فِرَاقُ حَبِيبٍ لَمْ يَبْرُّ وَهُوَ بَائِنُ
وَمَا كَنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتِي
بِكَفِيكِ إِلَّا أَنَّ مَا حَانَ حَانُ
فَبَكَـ - وَاللَّهُ - حَتَّى ظَنَنتُ أَنَّ نَفْسَهُ فَاضَتْ^(١) ، وَقَدْ رَأَيْتُ دَمَوعَهُ
قَدْ بَلَّتِ الرَّمْلَ الَّذِي بَيْنَ يَدِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَحْسَنَ لَعْمَرُ اللَّهُ ؛ وَأَنَا وَاللَّهُ أَشَعْرُ مِنْهُ
حَيْثُ أَقُولُ :

وَأَدَنَسْتِنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْنَتِنِي بِقُولِ يُحِلُّ الْعُصْمَ^(٢) سَهَلَ الْأَبَاطِحِ
تَنَاهِيَتِ عَنِ حِينَ لَأَلِي حِيَلَةَ وَخَلَقْتِ مَا خَلَقْتِ بَيْنَ الْجَوَاحِـ
ثُمَّ سَنَحَتْ لَهُ ظَبَيَّةَ فَوَثَبَ يَعْدُو خَلْفَهَا حَتَّى غَابَ عَنِي ، وَانْصَرَفَ .

وَعَدْتُ مِنْ غَـدِ فَطْلَبَتِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ ، وَجَاءَتِ امْرَأَةٌ - كَانَتْ تَضَعُ لَهُ طَعَامَهُ -
إِلَى الطَّعَامِ فَوَجَدَتْهُ بِحَالَهِ .

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الْثَالِثُ غَدُوتُ ، وَجَاءَ أَهْلَهُ مَعِي فَطَلَبَنَا يَوْمًا فَلَمْ نَجِدْهُ ، وَغَدَوْنَا
فِي الْيَوْمِ الْرَابِعِ نَسْتَقْرِي أَثْرَهُ^(٣) ، حَتَّى وَجَدْنَاهُ فِي وَادِي كَثِيرِ الْحَجَارَةِ خَشِنٌ وَهُوَ
مِيتٌ بَيْنَ تَلَكَ الْحَجَارَةِ ، فَبَيْنَمَا يَقْلُبُونَهُ إِذَا وَجَدُوا خِرْفَةَ فِيهَا :
أَلَا أَيْهَا الشَّيْخُ الَّذِي مَا بَيْنَا يَرْضَى شَقِيقَتَ وَلَا هُنْيَتَ مِنْ عِيشَكَ الْفَضَّـ
شَقِيقَتَ كَـ أَشْقَيَنِي وَتَرْكَتَنِي أَهْيَمُ مَعَ الْهَلَـكَ لَا أَطْعَمُ الْفَمَضَـ

(١) فَاضَتْ نَفْسَهُ : خَرَجَتْ وَمَاتَ .

(٢) الْعَصْمُ : جَمْعُ أَعْصَمٍ ، وَهُوَ الْوَعْلُ الَّذِي فِي ذَرَاعِيهِ بِيَاضٍ ، يَرِيدُ أَنْ قَوْلَهَا يَنْلِبُ الْعَصْمَ وَيَسْتَرِزُهَا
مِنَ الْجَبَالِ وَهِيَ مَسَاكِنُهَا إِلَى الْأَبَاطِحِ السَّهَلَةِ .

(٣) نَسْتَقْرِي أَثْرَهُ : نَتَبَيَّنُ أَثْرَهُ .

كَانَ فَوَادِي فِي مُحَالِبِ طَائِرٍ إِذَا ذُكِرَتْ لَيْلَى يَشَدَّ بِهَا قَبْضًا
كَانَ فِي جَاجٍ^(١) الْأَرْضِ حَلْقَةً خَاتَمٍ عَلَى فَأَنْ تَزَدَادُ طَوْلًا وَلَا عَرْضاً

وَاحْتَمَلَهُ أَهْلُهُ فَعَسَلُوهُ وَكَفْنُوهُ وَدَفْنُوهُ؛ فَلَمْ تَبْقِ فَقَاهُ مِنْ بَنِي جَعْدَةَ وَلَا بَنِي
الْمَوْرِيشِ إِلَّا خَرَجَتْ حَاسِرَةً صَارِخَةً عَلَيْهِ تَنْدُبُهُ، وَاجْتَمَعَ فِتْيَانُ الْحَىِ يَكُونُ
عَلَيْهِ أَحَرَّ بَكَاءً؛ وَيَنْشِجُونَ عَلَيْهِ أَشَدَّ نَشِيجٍ، وَحَضَرُهُمْ حَىٰ لَيْلَى مُعَزِّيْنَ، وَأَبُوهَا
مَعْهُمْ، فَكَانَ أَشَدَّ الْقَوْمَ جَزَّاعًا وَبَكَاءً عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يَقُولُ: مَا عَلِمْنَا أَنَّ الْأَمْرَ
يَبْلُغُ كُلَّ هَذَا، لَكُنِي كَنْتُ امْرَأً عَرَبِيًّا أَخَافُ مِنَ الْمَارِ، وَقُبْحَ الْأَحْدُونَةِ،
مَا يَخَافُ مِثْلِي، فَزُوْجُهَا وَخَرَجَتْ عَنْ يَدِي، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَمْرَهُ يَجْرِي عَلَى هَذَا
مَا أَخْرَجَتْهَا عَنْ يَدِهِ، وَلَا احْتَمَلَتْ مَا كَانَ عَلَىٰ فِي ذَلِكَ .

فَارْتُئِي يَوْمَ كَانَ أَكْثَرَ بَاكِيَةً وَبَاكِيًّا عَلَى مَيِّتٍ مِّنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

(١) جمع فج : وهو الطريق .

٥٩ — الْيَوْمَ يُجْمِعُنَا فِي بَطْنِهَا السَّكَنَةُ *

قال الطفيلي^(١) بن عامر العمري : خرجت ذات يوم أريد الفارة - وكفت رجلاً أحب الوحيدة - فيينا أنا أسير ، إذ ضللت الطريق الذي أردته ، فسرت أيامًا لا أدرى أين أتوجه ، حتى نفذ زادى ، فجعلت أكل الحشيش وورق الشجر حتى أشرفت على الهايا ، وثبتت من الحياة .

فيينا أنا أسير إذ أبصرت قطيع غنم في ناحية من الطريق ؟ فللت إليها ، وإذا شاب حسن الوجه ، فصيح اللسان .

قال لي : يابن العم ؟ أين ت يريد ؟ قلت : أردت حاجة لي في بعض المدن ، وما أظلفني إلا قد ضللت الطريق . قال : أجل . إن بينك وبين الطريق مسيرة أيام ، فانزل حتى تستريح وتطمئن وتريح فرسك .

فنزلت فرمي لفرسي حشيشاً ، وجاء إلى بثريد كثير ولبن ، ثم قام إلى كبسه فذبحه ، وأجحج فاراً^(٢) ؛ وجعل يُكَبِّبُ^(٣) لي ، ويطعمني حتى اكتفيت .

فلما جئني الليل قام وفرش لي ، وقال : قم فارم بنفسك ؟ فإن النوم أذهب لتعبك ، وأرجع لنفسك .

قمت ووضعت رأسي ، فيينا أنا نائم إذا أقبلت جارية لم تر عيناي مثلها قط .

* المحسن والأضداد : ٧٠ ، مسامرات الأبرار : ٢ - ٦٠ ، نهاية الأرب : ٢ - ١٩٦

(١) راوي القصة في نهاية الأرب جيل العنزي . (٢) أشعل . (٣) أى يجعل لي اللحم كبابا .

حُسْنَا وَجَمَالًا ، فَقَعَدَتْ إِلَى الْفَتَى وَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَشْكُو إِلَى صَاحِبِهِ مَا يَلْقَى
مِنَ الْوَجْدِ بِهِ ؛ فَامْتَنَعَ عَلَى النَّوْمِ لِحَسْنِ حَدِيثِهِمَا . فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ السَّبَّحَرِ ، قَامَتْ
إِلَى مِنْزِلِهِمَا ، فَلَمَّا أَصْبَحُنَا دَنْوَتُ مِنْهُ ، قَوْلَتْ لَهُ : مَنْ الرَّجُلُ ! قَالَ : أَنَا فَلانُ ابْنُ
فَلانٍ ؟ وَانْتَسَبْ لِي فَعْرُوفَتْهُ ، قَوْلَتْ لَهُ : وَيْحَكَ ! إِنَّ أَبَاكَ أَسِيدُ قَوْمَهُ ، فَما حَلَكَ
عَلَى وَضِعِيكَ نَفْسَكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ ! قَوْلَ : أَنَا وَاللَّهُ أَخْبُرُكَ :

كَنْتَ عَاشِقًا لابْنَةِ عَمِيْ هَذِهِ الَّتِي رَأَيْتَهَا ؛ وَكَانَتْ هِيَ أَيْضًا لِي وَامِقَةً^(١) ،
فَشَاعَ خَبَرُنَا فِي النَّاسِ ، فَأَتَيْتَ عَمِيْ ، فَسَأَلَتْهُ أَنْ يَزُوْجَنِيهَا ، قَوْلَ : يَا بْنِي ؟ وَاللَّهُ
مَا سَأْلَتَ شَطَطًا^(٢) ، وَمَا هِيَ بِآثَرٍ عَنِّيْدِي مِنْكَ ؛ وَلَكِنَّ النَّاسَ قَدْ تَحْدَثُوا بِشَيْءٍ^(٣)،
وَعَمْكَ يَكْرَهُ الْمَقَالَةَ الْقَبِيحةَ ؛ وَلَكِنَّ انْظُرْ غَيْرَهَا فِي قَوْمِكَ ، حَتَّى يَقُومَ عَمْكَ
بِالْوَاجِبِ لَكَ .

قَوْلَتْ : لَا حَاجَةَ لِي فِيمَا ذَكَرْتَ ، وَتَحْمِلَتْ^(٤) عَلَيْهِ بِجَمَاعَةِ مِنْ قَوْمِيْ ،
فَرَدَهُمْ وَزَوْجَهَا رَجَلًا مِنْ ثَقِيفِ لَهِ رِيَاسَةً وَقَدْرًا ؛ فَخَلَمُهَا إِلَى هَذَا - وَأَشَارَ
بِيْدُهِ إِلَى خِيمَ كَثِيرَةَ بِالْقُرْبِ مِنْهَا - فَضَاقَتْ عَلَى الدُّنْيَا بِرُحْبِهَا ، وَخَرَجَتْ فِي
إِثْرِهَا ؛ فَلَمَّا رَأَيْتَنِي فَرَحْتُ فَرْحَةً شَدِيدًا ، قَوْلَتْ لَهَا : لَا تَخْبِرِي أَحَدًا أَنِّي مِنْكَ
بِسَبِيلِ ، ثُمَّ أَتَيْتُ زَوْجَهَا ، وَقَوْلَتْ : أَنَا رَجُلُ مِنَ الْأَزْدِ ، أَصَبَّتْ دَمًا وَأَنَا خَائِفٌ ،
وَقَدْ قَصَدْتُكَ لِمَا أَعْرَفُ مِنْ رَغْبَتِكَ فِي اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ ، وَلِي بَصَرٌ بِالْفَمِ ؛ إِنَّ
رَأَيْتَ أَنْ تَنْطِلِنِي مِنْ غَنِمِكَ شَيْئًا فَأَكُونَ فِي جَوَارِكَ وَكَنْفِكَ فَأَفْعُلُ . قَالَ : نَعَمْ
وَكَرَامَةً . فَأَعْطَاهُ مِائَةً شَاةً وَقَالَ لَيْ : لَا تَبْعُدْ بِهَا مِنَ الْحَىِ ، وَكَانَتْ ابْنَةُ عَمِيْ

(١) وَامِقَةٌ : مَجْهَةٌ . (٢) شَيْئًا بَعِيدًا . (٣) تَحْمِلَتْ عَلَيْهِ : أَى أَتَيْتَهُ بِقَوْمٍ يَشْفَعُونَ لِي عَنْهُ .

تخرج إلى كل ليلة في الوقت الذي رأيتَ وتتصرف؟ فلما رأى حسنَ حالَ الغمِّ
أعطاني هذه ، فرضيتُ من الدنيا بما ترى .

قال الطفيلي : فأقتت عنده أيامًا فيبينا أنا نائمٌ إذ نبهني ، وقال : يا أخا بني عامر .
قلتُ له : ما شأْنُك ؟ قال : إن ابنةَ عمِي قد أبطأتْ ولم تكن هذه عادتها ، ووالله
ما أظن ذلك إلا لأمرِ حادث ، خدْنِي ، فعلتْ أحدَتُه ، فأنشا يقول :

ما بال ميَّةَ لا تأتي كعادتها هل هاجها طَرَبُ^(١) أو صدَّها شُغُلُ؟
لَكَنْ قلبي لا يَعْنِيه غَيْرُهُمْ حتى المماتِ ولا لي غَيْرُهُمْ أَمَلُ
لو تعلمين الذي بي منْ فِرَاقِكُمْ لَا اعتَلْتِ ولا طابت لَكِ الْعِلْلُ
نفسِي فداوِكِ ! قد هَيَّجْتِ لِي سَقْمًا تَكَادُ منْ حرَّةِ الأَعْصَاءِ تَنْفَصِلُ
لو كان عادِيَّهُ منه على جَبَلٍ زال وانهَدَ منْ أركانِهِ الجَبَلُ

فوالله ما أكتحل بغمضٍ ، حتى انفجرَ عمودُ الصبح ، وقام ومرَّ نحوَ الحَيِّ
فأبْطأً عنِّي ساعة ، ثم أقبلَ ومعه شَيْءٌ ، وجعل يبكي عليه . قلت له : ما هذا ؟
قال : هذه ابنةُ عمِي افترسها السَّيْعُ ، فـَكَلَ بعضَها ؛ ووضعَها بالقُربِ منِي ، فـَأَوْجَعَ
والله قلبي !

ثم تناول سيفَه ومرَّ نحوَ الحَيِّ فـَأبْطأَ هُنْيَةً ، ثم أقبلَ إلى ، وعلى عاتقه ليثُ
كانه حمار ؟ قلت له : ما هذا ؟ قال : صاحبِي ، قلت : وكيف عاتقه ؟ قال : إني
قصدتُ الموضع الذي أصابها فيه ، وعلمتُ أنه سيعود إلى ما فَضَلَ منها ؛ فجاء
قادصًا إلى ذلك الموضع ، فعملتْ أنه هو ، فحملتْ عليه فقتله ؛ ثم قام فحَفَرَ في

(١) الْطَّرَبُ : خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور .

الأرض فأمعن ؛ وأخرج ثواباً جديداً ؛ وقال : يا أخا بني عامر ؛ إذا أنا ميت
فادرجني^(١) معها في هذا الثوب ؛ ثم ضعنا في هذه الحفرة ، وأهيل التراب^(٢) ،
وأكتب هذين البيتين على قبرنا وعليك السلام :

كُنَّا عَلَى ظُهُورِهَا وَالْمَيِّثُ فِي مَهْلِكٍ
خَانَنَا الْدَّهْرُ فِي تَفْرِيقِ الْفَقِنَّا
ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى الْأَسْدِ وَقَالَ :

أَلَا أَيَّهَا الْيَثُ الْمُدْلِلُ بِنَفْسِهِ
وَغَادَرْتَنِي فَرَدًا وَقَدْ كُنْتُ آفَافًا
أَصْحَبُ دَهْرًا خَانَنِي بِفَرَاقِهِ مَعَادِ إِلَهِي أَنْ أَكُونَ لَهُ خِدْنَا^(٣)
ثُمَّ قال : يا أخا بني عامر ؛ إذا فرغتَ من شأننا فصحيح في أدبار هذه الغم
فرددَها إلى صاحبها .

ثم مات ، فقمت فأدرجهم في ذلك الثوب ؛ ووضعتهم في تلك الحفرة ؛
وكتب البيتين على قبرها ، ورددت الغم إلى صاحبها . وسألني القوم ، فأخبرتهم
الخبر ؛ نخرج جماعة منهم فقالوا : والله لننحرن عليه ؛ تعظيمًا له ، نخرجوه؛ وأخرجوها
مائة ناقة ؛ وتسمع الناس فاجتمعوا إلينا ؛ فنحرت ثم انصرفنا .

(١) ادرجني : اطوني معها . (٢) هال التراب وأهاله : صبه . (٣) خدنا : صديقا .

* ٦٠ — العِفَةُ فِي الْحُبِّ

سَعَتْ أَمَّةً لِبُشِّيرَةَ بَهَا إِلَى أَيْمَانِهَا وَأَخْيَاهَا ، وَقَالَتْ لَهَا : إِنَّ جَمِيلًا^(١) عِنْدَهَا
اللَّيْلَةَ ، فَأَتَيَاهَا مُشْتَقِلُينَ عَلَى سَيْفَيْنِ ، فَرَأَيَاهُ جَالِسًا حَجْرَةً^(٢) مِنْهَا يَحْدُثُهَا وَيُشَكُّو
إِلَيْهَا بَشَّرَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : يَا بُشِّيرَةَ ؟ أَرَأَيْتَ وُدُّي إِيَّاكَ ، وَشَغَفَكَ ، أَلَا تَجِزُّ يَنِيهَ ؟
قَالَتْ : بِمَاذَا ؟ قَالَ : بِمَا يَكُونُ بَيْنَ الْمُتَحَابَيْنِ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا جَمِيلَ ؟ أَهْذَا تَبْغِيَ
وَاللَّهُ لَقَدْ كَنْتَ عَنِّي بَعِيدًا مِنْهُ ، وَلَئِنْ عَادْتَ تُعْرِضَنِي بِرِيشَةِ لَا رَأْيَتَ
وَجْهِي أَبْدًا .

فَضَحِّكَ وَقَالَ : وَاللَّهُ مَا قَلْتُ لَكِ هَذَا إِلَّا لِأَعْلَمَ مَا عِنْدَكِ فِيهِ ، وَلَوْ عَلِمْتَ
أَنِّكَ تُجْبِيَنِي إِلَيْهِ لَعْمَتْ أَنِّكَ تُجْبِيَنِي غَيْرِي ، وَلَوْ رَأَيْتُ مِنْكِ مَسَاعِدَةً عَلَيْهِ لَفَرَقْتُكَ
بِسَيْفِ هَذَا مَا اسْتَقْمَسَكَ فِي يَدِي ، وَلَوْ أَطَاعْتَنِي نَفْسِي لَهِجَرْتُكَ هِجْرَةَ الْأَبْدِ ، أَوْ
مَا سَمِعْتُ قَوْلِي :

وَإِنِّي لِأَرْضَى مِنْ بُشِّيرَةَ بَالَّذِي لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَاشِي لَقَرَّتْ بَلَأِ بَلَهُ^(٣)

* الأغانى : ٨ - ١٠٥

(١) هو جميل بن عبد الله بن معمر العنذري ، كان شاعرًا فصيحًا مقدمًا جامعاً للشعر والرواية .
اشتهر بحبه بنتينة ابنة عمده ، وكان يجتمع بها سرًا عن أهلها ، فألحوا بالشكوى عليه ، فقر إلى المين
ثم اتجمع أهل بنتينة الشام ، فرحل جمبل إليهم فتصدوه وشكوه إلى عشيرته ، فعنقه أهله وهددوه ،
فاقتطع عنها ، وأخيراً جاؤه مصر وعاملها عبد العزيز بن مروان ، فأحسن وفادته ، ومرض هناك
ومات بها سنة ٨٢ هـ . (٢) حجرة : ناحية منفرداً . (٣) البلايل : وسوان الصدر .

بِلَا وَبِأَلَا أَسْقطِيمُ وَبِالْمُنْفِي
وَبِالْأَمْلِ الْمَرْجُوُّ قَدْ خَابَ آمِلُهُ
وَبِالنَّظَرَةِ الْعَجْلِيِّ وَبِالْحَوْلِ تَنَفَّضِي
أَوَّلَيْهِ لَا نَلْتَقِي وَأَوَّلَهُ
فَقَالَ أَبُوهَا لِأَخِيهَا : قُمْ بِنَا ؛ فَمَا يَنْبَغِي لَنَا بَعْدَ الْيَوْمِ أَنْ نَنْعَنَّ هَذَا الرَّجُلَ مِنْ
لِقَائِهَا ؟ فَانْصَرَفَ وَتَرَكَاهَا .

* ٦١ — حديث جميل ومبينه *

قال مَعْبُد : خرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ فِي طَلَبِ لِقَاءِ الْغَرِيبِ^(١) ، وَقَدْ بَلَغَنِي حَسْنُ غُناَءِهِ فِي لَحْنِهِ :

وَمَا أَنْسَمْ إِلَيْهِ أَشْيَاءَ^(٢) لَا أَنْسَ شَادِنَا مَكَّةَ مَكْحُولًا أَسِيلًا مَدَامِعَهُ

وَقَدْ كَانَ بَلَغَنِي أَنَّهُ أَوْلُ لَخْنِ صَنَعِهِ ، وَأَنَّ الْجِنَّ تَهَنَّهُ أَنْ يَفْنِيهِ لَأَنَّهُ قَنَ طَافَةً مِنْهُمْ ، فَاتَّقْلُوا عَنْ مَكَّةَ مِنْ أَجْلِ حُسْنِهِ .

فَلَمَّا قَدِمْتُ مَكَّةَ سَأَلْتُ عَنْهُ ، فَدُلِّلْتُ عَلَى مَنْزِلِهِ ؛ فَأَتَيْتُهُ قَرْعَتُ الْبَابِ فَا

فِيهَا الْغَرِيبُ ، قَلَّتْ بَعْضَ الْجِيَارَانِ قَلَّتْ : هَلْ فِي الدَّارِ أَحَدٌ ؟ قَالَ الْمَالِيُّ : نَعَمْ ،

وَجَتَتْ أَصْفَافُ الْمَوَى مِنْهَا وَلِيَدَا فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهَا وَبَزِيدُ

فَوَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ حَرْكَةَ الْبَابِ ، قَلَّتْ : بَطَلْ سِحْرِيُّ^(٣) وَضَاعْ سَفَرِيُّ ،

وَجَثَتْ أَطْلَبُ مَا هُوَ عَسِيرٌ عَلَيْهِ ، وَاحْتَقَرَتْ نَفْسِي وَقَلَّتْ : لَمْ يَتَوَهَّمْنِي^(٤) لِضَعْفِ

* الأغانى : ٢ - ٣٨٧ ، تزيين الأسواق : ٣٧

(١) مغن مشهور ، أخذ الغناء عن أبي سريح وبرع فيه ، واسمه عبد الملك ، والغريب لقبه ، قال ابن الكلبي : شبه بالإغريق ، وهو الحمار فسمى به ، ثم نقل على الألسنة ، خذلت الآلاف منه.

(٢) أصله: من الأشياء . (٣) بطل سحرى : ضاعت حيلتي . (٤) لم يتوهمنى : لم يعرفنى .

غِنَائِي عَنْهُ ، فَمَا شَرَّعْتُ إِلَّا بِصَاحِبِ الْبَصِيرَةِ : يَا مَعْبُدَ الْغَنَى ؛ افْهَمْ وَتَلَقَّ عَنِ شِعْرِ
جَمِيلِ الَّذِي تُعْنِي فِيهِ يَا شَقِيقَ الْبَحْثَةِ ، وَغَنَى :

وَمَا أَنْسَ مِنِ الْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ قَوْلَاهَا وَقَدْ قَرَّبَتْ نِصْوَى^(١) : أَمْ صَرَّ تَرِيدُ
وَلَا قَوْلَهَا : لَوْلَا الْعَيْوَنُ الَّتِي تَرَى
أَتَيْتُكَ فَاعْذِرْنِي فَدَنْتَكَ جُدُودُ !
خَلِيلِيَّ مَا أُخْفِي مِنَ الْوَاجْدِ بَاطِنُ
وَدَمْعِي بِمَا قَلْتُ الْفَدَاءَ شَهِيدُ
يَقُولُونَ : جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بِغَزَوَةِ
وَأَئَ جِهَادِ غَيْرِهِنَّ أَرِيدُ
لِكُلِّ حَدِيثٍ عَنْهُنَّ بَشَاشَةَ وَكُلَّ قَتِيمِي بِيَنْهُنَّ شَهِيدُ

فَسَمِعْتُ شَيْئًا لَمْ أُسْمِعْ أَحْسَنَ مِنْهُ ، وَقَصَرَ^(٢) إِلَيَّ نَفْسِي ؛ وَعِلِّمْتُ فَضْلِيَّتِهِ عَلَى
بِمَا أَحْسَنَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَقَلْتُ : إِنَّهُ لَحَرَى بِالاستِرَارِ مِنَ النَّاسِ تَنْزِيهَنَّ نَفْسَهُ ، وَتَمْظِيَّا
لِقَدْرِهِ ، وَإِنَّ مَثْلَهِ لَا يَسْتَحْقُ الْابْتِذَالَ ، وَلَا أَنْ تَدْأُلَهُ الرَّجَالُ ؛ فَأَرْدَتُ
الْانْصِرَافَ إِلَى الْمَدِينَةِ رَاجِعًا .

فَلَمَّا كَنْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ إِذَا بِصَاحِبِ الْبَصِيرَةِ : مَعْبُدُ ؛ انتَظِرْ أَكْلَمَكَ ، فَرَجَعْتُ
فَقَالَ لِي : إِنَّ الْفَرِيضَ يَدْعُوكَ ؛ فَأَسْرَعْتُ فِرْحَانًا ، فَدَنَوْتُ مِنَ الْبَابِ ، فَقَالَ لِي :
أَتَحِبُّ الدُّخُولَ ؟ فَقَلْتُ : وَهُلْ إِلَى ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ ؟ فَقَرَّعَ الْبَابُ فُقْتَحَ ، فَقَالَ لِي :
ادْخُلْ وَلَا تُطْلِي الْجَلوْسَ .

فَدَخَلْتُ فَإِذَا شَمِسُ طَالِعَةُ فِي بَيْتِ ، فَسَلَّمْتُ فَرَدَ السَّلَامَ ، ثُمَّ قَالَ : اجْلِسْ
خَلِستَ ، فَإِذَا أَنْبَلُ النَّاسَ ، وَأَحْسَنَهُمْ وَجْهًا وَخَلْقًا وَخَلْقًا ؟ فَقَالَ : يَا مَعْبُدُ ؛ كَيْفَ

(١) النَّصْوَى : المَزْوَلُ مِنَ الْإِبْلِ . (٢) قَصَرَ إِلَى نَفْسِي : صَفَرَهَا فِي عَيْنِي .

طَرَأْتُ^(١) إِلَى مَكَةَ ؟ قَلْتُ : جَعَلْتُ فَدَاءَكَ ! وَكَيْفَ عَرَفْتَنِي ؟ قَالَ : بِصَوْتِكَ ؛
 قَلْتُ : وَكَيْفَ وَأَنْتَ لَمْ تَسْمِعْهُ قَطُ ؟ قَالَ : لَمَغْنِيَتْ عِرْفَتَكَ بِهِ وَقَلْتُ : إِنْ كَانَ
 مَعْبُدُ فِي الدُّنْيَا فَهُذَا . قَلْتُ : جَعَلْتُ فَدَاءَكَ ! فَكَيْفَ أَجَبْتَنِي بِقَوْلِكَ :
 وَمَا أَنْسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا وَقَدْ قَرَأْتُ نِصْوَى : أَمْصَرَ تَرِيدَ ؟
 قَالَ : لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَرِيدُ أَنْ أُسْمِعَكَ صَوْتِي :
 وَمَا أَنْسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ شَادِنَا بَمَكَةَ مَكْحُولًا أَسِي— لَا مَدَامِعَهُ
 وَلَمْ يَكُنْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ ، لَأَنَّهُ صَوْتٌ نَهِيَتُ أَنْ أَغْنِيَهُ ، فَنَفَّيْتُكَ هَذَا
 الصَّوْتَ جَوَابًا لِمَا سَأَلْتَ وَغَنِيَتَ ؛ قَلْتُ : وَاللهِ مَا عَدْوَتَ مَا أَرْدَتُ . قَالَ لِي :
 يَا أَبَا عَبْدَادٍ ؟ لَوْلَا مَلَاهَةُ الْحَدِيثِ ، وَثَلَلُ إِطَالَةِ الْجَلوْسِ لَا سَكَثَتُ مِنْكَ فَاعْذِرْ .
 نَخْرَجْتُ مِنْ عَنْدِهِ ، وَإِنَّهُ لَأَجَلُ النَّاسِ عِنْدِي ، وَرَجَعْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَنَحْدَثْتُ
 بِحَدِيثِهِ ، وَعَجَبْتُ مِنْ فِطْنَتِهِ وَقِيَافَتِهِ^(٢) ، فَمَا رَأَيْتُ إِنْسَانًا إِلَّا وَهُوَ أَجَلُ مِنْهُ
 فِي عَيْنِي .

وَذَكَرْتُ جَمِيلًا وَبُشِّيرَةً قَلْتُ : لَيْتَنِي عَرَفْتُ إِنْسَانًا يَحْدِثُنِي بِقَصَّةِ جَمِيلٍ وَخَبِيرٍ
 الشِّعْرُ فَأَكُونُ قَدْ أَخْذَتُ بِفَضْيَلَةِ الْأَمْرِ كَلَّهُ فِي الْفَنَاءِ وَالشِّعْرِ ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ
 إِنَّا الْحَدِيثُ مَشْهُورٌ ، وَقَيْلَ لِي : إِنْ أَرْدَتَ أَنْ تُخَبِّرَ بِخَبْرِهِ فَاتِّ بْنِ حَنْظَلَةَ ،
 فَإِنَّ فِيهِمْ شَيْخًا مِنْهُمْ يَقَالُ لَهُ : فَلَانُ ، يُخَبِّرُكَ الْخَبِيرَ .

فَأَتَيْتُ الشَّيْخَ فَسَأَلْتُهُ قَالَ : نَعَمْ ؛ يَبْنَا أَنَا فِي إِبْلِي فِي الرِّبَعِ إِذَا أَنَا بِرَجْلٍ
 مُنْطَوِي عَلَى رَجْلِهِ كَأَنَّهُ جَانٌ^(٣) ، فَسَلَمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللهِ ؟ قَلْتُ :

(١) طَرَأْتُ : أَقْبَلْتُ جَاءَ . (٢) قَافِ الْأَثْرِ قِيَافَةً : تَتَبعُهُ وَعَرْفَهُ . (٣) حَيَةٌ لَا تُؤْذَى ، كَثِيرَةٌ
 فِي الدُّورِ .

أحد بني حنظلة ، قال : فانتسب ؟ فانتسبت حتى بلغت إلى فخذلي الذي أنا منه ؟ ثم سألني عن بني عذرة أين نزلوا ؟ فقلت له : هل ترى ذلك السفح ؟ فإنهم نزلوا من ورائه ؛ قال : يا أخا بني حنظلة ؛ هل لك في خير تصطぬه إلى ؟ فوالله لو أعطيتني ما أصبحت تسوق من هذه الإبل ما كنت باشـكـرـ مني لك عليه ، فقلت : نعم ، ومن أنت أو لا ؟ قال : لاتسألني من أنا ولا أخبرك لوسألتنـي ؟ غير أني رجل يبني وبين هؤلاء القوم ما يكون بين بني العم ، فإن رأيت أن تأتـهمـ فإنك تجد القوم في مجلسـهمـ ، فـقـنـشـدـهـمـ^(١) بـكـرـةـ أـدـمـاءـ تـجـرـ خـفـيـهـاـ غـفـلـاـ منـ السـمـةـ^(٢) ، فإن ذكرـوا لك شيئاً فذاك ، وإلا استاذـتـهمـ في البيوت وقلـتـ : إن المرأة والصبي قد يـرـيانـ مـالـاـ يـرـىـ الرجالـ فـقـنـشـدـهـمـ ولا تـدعـ أحـدـاـ تصـيـبـهـ عـيـنـكـ ولا يـتـماـ منـ بـيـوـتـهمـ إـلـاـ نـشـدـهـاـ فـيـهـ .

فـأـتـتـ القـوـمـ فإذاـ هـمـ عـلـىـ جـزـورـ^(٣) يـقـدـسـمـونـهـاـ ، فـسـلـمـتـ وـأـنـتـسـبـتـ لـهـمـ وـنـشـدـهـمـ صـالـقـيـ ، فـلـمـ يـذـكـرـواـلـىـ شـيـنـاـ ، فـاسـتـاذـتـهـمـ فـيـ الـبـيـوـتـ وـقـلـتـ : إـنـ الصـبـيـ وـالـمـرـأـةـ يـرـيانـ مـاـ لـاـ يـرـىـ الرـجـالـ ، فـأـذـنـوـاـ ، فـأـتـيـتـ أـفـصـاـهـاـ يـيـتـاـ ، ثـمـ اـسـتـقـرـيـتـهـاـ يـيـتـاـ يـيـتـاـ أـنـشـدـهـمـ فـلـاـ يـذـكـرـونـ شـيـنـاـ ، حـتـىـ إـذـاـ اـنـتـصـفـ النـهـارـ ، وـآذـانـ حـرـ الشـمـسـ وـعـطـشتـ وـفـرـغـتـ مـنـ الـبـيـوـتـ ، وـذـهـبـتـ لـأـنـصـرـ حـانـتـ مـنـ التـفـاتـةـ فـإـذـاـ بـشـلـانـةـ أـبـيـاتـ قـلـتـ : مـاـعـنـدـ هـؤـلـاءـ إـلـاـ مـاـعـنـدـ غـيـرـهـمـ ، ثـمـ قـلـتـ لـنـفـسـيـ : سـوـءـةـاـ وـثـقـ بـيـ رـجـلـ وـزـعـمـ أـنـ حاجـتـهـ تـعـدـلـ مـالـيـ ، ثـمـ آتـيـهـ فـأـقـولـ : عـجـزـتـ عـنـ ثـلـاثـةـ أـبـيـاتـ !

(١) نـشـدـمـ : تـنـادـيـهـمـ وـتـسـلـمـ عـنـهـاـ ، وـالـبـكـرـةـ : الـقـتـيـةـ مـنـ الإـبـلـ ، وـالـأـدـمـ مـنـ الإـبـلـ : الأـيـضـ .

(٢) السـمـةـ : الـعـلـامـةـ ، وـغـفـلـاـ مـنـ السـمـةـ : أـيـ لـيـسـ فـيـهـ عـلـامـةـ . (٣) الـجـزـورـ مـنـ الإـبـلـ بـقـعـ عـلـىـ الـذـكـرـ وـالـأـنـيـ .

فانصرفتْ عائداً إلى أعظمها ييتاً، فإذا هو قد أرْخى مؤخره ومقدمه،
غسلتْ فُرْدَّ علىَ السلام، وذكرت ضالتي، فقالت جارية منهم : يا عبد الله ؟
قد أصبتَ ضالتك، وما أظنك إلا قد اشتَدَّ عليك الحرّ، واشتهيتَ الشراب ؟
قلت : أجل ؟ قالت : ادخل ؛ فدخلت ؛ فلتني بصحفةٍ فيها تمرٌ من تمر هجر^(١)
وقدح فيه لبن ، والصحفة مصرية مفضضة ، والقدح مفضض لم أر إلَّا قطُّ
أحسنَ منه ، فقالت : دونك . فتجمعتْ وشربتْ من اللبن حتى رويتْ ، ثم قلتْ
يا أمة الله ؟ والله ما أتيتُ اليوم أكرمَ منك ولا أحق بالفضل ؟ فهل ذكرتِ من
ضالتك شيئاً ؟ فقالت : هل ترى هذه الشجرة فوق الشرف^(٢) ؟ قلت : نعم ؟ قالت :
إِنَّ الشَّمْسَ غَرَبَتْ أَمْسَ وَهِيَ تُطَيِّفُ حَوْلَهَا ، ثُمَّ حَالَ اللَّيلُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ؛ فَقَمَتْ
وَجَزَّيْهَا الْخَيْرَ ، وَقَلَتْ : وَاللهِ لَقَدْ تَغَدَّيْتُ وَرَوَيْتُ .

فخرجتْ حتى أتيتُ الشجرة فأطافتُ بها ، فوالله ما رأيتُ من أثر ؛ فأتتني
صاحبٍ فإذا هو متَّسِخٌ في الإبل بكسائه ورافع عقيرته^(٣) يعني . قلت : السلام
عليك . قال : وعليك السلام ، ما وراءك ؟ قلت : ما وراءي من شيء ؟ قال : لا
عليك ! فأخبرني بما فعلتَ ، فاقتصرتْ عليه القصة حتى انتهيتُ إلى ذِكر المرأة
وأخبرته بالذى صنعتْ ؛ فقال : قد أصبتَ طَبَّيْتك ؟ فعجبتُ من قوله وأنا لم أجده
شيئاً .

(١) هجر : بلد باليمين مشهورة بالتمر . (٢) الشرف : المكان العالى . (٣) عقيرة الرجل : صوته إذا أغنى أو بكى .

ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْ صِفَةِ الْإِنَاءِينَ : الصَّحْفَةُ وَالْقَدَحُ ؟ فَوَصَفْتُهُمَا لَهُ ، فَتَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ
وَقَالَ : قَدْ أَصْبَتَ طَلْبَتِكَ ، وَبِنَحْكَ ! ثُمَّ ذَكَرَتُ لَهُ الشَّجَرَةَ وَأَنْهَارَ أَرْتَاهَا تُطْيِيفَهَا،
فَقَالَ : حَسْبُكَ ! فَكَشَّتُ حَتَّى أَوَتَ إِلَيْهِ مَبَارِكَهَا وَدَعْوَتُهُ إِلَى الْعَشَاءِ فَلَمْ يَدْنُ
مِنْهُ ، وَجَلَسَ مِنْ بَعْدِ جَرَ (١) السَّكَابَ .

فَلَمَّا ظَنَّ أَنِّي قَدْ نَمْتُ رَمَقْتَهُ ، فَقَامَ إِلَى عَيْبَةَ (٢) لَهُ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا بُرْدَيْنَ
فَأَتَزَرَ بِأَحْدَهَا وَتَرَدَّى بِالْآخِرَ ، ثُمَّ انْطَلَقَ عَامِدًا نَحْوَ الشَّجَرَةِ . وَاسْتَبْطَنَتُ الْوَادِيَ
فَجَعَلَتْ أُخْفِي نَفْسِي ، حَتَّى إِذَا خَفَتْ أَنْ يَرَانِي ابْنَطَحْتُ ؛ فَلَمْ أَزْلَ كَذَلِكَ حَتَّى
سَبَقْتُهُ إِلَى شَجَرَاتِ قَرِيبَةِ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، بِحِيثُ أَسْمَعْ كَلَامَهُمَا ، فَاسْتَقْرَتُ
بِهِنَّ ، وَإِذَا صَاحِبَتِهُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ ، فَأَقْبَلَ حَتَّى كَانَ مِنْهَا غَيْرُ بَعِيدٍ ، فَقَالَتْ : أَجْلِسْ
فَوَاللهِ لَكَأَنَّهُ لَصِيقُ الْأَرْضِ ، فَسَلَمَ عَلَيْهَا وَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا أَكْرَمَ سَؤَالَ ، وَأَبْعَدَهُ
عَنْ كُلِّ رِبِّيَةِ ، وَسَأَلَتْهُ مِثْلَ مَسَأَلَتِهِ ؛ ثُمَّ أَمْرَتْ جَارِيَةً مَعْهَا ، فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ طَعَاماً ،
فَلَمَّا أَكَلَ وَفَرَغَ ، قَالَتْ : أَنْشَدْنِي مَا قَلْتَ ، فَأَنْشَدَهَا :
عِلْقَتُ الْمَوَى مِنْهَا وَلِيَدَا فَلَمْ يَزَلْ إِلَى الْيَوْمِ يَنْمِي حَبْهَا وَيَزِيدُ
ثُمَّ لَمْ يَزِدْ إِلَّا يَتَحَدَّثَانِ ، مَا يَقُولَانِ فُحْشًا وَلَا هُجْرًا ، حَتَّى التَّفَقَتِ التَّفَاتَةُ ،
فَنَظَرَتْ إِلَى الصَّبَعِ ، فَوَدَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ أَحْسَنَ وَدَاعَ مَا سَمِعْتُ بِهِ
قَطَّ ، ثُمَّ انْصَرَفَ .

فَقَمَتْ فَضَيْتُ إِلَيْهِ ، فَاضْطَجَعْتُ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَنْشَى خَطْوَةً ثُمَّ يَلْتَفِتُ
إِلَى صَاحِبِهِ ، فَجَاءَ بَعْدَ مَا أَصْبَحْنَا فَرْفَعَ بُرْدَبَهِ ثُمَّ قَالَ : يَا أَخَا بْنِي تَمِيمٍ ؛ حَتَّى مَتِي

(١) أَيْ جَلَسَ بَعِيدًا . (٢) العَيْبَةُ : وَعَاءٌ مِنْ جَلَدٍ يَكُونُ فِيهِ الْمَنَاعُ .

نَعَمْ ! قَفِّمْتُ وَتَوْضَأْتُ وَصَلَيْتُ، وَحَلَبْتُ إِبْلِي، وَأَعْانَتِي عَلَيْهَا، وَهُوَ أَظْهَرُ النَّاسِ سَرُورًا، نَمْ دَعْوَتِهِ إِلَى الْفَدَاءِ فَغَدَى؛ ثُمَّ قَامَ إِلَى عَيْبَتِهِ فَاقْتَتَحَهَا فَإِذَا فِيهَا سِلاحٌ وَبُرْدَانٌ مَا كَسْتَهُ الْمَلُوكُ، فَأَعْطَانِي أَحَدُهُمْ وَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَعِي شَيْءٌ مَا ذَخَرْتُهُ عَنْكُ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثُهُ وَانْتَسَبَلِي، فَإِذَا هُوَ جَمِيلٌ بْنُ مَعْمَرَ وَالْمَرْأَةُ بُشِّينَةٌ، وَقَالَ لِي : إِنِّي قَلَتْ أُبَيَّاتًا فِي مُنْصَرٍ فِي مَنْعِدِهَا، فَهَلْ لَكَ إِنْ رَأَيْتَهَا أَنْ تُنْذِشِدَهَا؟

قَلَتْ : نَعَمْ ؟ فَأَنْشَدَنِي :

وَمَا أَنْسَ مِنِ الْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا	وَقَدْ قَرَبَتْ نِضْوَى : أَمْصَرَ تُرِيدُ
وَلَا قَوْلَهَا لَوْلَا الْعَيْنُ الَّتِي تَرَى	أَتَيْتُكَ فَاعْذِرْنِي فَدَتْكَ جُدُودُ
خَلِيلِيَّ مَا أَخْفَى مِنَ الْوَجْدِ بِاطِنُ	وَدَمْعِي بِمَا قَلَتْ الْفَدَاءَ شَهِيدُ
يَقُولُونَ : جَاهِدُ يَا جَمِيلُ بَغَزُوَةِ	وَأَى جَهَادٍ غَيْرُهُنَ أَرِيدُ
لَكُلٌّ حَدِيثٌ عَنْدَهُنَ بَشَاشَةٌ	وَكُلُّ قَتِيلٍ بِيَمِنِهِنَ شَهِيدٌ
نَمْ وَدَعْنِي وَانْصَرَفَ .	

فَكَثُرْتُ حَتَّى أَخَذَتِ الإِبْلُ مِرَانَهَا، نَمْ عَمَدْتُ إِلَى دُهْنِ كَانَ مَعِي فَدَهْنَتُ بِهِ رَأْسِي، نَمْ ارْتَدَيْتُ بِالْبُرْدِ وَأَتَيْتُ الْمَرْأَةَ، فَقَلَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ؛ إِنِّي جَئْتُ أَمْسِ طَالِبًا وَالْيَوْمَ زائِرًا، أَفْتَأْذُنُونَ؟ قَالَتْ : نَعَمْ، فَسَمِعْتُ جُوَيْرِيَّةَ تَقُولُ لَهَا : يَا بُشِّينَةَ؛ عَلَيْهِ وَاللَّهِ بُرْدَ جَمِيلٌ، فَجَعَلَتْ أُنْثِي عَلَى ضَيْفِي وَأَذْكُرْ فَضْلَهِ، وَقَلَتْ : إِنَّهُ ذَكْرُكَ فَلَحْسَنَ الذَّكْرُ، فَهَلْ أَنْتَ بارِزَةً حَتَّى أَنْظَرَ إِلَيْكَ؟ قَالَتْ : نَعَمْ، فَلَبَسَتْ ثِيَابَهَا نَمْ بَرَزَتْ وَدَعَتْ لِي بُطْرَفَ، نَمْ قَالَتْ : يَا أَخَا بْنِ تَمِيمٍ، وَاللَّهِ مَا ثُوَبَ بِالْكَهْذَانِ بِمَشْتَهِيْنِ وَدَعَتْ بِعَيْبَتِهَا، فَأَخْرَجَتْ لِي مِلْحَفَةَ^(١) مَرْوِيَّةَ مُشَبِّعَةَ مِنَ الْمَصْفَرِ، نَمْ قَالَتْ :

(١) المِلْحَفَةُ : الْلِّبَاسُ الَّذِي فَوْقَ الْلِّبَاسِ مِنْ دَثَارِ الْبَرْدِ وَنَحْوِهِ، وَمَرْوِيَّةُ : نَسْبَةُ إِلَى مَرْوِ.

أقسمت عليك لتقومَنَ إِلَى كِسْرِي الْبَيْتِ وَتَخْلُعَنَ مِدْرَعَتَكَ^(١) ، نَمَ لَتَأْتِرَنَ بِهَذِهِ
الملحفة، فهـى أـشـبهـ بـيرـدـكـ ، فـقـفـلـتـ ذـلـكـ ؟ وـأـخـذـتـ مـدـرـعـتـيـ بـيـدـيـ ؟ فـجـعـلـهـاـ إـلـىـ جـانـبـيـ ،
وـأـنـشـدـهـاـ الأـيـاتـ ؟ فـدـمـعـتـ ، وـتـحـدـثـنـاـ طـوـيـلـاـ مـنـ النـهـارـ ، نـمـ اـنـصـرـفـتـ إـلـىـ إـبـلـيـ
بـمـلـحـفـةـ بـثـيـنـةـ وـبـرـدـ جـمـيلـ وـنـظـرـةـ مـنـ بـثـيـنـةـ .

قال معبد : فـزـيـتـ الشـيـخـ خـيـراـ ، وـانـصـرـفـتـ مـنـ عـنـدـهـ وـأـنـاـ وـالـلـهـ أـحـسـنـ النـاسـ
حـالـاـ بـنـظـرـةـ مـنـ الـغـرـيـضـ وـاسـتـمـاعـ لـفـنـائـهـ وـعـلـمـ بـمـحـدـيـثـ جـمـيلـ وـبـثـيـنـةـ فـيـماـ غـنـيـتـ
أـنـاـ بـهـ ، وـفـيـماـ غـنـيـ بـهـ الـغـرـيـضـ عـلـىـ حـقـ ذـلـكـ وـصـدـقـهـ ؟ فـاـرـأـيـتـ وـلـاـ سـمـعـتـ بـزـوـجـينـ
قـطـ أـحـسـنـ مـنـ جـمـيلـ وـبـثـيـنـةـ ، وـمـنـ الـغـرـيـضـ وـمـنـ .

(١) المدرعة : نوع من الثياب ، ولا تكون إلا من الصوف .

٦٢ — عِتَابٌ بَيْنَ مُبْثِينَةٍ وَجَمِيلَ *

لَقِي جَمِيلٌ بُثِينَةَ بَعْدَ تَهَاجِرٍ^(١) كَانَ يَنْهَا طَالِتْ مُدْتَهُ، فَقَاتَبَا طَوِيلًا؛
قَالَتْ لَهُ : وَيْحَكَ يا جَمِيل ! أَتَزَعَّمُ أَنْكَ هَوَانِي وَأَنْتَ الَّذِي تَقُولُ :
رَمَى اللَّهُ فِي عَيْنِي بُثِينَةَ بِالْقَذَى وَفِي الْفُرُّ مِنْ أَنْيَا يَهَا بِالْقَوَادِحِ^(٢)
فَأَطْرَقَ طَوِيلًا يَمْكُى، ثُمَّ قَالَ : بَلْ أَنَا الْقَافِلُ :
أَلَا لَيْتَنِي أَعْمَى أَصْمَ تَقْوَدِنِي بُثِينَةَ لَا يَخْفِي عَلَى كَلَامِهَا
قَالَتْ لَهُ : وَيْحَكَ ! مَا حَمَلْتَ عَلَى هَذِهِ الْمُنَى ! أَوْلَيْسَ فِي سَعَةِ الْعَافِيَةِ
مَا كَفَانَا جَمِيعًا !

* الأغاني : ٨ - ١٠٤

(١) التهاجر : النقااطع . (٢) القوادح : سواد يظهر في الأسنان .

٦٣ — يتذَّاكِرَانِ الشِّعْرَ وَالْهُوَى *

التقى جميلٌ وكثير فتذاكرا النسيب ؛ فقال كثير : يا جميل ؛ أترى بُشَيْنَةَ
لم تسمع بقولك :

يَقِيكِ جَمِيلٌ كُلَّ سُوءٍ، أَمَا لَهُ لَدِيكِ حَدِيثٌ أَوْ إِلَيْكِ رَسُولٌ
وَقَدْ قَلَتْ فِي حَيِّ لَكُمْ وَصَبَابَتِي مَحَاسِنَ شَعْرٍ ذِكْرُهُنَّ يَطْلُونُ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَوْنِي رَضَاكِ فَعَلَى هُبُوبَ الصَّبَا يَا بَنْ كَيْفَ أَقُولُ
فَأَغَابَ عَنِ عَيْنِي خِيَالُكِ لَحْظَةً وَلَا زَالَ عَنْهَا، وَالْخِيَالُ يَزُولُ

قال جميل : أترى عَزَّةً يَا كَثِيرَ لَمْ تسمِعْ بِقولك :

يَقُولُ الْعِدَا : يَا عَزَّ قَدْ حَالَ دُونَكُمْ شُجَاعٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ مَصْمُومٌ
فَقَلَتْ لَهَا : وَاللَّهِ لَوْ كَانَ دُونَكُمْ جَهَنَّمُ مَا رَأَتْ فَوَادِي جَهَنَّمُ
وَكَيْفَ يَرْمَوْعَ التَّلَبَ يَا عَزَّ رَائِعَ وَجْهَكِ فِي الظَّلَمَاءِ لِلسَّفَرِ مَعْلُومٌ
وَمَا ظَلَمْتَكِ النَّفْسَ يَا عَزَّ فِي الْهُوَى فَلَا تَنْقِمِي حُبِّي فَمَا فِيهِ مَنْقَمٌ
فَبَكَيَا قَطْعَةً مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ انْصَرَ فَا .

٦٤ - لا أزال أبكيه إلى الممات*

حدَثَتْ بُثِيَّةً - وكانت صدوقةَ اللسان ، جميلاً الوجه ، حسنةَ البيان ، عفيفة - قالت : والله ما أرادني جحيل - رحمة الله عليه - بريءةٍ قطُّ ، ولا حدَثَتْ أنا نفسي بذلك منه ، وإن الحى انتجعوا موضعًا ، وإن لفي هونَدَجٍ لي أَسِيرٌ إذا أنا بهاتِفٍ يُنْشِدُ أبياتاً .

فلم أَعْمَالَكَ أَنْ رميتُ بنفسي ، وأهْلَ الْحَى ينظرون ، فبقيتُ أطلب المُنْشِدَ
فلم أقف عليه ، فناديت : أيها المأتفٌ بـشـعـرـ جـحـيلـ ، ما وراءكَ منه ! وإن أحـسـبهـ
قد قـضـىـ نـحـبـهـ وـمـضـىـ لـسـبـيلـهـ - فـلـمـ يـجـبـنـيـ بـحـبـيـ ، فـنـادـيـتـ ثـلـاثـاـ ، وـفـيـ كـلـ ذـلـكـ لـايـرـدـ
عـلـىـ أـحـدـ شـيـئـاـ ، فـقـالـتـ صـوـاحـبـاتـيـ : أـصـابـكـ يـاـ بـثـيـّـةـ طـافـتـ منـ الشـيـطـانـ !
فـقـلـتـ : كـلـاـ ، لـقـدـ سـمعـتـ قـائـلاـ يـقـولـ ! قـلنـ : نـحـنـ مـعـكـ وـلـمـ نـسـمـعـ ، فـرـجـعـتـ
فـرـكـبـتـ مـطـيـّـيـ وـأـنـاـ حـيـرـىـ ، وـاهـمـ الـقـلـ ، كـاسـفـةـ الـبـالـ .

ثـمـ سـرـنـاـ ، فـلـمـ كـانـ فـيـ الـلـيـلـ سـمـعـتـ ذـلـكـ الـهـاـتـفـ يـهـتـفـ بـذـلـكـ الـشـعـرـ بـعـيـنهـ ،
فـرـمـيـتـ بـنـفـسـيـ ، وـسـعـيـتـ إـلـىـ الصـوتـ ؟ فـلـمـ قـرـبـتـ مـنـهـ اـنـقـطـعـ ؛ فـقـلـتـ : أيـهاـ
الـهـاـتـفـ ! اـرـجـمـ حـيـرـتـىـ ، وـسـكـنـ عـبـرـتـ بـخـبـرـ هـذـهـ الـأـيـاتـ ؟ فـإـنـ لـهـ شـأـنـاـ فـلـمـ يـرـدـ
عـلـىـ شـيـئـاـ !

فـرـجـعـتـ إـلـىـ رـحـلـيـ فـرـكـبـتـ وـسـرـيـتـ وـأـنـاـ ذـاهـبـةـ الـقـلـ ، وـفـيـ كـلـ ذـلـكـ
لـاـ تـخـبـرـنـيـ صـوـاحـبـاتـيـ أـمـ هـنـ سـمـعـنـ شـيـئـاـ .

فَلَمَّا كَانَتِ الْلَّيْلَةُ الْقَابِلَةُ نَزَّلَنَا وَأَخْذَ الْحَىٰ مُضَاحِعَهُمْ وَنَامَتِ كُلُّ عَيْنٍ ، فَإِذَا
الْهَافِ يَهْتِفُ بِي وَيَقُولُ : يَا بَشِّيرَةً ؛ أَقْبَلَ إِلَيَّ أَنْدِينَكَ عَمَّا تَرِيدِينَ ، فَأَقْبَلَتِ نَحْوِ
الصَّوْتِ ؟ فَإِذَا شِيفَخٌ كَانَهُ مِنْ رِجَالِ الْحَىٰ ؛ فَسَأَلْتُهُ عَنْ اسْمِهِ وَبَيْنَهُ ، فَقَالَ : دَعِيَ
هَذَا ، وَخَذَّلِي فِيهَا هُوَ أَهْمُّ عَلَيْكَ ، فَقَلَّتْ لَهُ : وَإِنْ هَذَا مَا يَهْمِسْنِي . قَالَ : اقْنُبِي بِمَا
قَلَّتْ لَكَ . فَقَلَّتْ لَهُ : أَنْتَ الْمَنْشِدُ الْأَبْيَاتِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَلَّتْ : فَمَا خَبَرُ جَمِيلَ ؟
قَالَ : نَعَمْ ! فَارْقَطْتُهُ وَقَدْ قَطَى نَحْبَهُ ، وَصَارَ إِلَى حُفْرَتِهِ - رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ .

فَصَرَخَتِ صَرْخَةً آذَيْتُ مِنْهَا الْحَىٰ ، وَسَقَطَتِ لَوْجِهِ ؛ فَأَغْمَى عَلَىَّ ،
فَكَانَ صَوْتِي لَمْ يَسْمَعْهُ أَحَدٌ ، وَبَقِيَتِ سَائِرَ لِيَقِي ، ثُمَّ أَفَقْتُ عِنْدَ طَلَوعِ الْفَجْرِ ،
وَأَهْلِي يَطْلُبُونِي فَلَا يَقِفُونَ عَلَى مَوْضِعِي ، وَرَفَعْتُ صَوْتِي بِالْعَوِيلِ وَالْبَكَاءِ وَرَجَعْتُ
إِلَى مَكَانِي ، فَقَالَ لِي أَهْلِي : مَا خَبِرُكَ ؟ وَمَا شَأْنُكَ ؟ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِمْ الْقَصَّةَ ، قَالُوا :
يَرْحَمُ اللهُ جَيْلًا ، وَاجْتَمَعَ نَسَاءُ الْحَىٰ وَأَنْشَدْتُهُنَّ الْأَبْيَاتَ فَأَسْعَدَنِي بِالْبَكَاءِ^(١) ،
فَلَمْ نَزَلْ كَذَلِكَ لَا يَفْارِقُنِي ثَلَاثَةً ، وَتَحْزَنُ الرِّجَالُ أَيْضًا ، وَبَكُوكُوا وَرَثَّوْهُ ،
وَقَالُوا كُلُّهُمْ : يَرْحَمُ اللهُ ! فَإِنَّهُ كَانَ عَفِيفًا صَدُوقًا .

فَلَمْ أَكُتَحِلْ بَعْدَهُ يَائِمَّد^(٢) ، وَلَا فَرَقْتُ رَأْمِي بِخِيطٍ وَلَا مُشْطٍ وَلَا دَهْنَتَهُ
إِلَّا مِنْ صُدَاعٍ خَفْتُ عَلَى بَصَرِي مِنْهُ ، وَلَا لَبَسْتُ خَارِأً مَصْبُوغًا وَلَا إِزارًا ،
وَلَا أَزَالُ كَذَلِكَ أَبْسِكِيهِ إِلَى الْمَاتِ !

(١) بِكِينَ مَعِيَ .

(٢) الإِئْمَدُ : حَجَرٌ يَكْتُحِلُ بِهِ .

* ٦٥ — فَحَيْ وَيَحَكَ مَنْ حَيَاكَ يَاجْمَلُ

أراد زوج عزة أن يحج بها؛ فسمع كثيرون الخبر؛ فقال: والله لا جهن
لعل أنوراً من عزة بنظرة.
فيينا الناس في الطواف، إذ نظر كثير عزة، وقد مضت إلى جمله، فحيته،
ومسحت بين عينيه، وقالت: حبيبت يا جل. فبادر ليتحققها، ففاته فوقف على
الجل وقال:

حيَّتُك عِزَّةٌ بَعْدَ الْحَجَّ وَانْصَرَفْتُ فِي وَيْنَكَ مَنْ حَيَاكَ ياجلُ
لو كت حَيَّتَهَا مازلتَ ذا مِيقَةَ (١) عندى ولا مَسْكٌ إِلَّا لَاجَ (٢) والعملُ
ليت التَّحْيَةَ كَانَتْ لِي فَأَشْكَرَهَا مَكَافٍ ياجملَه حُيَّتَ يارجلُ
فسمعه الفرزدق ، فتبسم ؛ وقال له : مَنْ تَكُونُ يرْحَمُكَ اللَّهُ ! قال : أنا كثيَّر
عِزَّةٍ . فَنَّ أَنْتَ يرْحَمُكَ اللَّهُ ! قال : أنا الفرزدق بن غالب التميمي ! قال :
أَنْتَ القائلُ :

رحلتْ جَاهِلَمْ بِكُلِّ أَسْيَلَةٍ^(٣) تركتْ فَوَادِكْ هَائِمًا مُخْبُولًا
لو كنْتْ أَمْلَكْهُمْ إِذَا لَمْ يَرْحُلُوا
سَارُوا بِقُلُبِي فِي الْحَدُودِ وَجْ^(٤) وَغَادَرُوا
جَسْمِي بِسَالِجْ زَفْرَةً وَعَوْيَلاً
حَتَّى أَوْدَعَ قَلْبِي الْمُتُبُولَا^(٤) !

* المستطرف : ٢ : ١٧٩

(١) الملة : المحبة . (٢) أدراج : سار من أول الليل . (٣) أسيل الحمد : لين الحمد طوله .

(٤) القبول : الذاهب . (٥) المدحوج : جم ححج ، وهو مركب للنساء كالخلفة .

قال الفرزدق : نعم . قال كثير : والله لو لا أتى في البيت الحرام لأصيحن صحة أفعع هشام بن عبد الملك ، وهو على سرير مذكه ؛ قال الفرزدق : والله لا عرق فن بذلك هشاما .
ثم توادعا وافترقا .

ولما وصل الفرزدق إلى دمشق دخل إلى هشام بن عبد الملك ، فعرفه بما اتفق له مع كثير ، قال له : أكتب إليه بالحضور عندنا لنطق عزة من زوجها وزوجة إياها ، فكتب إليه بذلك .

خرج كثير يريد دمشق ، فلما خرج من حي وسار قليلا رأى غرابة على بانة^(١) ، وهو يفلئ نفسه ، وريشه يتتساقط ؛ فاصفر لونه ، وارتاع من ذلك وجده في السير ، ثم إنه مال ليسق راحلته من حي بني نهد^(٢) - وهم زوجة الطير - فبصر به شيخ من الحي ، قال : يا بن أخي ؟ أرأيت في طريقك شيئاً فرائعا ؟ قال : نعم ياعم ، رأيت غرابة يتفقل ويتنقيف ريشه ، قال له الشيخ : أما الغراب فإنه اغتراب ، والبانة فرق !

فازداد كثير حزنا على حزنه ، لما سمع من كلام الشيخ ، وجد في السير ، إلى أن وصل إلى دمشق ، ودخل من أحد أبوابها ، فرأى الناس يصلون على جنازة ، فنزل وصلّى معهم ؛ فلما قضيت الصلاة صاح صاح : لا إله إلا الله ! ما أغفلك يا كثير عن هذا اليوم ! قال له كثير : ما هذا اليوم ؟ قال : إن هذه عزة قد ماتت وهذه جنازتها !

(١) البان : شجر .

(٢) نهد : قبيلة باليمين ، وهناك رواية أخرى لهذه القصة ، وفيها أنه قدم على حي من « لهب » (انظر : ١ - ١٣٦ من هذا الكتاب ، والأغاني : ص ٣٤ ج ٩) .

نَفْرٌ مُغشِيًّا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَفَاقَ أَنْشَا يَقُولُ :
هَا أَعْرَفُ النَّهَدِيَّ ! لَادَرَ دَرَّهُ ! وَأَزْجَرَهُ لِلطَّيْرِ لَا عَزَّ نَاصِرَهُ
رَأَيْتُ غَرَابًا قَدْ عَالَاهُ فَوْقَ بَانَةٍ يُنْتَفَهُ أَعْلَى رِيشِهِ وَيُطَاهِرُهُ
فَقَالَ : غُرَابٌ اغْتَرَابٌ مِنَ النَّوْيِ وَبَانَةٌ بَيْنِ مِنْ حَبِيبٍ تُعاشرُهُ
شِمْ شَهْقَ شَهْقَةَ فَارَقَتْ رُوحُهُ الدُّنْيَا ، وَمَاتَ مِنْ سَاعَتَهُ وَدُفِنَ مَعَ عَزَّهُ فِي
يَوْمٍ وَاحِدٍ .

* ٦٦ - إلى أخْلوات يَأْنَسَ فِيْكِ قَلِيْ *

قال يُونس السَّكَاتِ :

كُنَّا يَوْمًا مُتَنَزِّهِينَ بِالْعَقِيقِ أَنَا وَجَمَاعَةُ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَبَيْنَا هُنَّ عَلَى حَالِنَا إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَائِشَةَ^(١) يَمْشِي وَمَعْهُ غَلَامٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ ، وَهُوَ مُتَوَكِّلٌ عَلَى يَدِهِ ، فَلَمَّا رَأَى جَمَاعَتِنَا وَسَمَعَنِي أَغْنِيَ جَاءَنَا فَسَلَّمَ ، وَجَلَسَ إِلَيْنَا ، وَتَحَدَّثَ مَعْنَا ، وَكَانَ الْجَمَاعَةُ تَعْرِفُ سَوْءَ خُلُقِهِ وَغَضَبَهِ إِذَا سُئِلَ أَنْ يُغْنِي ، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَحَدَّثُونَ بِأَحَادِيثِ كَثِيرٍ وَجَيْلٍ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الشُّعُرَاءِ ، يَسْتَجِرُونَ بِذَلِكَ أَنْ يَطْرُبَ فَيَغْنِي ، فَلَمْ يَمْجُدُوا عَنْهُ مَا أَرَادُوا .

فَقَلَتْ لَهُمْ : لَقَدْ حَدَّثْنِي الْيَوْمُ بِعَضُّ الْأَعْرَابِ حَدِيثًا يَا كُلُّ الْأَحَادِيثِ ، فَإِنْ شَتَّمْ حَدَّثَتْكُمْ إِيَاهُ ؟ قَالُوا : هَاتِ ، قَلَتْ : حَدَّثْنِي هَذَا الرَّجُلُ أَنَّهُ مِنْ بَنَاحِيَةِ الرَّبَّدَةِ^(٢) فَإِذَا صَبِيَّانَ يَغْفَاطَسُونَ فِي غَدِيرِ ، وَإِذَا شَابَ جَيْلٌ مَنْهُوكُ الْجَسْمُ ، عَلَيْهِ أَثْرُ الْعِلَةِ وَالنَّحْوُلُ فِي جَسْمِهِ بَيْنَ ، وَهُوَ جَالِسٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، فَسَلَّمَتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ : مَنْ أَيْنَ وَضَحَ^(٣) الرَّاكِبُ ؟ قَلَتْ : مَنِ الْحَمَى ، قَالَ : وَمَتِي عَهْدُكَ بِهِ ؟ قَلَتْ : رَأْنَا ، قَالَ : وَأَيْنَ كَانَ مَبِيتُكَ ؟ قَلَتْ : بِبَنِي فَلَانَ ،

* سِمْطُ الْلَّائِي : ١ - ٢ ، ١٥٢ - ٢٣٢ ، الْأَمَالِ : ٣٨

(١) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَائِشَةَ ، يَكْنَى أَبَا جَعْفَرٍ ، وَلَمْ يَكُنْ يَعْرَفُ لَهُ أَبٌ ، فَكَانَ يَنْسِبُ إِلَى أُمِّهِ ، وَكَانَ حَسْنُ الْفَنَاءِ ، عَالَمًا بِفَنَّهِ ، طَرِيفُ الْمَجْلِسِ ، طَيْبُ الْحَدِيثِ عَلَى سَوْءِ خُلُقِهِ ، وَتَوْهِ فِي طَبْعِهِ ، تَوْفِيقُ نَحْوِ سَنَةِ ١٠٠ هـ . (٢) الرَّبَّدَةُ : قَرْيَةٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ . (٣) أَيْنِ مِنْ أَيْنِ بَدَا وَطَلَعَ .

قال : أَوْهَا وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ عَلَى ظَهِيرَهِ ، وَتَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ قَاتَلَ : إِنَّهُ قَدْ خَرَقَ
حِجَابَ قَلْبِهِ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

سَقَى بَلَادًا أَمْسَتْ سُلَيْمَى تَحْمِلُهُ
مِنَ الْمُزْنِ مَا يَرْوَى بِهِ وَيُسِيمُ^(١)
وَإِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْ قَاطِنِيهِ فَإِنَّهُ كَرِيمُ
الْأَلَّا حَبَّذَا مَنْ لَيْسَ يَعْدِلُ قُرْبَاهُ
وَمَنْ لَامَنِي فِيهِ حَمِيمٌ وَصَاحِبٌ حَمِيمٌ
ثُمَّ سَكَنَ كَالْمَغْشَى عَلَيْهِ ، فَصِحَّتْ بِالصَّبَبِيَّةِ ، فَأَتَوْا بِعَاءَ ، فَصَبَبَتْهُ عَلَى وَجْهِهِ
فَأَفَاقَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

إِذَا الصَّبُّ الْفَرِيبُ رَأَى خُشُوعَ
وَأَنْفَاسِي تَرَيْنَ بِالْخَشُوعِ
وَلِعِينَ أَضَرَّ بِهَا التِّفَاتِي
إِلَى الْأَجْزَاعِ^(٢) مُطْلِقَةَ الدَّمْوعِ
كَأَنِّسَ الْفَرِيبُ إِلَى الجَمِيعِ
فَقَلَتْ لَهُ : أَلَا أَنْزَلُ فَأَسْاعِدَكَ ، أَوْ أَشْكُرُ عَوْدَى عَلَى بَدْئِي إِلَى الْحَمِيمِ إِنْ
كَانَتْ لَكَ فِيهِ حَاجَةٌ أَوْ رِسَالَةٌ ؟ فَقَالَ : جُزِيتَ خَيْرًا وَصَحِبَتْكَ السَّلَامَةُ أَمْضِ
لِطَيْبَتِكَ^(٣) ، فَلَوْ أَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ تُغْنِي عَنِ شَيْئًا لَكُنْتَ مَوْضِعًا لِلرَّغْبَةِ وَحَقِيقَاتِ
بِإِسْعَافِ الْمَسْأَلَةِ ، وَلَكِنَّكَ أَدْرَكْتَنِي فِي صُبَابَةِ مِنْ حَيَاةِ يَسِيرَةِ ، فَانْصَرَفْتُ وَأَنَا
لَا أَرَاهُ يُمْسِي لِيَتَهُ إِلَّا مِيتًا .

قال القوم : ما أَعْجَبَ هَذَا الْحَدِيثُ ! وَانْدَفَعَ ابْنُ عَائِشَةَ فَغَفَنَى فِي الشِّعْرِيْنِ
جَمِيعًا ، وَطَرَبَ وَشَرَبَ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ ، وَلَمْ يَزِلْ يَغْنِيَنَا إِلَى أَنْ انْصَرَفَنَا .

(١) يَسِيمٌ : يَكُونُ صَالِحًا لِلْإِسَامَةِ بِمَا يَكُونُ مِنْ خَصْبٍ وَكَلَّا . (٢) الأَجْزَاعُ جُمْ جَزَعٌ : وَهُوَ
جَانِبُ الْوَادِي وَمِنْطَقَتُهُ . (٣) لَطِيفَتِكَ : لِوَجْهِتَكَ .

* ٦٧ — من لم يُقيِّد جوارِه أَتَعْبَ قلْبِه !

حج عبد الملك بن مروان ، وحج معه خالد^(١) بن يزيد بن معاوية - وكان من رجالات قريش المعدودين وعلمائهم ، عظيم القدر ، جليل المنزلة ، مهيب المجلس ، موافقاً مُعَظَّماً عند عبد الملك ، فيينا هو يطوف بالبيت إذ بصر برملة بنت الزبير ابن الموات . فعشقها عِشقاً شديداً ، وأخذت بجميع قلبه ، وتغير عليه الحال ، ولم يملِك من أمره شيئاً ، فلما أراد عبد الملك القُفُول هم خالد بالتكلف عنه ، فبعث إليه فسأله عن أمره ، فقال : يا أمير المؤمنين ؟ رملة بنت الزبير رأيتها تطوف بالبيت ، فاذهلت عقلي ! فوالله ما أبديت لك ما بي إلا حين عيل صبرى ، ولقد عرضاً النوم على عيني فلم تقبله ، والسلو على قابي فامتنع منه .

فأطال عبد الملك التعجب من ذلك ، وقال : ما كنت أقول : إن الموى يستأنس مثلك ، فقال خالد : وإنما لأشد تعبجاً من تعجبك مني ، فلقد كنت أقول : إن الموى لا يمكن إلا من صنفين من الناس : الأعراب والشعراء ، أما الشعراء فإنهم أذمروا قلوبهم الفكر في النساء والغزل ، فقال طبعهم إلى النساء ، فضفت قلوبهم عن دفع الموى ، فاستسلموا له مُنقادين . وأما الأعراب فإن أحد هم يخلو بأمرأة فلا يكون الغالب عنده إلا حبه لها .

وجملة أمري : أنني ما رأيت نظرة حسنت عندي ركوب الإثم مثل نظرتى هذه .

* محاضرات الأبرار : ٢٦ - ٢٦ ، الأغانى : ١٦ - ٨٥

(١) هو خالد بن يزيد كان من رجالات قريش سخاء وعارضه وفصاحة ، وكان قد شغل نفسه بطلب الكتب ، فألف بذلك عمراه ، وأدخل ذكره ، توفى سنة ٨٥ هـ .

فتَبَسِّمْ عَبْدَ الْمَلِكِ وَقَالَ : أَوْ كُلُّ هَذَا بَلَغَ بِكَ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا عَرَفْتُ هَذَا
الْبَلِيهَةَ قَبْلَ وَقْتِيْ هَذَا .

فوجّه عبدُ الملكَ إِلَى آلِ الزِّيْر يخْطُبُ رَمْلَةً عَلَى خَالِدٍ، فَذَكَرُوا لَهَا ذَلِكَ ،
فَقَالَتْ : لَا وَاللهِ أَوْ يُطْلِقُ نِسَاءَهُ ، فَطَلَقَ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا عَنْهُ ، وَتَزَوَّجَهَا وَظَعَنَ بِهَا
إِلَى الشَّامَ ، وَفِيهَا يَقُولُ :

أليس يزيد السير في كل ليلة
أحن إلى بنت الزبير وقد عدَتْ
إذا نزلت أرضًا تحجب أهلها
وإن نزلت ماء وإن كان قبلها
تحجول خلخييل النساء ولا أرى
أقولوا على اللوم فيهما فإنتي
أحب بنى العوام طرًا لجهما

فَلَمَّا وَقَفَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى هَذِهِ الْأَيْمَاتِ نَظَرَ بِيَمِّا وَدَسَهُ لِيَكِيدَ بِهِ خَالِدًا ؛ لَأْنَهُ كَانَ يَرُونَ الْخِلَافَةَ كَأَيْهِ يَزِيدَ وَجَدَهُ مَعَاوِيَةُ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : يَا خَالِدُ : أَنْتَ الْقَائِلُ :

فَإِنْ تُسْلِمُ أَسْلَمْ وَإِنْ تَنَصَّرِيْ تَحْطَّ رَجَالٌ بَيْنَ أَعْيُّنِهِمْ صَلْبًا !
فقال خالد : لعن الله قائله ! فخجل عبد الملك ولا م نفسه .

(١) الحرق : الفلاة الواسعة . (٢) النقب : الطريق في الجبل . (٣) المليح : الملح ، ضد العذب . (٤) القلب : سوار المرأة ، يريد أن ساقها مليئة ، ويدعها عبة ، فلا سبيل إلى الجول . (٥) فلها صفات النساء الحسان ، كما سبق ، ولها قلب كقلوب آل الزبير طهارة ، وحافظت على عهد .

٦٨ — غَدَّا يَكْثُرُ الْبَاكُونَ مِنَّا وَمِنْكُمْ *

قال أبو رِيحَانَة حاجب عبد الملك^(١) بن مروان : كان عبد الملك يجلس في كل أسبوع يومين جلوسًا عامًّا للناس ؟ فيبینا هو جالس في مُسْتَشْرِفٍ^(٢) له ، وقد أذِخَلَتْ عليه القصص إذ وقعت في يده قصة ، فيها : « إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر جاريَّه فلانة أن تفتيني ثلاثة أصوات ، ثم يُنْفَذَ في ما شاء من حكمه فعل ! »

فاستشاطَ من ذلك غضبا ، وقال : يارَبَّاح ؛ علىَّ بصاحب هذه القصة !
خرج الناس جميعا ، وأدخل عليه غلامٌ من أجمل الفتىَّان وأحسنهم ، فقال له عبد الملك : ياغلام ؛ أهذه قصتك ! قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : وما الذي غررك مني ، والله لأمثلن بك ! ولا زدَّ عنَّ بك نظراً لك من أهل الجسارة ! ثم قال : على بالجارية ، فجيء بها كأنها فلقَّة قمر ! وبيدها عودها فطَرَح لها الكرسي ، فلست ، فقال عبد الملك : مُرْها ياغلام ؛ غنيمي يا جارية بشعري قيس ابن ذريح :

لقد كنت حسبَ النفس ، لو دام وُدُنا ؛ ولكنما الدنيا متاعٌ غرورٌ !
وكنَّا جميعاً قبل أن يظهرَ الهوى بأنمَّ حالي غبطَةٌ وسرورٌ
فما بَرَحَ الواشُوان حتى بدَّت لنا بطونُ الهوى مقلوبةً لظهورِ

* مصارع العشاق : ٢٥٣ ، نهاية الأرب . ٢ - ١٦٠

(١) عبد الملك بن مروان : من أعاظم الخلفاء ، نشأ في المدينة فقيهاً واسع العلم وتوفي سنة ٥٨٦.

(٢) استشرف الشيء : رفع بصره إليه ، والمكان مستشرف ، والمراد مجلسه العالمي .

فَقَتَتْ ، نَخْرُجُ الْفَلَامُ بِجُمِيعِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الثِّيَابِ تَخْرِيقًا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ
عَبْدُ الْمَلِكَ : مُرْهَا تُغَنِّنَكَ الصَّوْتَ الثَّانِي ، قَالَ : غَنِّينِي بِشِعْرِ جَمِيلٍ :
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي ! هَلْ أَبْيَثَنَ لِيَةً
إِذَا قَلَتْ : مَا بِي يَا بُنْيَنَةَ قَاتِلِي
مِنَ الْحَبِ ! قَالَتْ : ثَابَتْ وَيْزِيدُ
وَإِنْ قُلْتُ : رُدُّدِي بَعْضَ عَقْلِي أَعِشْ بِهِ
فَلَا أَنَا مَرْدُودٌ بِمَا جَهَتْ طَالِبًا
يَوْمَ الْمَوْى مَنِي إِذَا مَا لَقِيَتْهَا ،
فَقَتَتْ الْجَارِيَةُ ؛ فَسَقَطَ الْفَلَامُ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ سَاعَةً ، ثُمَّ أَفَاقَ ؛ قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكَ :
مُرْهَا فَلَتَغَنِّنَكَ الصَّوْتَ الثَّالِثَ ؛ قَالَ : يَا جَارِيَةً ؛ غَنِّينِي بِشِعْرِ قَيْسَ بْنِ الْمَوْحِ
وَفِي الْجِبَرَةِ الْفَادِينَ مِنْ بَطْنِ وَجْرَةٍ^(١) غَزَالٌ غَصِيبِضُّ الْمُقْلَتَيْنِ رَبِيبٌ
فَلَا تَحْسَبِي أَنَّ الْغَرِيبَ الَّذِي نَائَى وَلَكَنَّ مَنْ تَنَائَى عَنْهُ غَرِيبٌ !
فَقَتَتْ الْجَارِيَةُ ، فَطَرَحَ الْفَلَامُ نَفْسَهُ مِنَ الْمُسْتَشْرِفِ ، فَلَمْ يَصُلْ إِلَى الْأَرْضِ
حَقَّ تَقْطُعَ ؛ قَالَ عَبْدُ الْمَلِكَ : وَيْحَهُ ! لَقَدْ عَجَّلَ عَلَى نَفْسِهِ ! وَلَقَدْ كَانَ تَقْدِيرِي فِيهِ
غَيْرَ الَّذِي فَعَلَ ! وَأَمْرَ فَأْخِرِ جَتِ الْجَارِيَةِ مِنْ قَصْرِهِ ؛ ثُمَّ سَأَلَ عَنِ الْفَلَامِ ؛ قَالُوا :
غَرِيبٌ لَا يُعْرَفُ إِلَّا أَنَّهُ مِنْذُ ثَلَاثَ يَنَادِي فِي الْأَسْوَاقِ وَيَدُهُ عَلَى رَأْسِهِ :
غَدًا يَكْثُرُ الْبَاكُونُ مِنَّا وَمِنْكُمْ وَتَزَدَادُ دَارِي مِنْ دِيَارِكُمْ بَعْدًا !

(١) وجَرَةٌ : مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْبَصْرَةِ .

٦٩ - وذو الشوق القديم وإن تعزى

مَشْوَقٌ حِينَ يَلْقَى الْعَاشِقِينَ*

يَنِا عُمَرٌ^(١) بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ يَطْوُفُ بِالْبَيْتِ فِي حَالٍ نُسْكِهِ - وَكَانَ قَدْ حَافَ أَلَّا يَقُولُ يَدِتْ شِعْرٌ إِلَّا أَعْتَقَ رَقْبَةَ - فَإِذَا هُوَ بِشَابٍ قَدْ دَنَا مِنْ شَابَةَ ظَاهِرَةَ الْجَمَالِ فَأَلْقَى إِلَيْهَا كَلَامًا ، قَالَ لَهُ عُمَرٌ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ؛ فِي بَلَادِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَعِنْدَ يَدِهِ تَصْنَعُ هَذَا ! قَالَ : يَا عَمَّهُ ؛ إِنَّهَا ابْنَةُ عَمِّي ، وَأَحَبُّ النَّاسَ إِلَيَّ ؛ وَإِنِّي عِنْدَهَا لِكَذَلِكَ ، وَمَا كَانَ يَبْنِي وَيَبْنِيهَا مِنْ سُوءٍ قَطُّ أَكْثَرُ مَا رَأَيْتَ ، قَالَ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا فَلانُ ابْنُ فَلانٍ ، قَالَ : أَفَلَا تَنْزَوْجُهَا ؟ قَالَ : أَبَنِي عَلَى أَبُوها . قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : يَقُولُ : لِيَسْ لَكَ مَالٌ ؟ قَالَ : انْصِرْفُ وَالْقَنِيْ .

فَلَقِيَهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَدَعَا بِيَغْلِيْتَهُ فَرَكِبَهَا ؛ ثُمَّ أَتَى عَمَّ الفَقِيْ فِي مَنْزِلِهِ بِخَرْجٍ إِلَيْهِ ، وَفَرَحَ بِمَجِيئِهِ ، وَرَحَّبَ وَقَرَّبَ ، ثُمَّ قَالَ : مَا حَاجَتُكَ يَا أَبا الْخُطَابِ ؟ قَالَ : لَمْ أُرْكِ مِنْذَ أَيَّامَ فَاشْتَقَتُ إِلَيْكَ ! قَالَ : فَانْزَلْ . فَانْزَلَهُ وَأَلْطَفَهُ^(٢) ، قَالَ لَهُ عُمَرُ فِي بَعْضِ حَدِيْثِهِ : إِنِّي رَأَيْتُ ابْنَ أَخِيِّكَ فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ جَمَالِهِ وَشَبَابِهِ ، قَالَ لَهُ : أَجَلَ ! مَا يَغْيِبُ عَنْكَ أَفْضَلُ مَا رَأَيْتَ ؟ قَالَ : فَهَلْ لَكَ مِنْ وَلَدٍ ؟ قَالَ : لَا ، إِلَّا

* الأَغْنَى : ١ - ١٤٥ ، الْمَحَاسِنُ وَالْأَضَدَادُ : ٣٥٩ ، الْعَدُدُ الْفَرِيدُ : ١ - ٩

(١) كَانَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ أَشْعَرَ قُرِيشَ ، وَلَكِنَّهُ اخْتَصَّ فِي شِعْرِهِ بِوَصْفِ النِّسَاءِ ، وَلَمْ يَصُفْ سَوَاهِنَ ، وَلَهُ فِي التَّشْبِيبِ طَرِيقَةً عَرَفَتْ بِاسْمِهِ سَلْكَهَا الشِّعْرَاءُ ، وَشَبَّبَ بِكَثِيرَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ، تَوَفَّ سَنَةَ ٩٣ هـ . (٢) الْأَلْطَفَ : بِرْهَ .

فلاة . قال : فما يمنعك أن تزوجه إياها ؟ قال : إنه لا مال له ، قال : فإن لم يكن له مال فلك مال ، قال : فإني أضن به عنه . قال : لكنني لا أضن به عنه ، فزوجه وأحثكم ، قال : مائة دينار ، قال : نعم ! فدفعها عنه ، وتزوجها الفتى .
 وانصرف عمر إلى منزله ، فقامت إليه جارية من جواريه ، فأخذت رداءه ، وألقي بنفسه على الفراش وجعل يتقلب ، فأته بطعم فلم يشعر بضم له ؛ فقالت له : إن لك لأمراً ، وأراك ت يريد أن تقول شعراً ، فقال : هاتي الدواة فكتب :

تقول وليستني لاما رأتنى طربت^(١) وكنت قد أقصرت^(٢) حيناً
 أراك اليوم قد أحذثت شوقاً وهاج لك الهوى داء دفينا
 وكانت زعمت أنك ذو عزاء إذا ما شئت فارقت القرينا
 بربك هل أذاك لها رسول^(٣) فشاكك أم لقيت لها خدينا^(٤) ؟
 قلت : شكاكا إلى آخر محب^(٥) كبعض زماننا إذ تعلمينا
 قص على ما يلقي بهندي فذكر بعض ما كنا نسينا
 وذو الشوق القديم وإن تعزى مشوق حين يلقي العاشقينما
 وكم من خلة^(٦) أعرضت عنها لغير قلبي وكنت بها ضئينا
 أردت يعادها فصدت عنها ولو جن الفؤاد بها جنونا
 ثم دعا نسعة من رقائقه فأعتقهم لـ كل بيت واحد !

(١) طربت : حزنت . (٢) أقصرت : تزعمت عنه وأنا قادر عليه ، وكفت . (٣) الحدين : الصديق ، ومنه الحدن ، وهو حدث الممارية ، وكانت العرب لا يكتنون من حدن يحدث الممارية ، خلاء الإسلام بهدهم . (٤) الخلة : الخلبة .

٧٠ — قضى كل ذى دين فوقَ غَرِيمَه
وعزَّة مَطْولٌ مُعْنَى غَرِيمَه *

كان أول علاقة كثيير^(١) بعزَّة أنه خرج من منزله خلفَ غنمٍ يسوقها إلى الجار^(٢)؛ فلما كان بالنجبت^(٣) وقفَ على نسوةٍ من بنى ضمرة؛ فسألهنَ عن الماء؛ فقلنَ لعزَّة - وهي جاريةٌ حينَ كعب^(٤) نهدٍ ياهـا : أرشديه إلى الماء ، فأرشدته وأعجبته .

فيينا هو يسقى غنمـه إذ جاءته عزَّة بدرـاهـم ، فقالـتـ : يـقـلـ لـكـ النـسـوـةـ : بـعـنـاـ بهـذـهـ الدـرـاهـمـ كـبـشـاـ مـنـ ضـانـكـ . فـأـمـرـ الـغـلامـ فـدـفـعـ إـلـيـهـ كـبـشـاـ ، وـقـالـ لـهـ : رـدـيـ الدـرـاهـمـ وـقـولـيـ لـهـنـ : إـذـارـحـتـ بـكـنـ اـقـضـيـتـ حـقـ .

فـلـمـ رـاحـ مـرـبـهـنـ ؛ فـقـنـ لـهـ : هـذـاـ حـقـكـ فـخـذـهـ . فـقـالـ : عـزـةـ غـرـيمـيـ ، وـلـسـتـ اـقـضـيـ حـقـ إـلـاـ مـنـهـ . فـزـحـنـ مـعـهـ ، وـقـلنـ : وـيـحـكـ ! عـزـةـ جـارـيـةـ صـفـيرـةـ ، وـلـيـسـ فـيـهـ وـفـاءـ لـهـ لـقـلـكـ فـأـحـلـهـ عـلـىـ إـحـدـاـنـاـ ، فـإـنـنـاـ أـمـلـاـ بـهـ وـأـسـرـعـ لـهـ أـدـاءـ . فـقـالـ : مـاـ أـنـاـ بـمـحـيلـ حـقـ عـنـهـ . وـمـفـىـ لـوـجـهـ ، ثـمـ رـجـعـ إـلـيـهـنـ حينـ فـرـغـ مـنـ بـيعـ جـلـيـهـ^(٥) فـأـنـشـدـهـنـ فـيـهـ :

* الأغانى : ٩ - ٢٥

(١) هو كثيير بن عبد الرحمن، كان رافضياً شديد التحصص لآل أبي طالب، ومعشوقة عزَّة بنت حيد من ضمرة، وكانت من أجمل النساء وأدبهن وأعقلهن، ويقال إنه لم ير لها وجهاً، إلا أنه استهام بها لما ذكر له عنها، توفي سنة ١٠٥ هـ . (٢) الجار : موضع بساحل البحر قريب من المدينة . (٣) النجبت : الوادي العميق الضيق . (٤) نهد نديها . (٥) الجلب : ما جلب من المـيـاـنـ .

نظرتُ إِلَيْهَا نَظَرَةً وَهِيَ عَاتِقَةٌ^(١)
عَلَى حِينِ أَنْ شَبَّتْ وَبَانَ هُوَدُهَا
وَقَدْ دَرَّعُوهَا^(٢) وَهِيَ ذَاتُ مُؤَصَّدٍ^(٣)
مَجْوَبٌ^(٤) وَلَمَّا يَلْبِسَ الدَّرْعَ رِيدُهَا^(٥)
مِنَ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ وَدَ جَلِيسُهَا
إِذَا مَا آتَقْضَتْ أَحْدُوْثَةً لَوْ تُعِيدُهَا
وَقَالَ :

قَضَى كُلُّ ذِي دِينٍ فَوْقَ غَرِيمَهُ
وَعَزَّةُ مَمْطُولٍ مَعْنَى غَرِيمُهَا
فَقُلْنَ لَهُ : أَيْتَ إِلَّا عَزَّةً ! وَأَبْرَزْنَهَا إِلَيْهِ وَهِيَ كَارِهَهُ . ثُمَّ أَحْبَبْتَهُ عَزَّةَ بَعْدِ
ذَلِكَ أَشَدَّ مِنْ حُبِّهِ إِلَيْهَا .

(١) العاتق : الجارية أو أول ماتدرك . (٢) الدرع : القيسن . (٣) المؤسد : صدار تلبسه الفتاة الصغيرة فإذا أدركت درعت . (٤) المجبوب : الذي له جيب . (٥) الريد : الترب والند .

* ٧١ — تُغْنِيه فِيمَوْت

كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجهاً، وأكملهم عقلاً، وأفضلهم أدباً،
قرأت القرآن ورث الأشعار، وتعلمت العربية، فوجعت عند يزيد^(١) بن عبد الملك،
فأخذت بمجامع قلبه؛ فقال لها ذات يوم: ويحك! أمّا لك قرابة أو أحد يحسن
آن أصطنعه، أو أسدّي إليه معرفة؟ قالت: يا أمير المؤمنين؛ أمّا قرابة فلا،
ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا أصدقاء لولاي، كنت أحِب أن ينالهم من خير
ما صرت إليه.

فكتب إلى عامله بالمدينة في إشخاصهم، وأن يُعطى كل رجل منهم عشرة
آلاف درهم، وأن يعجل بسرارتهم إليه.

فعمل عامل المدينة ذلك؛ فلما وصلوا إلى باب يزيد استأذنوا، فأذن لهم،
وأكرمهم، وسألهم حواجهم؛ فأمّا الانسان فذكرها حواجهمما فقضاهما لها؛ وأمّا الثالث
فأسأله عن حاجته، فقال: يا أمير المؤمنين؛ مالي حاجة. قال: ولم؟ ألسْت أقدر
على حواجك؟ قال: يا أمير المؤمنين، ولكن حاجتي لا أحسبك تقضيها، قال:
ويحك! فسلني فإنك لا تسألني حاجة أقدر عليها إلا قضيتها، قال: ولـي الأمان
يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، وكرامة. قال: إن رأيت أن تأمر جاريتك فلانة

* العقد الفريد: ٤ — ١٢٥

(١) يزيد بن عبد الملك: من ملوك الدولة الأموية في الشام، ولد في دمشق، وتوفي بها سنة ٦١٠ هـ.

التي أَكْرَمَتَنَا لِهَا أَنْ تَقْنِيَنِي ثَلَاثَةَ أَصْوَاتَ أَشْرَبُ عَلَيْهَا ثَلَاثَةَ أَرْطَالَ فَأَفْعَلَ .

فَتَغَيَّرَ وَجْهُ يَزِيدٍ ؛ وَقَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ - فَدَخَلَ عَلَى الْجَارِيَةِ ، فَأَعْلَمَهَا ، قَالَتْ :
وَمَا عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! افْعُلْ ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ النَّدِ أَمْرَ بِالْفَتِي فَأَخْضَرَ ،
وَأَمْرَ بِثَلَاثَةَ كَرَاسِيَ مِنْ ذَهَبٍ فَأَلْقَيَتْ ، فَقَعَدَ يَزِيدُ عَلَى أَحَدِهِ ، وَقَعَدَتِ الْجَارِيَةِ
عَلَى الْآخَرِ ، وَقَعَدَ الْفَتِي عَلَى الثَّالِثِ ، ثُمَّ دَعَا بِطَعَامٍ فَتَغَدَّوْا جَمِيعًا ، ثُمَّ دَعَا بِصَنْوُفِ
الرِّيَاحِينِ وَالْطَّيْبِ فَوُضِعَتْ ، ثُمَّ أَمْرَ بِثَلَاثَةَ أَرْطَالَ فَلَيْتَ ، ثُمَّ قَالَ لِلْفَتِي : قُلْ
مَا بَدَأْتَكَ ، وَسَلْ حَاجَتَكَ ، قَالَ : تَأْمِرُهَا أَنْ تَغْنِيَ :

لَا أُسْتَطِعُ سُلُّواً عَنْ مَوْدَتِهَا أَوْ بِصَنْعِ الْحَبَّ بِفَوْقِ الَّذِي صَنَعَ
أَدْعُ إِلَى هَجْرِهَا قَلْبِي فَيُسَعِّدُنِي حَتَّى إِذَا قَلَتْ : هَذَا صَادِقٌ نَّزَاعًا
فَأَمْرَهَا فَغَنَّتْ ؛ فَشَرِبَ يَزِيدُ ، وَشَرِبَ الْفَتِي ، ثُمَّ شَرِبَتِ الْجَارِيَةِ ، ثُمَّ أَمْرَ
بِالْأَرْطَالِ فَلَيْتَ ، ثُمَّ قَالَ لِلْفَتِي : سَلْ حَاجَتَكَ . قَالَ : تَأْمِرُهَا أَنْ تَغْنِيَ :
تَخْيِرَتْ مِنْ نَعْمَانَ^(١) عُودَ أَرَاكَةَ هِنْدَ ، وَلَكِنَّ مَنْ يَلْعَنَهِ هِنْدًا
أَلَا عَرَّجَابِي ؟ بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هِنْدًا لِأَرْضِكَ قَصْدًا
فَغَنَّتْ بِهِمَا ، وَشَرِبَ يَزِيدُ ، ثُمَّ الْفَتِي ، ثُمَّ الْجَارِيَةِ . ثُمَّ أَمْرَ بِالْأَرْطَالِ فَمَلِيَتْ ،
ثُمَّ قَالَ لِلْفَتِي : سَلْ حَاجَتَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مُرْهَا تُغْنِيَ :
مَنَّا الْوَصَالُ وَمَنْكُمُ الْهَجْرُ حَتَّى يَفْرَقَ يَيْنِنَا الدَّهْرَ
وَاللَّهُ مَا أَسْلَوْكُمْ أَبْدًا مَا لَاحَ نَجْمٌ أَوْ بَدَا فَجْرٌ

(١) نَعْمَانٌ : اسْمَ وَادِ.

فلم تأتِ على آخر الأبيات حتى خرَّ الفتى مُغشياً عليه . فقال يزيد للجارية : انظري ما حاله ؟ فقامت إليه ، فخرَّ كته فإذا هو ميَّت ، فقال لها : ابكيه . قالت : لا أبكيه يا أمير المؤمنين وأنت حيٌّ . قال لها : ابكيه ، فوالله لو عاش ما انصرف إلَّا يكِّنْه ، وأمر بالفتى فاحسن جهازه ودفنته^(١) !

(١) روى أن مثل هذا حصل مع جارية للرشيد (انظر صفحة ١٦٣ ج ٢ من نهاية الأربع) .

٧٢ — فَاصْنَتْ نَفْسُهَا عَلَيْهِ *

قال محمد بن قيس :

وَجَهْنِي عَامِلُ الْمَدِينَةِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ — وَهُوَ إِذْ ذَاكَ خَلِيفَةً — فَلَمَّا
خَرَجَتْ عَنِ الْمَدِينَةِ إِذَا أَنَا بِأَمْرِهِ جَالِسٌ عَلَى الطَّرِيقِ، وَشَابٌ نَّاَمٌ، وَهُوَ يَتَلَوَّى،
وَرَأْسُهُ يَسْقُطُ فِي حِجْرِهَا، وَكَلَّا سَقْطُ أَعْادَتْهُ مَكَانَهُ . فَسَلَّمَتْ، فَرَدَّتِ السَّلَامَ
— وَالشَّابُ مُشْغُولٌ بِنَفْسِهِ — فَسَأَلَتْهُ عَنْهُ، قَالَتْ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ هَلْ لَكَ فِي الْأَجْرِ
وَالْمُثْوَبَةِ ؟ قَلَّتْ : لَا أَبْغِي سَوَاهَا .

قَالَتْ : هَذَا وَلَدِي، وَكَانَتْ لَهُ ابْنَةٌ عَمْ تَرَبَّيَّا مَعَا، وَشُفِّفَتْ بِهِ، وَشُفِّفَتْ بِهَا،
وَعْلَمَ بِذَلِكَ أَبُوهَا، وَعْلَمَ بِهَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ؛ فَجَبَبَهَا عَنْهُ، وَكَانَ يَأْتِي الْمَوْضِعَ وَالْجِنَابَاءَ^(١)
فِي كُكَيْكِي، ثُمَّ خَطَبَهَا مِنْ أَبِيهَا، فَأَبَى أَنْ يَزُوْجَهُ؛ لَأَنَّا نَرَى ذَلِكَ عَيْبَيَا، أَنْ تُزَوْجَ
إِمْرَأَةً لِرَجُلٍ كَانَ يَحْبِبُهَا . ثُمَّ خَطَبَهَا رَجُلٌ غَيْرُهُ؛ فَزَوَّجَهَا أَبُوهَا مِنْهُ مِنْذَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ،
وَهُوَ عَلَى مَاتِرِي؛ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ وَلَا يَعْقِلُ، فَلَوْ نَزَّلْتَ إِلَيْهِ، وَتَحْدَثَتْ مَعَهُ
وَوَعَظَتْهُ وَسَلَّيَتْهُ، فَلَعِلَّهُ يَسْكُنُ إِلَى حَدِيثِكَ، وَيَقْوُتُ بَشَّيْءًا مِنَ الطَّعَامِ !

قال محمد : فَنَزَّلْتُ وَدَنَوْتُ مِنْهُ، وَتَلَطَّفْتُ بِهِ؛ فَرَجَعْتُ إِلَى طَرْفَهُ وَقَالَ بِصَوْتِ

حزين :

* المختار من نوادر الأخبار ، نهاية الأرب : ٢ - ١٨٧

(١) الجناء من الأبنية ، يكون من وبر أو صوف أو شعر .

أَلَا مَا لِلْمُلِيقَةِ لَا تَوَدُّ !
 أَبْخَلْ بِالْمَلِيْحَةِ أَمْ صَدُودُ ؟
 مَرْضَتُ فَعَادَنِي أَهْلِي جَمِيعاً
 فَاللَّكِ لَا نَرَى فِيمَنْ يَعُودُ !
 قَدْ تُكَبِّلُهُمْ فَبِكِيتُ شَوْقَاً،
 وَقَدْ كَفِيلُهُمْ يَاسَلِي شَدِيدُ
 وَحَوْلِي مِنْ ذَوِي رَحْمَى عَدِيدُ
 إِلَيْكَ وَلَمْ يُنَهِّنِي الْوَعِيدُ !

ثُمَّ سَكَنَ ، فَنَظَرَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى وَجْهِهِ وَصَرَخَتْ وَقَالَتْ : وَاللهِ فَاضَتْ نَفْسُهُ !
 قَالَتْهَا وَاللهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ . فَغَشِينِي مِنْ ذَلِكَ هُمْ وَغَمْ . وَلَمَّا رَأَتِ الْمَجُوزَ مَا حَلَّ بِي
 عَلَيْهِ مِنَ الْحَزَنِ قَالَتْ : يَا وَلَدِي ؟ هُوَنِ عَلَيْكَ ، وَاللهِ لَقَدْ اسْتَرَاحَ مَمَّا كَانَ فِيهِ ،
 عَاشَ بِأَجَلِي ، وَمَاتَ بِقَدَرِي ، وَقَدْمَ عَلَى رَبِّ كَرِيمَ ، وَاسْتَرَاحَ مِنْ تِبَارِيْهِ وَغُصَّصِهِ ،
 فَهَلْ لَكَ فِي اسْتِكَالِ الْأَجْرِ ؟ قَلَتْ : قَوْلِي مَا أُحِبِّيْتُ ، قَالَتْ : هَذَا الْحَيَّ مِنْكَ
 قَرِيبٌ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَنْفَعَ إِلَيْهِمْ تَنْعِيْهَهُمْ ، وَتَسَأَلُهُمُ الْحَضُورَ لِيُعِينُونِي عَلَى
 مُوَارَّاتِهِ فَافْعُلْ .

قَالَ مُحَمَّدٌ : فَرَكِبَتْ وَأَتَيْتُ الْحَيَّ ، فَنَعِيْتُهُ لَهُمْ ، وَأَخْبَرْتُهُمْ بِصُورَةِ أَمْرِهِ ، فِيْنَا
 أَنَا أَدُورُ فِي الْحَيَّ إِذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ خَرَجْتُ مِنْ خِبَائِهَا تَجْرِيْخَارَهَا ، نَاسِرَةً شَعْرَهَا ،
 فَقَالَتْ لِي : أَيْثَرَ النَّاعِي ؟ مَنْ تَنْفَعَ ؟ قَلَتْ : فَلَانَ ، فَقَالَتْ : بِاللهِ عَلَيْكَ ، مَاتَ !
 قَلَتْ : نَعَمْ ، قَالَتْ : هَلْ سَمِعْتَ مِنْهُ شَيْئاً قَبْلَ موْتِهِ ؟ قَلَتْ : نَعَمْ ، وَأَنْشَدَهَا الشِّعْرُ ،
 فَاسْتَعْبَرَتْ بَاكِيَةً ، وَأَنْشَأَتْ تَقُولْ :

عَدَانِي أَنْ أَزُورَكَ يَا حَبِيبِي
 معاشرَ كُلِّهِمْ وَاشِ حَسُودُ
 أَشَاعُوا مَا عَلِمْتَ مِنْ الرِّزايا
 وَعَابُونَا ، وَمَا فِيهِمْ رَشِيدٌ

فَأَمَا إِذْ ثَوَّيْتِ الْيَوْمَ لَهُدًا
فَدُورُ النَّاسِ كُلُّهُمْ لَهُودُ
فَلَا طَابَتْ لِي الدُّنْيَا حَيَاةً
وَلَا سُحْنَتْ عَلَى الْأَرْضِ الرُّعُودَ

ثُمَّ خَرَجَتْ مَعَ الْقَوْمِ، وَهِيَ تُوَلِّهِ حَتَّى اتَّهَمَنَا إِلَى الْغَلَامِ، فَفَسَلَنَاهُ وَصَلَّيْنَا
عَلَيْهِ وَدَفَنَاهُ، فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا عَنْ قَبْرِهِ جَعَلْتُ تَصْرُخُ وَتَلَطَّمُ.

ثُمَّ رَكِبْتُ وَمَضَيْتُ، وَهِيَ عَلَى تَلْكَ الْحَالِ. فَأَتَيْتُ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَالِكِ وَنَاوْلَتُهُ
الْكِتَابَ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ أُمُورِ النَّاسِ وَمَا رَأَيْتُهُ فِي طَرِيقِي، فَأَخْبَرَهُ أَخْبَرَهُ، فَقَالَ لِي :
يَا مُحَمَّدُ؛ امْضِ السَّاعَةَ قَبْلَ أَنْ تَشْتَغِلَ فِي غَيْرِ هَذَا حَتَّى تَمْرَ بِأَهْلِ الْفَقْيِ وَبَنِي عَمِّهِ
وَتَمْضِي إِلَى عَامِلِ الْمَدِينَةِ، فَتَأْمِرَهُ أَنْ يُشَبِّهَهُمْ فِي شَرَفِ الْعَطَاءِ، وَإِنْ كَانَ
أَصَابَ الْجَارِيَةَ مَا أَصَابَهُ فَافْعَلْ بِأَهْلِهِ كَمَا فَعَلْتُ بِأَهْلِهِ؛ وَارْجِعْ حَتَّى تَخْبِرَنِي بِالْخَبَرِ،
وَتَأْخُذْ جَوَابَ الْكِتَابِ.

قَالَ مُحَمَّدٌ : نَفَرْجَتْ حَتَّى اتَّهَمَتْ إِلَى قَبْرِ الْفَلَامِ، فَوُجِدْتُ بِجَانِبِهِ قَبْرًا آخَرَ،
فَسَأَلْتُهُ، قَالُوا : هَذَا قَبْرُ الْجَارِيَةِ، لَمْ تَزُلْ تَصْرُخُ وَتَلَطَّمْ حَتَّى فَاضَتْ نَفْسُهَا،
وَدُفِنَتْ بِجَانِبِهِ، فَدَفَعْتُ أَهْلَهُمَا وَمَضَيْتُ بِهِمْ إِلَى عَامِلِ الْمَدِينَةِ، فَأَنْبَتَهُمْ فِي شَرَفِ
الْعَطَاءِ، وَعُدْتُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَأَجَازَنِي عَلَى ذَلِكَ جَائِزَةً حَسَنَةً .

* ٧٣ — يوتنان في وقت واحد

قال أبو مالك الرواية :

سمعتُ الفرزدقَ^(١) يقول : أبْقَ^(٢) غلاماً لرجلٍ مَنْ يقال له الْخِضرُ، خدَّنْتُه
قال : خرجْتُ في طلبِهما ، وأنا على ناقَةٍ عَيْسَاءٍ كَوْمَاءَ^(٣) أريد المِيَامِةَ ، فلما
صَرَتْ في ماءٍ لبني حَنِيفَةَ ارتفعت سَحَابَةٌ فَرَدَّتْ وَبَرَّقَتْ وَأَرْخَتْ عَرَالِيهَا^(٤) ;
فَعَدَّلَتْ إِلَى بَعْضِ دِيَارِهِمْ وَسَأَلَتِ الْقِرَائِيَّ ؛ فَأَجَابُوا .

فَدَخَلْتُ دَارَاهُمْ ، وَأَنْخَتُ النَّاقَةَ ؛ وَجَلَسْتُ تَحْتَ ظَلَّةَ^(٥) لَمْ منْ جَرِيدِ النَّخْلِ ،
وَفِي الدَّارِ جُوبِرِيَّةٌ لَهُمْ سُودَاءَ ؛ فَدَخَلْتُ جَارِيَّةَ كَانُوهَا سَبِيْكَةَ فَضَّةَ ، وَكَانَ عَيْنِيهَا
كَوْكَبَانِ دُرَّيَانِ ؛ فَسَأَلَتِ الْجَارِيَّةَ : مَنْ هَذِهِ الْعَيْسَاءَ ؟ « تَعْفِي نَاقَتِي » . قَالَتْ :
لَضِيقَكُمْ هَذَا .

فَعَدَّلَتْ إِلَيَّ قَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فَرَدَّدَتْ عَلَيْهَا السَّلَامُ ؛ قَالَتْ لِي : مَنْ
الرَّجُلُ ؟ قَلَتْ : مَنْ بَنِي حَمْنَظَلَةَ . قَالَتْ : مِنْ أَهْبَمْ ؟ قَلَتْ : مَنْ بَنِي نَهْشَلَ .
فَبَسَّمَتْ وَقَالَتْ : أَنْتَ إِذْنُ مَنْ عَنَاهُ الْفَرْزَدُقُ بِقَوْلِهِ :
إِنَّ الَّذِي سَمَكَ^(٦) السَّمَاءَ بَنِي هَا يَقِيَا دَعَا تُمَّهُ أَعَزَّ وَأَطْوَلَ

* الأغاني : ٨ - ٤

(١) الفرزدق : حام بن غالب ، من صعصعة ، شاعر عظيم الأثر في اللغة ، وهو صاحب الأخبار
مع جرير والأخطل ، توفي سنة ١١٠ هـ . (٢) أبْقَ العبد : هرب . (٣) الميساء من الإبل :
التي يضرب لونها إلى الأدمة ، والكوماء : عظيمة السنام طوياته . (٤) العزالى : جمع عزلاء ، والعزلاء
في الأصل : مصب الماء من القربة والرواية . (٥) الظللة : الشئ يستتر به من الحر والبرد .
(٦) سَمَكَ السَّمَاءَ : رفعها .

يَتَّا بَنَاءُ لَنَا الْمَلِكُ وَمَا بَنَى مَلِكُ السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُ لَا يُنْقَلُ
 يَتَّا زُرَارَةُ مُحَبَّ بِفِنَائِهِ وَمُجَاشِمُ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ^(١)
 قَلَتْ : نَعَمْ ، جَعَلْتُ فَدَاكِ ! وَأَعْجَبَنِي مَا سَمِعْتُ مِنْهَا . فَضَحَّكَتْ وَقَالَتْ :
 إِنَّ ابْنَ الْخَطَافَ^(٢) قَدْ هَدَمْ عَلَيْكُمْ يَتَّا كَمْ هَذَا الَّذِي فَخَرَّتْ بِهِ حِيثُ يَقُولُ :
 أَخْزَى الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ مُجَاشِمًا وَبَنَى بَنَاءَكَ بِالْخَضِيْضِ الْأَسْفَلِ
 يَتَّا يَحْمَمُ قَيْنُوكُ^(٣) بِفِنَائِهِ دَنِيسًا مَقَاعِدُهُ خَبِيثَ الدَّخْلِ
 فَوَجَّهَتْ .

لَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ فِي وَجْهِي ؛ قَالَتْ : لَا عَلَيْكَ ! فَإِنَّ النَّامَ يَقَالُ فِيهِمْ وَيَقُولُونَ .
 نَمْ قَالَتْ : أَيْنَ تَوْمُ^(٤) ؟ قَلَتْ : الْيَامَةُ . فَتَنَفَّسَتِ الصُّعَدَاءُ ؛ ثُمَّ قَالَتْ : هَاهِي تَلَكْ
 أَمَّاكَ ؛ نَمْ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

تُذَكَّرُنِي بِلَادًا خَيْرًا أَهْلِي بِهَا أَهْلُ الْمُرْوَةِ وَالْكَرَامَةِ
 أَلَا فَسَقَى إِلَهُ أَجَشَّ صَوَبًا^(٥) يَسْحُبُ بَدَرَهُ بَلَدَ الْيَامَةِ
 وَحِيَّا بِالسَّلَامِ أَبَا نَجِيدِ فَاهْلَ لِلتَّعْحِيَّةِ وَالسَّلَامَةِ
 قَالَ : فَأَنِسْتُ بِهَا وَقَلَتْ لَهَا : أَذَاتُ خِدْنِ أَمْ ذَاتُ بَعْلٍ ؟ فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ :
 إِذَا رَقَدَ النَّيَامَ فَإِنَّ عَمَراً تُورَّقُهُ الْمُهُومُ إِلَى الصَّبَاحِ
 تُقْطَعُ قَلْبَهُ الذَّكْرِي وَقَلْبِي فَلَا هُوَ بِالخَلِيلِ وَلَا يَصَاحِ
 سَقَى اللَّهُ الْيَامَةَ دَارَ قَوْمٍ بِهَا عَرُو وَيَحْنُ إِلَى الرَّوَاحِ

(١) زَرَارَةُ وَمُجَاشِمُ وَنَهْشَلُ : مِنْ سَادَةِ نَيْمَ ، قَوْمُ الْفَرِزَدْقَ .

(٢) جَرِيرُ . (٣) يَحْمَمُ : يَسْخَنُ ، وَالْقَيْنُ : الْحَدَادُ ، يُشَيرُ إِلَى أَنْ مُجَاشِمًا قَبِيلَةَ الْفَرِزَدْقَ كَانَتْ قِيُونًا لِعَبْدٍ كَانَ لِصَعْصَعَةَ بْنَ نَاجِيَةَ ، فَنَسَبَ جَرِيرُ غَالِبًا أَبَا الْفَرِزَدْقَ إِلَى الْقَيْنِ . (٤) تَقَصِّدُ .

(٥) الصَّوْبُ : بَعْجَى السَّمَاوَاتِ بِالْمَطَرِ ، وَالْأَجَشُ : الصَّوْتُ الْمَرْفَعُ .

قلت لها : منْ عمرو هذا ؟ فأنسأٌت تقول :

سألَتْ ، ولو علمتَ كففتَ عنه وَمَنْ لَكَ بالجوابِ سُوئيُّ الظَّبِيرِ ؟
فإنْ تَكُ ذا قَبُولٍ إِنَّ عَمْرًا هُوَ الْقَمْرُ الْمُضِيءُ الْمُسْتَنِيرُ^(١)
وَمَا لِي بِالْقِبْلَةِ^(٢) مُسْتَرِاحٌ وَلَوْ رَدَّ التَّبَاعُلُ لِي أُسْيَرِي
ثُمَّ سَكَتَتْ سَكْتَةً كَانَهَا تَنْسَعُ إِلَى كَلَامٍ ، ثُمَّ تَهَافَتَ^(٣) وأَنْسَأٌت تقول :

يُخَيِّلُ لِي هَيَّا عَمْرُو بْنُ كَعْبٍ
كَانَكَ قدْ حُمِّلْتَ عَلَى سَرِيرِ
يُسِيرُ بِكَ الْهَوَيْنِيُّ الْقَوْمُ لَمَّا
رَمَاكَ الْحَبَّ بِالْعَلَقِ^(٤) الْعَسِيرِ
فَإِنْ تَكُ هَذَا كَذَا يَا عَمْرُو إِنِّي
مُبَكِّرَةٌ عَلَيْكَ إِلَى الْقَبُورِ
ثُمَّ شَهَقَتْ شَهْقَةً فَخَرَتْ مَيِّةً .

قلتُ لهم : منْ هذه ؟ قالوا : هذه عَقِيلَةُ بْنُ الضَّحَّاكِ . قلتُ لهم : فمنْ عمرو
هذا ؟ قالوا : ابْنُ عَمِّهَا ، فَارْتَحَلتْ مِنْ عِنْدِهِمْ .

فَلَمَّا دَخَلَتِ الْيَمَامَةَ سَأَلَتْ عَنْ عَمْرٍو هذا ؛ فَإِذَا هُوَ قَدْ دُفِنَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ
الَّذِي قَالَتْ فِيهِ مَا قَالَتْ !

(١) فِي الْبَيْتِ إِقْوَاءُ ، وَهُوَ اخْلَافُ حِرْكَةِ الرَّوْيِ . (٢) تَبَعَّلَتِ الْمَرْأَةُ : أطَاعَتْ بِلَهَا أَوْ تَزَيَّنَتْ لَهُ .

(٣) تَسَاقَطَتْ مِنْ ضَعْفِهَا وَخُورَهَا . (٤) الْعَلَقُ : الْمَوْيُ ، يَكُونُ لِلرَّجُلِ فِي الْمَرْأَةِ .

* ٧٤ — رحلت ميَّةٌ ولم يبقَ إِلَّا الديار*

قال أبو صالح الفزارى : تَدَكَّرْ نَا يوْمًا ذَا الرُّمَّةَ^(١) ؛ فقال لنا عِصْمَةُ بْنُ مَالِكَ الفزارى - وكان قد بلغ عشرين ومائة سنة : إِيَّاهُ فَاسْأَلُوا عَنْهُ ؟ كَانَ حُلُونَ العَيْنِينَ، خَفِيفُ الْعَارِضِينَ، بَرَاقُ النَّثَابِيَا، وَاضْحَى الجَبِينَ، حَسْنَ الْحَدِيثَ، إِذَا أَنْشَدَ بَرَّ بَرَّ وَجَشَ صَوْتَهُ^(٢).

جمعني وإِيَّاهُ مُرْتَبَعُ^(٣) مَرَّةً، فَأَتَانِي قَالَ لِي : هَيَا عِصْمَةُ، إِنَّ مَيَّةَ مِنْقَرِيَّةٍ وَمِنْقَرِيَّ أَخْبَثُ حَىٰ، وَأَقْوَوْهُ^(٤) لِأَنَّرَ، وَأَنْبَتَهُ فِي نَظَرِي، وَقَدْ عَرَفُوا آثَارَ إِبْلِي، فَهَلْ مِنْ نَاقَةٍ نَزَدَارٌ عَلَيْهَا مَيَّةٌ ؟ قَلْتُ : إِيَّاهُ اللَّهُ؛ الْجَوَذِرُ، بَنْتُ يَمَانِيَّةٍ جَدِّلِي. قَالَ :

عَلَىٰ بَهَا.

فَأَتَيْتُهُ بَهَا فَرَكِبَ وَرَدِفْتُهُ، حَتَّىٰ إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَىٰ مَسْنَلِيَّةٍ ؛ فَإِذَا الْحَىُّ خُلُوفُ^(٥)، فَأَمْهَلْنَا وَتَقْوَضَنَا النَّسَاءُ مِنْ بَيْتِهِنَّ إِلَىٰ بَيْتِ مَيَّةٍ، وَإِذَا فِيهِنَّ طَرِيقَةٌ جَمِيعَهُنَّ فَتَزَلَّنَا بَهَا ؛ فَقَالَتْ : أَنْشَدْنَا يَا ذَا الرُّمَّةَ ؛ قَالَ : أَنْشَدْهُنَّ يَا عِصْمَةَ - وَكَانَ عِصْمَةَ رَأْوِيَّهُ - فَأَنْشَدْهُنَّ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

* المحسن : ٤٢٤ ، القد : ٤ ، الأغاني : ١٦ - ١٢٤ ، المصارع : ١٣٧ ، ذيل الأمالى : ١٢٤ ، تزيين الأسواق : ١٩

(١) ذو الرمة : هو غيلان بن عقبة الكنانى ، كان شاعراً ورقيناً خيراً بأحوال العشق ، والرمى : جبل يجعل في عنق البعير ، وكان كثيراً ما يجعله في عنقه ، ولذلك سمى به ، وصاحبته مية بنت مقاتل المنقري . وكان كثير المدح لبلال بن أبي بردة ، وكان أحسن شعراء عصره تشبيهاً ، كامرأى القيس في الجاهلية . توفي سنة ١١٧ هـ . (٢) البربرة : التخليط في الكلام مع غضب ونفور . والأجش : الغليظ الصوت . (٣) المربع : الموضع الذي ينزل فيه أيام الربيع . (٤) من قاف الآخر : إذا عرفه . (٥) خلوف : غائبون .

نظرتُ إلى أظغانِ^(١) مَيْ كأنها
ذرًا النخلِ أو أثْلَمَ تَمِيل ذواهِبَهُ
فَاسْبَلَتِ العينانِ والصدرُ كاتِمٌ
بِعُفْرَ وُرْقَ نَمَّتْ عليه سوا كبهُ
بكاء الفتى خافَ الفراق ولم تَجُلْ جَوَاثِلَهَا أَسْرَارُهُ وَمَعَاتِبُهُ

فقالت الظرفية : فالآن فلتَجُلْ ! فقلت لها مَيْ : قاتلك الله؟ ما تجيئين به منذُ
اليوم ؟ ثم أنشدت حتى بلغت إلى قوله :
إذا سرحت من حُبٍ مَيْ سَوَارِحُ عن القلب آبَتْهُ بَلِيلٌ عَوَازِبُهُ
فقالت لها الظرفية : قاتلته ، قاتلك الله ! فقلت مَيْ : إنه لصحيح ،
وهنيئاً له .

فتنفس ذو الرُّمَة تنفساً كاد يطير حَرَّ شعر وجهي ، ثم أنشدت حتى بلغت
إلى قوله :

وقد حَلَفت باللهِ مَيْ ما الذي أنا كاذِبُهُ
إِذْنُ فرمانِ اللهِ من حيث لا أرى ولا زَالَ في أرضي عَدُوٌّ أحاربه
فقالت مَيْ : خَفْتُ عوَاقِبَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ياغَيْلَانَ ، قال : ثم أنشدت حتى بلغت
إلى قوله :

إذا نازعتك القولَ مَيْ أو بدأ لك الوجهُ منهاً أو نَضَأ الدَّرْعَ سالبَهُ
فيما لك من خِدَّ أَسْيلٌ ومنطق رَخِيمٌ ومن خَلْقٍ تَمَلَّ جادِبُهُ^(٢)
فقالت الظرفية : هذا الوجهُ قد بدأ ، وهذا القول قد تُنُوزُ فيه ؛ فمن لنا أن
يَنْضُو الدرعَ سالبَهُ ؟ فقلت مَيْ : ما أَنْكَرَ ما تجيئين به منذ اليوم !

(١) أظغان : جمع ظعينة : الهودج كانت فيه امرأة أم لا . (٢) الجادب : العائب ، ويريد أن الناظر إليها لا يجد في خلقها مفزاً ؛ فيتعلل بالباطل ، وبالشيء يسيه وليس بسيب .

فَقَامَتِ الظَّرِيفَةُ وَقَمَنْ مَعَهَا ؛ قَالَتْ : دَعْوَهُمْ ؟ فَإِنْ لَمْ لَشَأْنَا ؛ فَقَمَتْ بِخَلْسَتِ
نَاحِيَةً ؛ وَجَلَسَا بِحِيَثِ نَرَاهُما وَلَا نَسْمَعُ مِنْ كَلَامِهِمَا إِلَّا حِرْفَ بَعْدَ حِرْفٍ ، وَوَاللهِ
مَا رَأَيْتُهُمَا بِرِّحَا مِنْ مَكَانِهِمَا ، وَسَمِعْتُهُمَا تَقُولُ لَهُ : كَذَبْتُ ، فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا لَدِنِي
كَذَبْتُهُمَا فِيهِ إِلَى السَّاعَةِ .

ثُمَّ خَرَجَ وَمَعَهُ قَارُورَةٌ فِيهَا دُهْنٌ وَقَلَائِدُ ، قَالَ : يَا عِصْمَةُ ! هَذِهِ دُهْنَةٌ طَيِّبَةٌ
أَنْهَفْتَنَا بِهَا مَيِّ ، وَهَذِهِ قَلَائِدُ قَلَدْتَهَا مَيِّ الْجَوَذَرَ^(١) ، وَلَا وَاللهِ لَا قَلَدْتُهُنَّ بِعِيرًا أَبْدًا ،
فَقَدْهُنَّ فِي ذُؤْبَةِ سِيفِهِ ، وَانْصَرَفَنَا .

فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ أَتَانِي ، قَالَ : هَيَّا عِصْمَةُ ! قَدْ رَحَلَتِ مَيِّ ، فَلَمْ يَبْقِ إِلَّا الدِّيَارُ
وَالنَّظَرُ فِي الْآثارِ ؛ فَانْهَضَ بِنَا نَظَرٌ إِلَى آثارِهَا ، فَرَكِبَ وَتَبَعَهُ ؛ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى
الْمُرْتَبَعِ قَالَ :

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارِمِي عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًا^(٢) بِحِرْمَانِكَ^(٣) الْقَطْرُ
وَلَمَّا نَمَّ لَمْ تَكُونِ غَيْرَ شَامَ^(٤) بِقَفْرَةِ تَجْرُّبَهَا الأَذِيَالَ صَيْفِيَّةَ^(٥) كُدْرَ^(٦)

ثُمَّ انْفَضَحَتِ عَيْنَاهُ بِالْبَكَاءِ ؛ قَلَتْ : مَهْ يَا ذَا الرَّمَةِ ! قَالَ : إِنِّي جَلَدْتُ عَلَى
مَاتِرِي ، وَإِنِّي لَصَبُورٌ !

فَأَرَيْتُ أَشَدَّ صَبَابَةً ، وَلَا أَحْسَنَ عَزَاءً مِنْهُ .

ثُمَّ افْتَرَقْنَا ؛ فَكَانَ آخرَ الْعَهْدِ بِهِ .

(١) اسْمُ النَّاقَةِ الَّتِي سَارَا عَلَيْهَا . (٢) مُنْهَلًا: نَازِلاً . (٣) الْجَرْعَاءُ: الرَّمَلَةُ الْمُسْتَوِيَّةُ لَأَنْبَتَ شَيْئًا .

(٤) الشَّامُ: جَمْعُ شَامَةٍ ، وَهِيَ بَقْعَةٌ تَخَالُفُ لَوْنَ الْأَرْضِ . (٥) الصَّيْفِيَّةُ: رِيَاحُ الصَّيْفِ .

(٦) الْكَدْرُ: جَمْعُ كَدْرَاءٍ ، وَهِيَ الَّتِي فِي لَوْنِهَا غَيْرَةٌ .

* - صياغة أن الطَّفْلَةِ

أصحاب الناس سنة وجذب، فأقبل جماعة من جرم^(١) يريدون بني قشير، وكانت بينهما عداوة وحرب عظيمة، ولكنهم لم يجذبوا بذلك، لما قد ساقهم من الجذب والمجاعة ورقة الأموال، وما أشرفوا عليه من الهلاكة، فنصبت^(٢) قشير لهم الحرب. فقالت جرم: إنما جئنا مُستجيرين غير محاربين. قالوا: مم؟ قالوا: من السنة والجذب والهلاكة التي لا باقية لها. فأجارتهم قشير وسامتهم وأرعنهم طرفاً من بلادها.

وكان في جَرم فتى يقال له مِيَادُ الْجَرْمِيُّ ، وكان غَزِلاً حسناً الوجه تام القامة، آخِذاً بقلوب النساء - والغزل في جَرم جائزٌ حسن ، وهو في قُشير نائرة^(٣) فلما نازلت جَرم قُشيراً وجاورتها أصبح مِيَادُ الْجَرْمِيُّ يَغدو إلى القُشيريات يطلب منها الغزال والصباً والحديث عند غيبة الرجال ، واشتفالهم بالسوق والرعيّة وما أشبه ذلك ؟ فدَفَعْتُهُ عنّي وأسمعته ما يكره .

وراحت رجالُهُنَّ علَيْهِنَّ وَهُنَّ مُغْضَبَاتٌ؛ فَقَالَتْ عِجَائِزُهُنَّ هُنَّ : وَاللهِ مَا نَدْرَى

الأغانى : * ١٥٢ - ٨

اسمه يزيد بن الصمة ، والطبرية أمه ، كان حسن الوجه والشعر ، حلوا الحديث ، غزوا آخذا بقلوب النساء ، وقد أحب امرأة من جرم ، وقاسى في سبيلها من الوجد ما قاسى مثله من المتمين في الحب ، ونظم فيها الشعر الرقيق ، وتوفى سنة ١٢٦ هـ . (١) بطن في طي . (٢) نصب له المرث : وضعا . (٣) النائرة : العداوة والشحنة ، أى أن الفزل في قشير سبب العداوة .

أَرْعَيْتُمْ جَرْمًا الْمَرْعَى أَمْ أَرْعَيْتُمُوهُنِّيَّاتِكُمْ ! فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ قَالُوا : وَمَاذَا ؟
قُلنَّ : رَجُلٌ مِنْذِ الْيَوْمِ ظَلَّ بُحْرِرًا^(١) لَنَا مَا يَطْلُعُ مِنْهُ رَأْسٌ وَاحِدَةٌ ، يَدْوُرُ بَيْنَ
بَيْوَنَتَاهُ .

فَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَيْتُوا جَرْمًا فَاصْطَلَمُوهَا^(٢) . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : قَبِيعٌ . قَوْمٌ قَدْ
سَقَيْتُمُوهُمْ مِيَاهَكُمْ ، وَأَرْعَيْتُمُوهُمْ مَرَاعِيَكُمْ ، وَخَلَطْتُمُوهُمْ بِأَنفُسِكُمْ ، وَأَجْرَتُمُوهُمْ
مِنَ التَّحْطِيلِ وَالسَّنَةِ ، تَفَتَّاً تُونَ^(٣) عَلَيْهِمْ هَذَا الْأَفْتِيَاتِ ! لَا تَقْتَلُوا وَلَكُنْ لِتُصْبِحُوا^(٤)
وَتَقْدَمُوا إِلَى هُؤُلَاءِ الْقَوْمِ فِي هَذَا الرَّجُلِ ، فَإِنَّهُ سَفِيهٌ مِنْ سَفَاهِهِمْ ، فَلِيَأْخُذُوا عَلَى
بِدِيهِ ، فَإِنْ يَفْعُلُوا فَأَتَيْوْا لَهُمْ إِحْسَانَكُمْ ، وَإِنْ يَعْتَنِيْوْا وَيُقْرِئُوا مَا كَانَ مِنْهُ يَحْلِهُ
لَكُمُ الْبَسْطُ^(٥) عَلَيْهِمْ ، وَتَخْرُجُوا مِنْ ذِمَّتِهِمْ . فَأَجْمَعُوا عَلَى ذَلِكَ .

فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَارَنَفَرَ مِنْهُمْ إِلَى جَرْمٍ قَالُوا : مَا هَذِهِ الْبِدْعَةُ الَّتِي قَدْ
جَاؤَرْتُمُونَا بِهَا ! إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْبِدْعَةُ سَجِيَّةً لَكُمْ فَلِيَسْ لَكُمْ عِنْدَنَا إِرْعَاءٌ وَلَا
إِسْقَاءٌ ، فَأَبْعَدُوا عَنَّا أَنفُسَكُمْ ، وَأَذْنَوْا^(٦) بِحَرْبٍ . وَإِنْ كَانَ افْتِنَانًا فَفَيْرُوا^(٧) عَلَى
مَنْ فَعَلَهُ .

فَقَامَ رَجَالٌ مِنْ جَرْمٍ قَالُوا : مَا الَّذِي نَالَكُمْ ؟ قَالُوا : رَجُلٌ مِنْكُمْ أَمْسَى ظَلَّ
بُحْرَ أَذْيَالَهُ بَيْنَ أَيَّاتِنَا ، مَا نَذَرَى عَلَامَ كَانَ أَمْرُهُ ! فَقَهَقَتْ جَرْمٌ مِنْ جَفَاءِ
الْقُشَيْرَيْنِ وَعَجَرَ قِهَّا وَقَالُوا : إِنَّكُمْ لَتَحِسُونَ مِنْ نِسَائِكُمْ بِيَلَاءٍ ، أَلَا فَابْعُثُوا إِلَى
بَيْوَنَتَاهُ بِرَجَلًا وَرَجَلًا .

(١) مِنْ أَجْعَرِهِ ، إِذَا أَلْزَمَهُ أَنْ يَدْخُلْ جَحْرَهُ . (٢) اسْتَأْصِلُوهَا . (٣) افْتَاتَهُمْ عَلَيْهِ
الْبَاطِلُ . (٤) الْلَامُ لَامُ الْأَمْرِ . (٥) بَسْطَ يَدِهِ عَلَيْهِ : سُلْطَانُهُ . (٦) كَوْنُوا عَلَى عِلْمِ
بِحَرْبٍ . (٧) فَيْرُوا : أَيْ ازْجَرُوهُ وَأَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ مَا فَعَلَهُ .

قالوا : والله ما نحسُّ من نسائنا ببلاء ، وما نعرفُ منهن إلا العفة والكرم ،
ولكن فيكم الذي قلتَ .

قالوا : فَإِنَا نبعث رجلاً إلى بيوتكم ، يابني قُشير ، إذا غدت الرجال وأخْلِفَ
النساء ، وتبعثون رجلاً إلى البيوت ، وتحالف أنه لا يتقدّمُ رجلٌ منها إلى زوجة
ولا أخت ولا بنت ، ولا يعلّمُها بشيءٍ مدار بين القوم ؛ فَيَظْلِمُ كلامها في بيوت
 أصحابه حتى يَرِدَّا علينا عَشِيشاً الماء وتُخلِّي لها البيوت ، ولا تبرُّز عليهم امرأة ، ولا
تُصَادِقُ منها واحداً إلا بمَوْتِي يأخذُه عليها وعلامةٌ تكون معه منها !

قالوا : اللهم نعم . فظلّوا يومهم ذلك وباتوا ليتهم ، حتى إذا كان من الغد
غَذَّوا إلى الماء وتحالفوا أنه لا يعود إلى البيوت منهم أحد دون الليل .

وغداً مِيَادَ الجُرمي إلى القُشَيريات ، وغدا يَزِيدُ بن الطَّبَشِيرِيَّةَ القُشَيرِيَّ إلى
الجُرميات ، وكان من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم حديثاً ، فظلَّ عندهن بأَكْرمِ
مَظَلَّ لا يصيرُ إلى واحدةٍ منهن إلا افْتَنَنَتْ به ، وتابعته إلى المودة والإخاء ، وقبض
منها رَهْنًا ، وسألته أَلَا يدخل من بيت جَرم إلا يتها ؟ فيقول لها : وَأَى شَيْءٌ
تخافين وقد أخذتِ مني المواثيق والموهود ، وليس لأحد في قلبي نصيبٌ غيرِك ،
حتى صُلُّيَّتِ العصر .

فانصرف يَزِيدُ بفتحٍ^(١) كثير وبراًقَع ، وانصرف مَكحولاً مَدْهوناً شبعانَ
ريان مُرْجَلَ اللّامَة^(٢) . وظلَّ مِيَادَ يَدُورُ بين بيوت القُشَيريات مَرْجوماً مُقصى

(١) الفتح واحدة فتحة ، وهي حلقة من فضة لا فص لها فإذا كان فيها فص فهي الخاتم .

(٢) اللمة : الشعر المجاور شحمة الأذن .

لا يقربُ إلى بيتٍ إلا استقْبَلَهُ الولاثِ بالعَمَدِ^(١) والجندل؛ فتهالكَ هنَّ، وظنَّ
أنه ارتياز^(٢) منهن له، حتى أخذَهُ ضربٌ كثير بالجندل، ورأى اليأسَ منهنَ،
وجَهَهُ العَطْشُ؛ فانصرفَ حتى جاءَ إلى سُمْرَة^(٣) قريباً إلى نصف النهار؛ فتوسَّدَ
يدهُ ونامَ تختها نُويمَةَ حتى أفرَجَتْ عنه الظَّهِيرَةُ، وفاقتَ الأَذَالَلُ، وسكنَ
بعضُ ما بهِ مِنْ أَلْمٍ الضربُ، وبَرُدَ عَطْشُهُ قليلاً.

ثم قربَ إلى الماء حتَّى وردَ على القومَ قبلَ يزيدَ، فوجَدَ أَمَةَ تَذَوَّدُ غَنِمَاً
في بعضِ الظُّلُم^(٤)، فأخذَ بِرُقْعَهَا، فقالَ: هذا برقعٌ واحدةٌ من نسائِكم، فطرَحَهُ
بينَ يديِ القومَ، وجاءَتِ الْأَمَةُ تَعْدُو فَتَعَلَّقَتْ بِرُقْعَهَا فَرَدَّهَا عَلَيْهَا، وخَجَلَ مِيَادُ
خِجَالاً شَدِيداً.

وجاءَ يزيدُ مُسِيَّاً وقد كادَ القومُ أنْ يَقْفِرُوا، فَنَثَرَ كُمَّهُ بينَ أَيْدِيهِمْ ملآنَ
براًعَ وفَتَخَّاً، وقد حَلَفَ الْقَوْمُ أَلَا يَعْرِفُ رَجُلَ شَيْئاً إِلَّا رُفْعَهُ.

فَلَمَّا نَثَرَ مَا مَعَهُ اسْوَدَتْ وجوهُ جَرْمٍ، وأَمْسَكَوا^(٥) بِأَيْدِيهِمْ إِمْسَاكَةً. قَالَتْ
قُشْيَرُ: أَنْتُمْ تَعْرُفُونَ مَا كَانَ يَنْتَهَا أَمْسٌ مِنَ الْعَهُودِ وَالْمَوَانِيقِ وَتَخْرُجِ الْأَمْوَالِ
وَالْأَهْلِ؛ فَنَ شَاءَ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَى حِرَامٍ فَلِيُمْسِكْ يَدَهُ، فَبَسَطَ كُلُّ رَجُلٍ يَدَهُ إِلَى
مَا عَرَفَ فَأَخْذَهُ، وَتَفَرَّقُوا عَنْ حَرَبٍ؛ وَقَالُوا: هَذِهِ مَكْيَدَةٌ يَا قُشْيَرَ.

وُبِّلَ يزيدُ بِعِشْقِ جَارِيَةٍ مِنْ جَرْمٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَقَالُ لَهَا وَحْشِيَّةً، وَكَانَتْ
مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ. وَنَافَرَتْهُمْ جَرْمٌ فَلَمْ يَجِدْ إِلَيْهَا سَبِيلًا، فَصَارَ مِنَ الْعَشْقِ إِلَى أَنْ

(١) العمدة: قضبان الحديد. (٢) ارتياز: طلب. (٣) السمرة: شجرة عظيمة. (٤) الظُّلُم:

سيِّر الْبَادِيَةُ لِلنَّجْعَةِ. (٥) يَرِيدُ أَنْهُمْ قَبْضُوا أَيْدِيهِمْ، وَلَمْ يَعْدُوهَا إِلَى شَيْءٍ مَا نَثَرَ أَمْاهُمْ.

أشَرَفَ عَلَى الْمَوْتِ ، وَاشْتَدَّ بِهِ الْجُهْدُ ، فَجَاءَ ابْنُ عَمِّهِ يَقَالُ لَهُ : خَلِيفَةُ بْنُ بَوْزَلَ ،
بَعْدَ اخْتِلَافِ الْأَطْبَاءِ إِلَيْهِ وَيَأْسِهِمْ مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا بْنَ عَمٍّ ؟ قَدْ تَعْلَمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَى
هَذِهِ الْمَرْأَةِ سَبِيلٌ ، وَأَنَّ التَّعَزَّى أَجْحَلُ ، فَأَرَبَّكَ فِي أَنْ قُتْلَ نَفْسَكَ وَتَأْثِيمَ
عَنْدِ رَبِّكَ !

قَالَ : وَمَا هُنَّ يَا بْنَ عَمٍّ بِنْفُسِي وَمَا لِي فِيهَا أَمْرٌ وَلَا هُنَّ ؟ وَلَا هُنَّ إِلَّا فُسْسَ
الْجَرْمِيَّةُ ؟ فَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ حَيَاةً فَأَرِنِيهَا . قَالَ : كَيْفَ الْحِيلَةُ ؟ قَالَ : تَحْمِلُنِي
إِلَيْهَا ؛ فَحَمَلَهُ إِلَيْهَا وَهُوَ لَا يَطْمَعُ فِيهَا ، إِلَّا إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قَالُوا لَهُ نَذْهَبُ بِكَ إِلَى
وَحْشِيَّةَ أَبَلَّ قَلِيلًا ، وَإِذَا أَبِيسَ مِنْهَا اشْتَدَّ بِهِ الْوَجْعُ .

نَفَرَجَ بِهِ خَلِيفَةُ بْنُ بَوْزَلَ فَحَمَلَهُ فَتَخَلَّلَ بِهِ الْمَيْنُ ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ فِي قَبِيلَةِ
اَنْتَسَبَ إِلَى أُخْرَى وَهُوَ يَخْبُرُ أَنَّهُ طَالِبُ حَاجَةٍ . وَأَبَلَّ حَتَّى صَلَحَ بَعْضُ الصَّالِحَةِ ؛
وَطَمَعَ فِي ابْنِ عَمِّهِ ، وَصَارَ بَعْدَ زَمَانٍ إِلَى حَيَّ وَحْشِيَّةَ ، فَلَقِيَ الرَّؤْعَيْانَ^(١) ، وَكَمَنَا
فِي جَبَلٍ مِنَ الْجَبَالِ . فَجَعَلَ خَلِيفَةُ بَيْنَزِلُ فَيَقْتَرَضُ لِرَعِيَانِ الشَّاءِ فِي سَأْلَهُمْ عَنْ
رَاعِي وَحْشِيَّةَ ، حَتَّى لَقِيَ غَلَامَهَا وَغَنَمَهَا ؛ فَوَاعْدُهُمْ مَوْعِدًا ، وَسَأَلُمُ مَا حَالَ وَحْشِيَّةَ ؟
فَقَالَ غَلَامُهَا : هَىٰ وَاللهِ بَشَرٌ ؟ لَا حَفْظَ اللَّهِ بْنِ فُشَيْرٍ وَلَا يَوْمًا رَأَيْنَاهُ فِيْ إِفَازَاتِ
عَلِيَّةَ مِنْذَ رَأَيْنَاهُمْ - وَكَانَ بَهَا طَرَفٌ مِمَّا بَابَنِ الطَّبَرِيَّةِ .

فَقَالَ : وَبِنَحَكَ ! فَإِنَّ هَاهُنَا إِنْسَانًا يُدَآوِيهَا ، فَلَا تَقْلِلْ لِأَحَدٍ غَيْرُهَا . قَالَ : نَعَمْ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) جمِيع رَاغِبِيْ :

فأعلمها الراعي ما قال له الرجل حين صار إليها ، فقالت له : ويحك ! جفي به .
 ثم إنه خرج فلقيه ، فأعلمـه ، وظلـ عنـده يرـ غـمـه ، وتأخرـ عنـ الشـاء حـتـى
 قـدـمـتـه الشـاء وجـنـحـ اللـيلـ ، وانـهـدرـ بـينـ يـدـيـ غـنـمـهـ ، حـتـىـ أـراـحـهـ . وـمـشـىـ فـيـاـيـزـيدـ
 حـيـنـ قـرـبـتـ مـنـ الـبـيـتـ عـلـىـ أـرـبعـ ، وـتـجـلـ شـمـلـةـ سـوـدـاءـ بـلـونـ شـاةـ مـنـ الغـنمـ ١
 فـصـارـ إـلـىـ وـحـشـيـةـ ، فـسـرـتـ بـهـ سـرـورـاـ شـدـيـداـ ، وـجـمـعـتـ عـلـيـهـ مـنـ تـشـقـ بـهـ مـنـ
 صـواـحـبـاهـ وـأـتـرـابـاهـ ؛ وـقـدـ كـانـ عـهـدـ إـلـىـ اـبـنـ عـمـهـ أـنـ يـقـيمـ فـيـ الجـبـلـ ثـلـاثـ لـيـالـ ،
 فـإـنـ لمـ يـرـهـ فـلـيـنـصـرـ فـ .

فـأـقـامـ يـزـيدـ ثـلـاثـ لـيـالـ ، وـرـجـعـ إـلـىـ أـصـحـ ماـكـانـ عـلـيـهـ ، ثـمـ انـصـرـ فـصـارـ
 إـلـىـ صـاحـبـهـ . فـقـالـ : مـاـ وـرـاءـكـ يـاـ يـزـيدـ ؟ وـرـأـيـ منـ سـرـورـهـ وـطـيـبـ نـفـسـهـ مـاـ سـرـهـ .
 فـقـالـ :

لو آنـكـ شـاهـدـتـ الصـبـاـ يـاـبـنـ بـوـزـلـ
 بـفـرـعـ الغـصـاـ إـذـ رـاجـعـتـنـيـ غـيـاطـلـ^(١)
 لـشـاهـدـتـ هـلـوـاـ بـعـدـ شـحـطـ مـنـ النـوىـ
 عـلـىـ سـخـطـ الـأـعـدـاءـ حـلـوـاـ شـمـائـلـهـ
 بـنـفـسـيـ مـنـ لـوـ مـرـ بـرـدـ بـنـائـهـ
 عـلـىـ كـيـدـيـ كـانـ شـفـاءـ أـنـاملـهـ
 وـمـنـ هـاـ بـنـيـ فـكـلـ أـمـرـ وـهـبـتـهـ فـلاـ هوـ يـعـطـيـنـيـ وـلـاـ أـنـاـ سـائـلـهـ

(١) الغياطـلـ : جـمـ غـيـاطـلـ ، وـهـيـ الـظـلـمـةـ التـراـكـمـةـ ، استـعـارـهـ هـنـاـ بـلـهـالـاتـ الصـبـاـ .

٧٦ — مَعْبُد الصَّفِير وَأَحَدُ الْعَشَاقُ *

قال مَعْبُد^(١) الصَّفِير الْمَغْنِي : كُنْتُ مُنْقَطِعًا إِلَى الْبَرَامِكَةَ آخَذُ مِنْهُمْ وَالْأَزِمَّهُمْ؛ فَبَيْنَا أَنَا ذَاتُ يَوْمٍ فِي مَنْزِلِي إِذَا بَابِي يُدْقَّ ، نَفْرَجُ غَلَاجِي ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ ، فَقَالَ : عَلَى الْبَابِ فَتَّيَ ظَاهِرُ الْمَرْوَةَ ، يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ ، فَأَذْنَتُ لَهُ .

فَدَخَلَ عَلَى شَابٍ مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ وَجْهًا ، وَلَا أَنْظَفَ ثُوبًا ، وَلَا أَجْلَ زِيَّاً مِنْهُ ، دَفَّ^(٢) عَلَيْهِ آثَارُ السَّقَمِ ظَاهِرَةً ، فَقَالَ لَيْ : إِنِّي أَرْجُو لِقَاءَكَ مِنْذَ مَدَّةٍ ، فَلَا أَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَإِنَّ لِي حَاجَةً ، قَلْتُ : ماهِي؟ فَأَخْرَجَ ثَلَاثَمَائَةَ دِينَارٍ فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : أَسْأَلُكَ أَنْ تَقْبِلَهَا ، وَتَصْنَعَ فِي بَيْتِنِي قَلْتُ هَمَا لَهُنَا تَغْنِيَنِي بِهِ . قَلْتُ : هَاتِهِمَا ؛ فَأَنْشَدَهُمَا وَقَالَ :

بِاللَّهِ يَاطَّرِفَ الْجَانِي عَلَى بَدَنِي لَقْطَفَنَّ بِدَمِي لَوْعَةَ الْحَزَنِ
لَا لَا أَبُو حَنَّ حَتَّى يَمْجُبُوا سَكَنِي فَلَا أَرَاهُ وَلَوْ أُدْرِجْتُ فِي كَفْنِي

قال مَعْبُد : فَصَنَعْتُ فِيهِمَا لَهُنَا ، ثُمَّ غَنَيْتُهُ إِيَاهُ ، فَأَغْمَيَ عَلَيْهِ ، حَتَّى ظَنَنَتْهُ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ أَفَاقَ ، فَقَالَ : أَعِدْ فَدَيْتَكَ ! فَنَاسَدَتْهُ اللَّهُ فِي نَفْسِهِ وَقَلْتُ : أَخْشَى أَنْ تَمُوتَ ؛ قَالَ : هِيمَاتٌ ! أَنَا أَشَقُّ مِنْ ذَاكَ ! وَمَا زَالَ يَخْضُعُ لِي وَيَقْسِرُ عَلَى أَعْدَتِهِ ، فَصَعِيقٌ صَعِيقٌ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى حَتَّى ظَنَنَتْ أَنَّ نَفْسَهُ قَدْ فَاضَتْ .

* الأغاني : ١٢١ - ١٦١ ، تزيين الأسواق : ١٢٥

(١) كان مَعْبُد الصَّفِير غلاماً مولداً من مولدى المدينة ، شدَا بِهَا ، وأخذ القناة عن جماعة من أهليها ، وعن جماعة أخرى من علية المغنيين بالموراق ، مثل إسحاق وابن جام ، وكان أكثر انقطاعه إلى الْبَرَامِكَةَ . (٢) دف : مريض .

فَلَمَّا أَفَاقَ رَدَدَتُ الدَّنَانِيرَ عَلَيْهِ ، وَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدِيهِ ، وَقَالَتْ : يَا هَذَا ؟ خَذْ
دَنَانِيرَكَ ، وَانْصَرَفَ عَنِي ، فَقَدْ قَضَيْتُ حَاجَتَكَ ، وَبَلَغَتْ مَا أَرْدَتَهُ ، وَلَسْتُ أَحْبَبُ
أَنْ أَشْرَكَ فِي دَمْكَ ، قَالَ : يَا هَذَا ؟ لَا حَاجَةَ لِي فِي الدَّنَانِيرِ ، قَوْلَتْ : لَا وَاللهُ ،
وَلَا بَعْشَرَةَ أَضَعَافَهَا إِلَّا عَلَى ثَلَاثَ شَرَائِطِ ، قَالَ : وَمَا هِنَّ ؟ قَوْلَتْ : أَوْلَاهَا أَنْ تَقِيمَ
عِنْدِي وَتَحْرِمَ بَطْعَامِي ، وَالثَّانِيَةُ أَنْ تَشْرَبَ أَقْدَاحًا مِنَ النَّبِيِّذِ يَشُدُّ قَلْبَكَ ،
وَيَسْكُنُ مَابَكَ ، وَالثَّالِثَةُ أَنْ تَحْدِثَنِي بِقَصْتَكَ ، قَالَ : أَغْفَلُ مَا تَرِيدُ .

فَأَخْذَتُ الدَّنَانِيرَ ، وَدَعَوْتُ بِطَعَامِ فَاصَابَ مِنْهُ ، ثُمَّ دَعَوْتُ بِالنَّبِيِّذِ فَشَرَبَ
أَقْدَاحًا ، وَغَنَّيْتُهُ بِشِعْرٍ غَيْرِهِ فِي مَعْنَاهِ ، وَهُوَ يَشْرَبُ وَيَبْكِي ، ثُمَّ قَالَ : الشَّرْطُ أَعْزَمُكَ
اللهُ . فَقَتَّيْتُهُ ، فَجَعَلَ بَيْكَ أَحْرَرَ بَكَاءً ، وَيَنْسِيْجُ أَشَدَّ نَشِيجٍ وَيَنْتَحِبُ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ
مَا بِهِ قَدْ خَفَّ عَمَّا كَانَ يَلْحَقُهُ ، وَرَأَيْتَ النَّبِيِّذَ قَدْ شَدَّ مِنْ قَلْبِهِ كَرَرْتُ عَلَيْهِ صُوتَهِ
مَرَارًا ، ثُمَّ قَوْلَتْ : حَدَّثْنِي حَدِيثَكَ ، قَالَ :

أَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ خَرَجْتُ مُتَنَزِّهًا فِي ظَاهِرِهِ ، وَقَدْ سَأَلَ العَقِيقَ ،
فِي فِتْيَةٍ مِنْ أَقْرَانِي وَأَخْدَانِي ؟ فَبَصَرْتُ نَا بِفَتْيَاتٍ قَدْ خَرَجْنَ لِمَثِيلٍ مَا خَرَجْنَا لَهُ ،
جَلَسْنَ حَجْرَةً^(١) مَنَا ، وَبَصَرْتُ فِيهِنَّ بِفَتَاهٍ كَأَنَّهَا قَضِيبٌ^(٢) قَدْ طَلَّهُ النَّدِيُّ ،
تَنْظَرْتُ بِعَيْنِيْنِ مَا ارْتَدَ طَرْفُهُمَا إِلَّا بِنَفْسِ مَنْ يَلْاحِظُهُمَا ، فَأَطَلَنَا وَأَطْلَنْتُ حَتَّى تَفَرَّقَ
النَّاسُ ، وَانْصَرَفْنَا وَانْصَرَفْنَا ، وَقَدْ أَبْقَيْتُ بِقَلْبِي جُرْحًا بَطِيشًا أَنْدِمَّا لَهُ ، فَنَدَتُ إِلَى
مَنْزِلِي وَأَنَا وَقِيدٌ^(٣) .

وَخَرَجْتُ مِنَ الْفَدِ إِلَى الْعَقِيقِ وَلَيْسَ بِهِ أَحَدٌ ، فَلَمْ أَرَهَا وَلَا لَصَوَّاجِهَا أَثْرًا ؟ نَمَّ
جَعَلْتُ أَنْتَبِعَهَا فِي طَرَقِ الْمَدِينَةِ وَأَسْوَاقِهَا ، فَكَأَنَّ الْأَرْضَ أَضْمَرْتُهَا ، فَلَمْ أَحْسَهَا

(١) حَجْرَةٌ : بَعِيدًا . (٢) الْقَضِيبٌ : الغَصْنُ . (٣) الْوَقِيدُ : الشَّدِيدُ الْمَرْضُ الْمَشْرُفُ .

بعينٍ ولا أَنْرَ ، وسقِمَتْ حَتَّى أَيْسَ مِنْ أَهْلِي ، ودَخَلَتْ ظِثْرِي^(١) ، فَاسْتَعْلَمْتُنِي حَالِي ، وَضِمِنْتُ لِي السُّعَى فِيمَا أَحْبَبْتُهُ مِنْهَا ؛ فَأَخْبَرَتْهَا بِقصْصِي ؛ قَالَتْ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ، هَذِهِ أَيَامُ الرِّبَيع ، وَهِيَ سَنَةٌ خَصْبٌ ، وَلَيْسَ يَبْعَدُ عَنْكَ الْمَطَرُ ؛ وَهَذَا الْعَقِيقُ ، فَخَرَجَ حِينَئِذٍ وَأَخْرَجَ مَعَكَ ، فَإِنَّ النَّسَوَةَ سَيِّحَتْنَ ، إِنَّمَا فَعَلَنِي وَرَأَيْتَهَا اتَّبَعْتُهَا حَتَّى أَعْرَفَ مَوْضِعَهَا ، ثُمَّ أَصْلَى بِيَنِكَ وَبِنِهَا ، وَأَسْعَى لَكَ فِي تَزْوِيجِهَا ؛ فَكَانَ نَفْسِي اطْمَانَتْ إِلَى ذَلِكَ ، وَوَقَّتْتُ بِهِ ، وَسَكَنَتْ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَوَيْتُ وَطَمَعْتُ ، وَتَرَاجَعَتْ نَفْسِي . وَجَاءَ مَطَرُ فَأَسَالَ الْوَادِي ، وَخَرَجَ النَّاسُ ؛ وَخَرَجْتُ مَعَ إِخْرَانِي إِلَيْهِ ، فَجَلَسْنَا مَجَلِسَنَا الْأَوَّلَ بَعْيَنِهِ ؛ فَمَا كُنَّا وَالنَّسَوَةُ إِلَّا كَفَرَسِيَ رِهَانُ ، وَأَوْمَاتُ إِلَى ظِثْرِي فَجَلَسْتُ حَجْرَةً مَنَا وَمِنْهُنَّ ، وَأَقْبَلَتُ عَلَى إِخْرَانِي ، قَلَتْ : لَقَدْ أَحْسَنَ الْقَاتِلُ

حيث قال :

رَمَتِنِي بِسَهْمٍ أَفْصَدَ الْقَلْبَ وَانْشَتَ وَقَدْ غَادَرْتُ جُرْحًا بِهِ وَنُدُوبًا^(٢)
فَأَقْبَلَتُ عَلَى صَوَاحِبَتِهَا ، قَالَتْ : أَحْسَنَ وَاللهِ الْقَاتِلُ ، وَأَحْسَنَ مَنْ أَجَابَهِ

حيث يقول :

بِنَامِثْلٍ مَا تَشَكُّو فَصِبْرًا لَمَنَّا نَرِي فَرْجًا يَشْفِي السَّقَامَ قَرِيبًا
فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْجَوابِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَظْهَرَ مَا يَفْضُحُنِي وَإِيَاهَا ، وَعَرَفْتَ
مَا أَرَادْتُ ، ثُمَّ تَفَرَّقَ النَّاسُ وَانْصَرَفَنَا .

وَتَبَعَّهَا ظِثْرِي حَتَّى عَرَفَتْ مِنْزَهَا ، وَصَارَتْ إِلَيْهِ ، فَأَخْذَتْ يَدِي ، وَمُضِينَا
إِلَيْهَا فَلَمْ تَزَلْ تَتَلَطَّفَ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَيْهَا ، فَتَلَاقَنَا ، وَشَاعَ حَدِيثِي وَحَدِيثُهَا وَظَهَرَ

(١) الظُّرُورُ : العاطفة على ولد غيرها ، المرض له . (٢) النُّدُوبُ : جمع نُدبة ، أَنْرَ الجرح الباقي على الجلد .

ما يبني وينها ، فحجّبها أهلهَا ، وتشدّدَ عليهَا أبوها ؛ فما زلتُ أجتهدُ في لقاها
فلا أقدرُ عليهِ ، وشكوتُ إلى أبي لشدةِ ما نالني ؛ وسألتهُ في خطبتيها لى فضي
أبي ومشيخةِ أهلِ إلى أبيها ، فخطبُوها ؛ فقال : لو كان بدأً بهذه الأسفافْتةِ بما التمسَ ،
ولكنه قد شرّها^(١) ، فلم أكن لأحتجّ قولَ الناس فيها بتزويجه إياها ؛ فانصرفت
على يأس منها ومني نفسي .

قال معبد : ثم صارت بيفنا عشرة ، وجلس جعفر بن يحيى للشّرب
فأنيته ؟ فكان أول صوت غنّيّته صوتي في شعر الفتى ؛ فطرب عليه طرّباً شديداً ،
وقال : ويئنك ! إن هذا الصوت حديثاً ما هو ؟ فحدثته به ، فأمر بإحضار الفتى
فأخضر من وقته ، واستعداده الحديث فأعاده عليه ، فقال : هي في ذمّتي حتى أزوّجك
إياها ، فطابت نفسه ، وأقام معنا ليلقننا حتى أصبح ؛ وغداً جعفر إلى الرشيد ، فحدثته
الحديث ، فعجب منه ، وأمر بإحضارنا جميعاً فأخضرنا ، وأمر بأن أغنىّة الصوت ،
ففنيته وشرب عليه ، وسمع حديث الفتى ، فأمر من وقته بالكتاب إلى عامل
الحجاز بإشخاص الرجل وابنته ، وجميع أهله إلى حضرته ، فلم يمض إلا مسافة
الطريق حتى أخضر ، فأمر الرشيد بإصاله إليه فأوصل ، وخطب إليه الجارية للفتى
وأقسم عليه ألا يخالف أمره ، فأجابه ، وزوجه إياها ، وحمل إليه الرشيد ألف دينار
لجهازها ، وألف دينار لنفقة طريقة ؛ وأمر لفتى بألف دينار ، وأمر جعفر للفتى
بألف دينار ؟ وكان بعد ذلك في جملة ندماء^(٢) جعفر بن يحيى .

(١) الشهرة : ظهور الشيء في شنطة . (٢) جم نديم .

٧٧ - نَعِيْبُ الْغَرَابُ بِفِرَاوِهِمَا*

قال زيد بن عمّان الغطافي : كنّا بباب بعض ولاة المدينة فغرضنا^(١) من طول الثواء^(٢) ، فإذا أعرابي يقول : يامعشر العرب ؟ أمّا منكم رجل يأتيني أعلمه إذ غرضنا من هذا المكان فأخبره عن أم جحدر وعنه !

فجئت إليه فقلت : من أنت ؟ فقال : أنا الرماح^(٣) بن أبرد . قلت : فأخبرني بيده أمرك ؟ قال : كانت أم جحدر من عشيرتي فأعجبتني ؛ وكانت يبني وينها خلة^(٤) ، ثم إن عتبت عليها في شيء بلغنى عنها ؛ فأتيتها فقلت : يا أم جحدر ؛ إن الوصل عليك مردود ؛ فقالت : ما قوى الله فهو خير . فلبت على تلك الحال سنة^(٥) .

وذهبت بهم مجتمعة فتباعدوا . واشتقت إليها شوقاً شديداً ؛ فقلت لامرأة أخرى لي : والله لن دنت دارنا من أم جحدر لا تيتها ؛ ولأطلبن إيماناً ترد الوصل يبني وينها ، ولئن ردته لا تقضته أبداً .

ولم يكن يوماً حتى رجعوا ، فلما أصبحت غدوت عليهم ، فإذا أنا بيتين نازلين إلى سند^(٦) أبرق طويل ، وإذا امرأتان جالستان في كساء واحد يعن

* الأغاني : ٢ - ٢٧٣

(١) غرضنا : ضجرنا . (٢) الثواء : طول الإقامة . (٣) كان الرماح بن أبرد أشهر غطافان في الجاهلية والإسلام ، عاصر الوليد بن يزيد ومندحه ، وأدرك أول الدولة العباسية ، فدح المنصور وانشهر بنسبةه إلى أمها ميادة . توفي نحو سنة ١٤٠ هـ . (٤) الخلة : الصدقة . (٥) السند : ما ارتفع من الأرض قبل الجبل أو الوادي . والأبرق من الجبال : ما كان له لونان من سواد وبياض .

البيتين ؟ فجئتُ فسلمتُ ؛ فرددتُ إحداها ولم ترد الأخرى ، وقالت : ماجاء بك يارمّاح إلينا ؟ ما كتنا حسِبنا إلا أنه قد انقطع ما بيننا وبينك . قلت : إنّي جعلتُ علىَ نَذْرًا لِئن دَنَتْ بَأْمَ جَحْدَرْ دَارُ لَا تَيْهَا ، ولأطلبَنَّ منها أن تَرُدَّ الوصلَ بيني وبينها ، وثُنَّ هى فعَلَتْ لَا نَفَضَتْهُ أَبْدًا - وإذا التي تكلمني امرأةُ أخيها ، وإذا الساِكِنةُ أُمُّ جَحْدَرْ .

قالت امرأةُ أخيها : فادخل مُقدَّمَ الْبَيْتِ ، فدخلتُ ، وجاءتْ من مؤخره فَدَنَتْ قَلِيلًا ، ثم إذا هي قد بَرَزَتْ ، فساعة بَرَزَتْ جاء غراب فَنَعَبَ عَلَى رأسِ الأَبْرَقِ^(١) ، فنَظَرَتْ إِلَيْهِ ، وشَهَقَتْ وَتَغَيَّرَ وَجْهُهَا ، قَلَتْ : مَا شَانُكْ ؟ قَالَتْ : لَا شَيْءٌ ؛ قَلَتْ : بِاللهِ إِلَّا أَخْبَرْتَنِي ؟ قَالَتْ : أَرَى هَذَا الغَرَابَ يَخْبُرُنِي أَنَا لَا نَجْتَمِعُ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ إِلَّا بِلِدِ غَيْرِ هَذَا الْبَلَدِ ، فَتَقْبَضَتْ نَفْسِي ، ثُمَّ قَلَتْ : جَارِيَةٌ وَاللهِ مَا هِي فِي بَيْتِ عِيَاقةٍ^(٢) وَلَا قِيَاقةٍ^(٣) .

ثُمَّ تَرَوَّحْتُ^(٤) إِلَى أَهْلِي ، فَكَثُتْ عَنْهُمْ يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ غَادِيًّا إِلَيْهَا ، قَالَتْ لِي امرأةُ أخيها : وَيَحْكُ يارمّاح ! أَينْ تَذَهَّبْ ؟ قَلَتْ : إِلَيْكُمْ ، قَالَتْ : وَمَا تَرِيدُ ؟ قَدْ وَاللهِ زُوْجَتْ أُمُّ جَحْدَرْ الْبَارِحةَ ، قَلَتْ : بَنْ ؟ وَيَحْكُ ! قَالَتْ : بَرْجَلْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مِنْ أَهْلِ يَهِيمَا ، جَاءُهُمْ مِنْ الشَّامِ فَخَطَبَهُمْ فَزُوْجَهَا ، وَقَدْ حِلَّتْ إِلَيْهِ !

(١) الأبرق : مكان مرتفع فيه حجارة ورمل وطين . (٢) العيافة : زجر الطير والتفاؤل بأسمائهما وأصواتها ومرها ، المعروف بالعيافة من العرب بنو أسد وبني هب . (٣) القيافة : تتبع الآثار ومعرفتها ، المعروف بالقيافة بنو مدلج . (٤) ترّوحَتْ : سرت في وقت الرواح .

فضيتُ إِلَيْهِمْ فَإِذَا هُوَ قَدْ ضَرَبَ سُرَادِقَاتِ ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَأَنْشَدَهُ ، وَحَدَّثْتُهُ
وَعَدْتُ إِلَيْهِ أَيَامًا ، ثُمَّ إِنَّهُ احْتَمَلَهَا ، فَذَهَبَ بِهَا ؛ فَقَلَتْ :
أَجَارَنَا إِنَّ الْخَطُوبَ تَنُوبُ عَلَيْنَا ، وَبَعْضَ الْآمِنِينَ تُصِيبُ
وَلَكِنْ مَقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ^(١)
صَبُورٌ عَلَى رَبِّ الزَّمَانِ صَلِيبُ^(٢)
رِظِيَاءٌ وَطَيْرٌ بِالْفَرَاقِ نَعُوبُ
لَهَا الطَّيرُ قَبْلِي ، وَاللَّبِيبُ لَيْبُ
جَمِيعِنِ إِلَّا أَنْ يُلْمَ غَرِيبُ
فَقَالَتْ : حَرَامٌ أَنْ نُرَى بَعْدَ هَذِهِ
أَجَارَنَا صَبَرًا ؛ فَيَارُبُّ هَالِكٍ تَقْطَعُ
ثُمَّ انْحدَرْتُ فِي طَلْبِهَا ، وَطَمَعْتُ فِي كُلِّهَا : « إِلَّا أَنْ نَجْتَمِعَ فِي بَلْدِي غَيْرِ
هَذَا الْبَلْدِ » .

فَبَثَتْ فَدُرْتُ الشَّامَ زَمَانًا ، فَتَلَقَّانِي زَوْجُهَا ، فَقَالَ : مَالِكُ لَا تَغْسِلْ ثِيَابَكَ
هَذِهِ ! أَرْسَلْ بِهَا إِلَى الدَّارِ تَغْسِلْ ؛ فَأَرْسَلْتُ بِهَا .

ثُمَّ إِنِّي وَقَتْ أَنْتَظَرُ خَرْوَجَ الْجَارِيَةَ بِالثِّيَابِ ، فَقَالَتْ أَمْ جَحْدِرْ لَجَارِيَهَا :
إِذَا جَاءَ فَأَعْلَمِنِي ؛ فَلَمَّا جَئْتُ إِذَا أَمْ جَحْدِرْ وَرَاءَ الْبَابِ ، فَقَالَتْ : وَيْحَكْ يَارِمَاحِ !
قَدْ كَنْتُ أَحْسَبَ أَنْ لَكَ عَقْلًا ! أَمَا تَرَى أَمْرًا قَدْ حِيلَ دُونَهِ ، وَطَابَتْ أَنْفُسُنَا

(١) عَسِيبٌ : اسْم جَبْل بِعَالِيَّة نَجْد ، يَقَالُ : لَا أَفْعَلْ كَذَا مَا أَقَامَ عَسِيبٌ ، أَى لَا أَفْعَلَهُ أَبْدًا.

(٢) الصَّلِيبُ : الشَّدِيدُ . (٣) ابْنَاتٌ : افْتَطَاعُ . (٤) عَافُ الطَّيرُ : زَجْرُهَا ، وَهُوَ أَنْ يَعْتَدُ
بِأَسْمَائِهَا وَمَسَاقِطِهَا فَيَسْعُدُ أَوْ يَتَشَاءُمُ .

عنه؟ انصرف إلى عشيرتك فإني أستحيي لك من هذا المقام . فانصرفت
وأنا أقول :

عسى إلن حججنا أن نرى أم جحدر
ويجمعنا من نخلة بين ^(١) طريق
ونصطلك أعضاد المطى وينتنا
حديث مسر دون كل رفيق ^(٢)

(١) النخلتان : واديان .

(٢) في البتين إقواء .

٧٨ - نَخْلَتَ حُلوَانَ

قال مُطِيع^(١) بن إِيَّاسٍ : كَفَتْ بِالرَّى^(٢) مَعَ سَالِمَ بْنَ قُتْبَيْةَ ، وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ
يَقَالُ لَهَا جُودَانَةٌ .

وَكَنْتُ أَتَعْشَقُ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ الدَّهَاقِينَ^(٣) ، كَفَتْ نَازِلًا إِلَى جَنْبِهِ فِي دَارِهِمَا ،
فَلَمَّا خَرَجْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ - كَتَبَ الْمُنْصُورُ إِلَى سَالِمَ يَأْمُرُهُ بِاسْتِخْلَافِ
رَجُلٍ عَلَى عَمَلِهِ وَالْقُدُومِ عَلَيْهِ فِي خَاصَّتِهِ عَلَى الْبَرِيدِ ، فَأَمْرَنَى سَالِمَ بِالثُّرُوجِ مَعَهُ ،
فَاضْطُرَرَتْ إِلَى بَيْعِ الْجَارِيَةِ ، فَبَعُثُّهَا ، ثُمَّ نَدِمَتْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى خَرْوَجِيِّهِ ، وَتَنَيَّتْ
أَنْ أَكُونَ أَقْمَتْ .

ثُمَّ نَزَلَتْ حُلوَانَ^(٤) ، فَجَلَسَتْ عَلَى الْعَقَبَةِ أَنْتَظَرَ ثَقَلَى ، وَعِنَانُ دَابِتِي فِي يَدِي ،
وَأَنَا مُسْتَنِدٌ إِلَى نَخْلَةِ الْعَقَبَةِ ، وَإِلَى جَانِبِهَا نَخْلَةٌ أُخْرَى ، فَذَكَرَتُ الْمَرْأَةَ وَاشْتَقَّتُهَا
وَقُلْتَ :

أَسْعِدَانِي يَا نَخْلَقِي حُلوَانَ وَابْكِيَا لِي مِنْ رَبِّ هَذَا الزَّمَانِ
وَاعْلَمَا أَنَّ رَبِّيَّهُ لَمْ يَرِزِّلْ يَفْرَقْ بَيْنَ الْأَلَافِ وَالْجِيرَاتِ
وَلَعْمَرِي لَوْ ذُقْتُمَا أَلَمَ الْفُرْ^٠ قَةُ أَبْكَا كَمَا الَّذِي أَبْكَانِي

* معجم البلدان : ٣ - ٣٢٣ ، الأغاني : ١٢ - ١٠٣ *

(١) مطيع بن إِيَّاسٍ : عَربِيُّ الأُصْلِ يَرْجُمُ نَسْبَهُ إِلَى كَنَانَةَ ، عَاصِرُ الدُّولَتَيْنِ : الْأُمُوْرِيَّةِ وَالْعَبَاسِيَّةِ ،
كَانَ مَاجِنَا خَلِيلًا ظَرِيفًا مُلِيقَ النَّادِرَةِ . وَلَكِنَّهُ مُتَهَمٌ بِالْزِنْدَقَةِ وَالْفَجُورِ ، تَوْفِيقَ سَنَةِ ١٦٦ هـ .

(٢) الرَّى : مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ بِيَلَادِ الْجَبَالِ ؛ تَخْرُجُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ عَظَمَاءِ السَّلَمِينِ . (٣) الْدَّهَاقَانُ :
الْتَّاجِرُ ، وَزَعْمُ فَلَاحِي الْعَجَمِ ، وَرَئِيسُ الْإِقْلِيمِ (مَعْرُوبٌ) وَجَمِيعُهُ دَهَاقِينٌ . (٤) حَلوَانَ : مَدِينَةٌ
كَانَتْ مُشْهُورَةً بِالْعَرَاقِ ، وَهِيَ غَيْرُ حَلوَانَ مَصْرُ ..

أَسْعِدَانِي وَأَبْقِنَا تَحْسَمًا
 سُوفَ يَلْقَاكَ فَتَفَرَّفَان
 كَمْ رَمْتَنِي صَرْوَفُ هَذِي الْلَّيْلَى
 بِفَرَاقِ الْأَحْبَابِ وَالْخَلَانِ
 غَيْرُ أَنِّي لَمْ تَلْقَ نَفْسِي كَالَا
 قَيْتُ مِنْ فُرْقَةِ ابْنَةِ الدَّهْقَانِ
 جَارَةَ لِي بِالرَّأْيِ تَذَهَّبُ هَمَّيِّ
 وَيُؤْسِأَ لِي دُنُوْثَهَا أَحْزَانِي
 فَجَعَنِي الْأَيَامُ أَغْبَطُ مَا كُنْتُ بِصَدْعٍ لِلَّبَنِ غَيْرِ مُدَانِي
 وَبِرَغْمِي أَنْ أَصْبَحَتْ لَا تَرَاهَا الْمِينُ مِنِّي وَأَصْبَحَتْ لَا تَرَانِي
 إِنْ تَكُنْ وَدَعْتَ قَدْ تَرَكْتَ بِي
 لَهَبَّاً فِي الضَّمِيرِ لِيَسْ بِوَانِ
 كَحْرِيقِ الْفَرَامِ فِي قَصَبِ الْفَرا
 بِرَمَّةِ رِيحَانِ مُخْتَلِفَانِ^(١)
 وَسَمِعْنِي سَالِمَ قَالَ : وَيْلَكَ ! فَيَمِنْ هَذِهِ الْأَيَّاتِ ؟ أَفِي جَارِيَتَكِ ؟ فَاسْتَحِيَّتِ
 أَنْ أَصْدِقَهُ فَقَلَّتْ : نَعَمْ .

فَكَتَبَ مِنْ وَقْتِهِ إِلَى خَلِيفَهُ أَنْ يَتَقَاعِدَ إِلَيْهِ ، فَلَمْ أُلْبِثْ أَنْ وَرَدَ كِتَابَهُ : إِنِّي
 وَجَدْهَا قَدْ تَداوَلُهَا الرِّجَالُ فَعَزَّفَتْ نَفْسِي عَنْهَا .

(١) روی أن المهدی قال : قد أكثر الشعراء في نخلتي حلوان ، ولهمنت أن آمر بقطعهما ،
 بلع قوله النصور ، فكتب إليه : بلغني أنك هممت بقطع نخلتي حلوان ، ولا فائدة لك في قطعهما ،
 ولا ضرر عليك في بقائهما ، فأنا أعيذك بالله أن تكون النحس الذي يلقاها فترى بينهما .

* ٧٩ - وَارَاحْتَا لِلعاشِقِينَ!

قال الجاحظ^(١) : ذُكِرَتْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَوْكِلُ لِتَأْدِيبِ بَعْضِ وَلَدِهِ ، فَلَمَّا
رَأَيْتَ إِسْتَبَشَّعَ مَنْظَرِي ، فَأَمْرَلَ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَصِرْفَنِي .

وَخَرَجَتْ مِنْ عَنْدِهِ ، فَلَقِيتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ يُرِيدُ الْانْصَارَفَ إِلَى مَدِينَةِ
السَّلَامِ ، فَعَرَضَ عَلَىَّ الْخُرُوجَ مَعَهُ ، وَالْأَنْخَادَارَ فِي حَرَاقَتِهِ^(٢) ، فَرَكِبْنَا فِيهَا ، فَلَمَّا
أَتَيْنَا فَمَّ نَهْرَ الْقَاطُولِ^(٣) ، وَخَرَجْنَا مِنْ سَامِرَاءَ^(٤) نَصَبَ سِتَّارَتِهِ ، وَأَمْرَرَ بِالْفَنَاءِ ،
فَانْدَفَعَتْ عَوَادَةُ فَقَنَتْ :

كُلُّ يَوْمٍ قَطِيعَةٌ وَعَتَابٌ يَنْقُضُ دَهْرَنَا وَنَحْنُ غَضَابٌ
لَيْتَ شِعْرِي أَنَا خُصُصْتُ بِهَذَا دُونَ ذَا الْخُلُقِ أَمْ كَذَا الْأَحَبَابُ !

وَسَكَتَتْ ، فَأَمْرَ الطَّنْبُورِيَّةُ فَقَنَتْ :

وَرَاحْتَا لِلعاشِقِينَ ! مَا إِنْ أُرِي لَهُمْ مُعِينَ !
كَمْ يُهْجَرُونَ وَيُصَرَّمُونَ ! نَوْيَقَطُمُونَ فَيَصِرُّونَا !

* المسعودي : ٢ - ٣٧٨ ، نهاية الأرب : ٢ - ١٩٥

(١) هو أبو عثمان عمرو بن بحر ، وعرف بالجاحظ لمحوظ عينيه ، كان إمام الأدباء في العصر العباسي ، وله أساليب ومذاهب وأراء في الأدب واللغة ، خاصة به ، ومؤلفاته كثيرة ، وتوفي سنة ٢٥٥ هـ . (٢) الحرقة : نوع من السفن . (٣) القاطول : نهر يتفرع من دجلة ، حفره الرشيد . (٤) بلد على نهر دجلة بناء المقصم سنة ٢٢١ هـ ، حينما ضاقت بغداد بأهلها .

فقالت هذه العَوَادَةُ : فِي صنْعُونَ مَاذَا ؟ قالت : هَكُذا يَصْنَعُونَ ، وَضَرَبَتْ
بِيدهَا إِلَى السَّتَّارَةِ فَهَبَكَتْهَا ، وَبَرَزَتْ كَأْنَهَا فِلْقَةُ قَرْ ، فَرَجَتْ بِنَفْسِهَا إِلَى الْمَاءِ ،
وَعَلَى رَأْسِ مُحَمَّدٍ غَلَامٌ يُضَاهِيهَا فِي الْجَالِ ، وَبِيَدِهِ مِذَبَّةٌ ، فَأَتَى الْمَوْضِعَ ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا ،
وَهِيَ تَمَرَّ بَيْنَ الْمَاءِ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَنْتِ الَّتِي غَرَّقْتِنِي بَعْدَ الْقَضَائِي لَوْ تَعْلَمِينَا
وَزَاجَ بِنَفْسِهِ فِي أَثْرِهَا ، فَأَدَارَ الْمَلَاحَ الْخَرَّافَةَ ، فَإِذَا بِهِمَا مُعْتَنِقَانَ ، ثُمَّ غَاصَا
فِي الْمَاءِ !

فَهَالَ مُحَمَّدًا ذَلِكَ وَاسْتَعْظَمْهُ وَقَالَ : يَا عَمْرُو ، لَتَحْدِثَنِي حَدِيثًا يُسْلِيَنِي عَنْ فَقْدِ
هَذِينَ ؛ وَإِلَّا أَلْحَقْتُكَ بِهِمَا .

فَخَضَرَنِي حَدِيثُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقَدْ قَدِدَ لِلْمَظَالِمِ ، وَعَرَضَتْ عَلَيْهِ
القصصُ ، فَرَأَتْ بِهِ قَصْصَةً فِيهَا : « إِنَّ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - أَعْزَهُ اللَّهُ - أَنْ يَخْرُجَ
جَارِيَتَهُ فُلَانَةً حَتَّى تَغْيِيْنِي ثَلَاثَةَ أَصْوَاتٍ فَعَلَ » ؛ فَاغْتَاظَ يَزِيدُ ، وَأَمْرَ مَنْ يَخْرُجُ
إِلَيْهِ ، وَيَأْتِيهِ بِرَأْسِهِ ، ثُمَّ أَمْرَ أَنْ يَتَبعَ الرَّسُولَ بِرَسُولٍ آخَرَ يَأْمُرُهُ أَنْ يُدْخِلَ إِلَيْهِ
الرَّجُلُ ؛ فَلَمَا وَقَفَ بَيْنَ يَدِيهِ قَالَ لَهُ : مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : الْفَتَّةُ
بِحَلْمِكَ ، وَالْأَتْكَالُ عَلَى عَفْوِكَ . فَأَمْرَهُ بِالْجَلوْسِ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي أُمَّيَّةِ
إِلَّا خَرَجَ ، ثُمَّ أَمْرَ فَأَخْرَجَتِ الْجَارِيَةِ وَمَعَهَا عُودَهَا ، قَالَ لَهَا الْفَتَّةُ غَنِيَّ :
أَفَاطَمْ مَهَلًا بَعْضَ هـذا التَّدَلِيلِ وَإِنْ كُنْتِ قدْ أَزْمَعْتِ صَرْنَمِيْ فَأَنْجِلِيْ
فَفَنَّتَهُ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : قَلْ ، قَالَ : غَنِيَّ :

تَأْلِقُ الْبَرَقَ نَجْدِيًّا قُلْتَ لَهُ يَا إِلَيْهَا الْبَرَقُ ؟ إِلَى عَنْكَ مَشْغُولٌ

فُعْنَتْهُ ، قَالَ : قَلَ ، قَالَ : تَأْمِرُ لِي بِرْطَلَ تَخْرُجُ ، فَمَا اسْتَمِ شَرَابَهُ حَتَّى وَثَبَ
وَصَدَ عَلَى أَعْلَى قَبْةِ لِيَزِيدَ ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ عَلَى دَمَاغِهِ فَمَاتَ !

قَالَ يَزِيدَ : إِنَّ اللَّهَ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! أَتَرَاهُ الْأَحْقَى الْجَاهِلُ ظَنَ أَنِّي أَخْرَجَ
إِلَيْهِ جَارِيَتِي وَأَرْدَهَا إِلَى مَالِي ، يَا غَلَمانَ : خَذُوا بِيَدِهِ ، وَاحْمَلُوهَا إِلَى أَهْلِهِ إِنْ كَانَ
لَهُ أَهْلٌ ، وَإِلَّا فَبِيَعُوهَا وَتَصْدِقُوهَا بِشَمْنَهَا عَنْهُ .

فَانْطَلَقُوا بِهَا ، فَلَمَّا تَوَسَّطَ الدَّارُ ، نَظَرَتِ إِلَى حُفْرَةٍ فِي دَارِ يَزِيدَ قَدْ أُعِدَّتْ
لِلْمَطْرِ ، فَجَذَبَتِ نَفْسُهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ ، وَأَنْشَأَتْ تَقُولَ :

مَنْ مَاتَ عِشْقًا فَلَمَيْتَ هَكَذَا ! لَا خَيْرٌ فِي عِشْقٍ بِلَا مَوْتٍ

ثُمَّ زَجَّتِ بِنَفْسِهَا عَلَى دَمَاغِهِ فَمَاتَ .

فَسَرَّى عَنْ مُحَمَّدَ ، وَأَخْسَنَ صَلَاتِي .

٨٠ — الله يعلم أنني كمِد

قال أبو العباس المبرد^(١) : دخلتُ في حداثي أنا وصديق لي من أهل الأدب إلى دَيْرٍ لننظر إلى مجانين وصِفُوا لنا فيه ، فرأيتُ منهم عجائب ، حتى انتهينا إلى شاب جالس حَجْرَةً^(٢) منهم ، نظيف الوجه والثياب على حصير نظيف ، بيده مرآة ومشط وهو ينظر في المرآة ، وبُسْرَح لحيته ، فقلت : ما يُقْعِدُكَ ها هنا وأنت مُبَيِّن^(٣) لهؤلاء ؟ فرفع طرفاً وأمال آخر وأنشأ يقول :

الله يعلم أنني كمِد لا أستطيع أبُث ما أجد
نَفَسَانَ لِي : نَفْسٌ تَضَمَّنَهَا بَلْ وَأَخْرَى حَازَهَا بَلْ
وَأَرَى الْمَقِيمَةَ لِيْسَ يَنْفَعُهَا صَبَرْ وَلَا يَقْوِيْهَا جَلَدْ
وَأَظْلَنْ غَائِبَتِي كَشَاهِدِي فَكَانَهَا تَجْدُ الدِّيْنَ أَجْدُ

فقلت له : أراك عاشقاً . قال : أجل ، قلت : لِمَنْ ؟ قال : إِنَّكَ لَسَئُول ! قلت : محسنٌ إِنْ أَخْبَرْتَ . قال : إِنَّ أَبِي عَقْدَلَى عَلَى ابْنَةِ عَمٍّ لِي فَتُوقُّفُ قَبْلَ أَنْ تُزْفَ إِلَيَّ ، وَخَافَ لِي مَا لَا عَظِيمًا ، فَقَبضَ عَمِّي عَلَى جَمِيعِ الْمَالِ ، وَحَبَسَنِي فِي هَذَا الدَّيْرِ ، وَزَعَمَ أَنِّي مَجْنُونٌ ، وَقَيْمَ الدَّارِ فِي خَلَالِ ذَلِكَ يَقُولُ لَنَا : احذروه فَإِنَّهُ الْآنَ يَتَغَيِّرُ . ثم قال لي : بِالله أَنْشَدْنِي شَيْئًا ، فَإِنِّي أَظْنَنُكَ مِنْ أَهْلِ الْأَدْبَرِ ، فقلت : لرفيقِي :

* أمالى الزجاجى : ١٠٥ ، نهاية الأرض : ٢ - ١٩٠

(١) هو أبو العباس محمد بن يزيد ، كان في عصره شيخ أهل النحو والعرية ، وإليه انتهى علمهما ، وكان قوى الذاكرة حسن العبارة ، فصيبح اللسان ، توفي سنة ٢٧٥ هـ . (٢) حجرة : ناحية .

(٣) مُبَيِّن : مغایر .

أنشدَهُ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

قبلت فاما على خوفٍ مُخالسةَ
ماذا على رصدٍ^(١) في الدار لو غفلوا
غُصّي جفونكِ عن وانظرى أمّا^(٢)
قال لي : أبو من أنت ؟ جعلت فداك ! قلت : أبو العباس ، قال : يا أبو
العباس : أنا وهذا الفتى في طرفيين ؟ هذا مجاورٌ من يهواه ، مستقبل لما يناله منه ،
وأنا ناءٌ مقصىٌ ، فبِاللهِ أَنْشَدْنِي أَنْتَ شِيتَا ، فلم يحضرني غير قول ابن أبي ربيعة :
قالت سُكينة والدموعُ ذوارفٌ
لَيْتَ الْمُغَيْرَى الَّذِي لَمْ أَجِزْهُ
كَانَتْ تَرَدْ لَنَا الْمَنْيَ أَيَامُنَا
خُبْرُتُ مَا قَالَتْ فَبَتَ كَانُنَا
أَسْكَنْنَيْنَ مَا مَاءَ الْفُرَاتِ وَطَيْبُهُ
بِالَّذِي مِنْكَ وَإِنْ تَأْتِيَ وَقْلُنَا
نَمْ قَلْتَ لَهُ : أَنْشِدْنَا شِيتَا آخِرَ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَبِنْ لِي أَيْهَا الطَّلْلُ
 عَنِ الْأَحْبَابِ مَا فَعَلُوا
 تَرِى سَارُوا ؟ تَرِى زَلُوا
 بِأَرْضِ الشَّامِ أَوْ رَحْلُوا ؟
 فَقَالَ لَهُ رَفِيقٌ - مَجْوَنًا وَلَعْبًا : مَاتُوا ، فَقَالَ : وَيْلَكَ ! مَاتُوا ؟ فَقَالَ : نَعَمْ !
 مَاتُوا ، فَاضطُرِبَ وَاحْمَرَتْ عَيْنَاهُ ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ بِرَأْسِهِ الْأَرْضَ ، وَيَقُولُ : وَيْلَكَ !
 مَاتُوا ؟ حَتَّى هَالَنَا أَمْرُهُ ، وَانصَرَفَنَا عَنْهُ ، ثُمَّ عَدْنَا بَعْدَ أَيَّامٍ فَسَأَلَنَا صَاحِبُ الدِّيرِ ،
 فَقَالَ : مَا زَالَتْ تِلْكَ حَالَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ .

(١) الرصد : الراصدون ، أى المراقبون . (٢) الأمم : اليهود .

* ٨١ - في دار المجنين

قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : ذُكِرتْ لِمَتْوَكِلْ مَنْازِعَةً جَرْتْ يَسْعِي
وَبَيْنَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ فِي تَأْوِيلِ آيَةِ ، وَتَنَازُعِ النَّاسِ فِي قِرَاءَتِهَا ، فَبَعْثَ إِلَى مُحَمَّدِ
ابْنِ الْقَاسِمِ - وَكَانَتْ إِلَيْهِ الْبَصْرَةُ ، فَحَمَلَنِي إِلَيْهِ مَكْرَمًا .

فَلَمَّا اجْتَزَتْ بِنَاحِيَةِ النَّعْمَانِ بَيْنَ وَاسْطِ وَبَغْدَادِ ، ذُكِرَ لِي أَنْ يَدِيْرُ هَرْقَلَ
جَمَاعَةً مِنَ الْمَجَانِينَ يَعْلَجُونَ ، فَلَمَّا حَادَ يَتَهُ دَعَتْنِي نَفْسِي إِلَى دُخُولِهِ ؛ فَدَخَلْتُهُ وَمَعِي
شَابٌ مِنْ يُرْجَمَ إِلَيْهِ فِي دِينِ وَأَدَبِ ، فَإِذَا أَنَا بِمَجَانِينَ مِنَ الْمَجَانِينَ قَدْ دَنَى إِلَيَّ ؛ فَقَلَتْ :
مَا يُقْدِعُكَ بِيَنْهُمْ ، وَأَنْتَ بِائِشٌ عَنْهُمْ ؟ فَكَسَرَ جَفْنَهُ وَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ^(١) وَأَنْشَأَ يَقُولَ :

إِنْ وَصَفْوَنِي فَنَاهِلُ الْجَسْدِ أَوْ فَتَشُونِي فَأَيْضُ الْكَبْدِ
أَضْعَفَ وَجْدِي وَزَادَ فِي سُقْمِي أَنْ لَسْتُ أَشْكُو الْمَوْى إِلَى أَحَدِ
وَضَعَتْ كَفِي عَلَى فَرَادِي مِنْ حَرَّ الْأَسْى ، وَانْطَوَيَتْ فَوْقَ يَدِي
آهِ مِنَ الْحَبِ آهِ مِنْ كَبْدِي إِنْ لَمْ أَمْتَ فِي غَدِ فَبَعْدَ غَدِ
كَلْنَ قَلِي إِذَا تَذَكَّرُهُمْ فَرِيسَةٌ بَيْنَ سَاعِدَيْ أَسْدِ
فَقَلَتْ : أَحْسَنْتَ ، اللَّهُ دَرَّكَ ! زِدْنِي ، فَأَنْشَأَ يَقُولَ :

مَا أَقْتَلَ الْبَيْنَ لِلنَّفُوسِ ! وَمَا أَوْجَمَ قَدَ الْحَبِيبِ لِلْكَبْدِ !
عَرَضَتْ نَفْسِي مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا أَسْرَفَ فِي مُهْجَتِي وَفِي جَلْدِي
يَا حَسْرَتِي أَنْ أَمُوتَ مَعْقِلًا بَيْنَ اِعْتَلَاجِ الْهَمُومِ وَالْكَمَدِ

* المسعودي : ٢ - ٣٨١

(١) العقيرة : الصوت .

فقلت : أَحْسَنْتُ ، لَا فُضُّلَّ فُوكَ إِزِدْنِي ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

الله يعْلَمُ أَنِّي كَدَّ	لَا أَسْتَطِيعُ أَبْثُ مَا أَجَدَّ
نَقْسَانَ لِي : نَفْسٌ تَضَمَّنَهَا	بَلْدٌ وَآخْرَى حَازَهَا بَلْدٌ
وَأَرَى الْمَقِيمَةَ لَيْسَ يَنْفَعُهَا	صَبْرٌ ؛ وَلِيْسَ يُعِينُهَا جَلَدٌ
وَأَظْنَ غَائِبَتِي كَشَاهِدَتِي	فَكَانَهَا تَجِدُ الَّذِي أَجَدَّ

فقلت : وَالله لَقَدْ أَحْسَنْتَ . فَاسْتَزَدْتُهُ ، فَقَالَ : أَرَاكَ كَلَا أَنْشَدْتُكَ اسْتَزَدْتُنِي ،
وَمَا ذَاكَ إِلَّا لَفَرْطٌ أَدْبٌ ، وَفَرَاقٌ شَجَنٌ ، فَأَنْشَدْنِي أَنْتَ أَيْضًا ، فَقُلْتُ لِلَّذِي مَعِي :
أَنْشَدْهُ ؟ فَأَنْشَدْ يَقُولُ :

عَذْلٌ وَبَيْنٌ وَتَوْدِيعٌ وَمُرْتَحِلٌ	أَيِّ الْعَيْوَنَ عَلَى ذَا لَيْسَ تَنْهَمْلُ ؟
تَالَّهُ مَا جَلَدَى مِنْ بَعْدِهِمْ جَلَدٌ	وَلَا اخْتِزَانٌ دَمْوعَى عَنْهُمْ بُخْلٌ
وَدَدَتُ أَنَّ الْبَحَارَ السَّبْعَ لِي مَدَدٌ	وَأَنَّ جَسْمِي دَمْوعَ كَلْهَا هَمَلٌ
وَأَنَّ لَيْ بَدَلَّا مِنْ كُلِّ جَانِحَةٍ	فِي كُلِّ جَارِيَةٍ يَوْمَ النَّوْى مُقْلٌ
لَا دَرَّ دَرَّ النَّوْى لَوْ صَادَفْتُ جَبَلًا	لَا نَهَدَّهُ مِنْهَا وَشِيكًا ذَلِكَ الْجَبَلُ
الْهَجَرُ وَالْبَيْنُ وَالْوَاشُونُ وَالْإِبَلُ	طَلَامُ يَتَرَاءَى أَنْهَا الْأَجَلُ

فَقَالَ الْمَجْنُونُ : أَحْسَنْتَ ! وَقَدْ حَضَرَنِي فِي مَعْنَى مَا أَنْشَدْتَ إِلَيَّ شِعْرًا ،
أَفَأَنْشَدْهُ ؟ قَلْتُ : هَاتُ ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

تَرَحَّلُوا ثُمَّ نِيَطْتُ دُونَهُمْ سُجْفُ	لَوْ كَنْتُ أَمْلَكُهُمْ يَوْمًا لَمَارَ حَلَوَا
يَا حَادِيَ الْعَيْسَ ، مَهْلَا كَيْ نُودِعُهَا	رَفَقًا ؛ قَلِيلًا ؛ فَنِي تَوْدِيهَا الْأَجَلُ

ماراعنِي اليوم شئٌ غير فقدمه حتى استقلت وطال الدهر ، ما فعلوا
 فقال الفتى الذي معى : ماتوا ، فقال المجنون : آه ، آه ! إن ماتوا فسوف أموت ؟
 وسقطَ ميتاً ، فما برحَتْ حتى غسلَ وَكفن ؛ وصليت عليه ودفنته .
 ووردتُ مُرّة منْ رأى ، فأدخلت على المتكوك ؛ فسئلت عن بعض ما وردت له
 فأجبت ، وبين يدي المتكوك البحترى الشاعر ؛ فابتداً ينشده قصيدة يمدحه بها ،
 وفي المجلس أبو العنبس الصيمري^(١) فأنشده البحترى :

عنْ أَىْ لَفْرٍ تَبَسَّمْ	وَبَأْيِ طَرْفٍ تَحْتَكُمْ
حَسَنٌ يَضْعِيْ بِحَسْنِهِ	الْحَسْنُ أَشْبَهُ بِالْكَرْمِ
يَا بَانِيَ الْمُجْدِ الدَّى	قَدْ كَانَ قُوْضَ قَانِهَدَمْ
اسْمُ لَدِينِ مُحَمَّدٍ	فَإِذَا سَلَّمَتْ قَدْ سَلَّمْ
نِلَنَا اُهْلَدَىْ بَعْدَ الْعَدْمِ	بَكْ وَالْغَنِيْ بَعْدَ الْعَدْمِ

فَلَمَّا انتهى مشى القهقري للانصراف ، فوثب أبو العنبس ؛ فقال : يا أمير
 المؤمنين ؟ تأمر برده ؟ فقد - والله - عارضته في قصيده هذه !

فَأَمْرَ بِرَدَه ، فَأَخْذَ أَبُو الْعَنْبَسَ يَنْشُدْ :	
مِنْ أَىْ سَلْحٍ تَلْقَمْ	وَبَأْيِ كَفٍ تَلْقَطِمْ
أَدْخَلَتْ رَأْسَ الْبَحْتَرِيَّ	أَبِي عَبَادَةَ فِي الرَّحِيمِ

(١) محمد بن إسحاق بن إبراهيم الصيمري ، نديم المتكوك ، كان أدبياً ظريفاً عارفاً بالنجوم شاعراً
 بلهاء ، وهو من أهل الكوفة ، ولـ قضاة الصيمرة فنسب إليها . توفي سنة ١٧٥ هـ .

ووصل ذلك بما أشبهه من الشتم ، فضحك المتسوك حتى استلقى على قفاه ،
وخص برجله اليسرى ، وقال : يُدفع إلى أبي العنبس عشرة آلاف درهم ؟
قال الفتح : يا سيدى ، البحترى الذى هُجِي وأسمع المكروه ينصرف خائباً !
قال : ويُدفع إلى البحترى عشرة آلاف درهم ؟ قال : يا سيدى ، وهذا البصرى
الذى أشْخَصَنَا من بلده لا يشركهم فيما حصلوه ؟ قال : ويُدفع إليه عشرة
ألف درهم ! فانصر فنا كلنا في شفاعة الهرزل ، ولم ينفع البحترى جده واجتهاده
وحزمه .

ثم قال التوكيل لأبي العنبس : أخبرني عن حمارك ووفاته ، وما كان من شعره
في الرؤيا التي رأيتها ! قال : نعم يا أمير المؤمنين ؟ كان أعقل من القضاة ، ولم
يكن له جريمة ولا زلة ، فاعتقل على غفلة ، فمات منها ، فرأيته فيها يرى النائم
فقلت له : يا حمارى ؟ ألم أبزد لك الماء ، وأنق لك الشعير ، وأحسن إليك
جهدى ؟ فلم مت على غفلة ! وما خبرك ؟ قال : نعم ! لما كان في اليوم الذى
وقفت على فلان الصيدلاني تُسلّمه في كذا وكذا ، مررت بي أتان
حسناه ، فرأيتها فأخذت بمجامع قلبي فمشقتها واشقد وجدي بها ، فت كذا
متاسفا . قلت له : يا حمارى ؟ فهل قلت في ذلك شعرا ؟ قال : نعم ،
وانشدني :

هـام قلـي بـأثـانـي عـنـدـ بـابـ الصـيدـلـانـي
تـيمـقـنـى يـوـمـ رـخـنـا بـثـانـيـاـهاـ الـخـسـانـاـ

وَبِخَدْرٍ ذِي دَلَالٍ مُشْلَحَ الشَّنْفِرَانِي
فَبِهَا مِتَّ وَلَوْ عَشَتْ إِذْنَ طَالَ هَوَانِي

قلت : يا حمار ! فما الشنفراني ؟ فقال : هذا من غريب الحمير ؟ فطرب
التوكل وأمر الملهين والمعنين أن يغثوا ذلك اليوم بشعر الحمار، وفرح في ذلك اليوم
فرحاً وسروراً لم يُرَ مِثْلَه، وزاد في تكرمة أبي العنليس وجائزته .

* ٨٢ — عتاب

قال أبو الحسن البيهقي :

يَبْنَا أَنَا وَصَدِيقٌ لِي مِنْ قُرَيْشٍ نَمْشِي بِالْبَلَاطِ^(١) لِيَلَّا ، إِذَا بَظَلَّ نِسْوَةً فِي
القَمَرِ ؛ فَسَمِعَتُ إِحْدَاهُنَّ تَقُولُ : أَهُوَ هُوَ ! فَقَالَتْ لَهَا أُخْرَى مَعْهَا : إِنَّ اللَّهَ إِنَّهُ
لَمْ يَهُوَ ! فَدَنَتْ مِنِّي ثُمَّ قَالَتْ : يَا كَهْلُ ، قُلْ لَهُذَا الَّذِي مَعَكَ :
لَيْسْتُ لِيَالِيكَ فِي خَارِجٍ^(٢) بِعَائِدَةٍ كَمَا عَهَدْتَ وَلَا أَيَامَ ذِي سَلَمَ^(٣)
فَقَلَتْ : أَجِبْ . فَقَدْ سَمِعْتَ . فَقَالَ : قَدْ وَاللَّهِ قُطِعَ بِي وَأَرْجُحُ عَلَيْهِ فَأَجِبْ
عَنِي ، فَقَلَتْ : .
فَقَلَتْ لَهَا يَا عَزَّ كُلُّ مَصِيَّةٍ إِذَا وُطِنَتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ
ثُمَّ مَضِيَّنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِمَفْرِقِ طَرِيقَيْنِ مَضِيَّنِي الْفَتَى إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَمَضِيَّنِي إِلَى
مَنْزِلِهِ ، فَإِذَا أَنَا بِجُوَيْرِيَّةِ تَجْذِبِ رَدَائِيْ ، فَالْتَّفَتْ ، فَقَالَتْ لِي : الْمَرْأَةُ الَّتِي كَلَّتْهَا
تَدْعُوكَ ، فَضَيَّنِتُ مَعْهَا حَتَّى دَخَلْتُ دَارًا وَاسْعَةً ، ثُمَّ صَرَّتْ إِلَيْيَّ بَيْتٍ فِيْهِ حَصِيرٌ ،
وَقَدْ ثَنَّتْ لَيْ وَسَادَةٌ فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا . ثُمَّ جَاءَتْ جَارِيَّةٌ بِوَسَادَةٍ مَتَّنِيَّةٌ فَطَرَحَتْهَا ،
ثُمَّ جَاءَتْ الْمَرْأَةُ فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ لِي : أَنْتَ الْجَيْبُ ، قَاتُ : نَعَمْ ، قَالَتْ :

* الأَغْنَى : ٢ - ٥٨

(١) الْبَلَاطُ : مَكَانٌ بِالْمَدِينَةِ . (٢) مَوْضِعٌ يُقَالُ لَهُ : رَوْضَةُ خَارِجٌ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ .

(٣) ذُو سَلَمَ : مَوْضِعٌ .

ما كان أَفْظَّ جوابك وأَغْلَظَه ! فقلت لها : ما حضرني غيرُه ، فسكتت ، ثم قالت : لا ، والله ما خلق الله خلقاً أَحَبَّ إِلَيَّ من إِنْسَانٍ كَانَ مَعَكَ ! فقلت لها : أنا الضامِنُ لِكَ عَنْهُ مَا تَحْبِبُين ، فقالت : هَيَّاهاتَ أَنْ يَقْعُدَ بِذَلِكَ وَفَاءِ ! فقلت : أَنَا الضامِنُ وَعَلَى أَنْ آتَيَكَ بِهِ فِي الْلَّيْلَةِ الْمُقْبَلَةِ .

فَانْصَرَفْتُ فَإِذَا الْفَتَى يَبَابِي ، فقلت : ما جاء بك ! قال : ظننتُ أَنَّهَا سَتَرْسِيلُ إِلَيْكَ ، وَسَأَلْتُ عَنْكَ فَلَمْ أَعْرِفْ لَكَ خَبْرًا ، فَظَنَنْتُ أَنَّكَ عَنْدَهَا ، فَجَلَسْتُ أَنْتَ تَظَارُكَ ، فقلت له : وقد كَانَ الَّذِي ظننتَ ، وَقَدْ وَعَدْتُهَا أَنْ آتَيَكَ فَأَمْضِيَ بِكَ إِلَيْهَا فِي الْلَّيْلَةِ الْمُقْبَلَةِ .

فَلَمَّا أَصْبَحَنَا تَهِيَّأْنَا وَاتَّهَظَنَا الْمَسَاءُ ، فَلَمَّا جَاءَ اللَّيلُ رَحَلْنَا إِلَيْهَا ، فَإِذَا الْجَارِيَةُ مُنْتَظَرَةٌ لَنَا ، فَهَضَتْ أَمَامَنَا حِينَ رَأَتْنَا حَتَّى دَخَلْتُ تَلْكَ الْمَدَارَ وَدَخَلْنَا مَعْمَـا ، فَإِذَا رَائِحَةُ طَبِيعَةٍ وَمَجْلِسٌ قَدْ أُعِدَّ وَنُضِدَّ ، فَجَلَسْنَا عَلَى وَسَائِدٍ قَدْ تُنِيَّتْ لَنَا ، وَجَلَسْتُ مَلِيَّاً نَمْ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ ، فَعَاتَبَتْهُ ثُمَّ قَالَتْ :

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَقْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشَمْتَ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلْوُمُ
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي لَمْ غَرَضاً أَرْمَى وَأَنْتَ سَلِيمُ
فَلَوْ كَانَ قَوْلٌ يَكْلُمُ الْجَلَدَ قَدْ بَدَا بِحِلْدِيَّ مِنْ قَوْلِ الْوَشَّاءِ كُلُومُ
ثُمَّ سَكَتَتْ وَسَكَتَتِ الْفَتَى هُنْيَّهَةً ثُمَّ قَالَ :

غَدَرْتَ وَلَمْ أَغْدِرْ وَخُنْتَ وَلَمْ أَخُنْ وَفِي بَعْضِ هَذَا لِلْمَحْبَّ عَزَاءَ
فَجَبَكَ مِنْ قَلْبِي إِلَيْكَ أَدَاءَ^(١) جَزِيْتُكَ ضَعْفَ الْوَدِّ ثُمَّ صَرَّمْتَنِي

(١) أَدَاءٌ تَأْدِيَةٌ : أَوْصَلَهُ وَقْدَاهُ ، وَالْأَسْمَاءُ الْأَدَاءُ .

قالت التفتت إلى قالت : ألا تسمع ما يقول أقد خبرتُكَ ، فَقَمْرُتُهُ أَنْ كُفَّ

فَكَفَّ ، ثم أقبلت عليه وقالت :

تماهلت وَصْلِي حين جَدَت^(١) عَمَّا يَقِي فهلا صرمتَ الحبل إذ أنا أَبْصِرُ

ولي من قوَى الْحَبْلِ الَّذِي قد قطعه نصيَّبُ وَإِذْ رأَيَ جَمِيعَ مَوْفَرٍ

ولكُنَّا آذنتَ بِالصَّرْمِ بِفَتَّةَ وَلَسْتُ عَلَى مِثْلِ الَّذِي جَئْتُ أَقْدِرُ

قال :

لقد جعلتْ نفسي - وأنت اجترمهِ وَكُنْتُ أَعْزَ النَّاسِ - عَنْكَ تطيبُ

فبكت ، ثم قالت : أو قد طابت نفسك ! لا ، والله ما فيكَ بعدها خيرٌ ،

ثم التفتت إلى وقالت : قد علمت أنك لا تَنْفِي بضمانتِكِ ، ولا ينْفِي به عنكِ .

(١) جدبه الأمر : اشتتد ، والหมายه : الغواية والضلال .

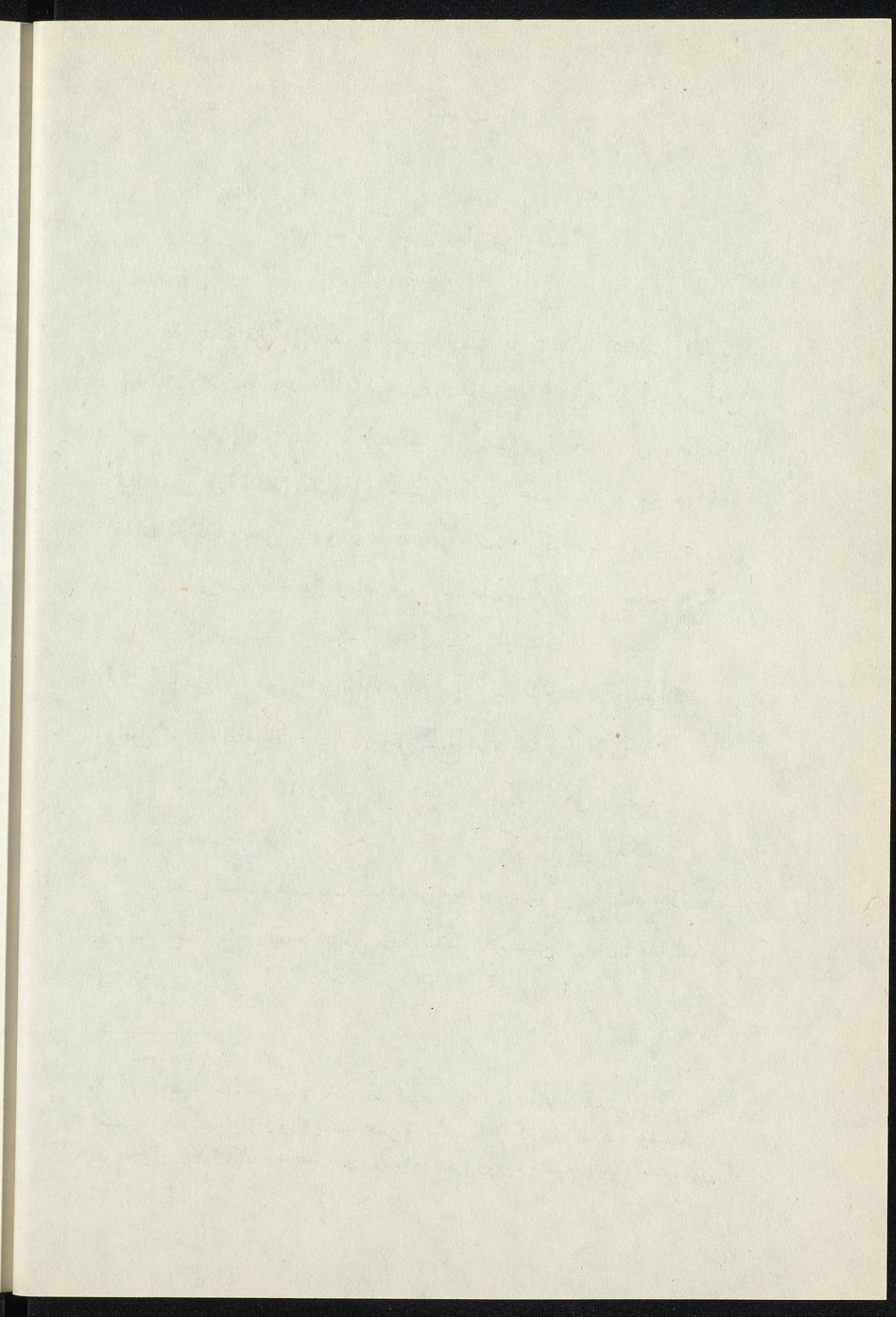
٨٣ - يا غَرِيبَ الدارِ عن وطْنِهِ*

قال جماعةٌ من أهل البصرة : خرجنا نريدُ الحج ، فلما كنا ببعض الطريق
إذا غلام واقفٌ على المحبّة^(١) ، وهو ينادي : أيها الناس ؟ هل فيكم أحدٌ من أهل
البصرة ؟ فلَنَا إِلَيْهِ وقلنا له : ما ت يريد ؟ قال : إن مولايَ لما به يريدُ أن يوصيكم ،
فلَنَا معه ، فإذا شخص ملقي على بُعدٍ من الطريق تحت شجرة لا يحيطُ جواباً ،
فجلسنا حولَه ، فأحسنَ بنا ، ورفع طرفه وهو لا يكاد يرَفَعَ ضفافاً ، وأنثأ يقول :

يا غَرِيبَ الدارِ عن وطْنِهِ مُفْرداً يَبْكِي عَلَى شَجَنَهِ
كَلَا جَدَّ الْبُكَاءَ بِهِ دَبَّتِ الأَسْقَامُ فِي بَدَنَهِ
ثُمَّ أَغْمَى عَلَيْهِ طَوِيلًا ؛ وَإِنَّا جَلَوْسَ حَوْلَهِ إِذْ أَقْبَلَ طَائِرٌ ، فَوَقَعَ عَلَى أَعْلَى الشَّجَرَةِ ،
وَجَعَلَ يُنَزِّدُ ، فَفَتَحَ الْفَتَنَى عَيْنِيهِ ؛ وَجَعَلَ يَسْمَعُ تَغْرِيدَ الطَّائِرِ ثُمَّ قَالَ :
وَلَقَدْ زَادَ الْفَوَادُ شَجَنَى طَائِرٌ يَبْكِي عَلَى فَتَنَهِ
شَفَهَ مَا شَفَقَ فَبَكَى كُلُّنَا يَبْكِي عَلَى سَكَنَهِ
ثُمَّ تَنَفَّسَ فَاضَتْ نَفَسَهُ مِنْهُ ، فَلَمْ يَنْبَرِحْ مِنْ عَنْدِهِ حَتَّى غَسَّلَنَا وَكَفَنَاهُ ،
وَتَوَلَّنَا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنْ دَفْنِهِ سَأَلْنَا الْفَلَامَ عَنْهُ ، فَقَالَ : هَذَا الْعَبَاسُ
ابن الأَحْنَفِ !^(٢)

* المسعودي : ١ - ٢٨٥ ، نثار الأزهار : ٨٢

(١) المحبّة: جادة الطريق، والجادّة: معظم الطريق. (٢) كان العباس بن الأحنف عربياً شريف النسب ، لم يتكتسب بالشعر ، ولم ي glam ما يجيئ في خطره ، وأكثره في الغزل ، ولم يتجاوزه إلى مدح أو بحاء ، وكان له مذهب حسن ، ولديباقة شعره رونق ، ولعله عذوبة ولطف ، توفى سنة ١٩٢ هـ.



البَابُ الثَّالِثُ

فِي الْقَصْصِ الَّتِي تَحْتَاجُ لِمَا أَنْصَفُوهَا بِهِ مِنْ شَدَّةِ الغَيْرَةِ
عَلَى الْحَرِيمِ ، وَبِالْخَافَةِ مِنِ التَّهْمَةِ ، إِغْلَاءِ بِالشَّرْفِ
وَضَمَانًا لِوَفْرَةِ الْعَرْضِ ، وَمَا جَرَهُ بَعْضُ ذَلِكَ مِنْ إِزْهَاقِ
الْأَرْوَاحِ وَسْفَكِ الدَّمَاءِ ، دَرِيرًا لِلظَّنَّةِ ، وَاتِّقاءً لِلسَّمْعَةِ .

٨٤ - لا أحد أذل من جديس*

كانت منازل طَسْمٍ في موضع الياماً^(١)، وكان يملّكتهم عُمليقٌ، وكانت معهم جَدِيسٌ، ولكنَّ عُمليقاً في أول مملكته قد تماَدَى في الظُّلْمِ والغَشْمِ^(٢) والسيره بغیر الحق .

وَكَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ جَدِيسٍ يُقَالُ لَهَا هُزَيْلَةُ ، وَلَا زَوْجٌ يُقَالُ لَهُ مَاشِقُ ، فَطَلَّقَهَا
وَأَرَادَ أَخْذَ وَلَدِهَا مِنْهَا ، فَخَاصَّمَتْهُ إِلَى عِمْلِيقَ ، قَالَتْ : يَا نِسَاءَ الْمَلِكِ ؟ إِنِّي حَلَّتِه
تَسْعَاً ، وَوَضَعَتْهُ دَفْمَأَا ، وَأَرْضَعَتْهُ شَفْعَمَا ؛ حَتَّى إِذَا تَمَّتْ أُوصَالُهُ ، وَدَنَافِصَالُهُ ، أَرَادَ
أَنْ يَأْخُذَهُ مِنْ كَرْنَهَا ، وَيَتَرَكَنِي مِنْ بَعْدِهِ وَرَهَمَا^(٣) .

أَتَيْنَا أَخَا طَسْمٍ لِيَحْكُمَ بَيْنَنَا
لِعُمْرِي لِقَدْ حُكِّمَتْ لَا مُتَوَرِّعًا
نَدَمْتُ وَلَمْ أَنْدِمْ وَأَنَّى لَعْرَقْتِي
وَأَصْبَحْتُ بَعْلِيًّا فِي الْحَكْمَةِ نَادِمًا
وَلَا كُنْتُ فِيهَا يُبَرِّمُ الْحَكْمَ عَلَيْهَا
فَأَنْفَدْتُ حَكَّاً فِي هُزَيْلَةِ ظَالِمًا

فَلَمَا سِمِّعْ عِمَّلِيقَ قَوْلَهَا أَمْرًا لَا تَزْوَجْ بَكْرًا مِنْ جَدَّسٍ وَتُهَدِّي إِلَى زَوْجَهَا

* مهدب الأغاني: ١ - ١ ، ابن الأثير: ١ - ٢٣ ، الحزانة: ٢ - ٢٣٥

(١) اليمامة : بلد كبير فيه قرى ومحصون وعيون ونخل (الراصد) .

(٣) وردہ، کفرح : حمق۔

٢) الفشل: الظلم.

حتى يَرَاهَا هو قبل زوجها ، فلَقُوا من ذلك بلاءً وجهداً وذلاً ، فلم يَزِلْ يَفْعَلُ هذا حتى زَوْجَتِ الشَّمُوسَ ، فَلَمَّا أَرَادُوا حَمْلَهَا إِلَى زوجها انطَلَقُوا بِهَا إِلَى عَمْلِيقٍ وَمَعْهَا الْقِيَانَ يَقْنَدِينَ :

ابْدَى بِعَمْلِيقٍ وَقَوْمِي فَارَكَبِي وَبَادِرِي الصَّبَحَ لِأَمْرٍ مُعْجَبٍ
فَسُوفَ تَلَقَّيْنَ النَّذِي لَمْ تَطْلُبِي وَمَا لِبَسَكَرِ عَنْهُ مِنْ مَهْرَبٍ
فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ خَلَّ سَبِيلَهَا ، نَفَرَجَتْ إِلَى قَوْمِهَا شَاقَّةً دِرْعَهَا وَهِيَ فِي أَقْبَحِ
مَنْظَرٍ ، وَهِيَ تَقُولُ :

لَا أَحَدٌ أَذَلُّ مِنْ جَدِيسَ أَهْكَذَا يُفْعَلُ بِالْعَرَوْسِ !

يَرْضِي بِهَا يَالْقَوْمِي حَرَّ أَهْدَى وَقَدْ أَعْطَى وَسِيقَ الْمَهْرَ

لِأَخْذَةِ الْمَوْتِ كَذَا لَنْفَسِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُفْعَلَ ذَا بِعْرَسِهِ

وَقَالَتْ - تَحْرِّضُ قَوْمَهَا فِيهَا أَتَى إِلَيْهَا :

أَيْجَمُلُ مَا يُؤْتَى إِلَى فَتِيَا تَسْكُمُ وَأَنْتُمْ رِجَالٌ فِي كُمْ عَدَدُ النَّمَلِ
وَتَصْبِحُ تَمْشِي فِي الدَّمَاءِ عَفِيرَةٌ عَشِيشَةَ زُفَّتْ فِي النِّسَاءِ إِلَى بَعْلِ
وَلَوْ أَنَّا كَنَّا رِجَالًا وَكُنْتُمْ نِسَاءً لَكُنَا لَا تُقْرِبُ بَدْنَا إِلَيْهِ الفِعْلِ
فَوَتُوا كِرَامًا أَوْ أَمْيَتُوا عَدُوَّكُمْ وَدِبُّوا نَارِ الْحَرْبِ بِالْحَطَبِ الْجَزْلِ (١)
وَإِلَّا فَخَلُوا بَطْنَهَا ، وَنَحْمَلُوا فَلَلَّبَيْنِ خَيْرٌ مِنْ تَمَادٍ عَلَى أَذَى
وَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ مَقَامٍ عَلَى الذَّلِّ فَكَوْنُوا نِسَاءً لَاتَّعَابٌ مِنَ الْكُتُحْلِ
وَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَغْضِبُوا بَعْدَ هَذِهِ

(١) الحطب الجزل : الياس ، أو القليظ منه .

و دونكم طيبُ العروضِ فِي نَاسٍ خلقُم لآثوابِ العروضِ وللنسلِ
فُبُعداً و سُحْقاً للذى ليس دافعاً ويختال يمشى بيننا مشية الفاحلِ
فَلَمَا سمع أخوها الأسود - وكان سيّداً مطاعاً - قال لقومه : يا معشر
جَدِيس ، إن هؤلاء القوم ليسوا بأعزَّ منكم في داركم إلا بما كان من ملكِ صاحبهم
عليينا وعليهم ، ولو لا عجزُنا وإدهانُنا^(١) ما كان له فضلٌ علينا ، ولو امتنعنا
لكان لنا منه النصف^(٢) ، فأطيمون فيها آمركم به ؟ فإنَّه عزُّ الدهر ، وذهب ذُلَّ
العمر ؛ واقبلوا رأيِّي .

وقد أحى جَدِيساً ما سمعوا من قوله ، فقالوا : نطيعك ، ولكنَّ القوم
أكثُرُ وأحمَّ وأقوى . قال : فإني أصنعُ للملك طعاماً ثم أدعوه له جميعاً ،
إذا جاءوا يَرْفُون في المُخلَل ثُرُّنا إلى سيفنا ، فَاهْمَدْنَاهُم بِهَا . قالوا :
تَفْعَل .

و صنع طعاماً كثيراً ، وخرج به إلى ظهر بلدتهم ، ودعا عمليقاً و سائله أن يتقدى
عنه هو وأهل بيته ، فأجابه إلى ذلك ؛ وخرج إليه مع أهله يَرْفُون في المُخلَل
والمُخلَل ، حتى إذا أخذوا بمحالبهم ، ومددوا أيديهم إلى الطعام أخذوا سيفهم
من تحت أقدامهم ، فشدَّ الأسود على عميقه قتله ، وكل رجل منهم على جليسه
حتى أماتوهم ؛ فلما فرغوا من الأشراف شدوا على السفلة ، فلم يدعُوا منهم أحداً ،
وقال الأسود في ذلك :

ذوقِي بِغَيْكَ يا طَسْمَ بِجَلَّةَ قد أتَيْتِ لِعْمَرِي أَعْجَبَ الْعَجَبِ

(١) الإدهان : إظهار خلاف ما يضر ، والغض : (٢) النصفة : العدل في الأمور .

إِنَا أَتَيْنَاكُمْ تِنْفِكَ تَشَاهِمْ وَالبَغْيَ هِيجَ مَنَا سَوْرَةُ الْفَضْبِ
 وَلَنْ يَعُودَ عَلَيْنَا بِغَيْهُمْ أَبْدَا وَلَمْ يَكُونُوا كَذِي أَنْفِي وَلَادْنِبِ
 كَنَّا الْأَقَارِبَ فِي الْأَرْحَامِ وَالنَّسْبِ وَإِنْ رَعَيْتُمْ لَنَا قُرْبَى مُؤْكِدَةَ

* ٨٥ - آبي الذل*

قال عمرو بن ^(١) هند صاحب الحيرة يوماً جلساً : هل تعلمون أن أحداً من العرب من أهل مملكتي يأنف أن تخدم أمّه أمّي؟ قالوا : ما نعرفه إلا أن يكون عمرو ^(٢) بن كلثوم التغلبي ، فإنّ أمّه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة وعها كليب ، وزوجها كلثوم ، وابنها عمرو . فسكت عمرو على ما في نفسه ، وبعث إلى عمرو بن كلثوم يستزيره ، ويأمره أن تزور أمّه ليلى أمّه هند بنت الحارث .

فقدم عمرو بن كلثوم في فرسان بني تغلب ، ومعه أمّه ليلى ، فنزل على شاطئ الفرات ، وبلغ عمرو بن هند قدومه ، فأمر فضّر بتخيامه بين الحيرة والفرات ، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته ، وصنع لهم طعاماً ، ثم دعا الناس إليه ، فقرب إليهم الطعام على باب السرادق ، وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخواص أصحابه في السرادق ، ولily أم عمرو بن كلثوم معها في القبة ، وقال عمرو لأمه : إذا فرغ الناس من الطعام ، ولم يبق إلا الطرف ^(٣) فتحي خدمك عنك واستخدمي ليلى ومرّيها

* ابن الأثير : ١ - ٢٣١ ، بلوغ الأربع : ٢ - ١٤٢

(١) عمرو بن هند : ملك الحيرة في الجاهلية ، عرف بنسبةه إلى أمّه هند . ويلقب بالحرن ، وهو صاحب صحيفه المتمس ، وقاتل طرفة بن العبد ، وكان شديد البأس ، كثير الفتاك ، هابته العرب وأطاعته القبائل . وتوفي سنة ٥٧٨ م .

(٢) عمرو بن كلثوم : صاحب المعلقة المشهورة ، وينتهي نسبة إلى تغلب ، وكان فارساً شاعراً ، وهو أحد فتاك العرب ، ومات قبل الإسلام بنحو نصف قرن . (٣) الطرف : جمع طرفة : مانعطيه غيرك ويراد به ما ينتقل به بعد الطعام .

فَلَمْ تَنَاوِلْكُ الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ ؛ فَقَعَلَتْ هَنْدٌ مَا أَمْرَهَا بِهِ أَبْنَاهَا ، فَلَمَّا اسْقَدَتِ الْطُّرْفَ قَالَتْ هَنْدٌ لِلِّيلِي : نَاوَلْنِي الطَّبَقُ ! قَالَتْ : لِتَقُومُ صَاحِبَةُ الْحَاجَةِ إِلَى حَاجَتِهَا ! فَأَلْحَتْ عَلَيْهَا ، قَوْلَتْ لِيلِي : وَادْلُّاهُ يَا آلَ تَغْلِبِ ! فَسَمِعَهَا وَلَدُهَا عَمْرُو بْنُ كَلْثُومٍ ؛ فَنَارَ الدَّمُ فِي وَجْهِهِ ؛ وَالْقَوْمُ يَشْرُبُونَ ، فَعُرِفَ عَمْرُو بْنُ هَنْدَ الشَّرَّ فِي وَجْهِهِ ، وَثَارَ أَبْنُ كَلْثُومٍ إِلَى سَيْفِ أَبْنِ هَنْدٍ وَهُوَ مَعْلَقٌ بِالسُّرَادِقِ - وَلَيْسَ هَنْدَكَ سَيْفٌ غَيْرُهُ - فَأَخْذَهُ ، ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ رَأْسَ عَمْرُو بْنِ هَنْدٍ فَقَتَلَهُ ، وَخَرَجَ فَنَادَى : يَا آلَ تَغْلِبِ ! فَانْتَهَبُوا مَالَهُ وَخِيلَهُ ، وَسَبَوْنَ النِّسَاءَ ، وَسَارُوا فَلَحْقُوا بِالْحِيرَةِ^(١) .

(١) فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ قَالَ عَمْرُو بْنُ كَلْثُومٍ مَعْلَقَتِهِ الشَّهُورَةُ :
أَلَا هِيَ بِصَحْنِكَ فَاصْبِحْنَا وَلَا تَبْقِي خُورَ الْأَنْدَرِينَا
وَقَالَ فِيهَا :

بَأْيِ مَشِيشَةِ عَمْرُو بْنِ هَنْدٍ تَرَى أَنَا نَكُونُ الْأَرْذَلِينَا
بَأْيِ مَشِيشَةِ عَمْرُو بْنِ هَنْدٍ تَطْبِعُ بِنَا الْوِشاَةَ وَتَزْدَرِينَا
تَهَدَّدُنَا وَتَوْعِدُنَا رَوِيدًا مَتَّ كَنَا لِأَمْكَنِ مَقْتُوبِينَا

٨٦ - أَجْبَنُ النَّاسَ وَأَحْيَلَ النَّاسَ وَأَشْجَعَ النَّاسَ

دخل عمرو^(١) بن معد يكرب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له عمر عن يا عمرو؛ أخبرني عن أشجع من لقيت. فقال: والله يا أمير المؤمنين لأخبرتك عن أجبن الناس وأحيل الناس، وأشجع الناس: خرجت مرة أريد الفارة، فيبينما أنا أسيء إذ بفرس مشدود، ورمح مر كوز، وإذا رجل جالس، وهو كأعظم ما يكون من الرجال خلقاً، وهو محظى بسيف.

قلت له: خذ حذرك فإني قاتلك. فقال: ومن أنت؟ قلت: أنا عمرو ابن معد يكرب، فشيق شهقة، فات. فهذا أجبن من رأيت يا أمير المؤمنين. وخرجت يوماً حتى انتهيت إلى حيٍ، فإذا أنا بفرس مشدود، ورمح مر كوز، وإذا صاحبه في وحدة يقضي حاجة.

قلت: خذ حذرك فإني قاتلك. قال: من أنت؟ قلت: أنا عمرو بن معد يكرب. قال: أبا نور^(٢)، ما أنصفتني! أنت على ظهر فرسك، وأناني بذر، فأعطي عهداً أنك لا تقتلني حتى أركب فرسى، وأخذ حذري؛ فأعطيته عهداً آلاً أقتله حتى يركب فرسه، ويأخذ حذره.

* نهاية الأربع: ٢ - ١٢٦ ، الغرر: ٢٢٧

(١) عمرو بن معد يكرب: فارس مشهور صاحب وقائع مذكورة، في الجاهلية والإسلام.

توفى سنة ٢١ هـ. (٢) أبو نور: كنية عمرو.

فخرج من الموضع الذى كان فيه ، حتى احتبى بسيفه وجلس . قلت له :
ما هذا ؟ فقال : ما أنا براكبٍ فرسى ، ولا بمقاتلك ، فإن نكثت عهلك فأنت
أعلم ، فتركسته ومضيت .

فهذا يا أمير المؤمنين أحيل من رأيت !

نم إني خرجت يوماً آخر؛ حتى انتهيت إلى موضع كنت أقطع فيه، فلم أر أحداً، فأجريت فرسى يميناً وشمالاً، فظهر لي فارس.

فَلَمَا دَنَّا مِنْيَ إِذَا هُوَ غَلَامٌ قَدْ أَقْبَلَ نَحْوَ الْيَمَامَةِ . فَلَمَّا قَرُبَ مِنِّي سَلَّمَ ؛ فَرَدَّتْ
عَلَيْهِ وَقَلَّتْ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا الْخَارِثُ بْنُ سَعْدٍ ، فَارْسُ الشَّهِيَاءِ^(١) ؛ فَقَلَّتْ لَهُ
خُدُّ حِذْرَكَ ، فَإِنِّي قاتَلْتُكَ ، فَقَالَ : الْوَيْلُ لَكَ ! مَنْ أَنْتَ ؟ قَلَّتْ : أَنَا عَمْرُو بْنُ
مُعَاوِيَةِ كَرِبَ . قَالَ : الْحَقِيرُ الدَّلِيلُ ؟ وَاللَّهُمَا يَمْنَعُنِي مِنْ قَتْلِكَ إِلَّا سَقْصَفَارُكَ ، فَتَصَاغَرَتْ
نَفْسِي إِلَىٰ وَعْظُمْ عَنْدِي مَا اسْتَقْبَلَنِي بِهِ .

فقلت له : خذ حذرك ، فوالله لا ينصرف إلا أحدنا . قال : اغرب ^(٢) ،
 تكلتك أمك ! فإني من أهل بيت ما نَكَلْنَا ^(٣) عن فارسٍ قط ! فقلت : هو
 الذي تسمع . قال : اختر لنفسك : إما أن تُطرد ^(٤) لي ، وإما أن أطرد بك ؛
 فاغتنمها منه ، فقلت : أطرد لي . فأطرد ، وحملت عليه ، حتى إذا لقيت : فإني وضعت
 الرمح بين كتفيه ، إذا هو قد صار حِزاماً لفرسه ، ثم اتبعنى ، فقرع بالقناة رأسى ،
 وقال : يا عمرو ؛ خذها إليك واحدة ، فوالله لو لا أني أكره قتل مثلك لقتلتك ؟

(١) الشهباء : علم على فرس . (٢) اغرب : تفع .

(٣) مانكلنا : ماحمنا . (٤) أطربت الرجل : جعلته طريراً لا يأمن .

فَتَصَاغَرْتُ إِلَى نَفْسِي، وَكَانَ الْمَوْتُ - وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - أَحَبَ إِلَى مَا رَأَيْتُ، قَلْتُ : وَاللَّهُ لَا يَنْصُرُ إِلَّا أَحَدُنَا ، فَقَالَ : اخْتَرْ لِنَفْسِكَ ؟ قَلْتُ : أَطْرَدْ لِي .

فَأَطْرَدْ لِي ؟ فَظَنَنْتُ أَنِّي قَدْ تَمَكَّنْتُ مِنْهُ ، وَاتَّبَعْتَهُ حَتَّى إِذَا قَلْتُ : إِنِّي قَدْ وَضَعْتُ الرَّمْحَ بَيْنَ كَتْفَيْهِ ؟ فَإِذَا هُوَ قَدْ صَارَ لِبَبًا^(١) لِفَرْسِهِ ، ثُمَّ اتَّبَعْتَ فَرْعَ رَأْسِي^(٢) بِالْقَنَاءِ ، وَقَالَ : يَا عَمْرُو ؟ خُذْهَا إِلَيْكَ ثَانِيَةً . فَتَصَاغَرْتُ إِلَى نَفْسِي ؟ قَلْتُ : وَاللَّهِ لَا يَنْصُرُ إِلَّا أَحَدُنَا .

فَقَالَ : اخْتَرْ لِنَفْسِكَ . قَلْتُ : أَطْرَدْ لِي . فَأَطْرَدْ حَتَّى إِذَا قَلْتُ : إِنِّي وَضَعْتُ الرَّمْحَ بَيْنَ كَتْفَيْهِ وَثَبَ عَنْ فَرْسِهِ ، فَإِذَا هُوَ عَلَى الْأَرْضِ ؟ فَأَخْطَأْتُهُ وَمَضَيْتَ . فَاسْتَوَى عَلَى فَرْسِهِ ، وَاتَّبَعْتَ فَرْعَ رَأْسِي ، وَقَالَ : يَا عَمْرُو ؟ خُذْهَا إِلَيْكَ ثَالِثَةً . وَلَوْلَا أَنِّي أَكْرَهَ قَتْلَ مَثْلِكَ لِقَتْلِكَ .

فَقَلْتُ لَهُ : أَقْتُلُنِي ، فَإِنَّ الْمَوْتَ أَحَبَ إِلَى مَا أَرَى بِنَفْسِي ، وَأَنْ تَسْمَعَ فَتِيَانَ الْعَرَبِ بِهَذَا . فَقَالَ : يَا عَمْرُو ؟ إِنَّمَا الْعَفْوَ ثَلَاثَ ، وَإِنِّي إِنْ أَسْتَمْكِنْتُ مِنْكَ الرَّابِعَةَ قَتْلَكَ وَأَنْشَا يَقُولُ :

وَكَدْنَتْ أَغْلَاظًا مِنَ الْأَيْمَانِ إِنْ عَدْتَ يَا عَمْرُو إِلَى الطُّعَامِ^(٣)
لِتَوْجِرَنَّ^(٤) لَهَبَ السَّنَانِ^(٥) أَوْلًَا ، فَلَسْتُ مِنْ بَنِي شِيبَانِ !

فَلَمَّا قَالَ هَذَا كَرِهَتُ الْمَوْتَ ، وَهِبْتُهُ هِبَةً شَدِيدَةً ، وَقَلْتُ : إِنِّي لَيْ إِلَيْكَ حَاجَةٌ . قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَلْتُ : أَكُونُ لَكَ صَاحِبًا ، وَرَضِيتُ بِذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ !

(١) الْلَّبَبُ : مَا يَشَدُ فِي صُدُورِ الدَّاهِيَةِ لِيَمْنَعَ اسْتِئْخَارَ الرَّحْلِ . (٢) أَوْجَرَهُ الرَّمْحُ : طَعْنَةُ بَهْ في فِيهِ .

(٣) السَّنَانُ : طَرْفُ الرَّمْحِ .

قال : لستَ من أصحابي . فـكـان ذلك والله أشدَّ علـىً وأعـظمَ مـا صـنعـ .

فـلمـ أـزلـ أـطـلبـ إـلـيـهـ حـتـىـ قـالـ : ويـحـكـ ! وـهـلـ تـدـرـىـ أـينـ أـرـيدـ ؟ قـلتـ : لاـ .

قـالـ : أـرـيدـ الـمـوـتـ عـيـانـاـ . قـلتـ : رـضـيـتـ بـالـمـوـتـ مـعـكـ . فـقـالـ : اـمـضـ بـنـاـ ؛ فـيـرـنـاـ جـمـيعـ يـوـمـنـاـ وـلـيـلـتـنـاـ حـتـىـ جـنـنـاـ الـلـلـيـلـ ، وـذـهـبـ شـطـرـهـ .

فـورـدـنـاـ عـلـىـ حـيـ منـ أـحـيـاءـ الـعـرـبـ ، فـقـالـ لـيـ : يـاـ عـمـروـ ، فـيـ هـذـاـ الـحـيـ الـمـوـتـ .

ثـمـ أـوـمـأـ إـلـىـ قـبـةـ فـالـحـيـ ، فـقـالـ : وـفـ تـلـكـ الـقـبـةـ الـمـوـتـ الـأـحـمـ ؟ فـإـمـاـ أـنـ تـمـسـكـ عـلـىـ فـرـسـىـ ؛ فـأـنـزـلـ ، فـأـتـىـ بـحـاجـتـىـ ، وـإـمـاـ أـنـ أـمـسـكـ عـلـيـكـ فـرـسـكـ ؛ فـقـنـزـلـ فـتـأـقـىـ بـحـاجـتـىـ . قـلتـ : لـاـ ، بـلـ اـنـزـلـ أـنـتـ ؟ فـأـنـتـ أـعـرـفـ بـمـوـضـ حـاجـتـكـ ؟ فـرـىـ إـلـىـ بـعـنـانـ الـفـرـسـ وـنـزـلـ ، فـرـضـيـتـ لـنـفـسـيـ يـاـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ أـنـ أـكـونـ لـهـ سـائـساـ .

ثـمـ مـضـىـ حـتـىـ دـخـلـ الـقـبـةـ ؛ فـاسـتـخـرـجـ مـنـهـاـ جـارـيـةـ ، لـمـ تـرـ عـيـنـاـيـ قـطـ مـثـلـهـاـ حـسـنـاـ وـجـمـالـاـ ؛ فـحـلـمـاـ عـلـىـ نـاقـةـ ، ثـمـ قـالـ : يـاـ عـمـروـ . قـلتـ : لـبـيـكـ ! قـالـ : عـلـيـكـ بـزـمـامـ النـاقـةـ .

وـسـرـنـاـ بـيـنـ يـدـيهـ ، وـهـوـ خـلـفـنـاـ حـتـىـ أـصـبـحـنـاـ ، فـقـالـ لـيـ : يـاـ عـمـروـ . قـلتـ : لـبـيـكـ ! ماـ تـشـاءـ ؟ قـالـ : التـفـتـ ، فـانـظـرـ هـلـ تـرـىـ أـحـدـاـ ؟ فـالـفـتـ ، وـقـلتـ : أـرـىـ جـمـالـاـ ، قـالـ : أـغـدـ السـيرـ^(١) ، ثـمـ قـالـ لـيـ : يـاـ عـمـروـ . قـلتـ : لـبـيـكـ ! قـالـ : اـنـظـرـ ، فـإـنـ كـانـ الـقـومـ قـلـيلـاـ ، فـالـجـلـدـ وـالـقـوـةـ وـالـمـوـتـ . وـإـنـ كـانـواـ كـثـيرـاـ فـلـيـسـوـاـ بـشـىـءـ . فـالـفـتـ ، قـلتـ : هـمـ أـرـبـعـةـ أـوـ خـمـسـةـ . قـالـ : أـغـدـ السـيرـ ، وـسـمـ وـقـعـ الـخـيـلـ ، فـقـالـ لـيـ : يـاـ عـمـروـ ،

(١) أـغـدـ السـيرـ : أـسـرـعـ فـيـهـ .

قلت : لَبِيك ! قال : كُنْ عَلَى يَمِينِ الطَّرِيقِ وَقِفْ ، وَحَوْلَ وُجُوهِ دَوَابِنَا إِلَى
الطَّرِيقِ ؛ فَفَعَلَتْ ، وَوَقَتَتْ عَلَى يَمِينِ الرَّاحِلَةِ وَوَقَفَ هُوَ عَنْ يَسَارِهَا .

وَدَنَا الْقَوْمُ مِنَاهَا ؛ فَإِذَا هُمْ ثَلَاثَةٌ نَفَرُ فِيهِمْ شَيْخٌ ، وَهُوَ أَبُو الْجَارِيَةِ وَأَخْوَاهُ
وَهُمْ غَلَامَانِ شَابَانِ ؛ فَسَلَّمُوا فَرَدَدُوا السَّلَامَ ، وَوَقَفُوا عَنْ يَسَارِ الطَّرِيقِ .

قَالَ الشَّيْخُ : خَلَّ عَنِ الْجَارِيَةِ يَابْنَ أَخِي ؛ قَالَ : مَا كَنْتَ لَأُخْلِيَهَا ، وَلَا
هَذَا أَخْذَتُهَا ! قَالَ لَأَصْغَرِ ابْنِيَهِ : اخْرُجْ إِلَيْهِ ؛ نَفْرَجْ وَهُوَ يَمْجُرُ رَحْمَهُ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ
الْحَارِثُ ، وَهُوَ يَقُولُ :

مِنْ دُونِ مَاتَرٍ جُوْهَرَ خَضْبَ النَّازِيلِ^(١) مِنْ فَارِسٍ مُسْتَلِمٍ^(٢) مُقاَتِلٍ

يُنْمَى إِلَى شَيْبَانَ خَسِيرٍ وَائِلٍ مَا كَانَ سَيِّرِي نَحْوَهَا يَبَاطِلٍ !
ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ ؛ فَطَعْنَهُ طَعْنَةً ، دَقَّ مِنْهَا صَلْبَهُ ؛ فَسَقَطَ مِيتًا .

قَالَ الشَّيْخُ لَابْنِهِ الْآخَرَ : اخْرُجْ إِلَيْهِ يَابْنِي ، فَلَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ عَلَى النَّذْلِ ،
نَفْرَجْ إِلَيْهِ وَأَقْبَلَ الْحَارِثُ يَقُولُ :

لَقَدْ رَأَيْتَ كَيْفَ كَانَتْ طَعْنَتِي ! وَالظَّعْنُ لِلْقِرْنِ الشَّدِيدِ هِمْتِي
وَالْمَوْتُ خَسِيرٌ مِنْ فِرَاقِ خُلْتِي فَقَتَلْتَنِي الْيَوْمُ وَلَا مَذْلَتِي
ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ ، فَطَعْنَهُ طَعْنَةً ، سَقَطَ مِنْهَا مِيتًا .

قَالَ لَهُ الشَّيْخُ : خَلَّ عَنِ الظَّعِينَةِ^(٣) يَابْنَ أَخِي ؛ فَإِنِّي لَسْتُ كَمْ رَأَيْتَ . قَالَ :
مَا كَنْتَ لَأُخْلِيَهَا وَلَا هَذَا قَصْدَتِ . قَالَ لَهُ الشَّيْخُ : اخْتَرْ يَابْنَ أَخِي ، فَإِنْ شَتَّ

(١) النَّازِيلُ : القنا الرقيق ، ويقصد بخضبه غمسه في الدم . (٢) اسْتَلَامُ الْفَارِسِ : لبس اللامة؛ وهي الدرع . (٣) الظَّعِينَةُ : المرأة ما دامت في المهدج .

طاردتكم ، وإن شئت نازلتكم ؛ فاغتنمها الفتى ونزل . ونزل الشيخ ، وهو يقول :

ما أَرَّجَبِي بِعَدْ فَنَاءِ عُمْرِي ؟ سأجعل السنين مثل الشهور
شَيخٌ يحامي دون بيض الخدر^(١) إنَّ اسْتِبَاحَ الْبَيْضَ قَصْمُ الظَّهَرِ
سوف ترى كيف يكون صبرى

فأقبل الحارث ، وهو يقول :

بعد ازتحالى وطويل سفرى وقد ظفت وشفيت صدرى
والموت خير من لباس الغدر والعار أهدى به لحي بكر

ثم دنا ، فقال له الشيخ : يا بن أخي ؟ إن شئت نازلتكم ، وإن بقيت فيك
قوة ضربتني ؛ وإن شئت فاضربني ؛ فإن بقيت في قوة ضربتك .

فاغتنمها الفتى ، فقال : وأنا أبدؤك . قال : هات . فرفع الحارث السيف ،
فلما نظر الشيخ أنه قد أهوى به إلى رأسه ، ضرب بطنه ضربة فقد معااه ، ووافت
ضربة الحارث في رأسه ؛ فسقطا ميتين .

فأخذت يا أمير المؤمنين أربعة أفراس ، وأربعة أسياف . ثم أقبلت إلى الناقة
فقدت أعناء الأفراس بعضها إلى بعض وجعلت أقودها . فقالت الجارية : يا عمرو ؟
إلى أين ؟ ولست لي بصاحب ، ولست كمن رأيت ، ولو كنت صاحبى لسلكت
سبيلهم ! قلت : اسكتي ؛ قالت : فإن كنت صادقاً فأعطنى سيفاً ورحماً ؛ فإن
غلبتني فأنا لك ، وإن غلبتك قتلتك .

(١) بيض الخدر : يزيد به النساء .

فقلت لها: ما أنا بمعطيك ذلك، وقد عرفت أصلك، وجرأة قومك وشجاعتهم،
فرمت نفسها عن البعير، وهي تقول:
أَبَعْدَ مَا شَيَّخْتِي وَبَعْدَ إِخْرَقْتِي
أَطْلَبُ عِيشًا بَعْدَهُمْ فِي لَذَّةٍ؟
هَلْ لَا تَكُونُ قَبْلَ ذَا مَنِيدَنِي؟
وَأَهُوتُ إِلَى الرُّؤْمَحْ، فَكَادَتْ تَنْزَعُهُ مِنْ يَدِي . فَلَمَّا رَأَيْتَ ذَلِكَ خَفْتُ إِنْ
هِيَ ظَفَرْتُ بِي أَنْ تَقْتَلَنِي ، فَقَتَلَهُمَا .
فهذا أشد ما رأيته يا أمير المؤمنين . فقال عمر بن الخطاب : صدقت يا عمرو !

* ٨٧ — خَل سَبِيلَ الْمُحْرَةِ الْمَنِيَّةِ

خرج دُرَيْدُ^(١) بن الصَّمَّةَ في فوارس بني جُشم يريد الفارة على بني كنانة ، فلما كان بوادي لبني كنانة رفع له رجل من ناحية الوادي معه ظَعِينَة^(٢) . فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه : صَحْ به أن خل عن الطعينة وانج بنفسك – وهو لا يعرفه – فانتهى إليه الرجل وألح عليه ؛ فلما ألبى ألقى زمام الراحلة ، وقال للظَّعِينَة :

سِيرِي عَلَى رِسْلِكِ سِيرَ الْآمِنِ سِيرَ رَدَاحِ^(٣) ذَاتِ جَانِشِ سَاكِنِ
إِنَّ انْتِنَائِي دُونِ قِرْنَي^(٤) شَائِنِي^(٥) أَبْلِي بِلَأْيِ وَاخْبُرِي وَعَابِنِي
ثُمَّ حَلَّ عَلَى الْفَارَسِ فَصَرَعَهُ ، وَأَخْذَ فَرْسَهْ فَأَعْطَاهُ الطَّعِينَةَ . فَبَعْثَتْ دُرَيْدَ
فَارِسًا آخَرَ لِيَنْظُرَ مَا صَنَعَ صَاحِبَهُ ؛ فَرَآهُ صَرِيعًا ، فَصَاحَ بِهِ ، فَقَصَامَ عَنْهُ فَظَنَّ
أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ فَغَشِيَّهُ ، فَأَلْقَى زَمَامَ الراحلة إِلَى الطَّعِينَةِ ، ثُمَّ حَلَّ عَلَى الْفَارَسِ فَصَرَعَهُ ،
وَهُوَ يَقُولُ :

خَل سَبِيلَ الْمُحْرَةِ الْمَنِيَّةِ إِنَكَ لَاقِ دُونَمَ — أَرَبِيعَهَ

* الأغانى: ٤ - ١٢٩ ، الأملى: ٢ - ٢٧١ ، السبط: ٢ - ٩١٠ ، العقدالفريد: ٣ - ٣٢٤

(١) دريد بن الصمة : سيد بني جشم وفارسهم وقائد़هم : كان مظفراً ميمون التقيبة ، غزا نحو مائة غزوة ماؤخنق في واحدة منها ، وأدرك الإسلام ولم يسلم . توفي سنة ٨ هـ . (٢) الطعينة . المرأة مادامت في المهدوج . (٣) امرأة رداح : عجزاء تقيلة الأوراك تامة الخلق . (٤) القرن : السكع . (٥) شائنى : يعيشنى .

فِي كَفَّهُ خَطْبَةً^(١) مُطِيعَهُ أَوْلًا فَخَذَنَا طَعْنَةً سَرِيعَهُ
فَالطَّعْنُ مِنْ فِي الْوَغْنِ شَرِيعَهُ

ثُمَّ حَلَّ عَلَيْهِ فَصَرْعَهُ .

فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى دُرِيدَ بَعْثَ فَارِسًا آخَرَ ؛ لِيَنْظُرَ مَا صَنَعَا ، فَاتَّهَى إِلَيْهِمَا ، فَرَآهُمَا
صَرِيعَيْنِ ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ يَقُودُ الظَّعِينَةَ ، وَيَجْزُرُ رُمْحَهُ ، قَالَ لَهُ الْفَارِسُ : خَلَّ عَنِ
الظَّعِينَةِ . قَالَ لَهَا رَبِيعَةُ : أَقْصَدَى قَصْدَ الْبَيْوَتِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ قَالَ :
مَاذَا تَرِيدُ مِنْ شَتِيمٍ^(٢) عَابِسٍ أَلْمَ تَرِ الْفَارِسَ بَعْدَ الْفَارِسِ
أَرْدَاهَا عَامِلٌ رُمْحٌ يَابِسٍ

ثُمَّ طَعْنَهُ فَصَرْعَهُ ، فَانْكَسَرَ رُمْحُهُ .

فَارْتَابَ دُرِيدُ ، وَظَنَّ أَنَّهُمْ قَدْ أَخْذُوا الظَّعِينَةَ وَقَتَلُوا الرَّجُلَ ، فَلَحَقَ بِهِمْ
فَوْجَدَ رَبِيعَةً^(٣) بْنَ مَكْدَمَ لَا رُمْحَ مَعَهُ وَقَدْ دَنَا مِنَ الْحَيِّ ، وَوَجَدَ أَحَادِيبَهُ قَدْ
قُتِلُوا ، قَالَ لَهُ دُرِيدَ : أَيُّهَا الْفَارِسُ ؛ إِنَّ مَنْلَكَ لَا يُفْتَلُ ، وَإِنَّ الْخَيلَ ثَائِرَةً
بِأَحَادِيبِهَا ، وَلَا أَرَى مَعَكَ رُمْحًا ، وَأَرَاكَ حَدِيثَ السَّنَنَ فَدُونَكَ هَذَا الرَّمْحُ ، فَإِنِّي
رَاجِعٌ إِلَى أَحَادِيبِي ، فَنَبْطَهُمْ عَنِّكَ .

فَأَتَى دُرِيدَ أَحَادِيبَهُ ، قَالَ : إِنَّ فَارِسَ الظَّعِينَةَ قَدْ جَاهَاهَا وَقُتِلَ فَوَارِسِكَ وَانْتَزَعَ
رُمْحُهُ وَلَا طَمَعَ لَكُمْ فِيهِ ؛ فَانْصَرَفَ الْقَوْمُ ، وَقَالَ دُرِيدَ :
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمَثْلِهِ حَامِي الظَّعِينَةِ فَارِسًا لَمْ يُفْتَلَ

(١) يَرِيدُ رَحَمًا ، وَالرَّماحُ نَفْسَبُ إِلَى الْخَطَّ ، نَفَرَ بِالْجَرِينِ . (٢) الشَّتِيمُ : الْأَسْدُ الْعَابِسُ .

(٣) رَبِيعَةُ بْنُ مَكْدَمٍ : هُوَ أَحَدُ فَرَسَانِ مَضْرِ المَعْدُودِينَ ، وَشَجَاعَتْهُمُ الْمُشْهُورُونَ . تَوْفِيقُ سَنَةِ ٥٥٨ م.

أَرْدَى فُوَارِسَ لَمْ يَكُونُوا نَهَزَةً^(١)
مَتَهَلَّلاً تَبَدُّو أَسِرَّةً وَجِمِيعاً
يُؤْجِي ظُفِينَتَهُ وَيَسْحَبُ رُمْحَهُ
وَتَرِي الْفُوَارِسَ مِنْ خَافَةِ رُمْحِهِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ أَبُوهُ وَأَمْهُ؟^(٤)

فَقَالَ رَبِيعَةُ :

إِنْ كَانَ يَنْفَعُكَ الْيَقِينُ فَسَأِثْلِي
إِذْ هِيَ لِأَوْلِ مَنْ أَتَاهَا نَهَزَةٌ
إِذْ قَالَ لِي أَدْنَى الْفُوَارِسِ مِيتَةً :
فَصَرَفْتُ رَاحَلَةَ الظُّعِينَةِ نَحْوَهُ
وَهَتَكْتُ بِالرَّمْحِ الطَّوِيلِ إِهَابَهُ^(٥)
وَمَنْحَتُ آخَرَ بِعْدَهُ جِيَاشَةً
وَلَهُ دَشْفَعَتْهُ مَا بَآخِرِ ثَالِثٍ

ثُمَّ لَمْ يَلْبِثْ بَعْدَ ذَلِكَ بْنُ مَالِكَ بْنُ كَنَانَةَ رَهْطَ رَبِيعَةَ بْنَ مُسْكَدَّمَ أَنْ أَغَارُوا
عَلَى بْنِي جَسْمٍ رَهْطِ دَرِيدَ ، فَقَتَكُوا وَأَسْرُوا وَغَنَمُوا ، وَأَسْرُوا دَرِيدَ بْنَ الصَّمَةَ ،
فَأَخْفَى نَسْبَهُ ، فَيَبْلُو هُوَ عِنْدَهُ إِذَا جَاءَ نَسْوَةً يَتَهَادَيْنَ إِلَيْهِ ، فَصَرَخَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ
فَقَالَتْ : هَلْ كُمْ وَأَهْلَكُمْ ، مَاذَا جَرَّ عَلَيْنَا قَوْمُنَا؟ هَذَا وَاللَّهُ الَّذِي أَعْطَى رَبِيعَةَ

(١) التَّهَزَّةُ : الشَّيْءُ الَّذِي هُوَ لِكَ مَعْرُضٌ كَالْفَنِيمَةِ ، يَقَالُ : فَلَمْ يَكُنْ نَهَزَةُ الْخَتَلِسِ ، أَيْ صِدْلَكَ لِكَ أَحَدٌ . (٢) الصَّيْقَلُ : جَلَاءُ السَّيْفِ وَشَحَادَهَا . (٣) الْبَغَاثُ : طَائِرُ أَغْبَرٍ . (٤) الْأَجْدَلُ : الْقَصْرُ . (٥) إِهَابَهُ : جَلَدَهُ . (٦) الْأَضْجَمُ : عَوْجٌ فِي الْفَمِ ، وَمِيلُ الشَّدَقِ . وَيُشَبِّهُ الْجَرْحُ الْوَاسِعُ بِالْفَمِ الْأَضْجَمِ .

رُّتْحَمَهُ يَوْمَ الظُّعِينَةِ، ثُمَّ أَلْقَتْ عَلَيْهِ ثُوبَهَا وَقَالَتْ: يَا آلَ فِرَاسٍ، أَنَا جَارَّةُ لَهُ
مِنْكُمْ، هَذَا صَاحِبُنَا يَوْمَ الْوَادِيِّ، فَسَأْلُوهُ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: أَنَا دُرَيْدَ بْنُ الصَّمَّةِ،
فَهَا فَعَلْ رَبِيعَةُ بْنُ مُسْكَدَّمَ؟ قَالُوا: قَتْلَتْهُ بْنُو سُلَيْمَ، قَالَ: فَمِنَ الظُّعِينَةِ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ؟
قَالَتِ الْمَرْأَةُ: رَيْطَةُ بَنْتُ جِذْلٍ وَأَنَا هِيَ، خَبِيسَةُ الْقَوْمِ، وَأَمْرَوْا أَنفُسَهُمْ^(١) وَقَالُوا:
لَا يَنْبَغِي أَنْ تُكْفَرَ نَعْمَةُ دُرَيْدَ عِنْدَنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَاللَّهِ لَا يَخْرُجُ مِنْ أَيْدِينَا إِلَّا
بِرِضاِ الْمُخَارِقِ الَّذِي أَسْرَهُ . فَانْبَعَثَتِ الْمَرْأَةُ فِي الظَّلَلِ قَالَتْ:

سَنَجْزِي دُرَيْدًا عَنْ رَبِيعَةِ نِعْمَةٍ وَكُلُّ فَتَّى يُجْزِي بِمَا كَانَ قَدَّمَ
فَإِنْ كَانَ خَيْرًا كَانَ خَيْرًا جَزَاؤُهُ
وَإِنْ كَانَ شَرًّا كَانَ شَرًّا مَذَّمَّا
يُاعْطَاهُ الرَّحْمَنُ السَّدِيدُ الْمُؤْمَنُ
وَأَهْلُهُ بَانِيُّجْزِي الَّذِي كَانَ أَنْتَمَا
وَلَا تَرْكُبُوا تِلْكَ الَّتِي تَمَلَّأُ الْفَمَّا
ذِرَاعَاهُ غَنِيًّا كَانَ أَوْ كَانَ مُعْدِمًا
فَكُلُّوْا دُرَيْدًا مِنْ إِسَارِ مُخَارِقِ
فَأَصْبَحَ الْقَوْمُ، فَتَعَاوَنُوا يَنْهِمُ فَأَطْلَقُوهُ، وَكَسْتَهُ رَيْطَهُ وَجَهَّزَتْهُ، وَلَهُقُّ بَقْوَمِهِ،
وَلَمْ يَزِلْ كَافِّا عَنْ غَزْوِ بَنِي فِرَاسٍ حَتَّى هَلَكَ .

(١) آمَرُوا أَنفُسَهُمْ: تَشَاؤذُوا.

* ٨٨ — عند الموت

مُحَمَّلَ هُدْبَةً بْنَ خَشْرَمَ^(١) الْعَذْرِيَّ إِلَى معاوِيَةَ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ^(٢) زِيَادَةَ بْنَ زِيدَ الْعَذْرِيَّ؛ وَقَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنَ أَخُو زِيَادَةَ؛ فَادْعَى عَلَيْهِ؛ قَالَ لَهُ معاوِيَةَ: مَا تَقُولُ؟ قَالَ: أَتَحْبُّ أَنْ يَكُونَ الْجَوابُ شِعْرًا أَمْ نَثَرًا؟ قَالَ: بَلْ شِعْرًا؛ فَإِنَّهُ أَمْتَعٌ! قَالَ هُدْبَةُ:

فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنْمَاهِي ضَرَبَهُ^(٣)
عَمِدَتْ لِأَمْرٍ لَا يُعَيِّرُ وَالَّذِي
خَزَّأَيْتَهُ^(٤) وَلَا يُسَبِّ بِهِ قَبْرِي
مَنِيَّةَ نَفْسِي فِي كِتَابٍ وَفِي قَدْرٍ
رُمِيَّنَا فَرَامِيَّنَا فَضَادُ سَهْمَنَا
وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَالَّذِي
وَرَاءَكَ مِنْ مَعْدَى وَلَا عَنْكَ مِنْ قَصْرٍ
فَإِنْ تَكُ فِي أَمْوَالِنَا لَا نَضِيقُ بِهَا ذِرَاعًا وَإِنْ صَبَرْ^(٥) فَنَصِيرُ لِلصَّابِرِ

قَالَ لَهُ معاوِيَةَ: أَرَالَكَ قَدْ أَفْرَرْتَ يَا هُدْبَةَ؟ قَالَ: هُوَ ذَاكُ، قَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنَ: أَقِدْنِي^(٦)؟ فَكَرِهَ ذَلِكَ معاوِيَةَ، وَضَنَّ بِهِدْبَةَ عَنِ القَتْلِ.

* رغبة الآمل : ٢ - ٢٣٩ ، الكامل : ٢ - ٣٠٣

(١) هدبة : شاعر إسلامي فصيح متقدم من بادية المجاز ، وكان راوية للخطب ، وكان جيل راوية هدبة . وأما زيادة فينتهي نسبه إلى الحارث بن سعد ، وكلما شاعر إسلامي كان في عهد بنى أمية ، توفي سنة ٥٤ هـ . (٢) كان من أمر قتل هدبة لزيادة أئمماً أقبلاً من الشام في ركب من قومهما وكانوا يتعاقبان سوق الإبل ، فرجز كلامها بأخت الآخر بما يصبح ذكره ، ففضب هدبة حتى أصاب منه غرة فقتله . (٣) الوتر : التأثر . (٤) الخزاية : الاستحياء ، ويقال : رجل خزيان ، وهو الذي عمل أمراً قبيحاً فاشتد لذلك حياؤه وخزايته . (٥) الصبر هنا : الجبس حتى يموت . (٦) أقاد القاتل بالقتيل : قتلها به .

وكان ابن زيادة صغيراً فوجئ به إلى المدينة ؛ وقال : يحبس إلى أن يبلغَ .

فلما بلغ كان والي المدينة سعيد بن العاص .

فمَا وُقِفَ عليه من قسوته قوله :

وَلَا دَخَلْتُ السُّجْنَ يَا أُمَّ مَالِكٍ ذَكْرُكُ وَالْأَطْرَافُ فِي حَلْقِيْ تُبَرِّ^(١)

وَعِنْدَ سَعِيدٍ غَيْرَ أَنْ لَمْ أَبْعُجْ بِهِ ذَكْرُكُ، إِنَّ الْأَمْرَ يُذْكَرُ بِالْأَمْرِ^(٢)

فسُئل عن هذا القول ، فقال : لما رأيت ثغر^(٣) سعيد ، ذكرت به ثغرها .

ثُمَّ إِنَّهُ عُرِضَ^(٤) عَلَى ابْنِ زِيَادَةَ عَشْرَ دِيَاتٍ؛ فَأَبَى إِلَّا الْقَوَادَ، فَلَمَّا خَرَجَ بِهِمْ بَهْدَةً لِيُقَادَ بِالْحَرَّةَ^(٥)، جَفَلَ يُنْشِدُ الأَشْعَارَ، قَالَتْ لَهُ حَبِّي^(٦) الْمَدِينِيَّةُ: مَا رَأَيْتُ أَقْسَى قَلْبًا مِنْكَ! أَتُنْشِدُ الأَشْعَارَ وَأَنْتَ يُمْضِيَ بِكَ إِلَى الْقَتْلِ، وَهَذِهِ خَلْفُكَ كَانَتْهَا ظُبُّيُّ عَطْشَانُ تُولُولِ - تَعْنِي امْرَأَهُ؛ فَوَقَفَ وَوَقَفَ النَّاسُ مَعَهُ، فَأَقْبَلَ عَلَى حَبِّي^(٧) قَالَ:

مَا وَجَدْتُ وَجْدِيَ بِهَا أُمَّ وَاحِدٍ لَا كَلَابَ^(٨)

رَأَتْهُ طَوِيلَ السَّاعِدَيْنَ شَمَرْدَلَّا^(٩) كَمَا اتَّعَقَتَ^(١٠) مِنْ قَوَّةِ وَشَابَابِ

فَأَغْلَقَتْ حَبِّي الْبَابَ فِي وَجْهِهِ وَسَبَّتَهُ .

(١) الأطراف : يزيد يديه ورجليه ، والحلق السمر : القيد والأغلال . (٢) كان سعيد من أحسن الناس ثغرا .

(٣) كان من عرض الديات عليه الحسين بن علي ، وعبد الله بن جعفر ، وسعيد بن العاص ، ومروان بن الحكم ، وسائر القوم من قريش والأنصار . (٤) موضع بالمدينة .

(٥) حبي : اسم امرأة كانت معروفة بالمدينة ، والمدينية بياتات الياء ، نقل ياقوت : أنه يقال : مدنى ، لمن تحول عن المدينة وكان منها ، ومدينى لمن أقام فيها . (٦) ابن أم كلاب : زوج حبي ، وكان شاباً تزوجته وكانت عجوزاً . (٧) الفتى القوى . (٨) المتعنت من الدواب والناس :

الموصوف بما يفضل على غيره (السان - مادة نعت) .

وعرض له عبد الرحمن بن حسان ؛ فقال : أشدني ، فقال له : أعلَى هذه الحال ! قال : نعم ، فأنسده :

ولست بِمُفْرَاحٍ إِذَا الْدَّهْرُ سَرَّنِي
وَلَا أَتَبْغِي الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكٌ
وَحْرَّ بَنِي (٢) مَوْلَاي حَتَّى غَشِّيَتْهُ
فَلَمَّا قُدِّمَ نَظَرَ إِلَى امْرَأَتِهِ ، فَدَخَلَتْهُ غَيْرَةً ، وَقَدْ كَانَ جُدِعَ فِي حَرْبِهِمْ ،

قال :

فَإِنْ يَكُنْ أَنْفِي بِيَانَ (٣) مِنْهُ جَاهَهُ
فَلَا تَنْكِحِي إِنْ فَرَقَ الدَّهْرَ بَيْنَنَا
فَقَالَتْ : قُفُوا عَنِهِ سَاعَةً ، ثُمَّ مَضِّتْ وَرَجَعَتْ . وَقَدْ اصْطَلَمْتَ (٤) أَنْفَهَا
قَالَتْ : أَهْذَا فَعْلُ مَنْ لَهُ فِي الرِّجَالِ حَاجَةٌ ؟ فَقَالَ : الآن طَابَ الْمَوْتُ !

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَبَوَيْهِ فَقَالَ :

أَبْلِيَانِ الْيَوْمَ صَبِرًا مِنْكَا
إِنَّ حُزْنًا مِنْكَا الْيَوْمَ لَشَرَّ
مَا أَظْنُ الْمَوْتَ إِلَّا هِينَانِ
إِنَّ بَعْدَ الْمَوْتِ دَارُ الْمُسْتَقْرَرِ

ثُمَّ قال :

(١) صرف الدهر : حدثناه ونوابيه . (٢) حرفي : حلقي على الغصب . (٣) بان : هنا افضل وذهب عنه . (٤) الفهم : سيلان الشعر حتى تضيق به الجبهة والقفا . (٥) النزع : انحسار الشعر من جانبي الجبهة . (٦) الصلم : قطع الأذن والأذن من أصله . واصطلمه : استأصله .

أَذَا الْرَّشِينِ إِنِي عَائِدُكَ مُؤْمِنٌ مُقِرٌّ بِزَلَّاتِي إِلَيْكَ فَقِيرٌ
وَإِنِي وَإِنْ قَالُوا : أَمِيرٌ مُسَلَّطٌ وَحُجَّابٌ أَبْوَابٌ لَهُنَّ صَرِيرٌ
لَا يَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ أَمْرُكَ إِنْ تَدِنْ^(١) فَرَبٌّ وَإِنْ تَغْفِرْ فَإِنْتَ غَفُورٌ
ثُمَّ قَالَ لَابْنِ زِيَادَةَ : أَئْتِيْتُ قَدْمَيْكَ ، وَأَجَدَ الظَّرْبَةَ ، فَإِنِي أَيْتَمَّتُكَ صَفِيرًاً
وَأَرْمَلْتُ أَمْكَ شَابَةً !

(١) تَدِنْ : تَجَازِي .

٨٩ - تَعْدُونَ الذِّئْبَ عَلَى مَنْ لَا كَلَابَ لَهُ *

حجَّ أبو الأسود^(١) الْدَّوْلِي وَمَعْهُ امْرَأَتُهُ - وَكَانَتْ جَمِيلَةً - فَبِينَا هِيَ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ إِذْ عَرَضَ لَهَا عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، فَأَتَتْ أَبَا الْأَسْوَدَ فَأَخْبَرَتْهُ، فَأَتَاهَا الْأَسْوَدُ فَعَاتَبَهُ، قَالَ لَهُ عُمَرُ : مَا فَعَلْتُ شَيْئًا ، فَلَمَّا عَادَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ عَادَ فَكَلَمَهَا ؛ فَأَخْبَرَتْ أَبَا الْأَسْوَدَ، فَأَتَاهَا فِي الْمَسْجِدِ وَهُوَ مُعَمٌ قَوْمٌ جَالِسٌ قَالَ لَهُ :

وَإِنِّي لَيَمْتَنِي عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنَّا وَعَنِ شَمِّ أَقْوَامٍ خَلَائِقُ أَرْبَعٍ حَيَاةً وَإِسْلَامٌ وَبُقْيَا^(٢) وَأَنِّي كَرِيمٌ ، وَمِثْلِي قَدْ يَنْصُرُ وَيَنْفَعُ فَشَّانَ ما يَبْنِي وَيَبْنِكَ إِنِّي عَلَى كُلِّ حَالٍ أَسْتَقِيمُ وَتَظَلَّعُ^(٣)

قَالَ لَهُ عُمَرُ : لَسْتُ أُعُودُ يَامِ لِكَلَامِهَا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ ، ثُمَّ عَادَ فَكَلَمَهَا ؛ فَأَتَتْ أَبَا الْأَسْوَدَ فَأَخْبَرَتْهُ، فَجَاءَ إِلَيْهِ قَالَ لَهُ :

أَنْتَ الْفَقِي وَابْنُ الْفَقِي وَأَخُو الْفَقِي وَسِيدُنَا لَوْلَا خَلَائِقُ أَرْبَعٍ نَكُولُ عَنِ الْجَلَّى ، وَقُرْبُ مَنْ اخْنَا وَبُخْلُ عَنِ الْجَدْوَى ؛ وَأَنِّكَ تَبْعَ^(٤)

ثُمَّ خَرَجَتْ وَخَرَجَ مَعْهَا أَبُو الْأَسْوَدُ مُسْتَقِلًا عَلَى سِيفٍ ، فَلَمَّا رَأَاهَا عُمَرُ أَعْرَضَ عَنْهَا ، فَتَمَثَّلَ أَبُو الْأَسْوَدُ :

تَعْدُونَ الذِّئْبَ عَلَى مَنْ لَا كَلَابَ لَهُ وَتَتَسْقِي صَوْلَةَ الْمُسْتَأْسِدِ الْحَامِي

* الأغاني : ١ - ١٤٨

(١) هو ظالم بن عمرو أبو الأسود الْدَّوْلِي الْكَنَّانِي صاحب على وواضع النحو ، وصاحب النوادر المتعة في الآداب العربية . توفي سنة ٦٩ هـ . (٢) يقال : أبقيت عليه بقياً : أشفقت عليه ورحمته .

(٣) ظلم : عرج وغمز في مشيته . (٤) يقال : هو تبع نساء ، إذا جد في طلبهن .

* ٩٠ - الأحوص وابن حزم الانصاري *

شَبَّبُ الْأَحْوَصَ^(١) بِإِمْرَأَةٍ يَقَالُ لَهَا: أُمُّ جَعْفَرٍ، قَالَ فِيهَا: أَدُورُ وَلَوْلَا أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ بِأَيَّاتِكُمْ مَا دَرْتُ حَيْثُ أَدُورُ وَمَا كَنْتُ زَوَّارًا وَلَكِنْ ذَا الْمُوْى إِذَا لَمْ يُزَرْ لَا بَدَّ أَنْ سِيْزُورُ وَكَانَ لَأُمَّ جَعْفَرٍ أَخٌ يَقَالُ لَهُ أَيْمَنٌ، فَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ ابْنُ حَزْمَ الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ وَالِيُّ الْمَدِينَةِ لِلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَبَعْثَ ابْنُ حَزْمَ إِلَى الْأَحْوَصَ فَأَتَاهُ - وَكَانَ ابْنُ حَزْمَ يُبَيِّضُهُ - قَالَ: مَا تَقُولُ فِيمَا يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: وَمَا يَقُولُ؟ قَالَ: يَزْعُمُ أَنَّكَ تُشَبَّهُ بِآخْتَهُ، وَقَدْ فَضَّحْتَهُ وَشَهَرْتَ بِهِ! فَأَنْكَرَ الْأَحْوَصَ ذَلِكَ.

قَالَ لَهُمَا: قَدْ اشْتَبَهَ عَلَيَّ أَمْرُكَا؛ وَلَكِنِي أُدْفِعُ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكَا سُوْطَاهُ نَمْ اجْتَلِدَا - وَكَانَ الْأَحْوَصَ قَصِيرًا نَحِيفًا، وَكَانَ أَيْمَنُ طَوِيلًا ضَخِيمًا - فَاجْتَلَدَا، فَتَلَبَّ أَيْمَنُ الْأَحْوَصَ فَضَرَبَهُ حَتَّى صَرَعَهُ وَأَنْخَنَهُ.

فَلَمَّا رَأَى الْأَحْوَصَ تَحَمَّلَ ابْنَ حَزْمَ عَلَيْهِ امْتِدَاحَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ شَخَصَ إِلَيْهِ فِي الشَّامِ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ وَأَنْشَدَهُ:

أَهْوَى أُمِيَّةً إِنْ شَطَّتْ وَإِنْ قَرَبَتْ يَوْمًا وَأَهْدَى لَهَا نَصْحَى وَأَشْعَارِي

* المقد الفريد: ٣ - ٢٩١ ، الأغاني: ٤ - ٢٣٨

(١) كان الأحوص شاعراً سمح الطبع، سهل الكلام، صحيح معانى الشعر، ولشعره رونق ودببة صافية، مع حلاوة وعذوبة ألفاظه، إلا أنه كان قليل الروءة والدين، بهجاء للناس .

ولو ورددتُ عليها الفَيْضُ^(١) ماحفلاتٍ
ولا شفتْ عَطَشِي من مائهِ الجارى
لا ترثينَ لَحْزَمِي رأيتَ به ضُرًّا ولو أَلْقَى الحَزَمِي في النارِ
الناخِسِينَ^(٢) بِمِرْوانِ بَنْ ذِي خُشْبٍ^(٣) والمقْحِمِينَ على عَمَانَ في الدارِ

فقال له الوليد : صدقت ، والله لقد كننا غفلنا عن حَزْمٍ وآل حَزْم . ثم دعا
كتبه فقال : اكتب عهد عَمَانَ بنَ حَيَّانَ الْأَرَسِي على المدينة واعزل ابنَ حَزْم ،
وَاكْتُبْ بِقَبْضٍ أمواله وأموال آل حَزْم ، وإسقاطهم أجمعين من الديوان ، ولا
يأخذوا الأموالِ عطاياً أبداً . ففعل ذلك ، فلم يزالوا في الحرمان للعطاء مع ذهاب
الأموال والضياع حتى انقضت دولة بني أمية ، وجاءت دولة بني العباس .

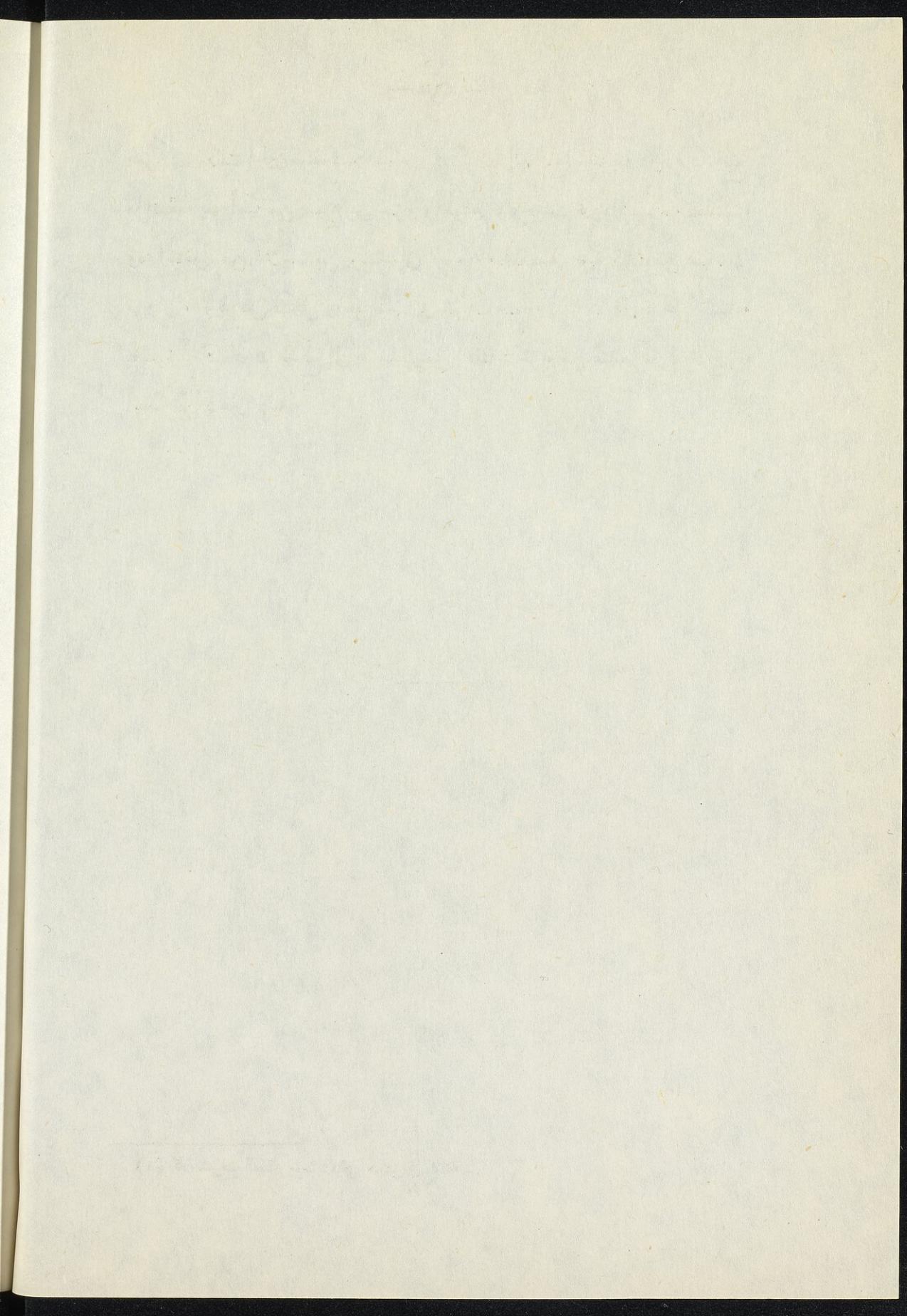
فَلَمَّا قَامَ أَبُو جعْفَرَ الْمُنْصُورَ بِأَمْرِ الدُّولَةِ ، قَدِمَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ، فَجَلَسَ لَهُ ،
وَأَمْرَ حَاجِبَهُ أَنْ يَتَقدَّمَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ يَنْتَسِبْ لَهُ إِذَا قَامَ بَيْنَ يَدِيهِ ،
فَلَمْ يَرَالَا عَلَى ذَلِكَ يَفْعَلُونَ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ قَصِيرٌ قَبِيحٌ الْوَجْهِ؛ فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدِيهِ
قَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! أَنَا بْنُ حَزْمٍ الْأَنْصَارِي الَّذِي يَقُولُ فِيَنَا الْأَخْوَصُ :
لا ترثينَ لَحْزَمِي رأيتَ به ضُرًّا ولو أَلْقَى الحَزَمِي في النارِ
الناخِسِينَ بِمِرْوانِ بَنِ ذِي خُشْبٍ والمقْحِمِينَ على عَمَانَ في الدارِ

ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! حَرَمْنَا الْعَطَاءَ مِنْذَ سَنِينَ ، وَقَبضَتْ أَمْوَالُنَا وَضَيَاعُنَا .
فَقَالَ الْمُنْصُورُ : أَعِدْ عَلَى الْبَيْتَيْنِ ، فَأَعْدَاهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَمَا وَاللهِ لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ

(١) الفَيْضُ : نهر بالبصرة . (٢) الناخِسِينَ بِمِرْوانَ : يزيد الطاردين لمروان والمزعجين له ، يقال : نحسوا بفلان ، إذا نحسوا دابتة من خلفه ، وطردوه حتى سiroه في الآفاق . (٣) ذو خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة ، وكان مروان بن الحكم في المدينة في خلافة يزيد ، ولما كانت وقعة المعركة أخرجها الشاعرون هو وعمان بن أبي سفيان وبقية بني أمية من كان يقيم بالمدينة ، وكان في الشاعرين محمد بن عمرو بن حزم .

ضرَّكِ فِي ذَلِكَ الْحَيْنِ لِيَنْفَعَنَّكِ الْيَوْمُ . ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عَامِلِ الْمَدِينَةِ أَنْ يَرْدَدَ جَمِيعَ
مَا افْتَطَعَهُ بَنُو أُمَّيَّةَ مِنْ ضِيَاعِ بَنِي حَزْمٍ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَيَحْسَبَ لَهُمْ مَا فَاتَهُمْ مِنْ عَطَافِهِمْ ،
وَمَا اسْتَغْلَلَ مِنْ غَلَّافِهِمْ مِنْ يَوْمَئِذٍ إِلَى الْيَوْمِ ، فَيَخَافُ لَمْ جَمِيعُ ذَلِكَ مِنْ ضِيَاعِ بَنِي
مَرْوَانَ ، وَيَفْرُضُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي شَرْفِ الْمَطَاءِ^(١) . ثُمَّ قَالَ : عَلَى السَّاعَةِ
بِعَشْرَةِ آلَافِ درَّهْمٍ تُدْفَعُ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ لِنَفْقَتِهِ ؟ نَفْرَجُ مِنْ عَنْدِهِ بِمَا لَمْ يَخْرُجْ بِهِ
أَحَدٌ مِنْ دَخْلِهِ عَلَيْهِ .

(١) كَانَ شَرْفُ الْمَطَاءِ يَوْمَئِذٍ مائِيَّ دِينَارٍ فِي السَّنَةِ .



البَابُ الْرَّابِعُ

فِي الْقَصَصِ الَّتِي أَرَادَ بَهَا الْكِتَابُ تَصْوِيرَ حَالَةً ،
أَوْ شَخْصٍ ، أَوْ مَجْلِسٍ ، وَاخْتَرُوا لَهَا مِنَ الْكَلَامِ
مَا يَلْغِي إِرَادَتَهُمْ ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْبَابُ مَا وَضَعُوهُ
عَلَى أَلْسِنَةِ الطَّيْرِ وَالْبَهَائِمِ ، وَأَنْوَاعِ الْحَيْوَانِ مِنْ مَحَاورَاتِ
وَأَحَادِيثِ تَحْمِلُ فِي أَثْنَائِهَا الْعَبْرَةُ وَالْمَظَاهَرُ وَالنَّصْحُ .

* ٩١ - أَكَلْتُ يَوْمَ أَكَلَ الثُّورُ الْأَيْضُ

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه : إنما مثلى ومثل عثمان
كمثل أنوار ثلاثة كن في أَجْمَةَ : أبيض ، وأسود ، وأحمر ؛ ومعهنَّ فيها أسد ،
فكان لا يقدر منهُنَّ على شيءٍ لاجتمعُنَّ عليهِ .

فقال للثور الأسود والثور الأحمر : لا يدل علينا في أَجْمَتنا إلا الثور الأبيض ،
فإنَّ لونه مشهور ، ولو نهى على لونكمَا ، فلو تركتماني آكله صفت لنا الأَجْمَةَ ،
قالا له : دونك فَكُلْهُ ، فأَكَلَهُ .

فَلَمَّا مَضَتْ أَيَامٌ ، قَالَ لِلأَحْمَرِ : لونى على دونك فدعنى آكل الأسود لتصفو لنا
الأَجْمَةَ ! فَقَالَ لَهُ : دونك فَكُلْهُ ، فأَكَلَهُ .

ثُمَّ قَالَ لِلأَحْمَرِ : إِنِّي آكِلُكَ لَا حَالَةَ ، قَالَ : دعنى أنا دى ثلاثة ، قَالَ : افعل ؛
فَنَادَى : أَلَا إِنِّي أَكَلْتُ يَوْمَ أَكَلَ الثُّورُ الْأَيْضُ ؟ ثُمَّ قَالَ عَلَى رضى الله عنهَ :
أَلَا إِنِّي أَهِنْتُ يَوْمَ قُتِلَ عَمَانُ ! يرفع بها صوته !

* بجم الأمثال : ١ - ٢٣
(١) الأَجْمَةَ : الشجر الكثير الملتَفِ.

* ٩٢ — حديث السقيفه

قال أبو حيّان^(١) على بن محمد التوّحيدى البغدادى : سرنا ليلة عند القاضى أبي حامد^(٢) أَبْنِ بُشْرٍ الْمَرْوُذِى بِبَغْدَادٍ ، فَتَصَرَّفَ فِي الْحَدِيثِ كُلَّ مُتَصَرِّفٍ ، وَكَانَ غَزِيرَ الرَّوَايَةِ ، لطيف الدّراية ، فَجَرَى حَدِيثُ السَّقِيفَةِ ؟ فَرَكِبَ كُلَّ مَرْكَبًا ، وَقَالَ قَوْلًا ، وَعَرَضَ شَيْئًا ، وَنَزَعَ إِلَى فَنِّ .

قال : هل فيكم من يحفظ رسالة لأبي بكر الصديق ، رضى الله عنه ، إلى على^{*} ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، وجوابه على عنها ، ومبأيته إياه عقب تلك المناورة ؟ فقال الجماعة : لا والله ، فقال : هي والله من بنات الحقائق ، ومحبيات الصنادق ، ومنذ حفظتها ماروتها إلا لأبي محمد المهاجى في وزارته ، فشكبها عن يده وقال : لا أعرف رسالة أعقل منها ولا أبين ، وإنها تدل على علم وحلم ، وفصاحة ونباهة ، وبعد غور ، وشدة غوص .

قال له العبادى : أيها القاضى ؟ فلو أتممت المتن علينا بروايتها ؟ أسمعنها ؟ فتحن أوعى لك من المهاجى ، وأوجب ذماماً عليك ، فاندفع ، وقال : حدثنا عيسى بن داوب ، قال : سمعت مولاي أبا عبيدة يقول : لما استقامت الخلافة لأبي بكر رضى الله عنه بين المهاجرين والأنصار ، بعد فتنة كاد الشيطان

* ابن أبي الحديد : ٢ - ٥٩٣ ، صبح الأعشى : ٢ - ٢٧٣ ، نهاية الأربع : ٧ - ٢١٣

(١) فيلسوف متصرف ، ولد في نيسابور ، وأقام مدة ببغداد ، وانتقل إلى الرى فصيحب ابن العميد والصاحب بن عباد ، توفي نحو سنة ٤٠٠ هـ .

(٢) قاض من أكابر الفقهاء أصحاب الشافعى ، أقام زمناً بالبصرة ، ثم رحل إلى بغداد . توفي سنة ٥٣٦ هـ .

بها ، فدفع الله شرّها ، ويسّر خيراها ، بلغ أبا بكر عن علي تلكر وشمام^(١) ، وتهشم^(٢) ونفاس^(٣) ، فكره أن يتمادي الحال فتبدوا العورات ، وتشتعل الجرة ، وتتفرق ذات البين ؛ فدعاني بحضوره في خلوة - وكان عنده عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه وحده - فقال : يا أبا عبيدة ؟ ما أيمان ناصيتك ، وأبين الحير بين عينيك ! طالما أعز الله بك الإسلام ، وأصلح شأنه على يديك ، ولقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان المحوط ، وال محل المغبوط ؛ ولقد قال فيك في يوم مشهود : « لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة » ، ولم تزل للدين ملتحقا ، وللمؤمنين مرجحا ، ولأهلك ركنا ، ولإخوانك ردعا .

قد أردتُك لأمرٍ خطره تحوف ، وإصلاحه من أعظم المعروف ، وللن لم يندِم جزْه يسارك ورفقك ، ولم تنجُ^(٤) حيَّة برقيتك ، وقع اليأس ، وأغضَلَ البَاس ، واحتياجَ بذلك إلى ما هو أمر منه وأعلق ، وأعسر منه وأغلق ، والله أسأل تمامه بك ونظامه على يديك ، ففات^(٥) له أبا عبيدة وتلطّف فيه ، وانصرخَ الله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وهذه العصابة غير آل جهاد ، ولا قال حدا ، والله كائنك وناصرك ، وهاديك وبصرك إن شاء الله .

امض إلى على ، واخفض له جناحك ، واغضض عنده صوتك ، واعلم أنه سلاة أبي طالب ، ومكانه من فقد ناه بالأمس - صلى الله عليه وسلم - مكانه

(١) الشمام : المعاندة والمعاداة . (٢) التهم : من تهم الشيء : طلبه وتحسسه . (٣) نافس في الشيء : رغب فيه على وجه المبارزة والمحاكمة . (٤) تنجي : تقطع . (٥) تأثت له : تهيا له وأنه من وجده .

وقل له : الْبَحْرُ مَفْرَقَةُ ، وَالْبَرُّ مَفْرَقَةُ ، وَالْجَوَاءُ كَفٌ^(١) ، وَاللَّالِيلُ أَغْدَفٌ^(٢) ، وَالسَّمَاءُ جَلْوَاءُ^(٣) ، وَالْأَرْضُ صَلَاعَةُ^(٤) ، وَالصَّمُودُ مُتَعَذِّرٌ ، وَالْهَبُوطُ مُتَعَسِّرٌ ، وَالْحَقُّ عَطُوفٌ رَّءَوفٌ ، وَالْبَاطِلُ عَنُوفٌ عَسُوفٌ ، وَالْعَجْبُ قَدَّاحَةُ الشَّرِّ ، وَالضَّفْنُ رَائِدُ الْبَوَارِ ، وَالتَّعْرِيْضُ سِجَارُ الْفَتَنَةِ ، وَالْقِحَّةُ ثَقَوْبُ^(٥) الْعَدَاوَةِ ؛ وَهَذَا الشَّيْطَانُ مُتَكَبِّرٌ عَلَى شَمَالِهِ ، مُتَحَيَّلٌ^(٦) بِيمِينِهِ ، نَافِخٌ حَضْنِيَّةً^(٧) ، يَنْتَظِرُ الشَّتَّاتَ وَالْفَرَقَةَ ، وَيَدِيبُ بَيْنَ الْأَمْمَةِ بِالشَّحْنَاءِ وَالْعَدَاوَةِ ، عِنَادًا لِّلَّهِ عَزَّ وَجَلَ أَوْلًا ، وَلَادِمَ ثَانِيًّا ، وَلَنَيْبِيَّهُ - صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَدِينِهِ ثَالِثًا ، يُوسُوسُ بِالْفَخُورِ ، وَيُدَلِّي بِالْفَرُورِ ، وَيَمْنَى أَهْلَالِ الشَّرُورِ ، يُوحِي إِلَى أُولَيَائِهِ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غَرُورًا بِالْبَاطِلِ ، دَأْبًا لَّهُ مِنْذُ كَانَ عَلَى عَهْدِ أَيْتَنَا آدَمَ ، وَعَادَةً لَّهُ مِنْذُ أَهَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي سَالِفِ الدَّهْرِ ، لَا مَنْجَى مِنْهُ إِلَّا يَعْصِي النَّاجِدُ^(٨) عَلَى الْحَقِّ ، وَغَضَّ الْطَّرْفَ عَنِ الْبَاطِلِ ، وَوَطَءَ هَامَةً عَدُوَّ اللَّهِ بِالْأَشَدِّ فَالْأَشَدِّ ، وَالْأَكْدِ فَالْأَكْدِ ، وَإِسْلَامُ النَّفْسِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ فِي ابْتِغَاءِ رَضَاهُ .

وَلَا بدَّ الآنَ مِنْ قُولٍ يَنْفَعُ إِذْ قَدْ أَضَرَّ السَّكُوتُ ، وَخِيفَ غِبَّةً ؛ وَلَقَدْ أَرْشَدَكَ مَنْ أَفَاءَ^(٩) ضَالَّتَكَ ، وَصَافَاكَ مِنْ أَحْيَا مُوَدَّتَهِ بِعِتَابِكَ ، وَأَرَادَ لَكَ الْخَيْرَ مِنْ آثَرِ الْبَقاءِ مَعَكَ .

ما هذا الذي تسُوّلُ لَكَ نَفْسُكَ ؟ وَيُدَوِّي^(١٠) بِهِ قَلْبُكَ ، وَيَلْتَوِي عَلَيْهِ رَأْيُكَ ،

(١) أَكْلَفُ : أَسْوَدَ تَعْلُوهُ حَمْرَةً . (٢) أَغْدَفُ : مُظْلَمٌ . (٣) جَلْوَاءُ : مَصْحِيَّةٌ . (٤) صَلَاعَةُ : خَالِيَّةٌ لَا شَجَرٌ فِيهَا . (٥) ثَقَوْبُ : مَا أَشْعَلَ بِهِ . (٦) التَّحْيَلُ : الْأَخْتِيَالُ . (٧) نَافِخُ حَضْنِيَّةً : أَى مُسْتَعْدَ لَأَنْ يَعْمَلُ عَمَلَهُ مِنَ الشَّرِّ . (٨) عَضُّ عَلَيْهِ بِالنَّوَاجِدِ ، أَى تَمْسِكُ بِهِ . (٩) أَفَاءَ : أَرْجَمَ .

(١٠) دَوْيُ الطَّائِرُ : إِذَا دَارَ فِي طِيرَانِهِ .

ويتباوْصُ^(١) دونه طرْفَك ، ويَسْرِي فِيهِ خَطْعَنْك ، وَيَتَرَادُ مَعَهُ نَفْسُك ، وَتَكْثُر
مَعَهُ صُعْدَاوَك ، وَلَا يَقِيضُ بِهِ لَسَانُك ؟ أَعْجَمَةُ بَعْدَ إِفْصَاحٍ ! أَتَلَبِيسُ^(٢) بَعْدَ
إِيْضَاحٍ ؟ أَدِينُ غَيْرَ دِينِ اللَّهِ ؟ أَخْلُقُ غَيْرَ خُلُقِ الْقُرْآنِ ؟ أَهْدَى غَيْرُ هُدَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! أَمْثَلِي تَمْشِي لَهُ الضَّرَاءِ وَتَدِبُّ لَهُ الْأَخْمَرُ^(٣) ! أَمْ مِثْلُكِ
يَنْقِبِيْضُ عَلَيْهِ الْفَضَاءَ ، وَيُكْسِفُ فِي عَيْنِهِ الْقَمَرَ ؟ مَا هَذِهِ الْعَقْقَةُ^(٤) بِالشَّنَانِ^(٥) !
وَمَا هَذِهِ الْوَعْوَةُ بِاللَّسَانِ !

إِنَّكَ وَاللَّهُ جِدُّ عَارِفٍ بِاسْتِجَابَتِنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَبَخْرُوجُنَا عَنْ أُوطَانِنَا وَأُمَوَالِنَا وَأَوْلَادِنَا وَأَحِبَّتِنَا ؛ هَجْرَةً إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
وَنُصْرَةً لِدِينِنِهِ فِي زَمَانٍ أَنْتَ فِيهِ فِي كِنٌْ الصَّبَا ، وَخَدْرُ الْفَرَارَةِ ، وَعُنْفُوَانِ الشَّبِيبَيَّةِ ،
غَافِلُ عَمَّا يُشَيْبُ وَيُرِيبُ ، لَا تَعِي مَا يُرِادُ وَيُشَادُ ، وَلَا تُحَصِّلُ مَا يُسَاقُ وَيُقادُ ،
سُوِيَّ مَا أَنْتَ جَارٍ عَلَيْهِ إِلَى غَايَتِكَ الَّتِي إِلَيْهَا عُدِلَّ بَكَ ، وَعِنْدَهَا حُطَّ رَحْلُكَ ،
غَيْرَ مَجْهُولِ الْقَدْرِ ، وَلَا تَجْحُودِ الْفَضْلِ ؛ وَنَحْنُ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ نُعَانِي أَحْوَالًا تُزِيلُ
الرَّوَاسِيِّ ، وَنُقَاسِي أَهْوَالًا تُشَيِّبُ التَّوَاصِيِّ ، خَائِضِينِ غَيَارَهَا ، رَاكِبِينِ تِيَارَهَا ،
تَجْرِيْعُ صَابِهَا ، وَنَشَرَجُ^(٦) عِيَابَهَا ، وَنُحَكِّمُ أَسَاسَهَا وَنُبَرِّمُ أَمْرَاسَهَا^(٧) ، وَالْعَيْوَنُ
تُحَدَّجُ^(٨) بِالْحَسْدِ ، وَالْأَنْوَفُ تُعَطِّسُ بِالْكِبْرِ ، وَالصُّدُورُ تَسْتَعِيرُ بِالْفَيْظِ ، وَالْأَعْنَاقُ

(١) يتباوْصُ: يغضُ عن بصره . (٢) التلبيس: التخليط . (٣) الضراء: الشجر الملتئف في الوادي، والمراد الاستخفاء . والآخر: ما واراك من شجر، وهو مثل بضرب لمن يخدع صاحبه . (٤) الشنان: جمع شن، وهو القرية الخلق الصغيرة، والعققة: الصوت . يزيد أنه لا ينحوف بمثل هذا . (٥) أشرج الصيبة وشرجها: ضم بعض عراها إلى بعض، والعيايب: جمع عيبة، وهي وعاء من أدم تجعل فيه الثياب . (٦) أمراسها: جمع مرس ككتف: وهو الجبل . (٧) تحدق.

تقطاول بالفَخِرِ ، والشَّفَارُ تُسْحَدُ بِالْمَكَرِ ، وَالْأَرْضُ تَمِيدُ بِالنَّجْوَفِ ، لَا نَنْتَظِرُ عِنْدَ
السَّاءِ صَبَاحًا ، وَلَا عِنْدَ الصَّبَاحِ مَسَاءً ، وَلَا نَدْفَعُ فِي نَحْرٍ أَمْرًا إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَحْسُسُوا
الْمَوْتَ دُونَهُ ، وَلَا تَبْلُغُ مُرَادًا إِلَّا بَعْدَ الْإِبَاسِ مِنَ الْحَيَاةِ عِنْدَهُ ، فَادِينَ فِي جَمِيعِ ذَلِكِ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَبْ وَالْأُمْ ، وَالْخَالِ وَالْمَعْ ، وَالْمَالِ وَالنَّشَبِ ، وَالسَّبَدِ
وَاللَّبِدِ^(١) ، وَالْهَلَلَةِ^(٢) وَالْبِلَةِ ، بِطِيبِ أَنْفُسِ ، وَقُرْةِ أَعْيُنِ ، وَرُحْبِ أَعْطَانِ ،
وَبَاتِ عَزَائِمِ ، وَصِحَّةِ عَقُولِ ، وَطَلاقَةِ أَوْجَهِ ، وَذَلَاقَةِ أَسْنُنِ .

هذا مع خَفِيَّاتِ أَسْرَارِ ، وَمَكْنُونَاتِ أَخْبَارِ ، كَنْتَ عَنْهَا غَافِلًا ، وَلَوْلَا سِنْثَ
لَمْ تَكُنْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا نَاكِدَلَا^(٣) ، وَكَيْفَ وَفَوَادُكَ مَشْهُومٌ^(٤) ، وَعُودُكَ مَعْجُومٌ !
وَالآنْ قَدْ بَلَغَ اللَّهُ بِكَ ، وَأَنْهَضَ الْخَيْرَ لَكَ ، وَجَعَلَ مَرَادَكَ بَيْنَ يَدِيكَ ، وَعِنْ عَلَمِ
أَقْوَلَ مَا تَسْمَعُ ، فَارْتَقَبْ زَمَانَكَ ، وَقَلَصَ أَرْدَانَكَ^(٥) ، وَدَعَ التَّعَسُّسَ وَالتَّجَسُّسَ
لَمْ لَا يَظْلَمْ^(٦) لَكَ إِذَا خَطَا ، وَلَا يَتَزَحَّزْ عَنْكَ إِذَا عَطَا^(٧) ؛ فَالْأَمْرُ غَضَّ ؟
وَالنَّفُوسُ فِيهَا مَضَّ ، وَإِنَّكَ أَدِيمُ هَذِهِ الْأَمْمَةِ ، فَلَا تَحْتَلِمَ^(٨) لِجَاجَا ، وَسِيفُهَا
الْعَصْبُ ، فَلَا تَذْبُ اعْوَجَاجَا ، وَمَاوَهَا الْعَذْبُ ، فَلَا تَحْتَلِمُ اجَاجَا .

وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ ، فَقَالَ لِي :
يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ هُوَ لَمْ يَرْغَبْ عَنْهُ لَمْ يَجَاهِشْ^(٩) عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَتَضَاعِلْ عَنْهُ لَمْ

(١) السَّبَدُ : الشِّعْرُ . وَاللَّبِدُ : الصُّوفُ . وَالْمَرَادُ : فَقِدِيهِ بِكُلِّ مَا نَعْلَكُ . (٢) يَقَالُ : جَاءَنَا فَلَانْ
فَلَمْ يَأْتِنَا بِهِلَةٍ وَلَا بَلَةٍ : أَيْ لَمْ يَأْتِنَا بِشَيْءٍ ، فَأَهْلَلَهُ مِنَ الْفَرَحِ وَالْأَسْتِهْلَالِ ، وَالْبَلَةُ مِنَ الْبَلَلِ وَالْخَيْرِ .

(٣) نَكْلُ عَنِ الشَّيْءِ : نَكْسُ وَجْنِ . (٤) مَشْهُومٌ : ذُكْرٌ مُتَوَقَّدٌ . (٥) الْأَرْدَانُ : جَمْ رَدْنَ :
وَهُوَ أَصْلُ السَّكَمِ أَوِ السَّكَمِ كُلَّهُ . (٦) ظَلَمْ فِي مُشِيهِ : عَرْجٌ وَغَمْزٌ . (٧) عَطَا : مَدَ إِلَيْكَ عَنْهُ
وَأَقْبَلَ نَحْوَكَ . (٨) حَلَمُ الْجَلْدِ : فَسْدٌ وَتَقْبَبٌ . (٩) يَطْلُبُهُ وَيَدْأَفِعُ عَنْهُ .

يَنْفَعُ^(١) إِلَيْهِ ؛ هُوَ مَنْ يُقَالُ هُوَ لَكَ ، لَا مَنْ يَقُولُ هُوَ لَيْ.

ولقد شاورني رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّهْرِ ، فَذَكَرَ فِتْيَانًا مِنْ قَرِيشٍ ، قَالَتْ : أَيْنَ أَنْتَ مِنْ عَلَى^٢ ! قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي أَكَرَهُ لَفَاطِمَةَ مَيْعَةَ^(٣) شَبَابِهِ ، وَحَدَائِقَ سِنِّهِ . قَالَتْ لَهُ : مَتِي كَسَفَتْ يَدُكَ ، وَرَعَتْ عَيْنَكَ ، حَفِظْتَ بِهِمَا الْبَرَكَةَ ، وَأَسْبَغْتَ عَلَيْهِمَا النِّعَمَةَ ؟ مِنْ كَلَامِكَ كَثِيرٌ خَاطِبْتُهُ بِهِ ؛ رَغْبَةً فِيْكَ ، وَمَا كَنْتُ عَرْفَتُ مِنْكَ فِي ذَلِكَ لَا حَوْجَاءَ^(٤) وَلَا لَوْجَاءَ ، قَالَتْ مَا قَلْتُ وَأَنَا أُرَى مَكَانَ غَيْرِكَ ، وَأَجَدُ رَأْحَةَ سِوَاكَ ، وَكَنْتُ إِذْ ذَاكَ خَيْرًا لَكَ مِنْكَ الْآنَ لِي .

وَلَئِنْ كَانَ عَرَضَ بِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، فَلَمْ يَكُنْ مُعْرِضاً عَنْ غَيْرِكَ ؛ وَإِنْ كَانَ قَالَ فِيْكَ فَإِنَّكَ سَكَتَ عَنْ سِوَاكَ ؛ وَإِنْ تَلَجَّلَ^(٥) فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ فَهُمْ^٦ ، فَأَلْحَكُمُ مَرْضِيَّ^٧ ، وَالصَّوَابَ مَسْمُوعٌ ، وَالْحَقُّ مُطَاعٌ .

وَلَقَدْ قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهُوَ عَنِ الْعَصَابَةِ رَاضٍ ، وَعَلَيْهَا حَدِيبٌ ، يَسِّرْهُ مَا سَرَّهَا ، وَيُسْوِهُ مَا سَاءَهَا ، وَيَكْيِدُهُ مَا كَادَهَا ، وَيُرْضِيهِ مَا أَرْضَاهَا ، وَيُسْخِطُهُ مَا أَسْخَطَهَا .

أَمَّا تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَدَعْ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَقْارَبِهِ وَسُجَرَائِهِ^(٨) ، إِلَّا أَبَانَهُ بِفَضْيَلَةِ ، وَخَصَّهُ بِمَزِيَّةٍ ، وَأَفْرَدَهُ بِحَالَةٍ ، لَوْ أَصْفَقَتِ الْأَمْمَةُ عَلَيْهِ لَأَجْلَمْهَا لِكَانَ عِنْدَهُ إِيَالَتَهَا

(١) يَنْتَلِمُ وَيَرْتَفِعُ إِلَيْهِ . (٢) مَيْعَةُ الشَّبَابِ : أَوْلَهُ . (٣) أَيْ مَا كَنْتُ عَرْفَتُ مِنْكَ شَيْئًا .

(٤) تَلَجَّلَ : تَرَدَّدَ . (٥) سُجَرَائِهِ : أَصْفَيَائِهِ :

وَكَفَالَّهَا^(١) . أَتَظَنُ أَنَّهُ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكَ الْأُمَّةَ سُدًّا بَدَادًا ؟ عَبَاهِل^(٢) مِبَاهِلَ ، طَلَاحَى^(٣) مَفْتُونَةً بِالْبَاطِلِ ، مَعْنَوْنَةً^(٤) عَنِ الْحَقِّ ؛ لَا رَائِدَ وَلَا ذَائِدَ ، وَلَا ضَابِطَ وَلَا حَاطِطَ ، وَلَا سَاقَ وَلَا وَاقَ ، وَلَا هَادِي وَلَا حَادِي ! كَلَّا ! وَاللَّهُ مَا اشْتَاقَ إِلَى رَبِّهِ ، وَلَا سَأَلَهُ الْمَصِيرَ إِلَى رِضْوَانِهِ وَفُرُّيهِ ؛ إِلَّا بَعْدَ أَنْ ضَرَبَ الْمَدَى ، وَأَوْضَحَ الْمَهْدَى ، وَأَبَانَ الصَّوَى^(٥) ؛ وَأَمْنَ الْمَسَالِكَ وَالْمَطَارِحَ ؛ وَسَهَّلَ الْمَبَارَكَ وَالْمَهَايِعَ^(٦) ؛ وَإِلَّا بَعْدَ أَنْ شَدَّخَ يَافُوخَ^(٧) الشَّرْمَكَ يَإِذْنِ اللَّهِ ، وَشَرَمَ وَجْهَ النَّفَاقِ لِوَجْهِ اللَّهِ ، وَجَدَعَ أَنْفَ الْفَتَنَةِ فِي ذَاتِ اللَّهِ ، وَتَفَلَّ فِي عَيْنِ الشَّيْطَانِ بِعُونِ اللَّهِ ، وَصَدَعَ بَلْءَ فِيهِ وَيَدِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَبَعْدُ فَهُؤُلَاءِ الْمَهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ عِنْدَكُمْ ؛ وَمَعَكُمْ فِي بُقْعَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَدارَ جَامِعَةٌ ، إِنْ اسْتَقَالُوا نِيَّتُكُمْ وَأَشَارُوا عِنْدَكُمْ بِكَمْ ، فَأَنَا وَاضِعٌ يَدِي فِي يَدِكُمْ ، وَصَائِرٌ إِلَى رَأْيِهِمْ فِيَكَ .

وَإِنْ تَكُنَّ الْآخَرِيَّ فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ ؛ وَكُنْ الْعُونَ عَلَى مَصَاحِبِهِمْ ، وَالْفَاتِحَ لِمَغَالِقِهِمْ ، وَالْمُرْشِدَ لِضَالِّهِمْ ، وَالرَّادِعَ لِغَوَّاهِهِمْ ؛ فَقَدْ أَمْرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْتَّعَاوِنِ عَلَى الْبَرِّ وَالْتَّقْوَى ، وَالْتَّنَاصِرِ عَلَى الْحَقِّ ، وَدُعَا نَفْضِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِصَدُورِ بَرِيَّةٍ مِنِ الْغِلَّ ؛ وَنَاقِي اللَّهُ تَعَالَى بِقُلُوبِ سَلِيمَةٍ مِنَ الصُّفْنِ .

(١) أَصْفَقُوا عَلَى كَذَا : أَطْبَقُوا ، وَآلَّ عَلَى الْقَوْمِ لِيَأْلَهُ : ولَى . (٢) عَبَاهِل مِبَاهِل : مِهْمَلَة .

(٣) الطَّلاحِي : السَّكَالَةُ الْمَسِيَّةُ . (٤) مَعْنَوْنَةٌ ، مِنْ عَنْتَ الْفَرْسِ : حِبْسَتَهُ بِالْعَنَانِ . (٥) الصَّوَى :

الْأَعْلَامُ . (٦) الْمَهَايِعُ : الْطَّرَقُ . (٧) الْيَافُوخُ : مَلْتَقِ عَظِيمٍ مَقْدِمَ الرَّأْسِ وَمَؤْخِرِهِ .

وبعد فالناس ثُمَّا مَّامَة^(١) فارْفَقْ بِهِمْ ؛ واحْنُ عَلَيْهِمْ ، وَلِنْ لَهُمْ ، وَلَا تُشْقِ
نَفْسَكَ بِنَا خَاصَّةً مِنْهُمْ ؛ وَاتْرُكْ نَاجِمَ^(٢) الْحَقِّ حَصِيدًا ؛ وَطَائِرُ الشَّرِّ وَاقِعًا ؛ وَبَابَ
الْفَتْنَةِ مَغْلَقًا ، فَلَا قَالَ وَلَا قَيلَ ؛ وَلَا لَوْمَ وَلَا تَعْنِيفَ ، وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ شَهِيدٌ ،
وَبِمَا نَحْنُ عَلَيْهِ بَصِيرٌ .

قال أبو عَبْيُودَةَ : فَلَمَا تَاهَبْتُ لِلنَّهُوضِ قَالَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كُنْ لَدَى
الْبَابِ هُنْيَةً ، فَلَيْ مَعَكَ دُورٌ مِنَ القَوْلِ ، فَوَقَفْتُ وَمَا أَدْرِي مَا كَانَ بَعْدِي ، إِلَّا
أَنَّهُ لَخَفِي بِوْجِهِ يُبَدِّي تَهْلِلاً ، وَقَالَ لِي : قَلْ لِعَلِيٍّ : الرِّقَادُ حَمَلَةٌ ، وَالْهُوَى
مَقْحَمَةٌ^(٣) ، وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُ مَقْامٌ مَعْلُومٌ ، وَحَقُّ مَشَاعِّ أوْ مَقْسُومٌ ، وَنَبَّأَ ظَاهِرٌ
أَوْ مَكْتُومٌ ؛ وَإِنْ أَكْيَسَ الْكَيْسَ مِنْ مَنَحِ الشَّارِدَ تَأْلِفًا ، وَقَارِبَ الْبَعِيدَ تَلْطِفًا ،
وَوَزَنَ كُلَّ شَيْءٍ بِمِيزَانِهِ ، وَلَمْ يَخْلُطْ خَبْرَهُ بِعِيَانِهِ ، وَلَمْ يَجْعَلْ فِتْرَهُ مَكَانَ شِبْرِهِ ؛
دِينًا كَانَ أَوْ دُنْيَا ؛ ضَلَالًا كَانَ أَوْ هُدًى .

وَلَا خَيْرٌ فِي عِلْمٍ مُسْتَعْمَلٍ فِي جَهَلٍ ، وَلَا خَيْرٌ فِي مَعْرِفَةٍ مَشْوَبَةٍ بِنُكْرِيٍّ .
وَلَسْنًا كَحِلْدَةٍ رُفْعٍ^(٤) الْبَعِيرَ بَيْنَ الْعِجَانِ وَالْذَّنْبِ . وَكُلُّ صَالِ فِي بَنَارِهِ ؛ وَكُلُّ
سَيْلٍ فِي قَارَارِهِ . وَمَا كَانَ سَكُوتُ هَذِهِ الْمُعَصَابَةِ إِلَى هَذِهِ الْفَاعِيَةِ لِعَيْنِي ، وَلَا
كَلَامًا الْيَوْمِ لِفَرَقٍ أَوْ رِفْقٍ . وَقَدْ جَدَعَ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْفَ كُلِّ ذَيْكِيرٍ ،
وَقَصْمَ ظَهَرٌ كُلُّ جَيْارٍ ؛ وَقَطْعَ لِسَانَ كُلُّ كَذَوْبٍ ، فَإِذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ !

(١) الثَّامَةُ : وَاحِدَةُ الْثَّامَ ، وَهُوَ نَبْتَ ضَعِيفٌ وَهُوَ عَلَى التَّشْبِيهِ . (٢) نَجْمٌ : طَلْمٌ وَظَهَرٌ ،
وَالْحَصِيدُ : الْمَحْصُودُ . (٣) قَحْمٌ فِي الْأَمْرِ : بَرِي بِنَفْسِهِ فِي خَلَاءٍ بِلَارُوِيَةٍ . (٤) الرُّفْعُ : أَصْلُ
الْفَخْذِ مِنْ بَاطِنِهِ ، وَالْعِجَانُ : الْأَسْتَ ، يَرِيدُ أَنْ مَزْلَمَتْهُمْ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ لَيْسَ حَقِيرَةً مَمِيَّنَةً .

ما هذه الْخُنْزُوَانة^(١) التي في فَرَاش^(٢) رَأْسِكَ ؟ ما هـذا الشَّجـا المـعـتـرـضـ فـي مـدـارـجـ أـفـاسـكـ ! ما هـذـهـ القـدـاءـ اـلـتـىـ أـعـشـتـ نـاظـرـكـ ! وما هـذـهـ الـوـحـرـةـ^(٣) اـلـتـىـ أـكـلـتـ شـرـاسـيـفـكـ^(٤) ! وما هـذـاـ الـذـىـ لـبـسـتـ بـسـبـبـهـ جـلـدـ النـقـرـ ، وـاشـتـمـلـتـ عـلـيـهـ بـالـشـحـنـاءـ وـالـنـسـكـرـ !

ولـسـنـاـ فـيـ كـسـرـوـيـةـ كـسـرـىـ ، وـلـافـ قـيـصـرـيـةـ قـيـصـرـ ! تـأـمـلـ لـإـخـوانـ فـارـسـ وـأـبـنـاءـ الـأـصـفـرـ ، قـدـ جـعـلـهـمـ اللـهـ جـزـرـأـ^(٥) لـسـيـوـفـنـاـ ، وـدـرـيـشـةـ^(٦) لـرـمـاحـنـاـ ، وـمـرـمـىـ لـطـعـانـنـاـ ، وـتـبـعـاـ لـسـلـطـانـنـاـ ؟ بـلـ نـحـنـ فـيـ نـورـ نـبـوـةـ ، وـضـيـاءـ رـسـالـةـ ، وـثـمـرـةـ حـكـمـةـ ، وـأـثـرـ رـحـمـةـ ، وـعـنـوانـ نـعـمـةـ ، وـظـلـلـ عـصـمـةـ ، بـيـنـ أـمـةـ مـهـدـيـةـ بـالـحـقـ وـالـصـدـقـ ، مـأـمـونـةـ عـلـىـ الرـسـقـ وـالـفـقـقـ ، هـاـ مـنـ اللـهـ قـلـبـ أـبـيـ ، وـسـاعـدـ قـوـىـ ، وـيـدـ نـاصـرـةـ ، وـعـينـ نـاظـرـةـ .

أـتـُظـنـ ظـنـاـ يـاـ عـلـىـ أـنـ أـبـاـ بـكـرـ وـتـبـ عـلـىـ هـذـاـ الـأـمـرـ مـفـتـنـاـ عـلـىـ الـأـمـةـ ، خـادـعـاـ هـاـ أـوـ مـُتـسـلـطـاـ عـلـيـهـاـ ! أـتـُرـاهـ حـلـ عـقـودـهـاـ ، وـأـحـالـ عـقـولـهـاـ ! أـتـُرـاهـ جـعـلـ نـهـارـهـاـ لـيـلـاـ ، وـوـزـنـهـاـ كـيـلـاـ ، وـيـقـظـتـهـاـ رـقـادـاـ ، وـصـلـاحـهـاـ فـسـادـاـ ! لـاـ وـالـلـهـ ! سـلـاـ عـنـهـاـ فـوـلـهـتـ لـهـ ، وـنـطـامـنـ هـاـ فـلـصـقـتـ بـهـ ، وـمـالـ عـنـهـاـ فـالـتـ إـلـيـهـ ؛ وـاـشـمـارـ دـوـنـهـاـ فـاشـقـمـلـتـ عـلـيـهـ ، حـبـوـةـ حـبـاءـ اللـهـ بـهـاـ ، وـعـاقـبـةـ بـلـغـهـ اللـهـ إـلـيـهـاـ ، وـنـعـمـةـ سـرـبـلـهـ اللـهـ جـالـهـاـ ، وـيـدـ أـوـجـبـ اللـهـ عـلـيـهـ شـكـرـهـاـ ، وـأـمـةـ نـظـرـ اللـهـ بـهـ إـلـيـهـاـ ، وـالـلـهـ أـعـلـمـ بـخـلـقـهـ ، وـأـرـأـفـ بـعـبـادـهـ ، يـخـتـارـ مـاـ كـانـ لـهـ اـلـخـيـرـةـ .

وـإـنـكـ بـحـيـثـ لـاـ يـجـهـلـ مـوـضـعـكـ مـنـ بـيـتـ النـبـوـةـ ، وـمـعـدـنـ الرـسـالـةـ ، وـلـاـ يـجـهـدـ

(١) الخنوانة: الكبر. (٢) فراش الرأس: عظام رفاق تلي الفجف. (٣) الورقة: وزعة، والمراد المداوة والمخمد. (٤) الشراسيف: جمع شرسوف، وهو الطرف الشرف على البطن من الصلم. (٥) المجزر: كل شيء مباح للذبح. (٦) الدريشة: الحلقة يتعلم عليها الطعن والرمي.

حُثُكَ فِيمَا آتاكَ اللَّهُ؛ وَلَكِنْ لَكَ مَنْ يُرَاجِعُكَ بِأَضْخَمَ مِنْ كِبِيرِكَ،
وَقُرْبَى أَمْسَى مِنْ قُرْبَاكَ، وَسَنَّاً أَعْلَى مِنْ سَنَّكَ، وَشَبِيهَ أَرْوَاعَ مِنْ شَبِيهِكَ،
وَسِيَادَةٌ لَهَا أَصْلٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَفَرْعَوْنُ فِي الْإِسْلَامِ، وَمَوَاقِفَ لَيْسَ لَكَ فِيهَا جُلُّ وَلَا
نَاقَةٌ، وَلَا تُذَكِّرُ فِيهَا فِي مَقْدَمَةِ وَلَا سَاقَةٍ^(١)، وَلَا تُنْسِبُ فِيهَا بِذِرَاعٍ وَلَا إِصْبَعٍ،
وَلَا تُخْرِجُ مِنْهَا بِبَازِلٍ وَلَا هُبَّعَ^(٢)، وَلَمْ يَزِلْ أَبُو بَكْرٍ حَبَّةَ قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَاقَةَ نَفْسِهِ، وَعَيْنَيْهِ سَرَّهُ، وَمَفْزَعَ رَأْيِهِ وَمَشْوَرَتِهِ، وَرَاحَةَ كَفَّهُ،
وَمَرْمَقَ طَرْفِهِ، وَذَلِكَ كَلَمَ بِمَحْضِ الصَّادِرِ وَالْوَارِدِ مِنَ الْمَاهِرِيْنَ وَالْأَنْصَارِ؛
شَهْرُ تَهْمِيْةِ مَعْنَيَّةِ عَنِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ.

وَلَعْمَرِيْ إِنَّكَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَابَةً، وَلَكِنْهُ أَقْرَبُ
مِنْكَ قُرْبَةً^(٣)، وَالْقَرَابَةُ لَمْ وَدَمْ، وَالْقُرْبَةُ نَفْسٌ وَرُوحٌ.

وَهَذَا فَرَقٌ عَرَفَهُ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَذِكَ صَارُوا إِلَيْهِ أَجْمَعُونَ. وَمِمَّا شَكَكَتْ
فِي ذَلِكَ، فَلَا تُشَكَّ فِي أَنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَرَضْوَانَهُ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ. فَادْخُلْ فِيمَا
هُوَ خَيْرٌ لَكَ الْيَوْمَ، وَأَنْفَعُ لَكَ غَدَاءً، وَالْفِطْرَةُ مِنْ فِيكَ مَا يَعْلَقُ بِلِهَاتِكَ، فَإِنْ يَكُونْ
فِي الْأَمْدِ طَوْلٌ، وَفِي الْأَجْلِ فُسْحَةٌ، فَسْتَأْكِلْهُ مَرِيَّنًا أَوْ غَيْرَ مَرِيَّنٍ، وَسَتَشْرُبُهُ
هَنِيَّنًا أَوْ غَيْرَ هَنِيَّ، حِينَ لَا رَادَ لِقَوْلِكَ إِلَّا مَنْ كَانَ آيْسَآ مِنْكَ، وَلَا تَابِعْ لَكَ إِلَّا
مِنْ كَانَ طَامِعًا فِيكَ، يَمْضِي^(٤) إِلَيْهَاكَ، وَيَعْرُكَ^(٥) أَدِيمَكَ، وَيَزْرِي عَلَى
هَدِيكَ، هَنَالِكَ تَقْرَعُ السَّنَنَ مِنْ نَدَمٍ، وَتَجْرِيَ المَاءُ مَمْزُوجًا بَدْمًا، وَحِينَئِذٍ تَأْمَى^(٦)

(١) ساقَةُ الْجَيْشِ : مَؤْخِرَهُ. (٢) الْبَازِلُ : الْجَلُ القَوِيُّ الَّذِي دَخَلَ فِي سَنَتِهِ التَّاسِعَةِ ،
وَالْهَبْمُ : الْفَصِيلُ الَّذِي يَنْتَجُ فِي الصِّيفِ فَيُكَوِّنُ ضَعِيفًا. (٣) الْقَرَبَةُ : الْوَسِيلَةُ. (٤) يَمْضِي إِلَيْهَاكَ :
يَحْرُقُ جَلْدَكَ. (٥) يَعْرُكُ أَدِيمَكَ : يَدِكَ. (٦) تَأْمَى : تَحْزَنُ.

على ما مضى من عمرك ودارج قوتك ، فتود أن لو سقيت بالكأس التي أيدتها ،
ورددت إلى حالتك التي استغوثتها . والله تعالى فينا وفيك أمر هو بالغه ، وغيب
هو شاهده ، وعاقبة هو المرجو لسرأها وضرأها ، وهو الولي الحميد ، الغفور
الودود .

قال أبو عبيدة : فتمشيت متزملًا ^(١) ، أنوء كأنما أخطط على رأسي ، فرقاً
من الفرق ، وشفقاً ^(٢) على الأمة حتى وصلت إلى على رضي الله عنه في خلاء ،
فابتلاته ^(٣) بـ كاه ، وبرئت إليه منه ، ورفقت به ؛ فلما سمعها ووعاها ، وسررت
في مقاصله حمياها قال : حللت معلوطة ^(٤) ، وولت مخروطة ^(٥) ، وأنشا يقول :
إحدى لياليك فيهنسى ^(٦) هينسى لا تنبعى الليلة بالتعري ^(٧)
نعم يا أبو عبيدة ، أكل هذا في نفس القوم ، ويحسون به ، ويضطغتون ^(٨)
عليه !

قال أبو عبيدة :
قلت : لا جواب لك عندى ، إنما أنا قاضٍ حق الدين ، وراتق فتق
المسلمين ، وساد ثلمة الأمة ، يعلم الله ذلك من جلجلان ^(٩) قلبي ، وقراره
نفسى .

فقال على رضي الله عنه : والله ما كان قعودي في كسر هذا البيت قصداً للخلاف

(١) متزمل : تزمل : تلف . (٢) الشفق : الشفقة . (٣) أبنته السر : أظهرته له . والبث :
الحال . (٤) معلوطة : مقتحمة من غير رؤية . (٥) مخروطة : مسرعة . (٦) هينسى : سيرى
أى سير كان . (٧) عرس القوم : نزلوا في آخر الليل للاستراحة . (٨) أى ينطون على الصفن
وهو المقد . (٩) جلجلان قلبي : أى حبته .

وَلَا إِنْكَارًا لِّمَا يُعْرَفُ ، وَلَا زِرَايَةً عَلَى مُسْلِمٍ ، بَلْ لَمْ يَقُدْ وَقَدَّنِي^(١) بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فِرَاقِهِ ، وَأَوْدَعَنِي مِنْ الْحُزْنِ لِفَقَدِهِ . وَذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَشْهُدْ بَعْدَهُ مَشْهَدًا إِلَّا جَدَّدْتَ عَلَى حَزْنِنَا ، وَذَكَرْنِي شَجَنَا ، وَإِنَّ الشُّوقَ إِلَى الْلَّاحِقِ بِهِ كَافٍ عَنِ الطَّعْمِ فِي غَيْرِهِ ، وَفَدَ عَكَفْتُ عَلَى عَهْدِ اللهِ أَنْظَرَ فِيهِ ، وَأَجْمَعَ مَا تَفَرَّقَ ، رَجَاءً ثَوَابَ مُعَدٍّ لِّمَنْ أَخْلَصَ اللَّهُ عَمَّا لَهُ ، وَأَسْلَمَ لِعَلَمِهِ وَمُشَيْشِهِ ، وَأَمْرَهُ وَنَهْيِهِ ، عَلَى أَنِّي مَا عَلِمْتُ أَنَّ الظَّاهِرَ عَلَى وَاقِعٍ ، وَلَا عَنِ الْحَقِّ الَّذِي سِيقَ إِلَيَّ دَافِعًا .

وَإِذْ قَدْ أَفْعَمَ الْوَادِيَ بِي ، وَحُشِدَ النَّادِي مِنْ أَجْلِي ، فَلَا مَرْجِبًا بِمَا سَاءَ أَهْدَأَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَسَرَنِي . وَفِي النَّفْسِ كَلَامٌ لَوْلَا سَابِقُ عَقْدِ وَسَالِفِ عَهْدِ ، لَشَفِيتُ غَيْطِي بِخَنْصُرِي وَبِنَصْرِي ، وَخُضْتُ لُجَّتَهُ بِأَخْمَصِي وَمَفْرُقِي ، وَلَكُنِي مُلْجَأٌ إِلَى أَنْ أَلْقَى اللَّهَ رَبِّي ، وَعِنْهُ أَهْتَسِبُ مَا نَزَلَ بِي . وَإِنِّي غَادَ إِلَى جَمَاعَتِكُمْ ، فَبِأَيْمَانِ صَاحِبِكُمْ ، صَابِرٌ عَلَى مَا سَاءَنِي وَسَرَّكُمْ ، لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً .

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: فَعَدْتُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ القَوْلَ عَلَى غَرَّهُ^(٢) ، وَلَمْ أَحْتَزِلْ شَيْئًا مِنْ حُلُونِهِ وَمُرُّهُ ، وَبَكَرْتُ غُدْوَةً إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَلَمَّا كَانَ كَانَ صَبَاحٌ يَوْمَئِذٍ إِذَا عَلَى ثَيَّرٍ يَخْتَرِقُ الْجَمَاعَةُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَبَيَّنَهُ ، وَقَالَ خَيْرًا ، وَوَصَفَ جَمِيلًا ، وَجَلَسَ زَمِيَّاً ، وَاسْتَأْذَنَ لِلْقِيَامِ ، فَنَفَى وَتَبَعَهُ عَمْرُ مُكْنَفٌ مَالَهُ ، مُسْتَثِيرًا لِمَا عَنْهُ .

وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَيْهِ فَأَخْذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: إِنَّ عَصَابَةً أَنْتَ مِنْهَا يَا أَبَا الْحَسْنِ

(١) وَقَذَهُ: تَرَكَهُ عَلَيْهَا ، وَصَرَعَهُ . (٢) عَلَى غَرَّهُ: أَى كَاهُونَ ، وَكَافَصَ عَلَى .

لعصومه ، وإن أمة أنت فيها لمحومة ، وقد أصبحت عزيزا علينا ، كريماً لدينا ،
خاف الله إذا سخطت ، ورجوه إذا رضيت ، ولو لا أني شدحت^(١) لما أجبت إلى
ما دعيت إليه ، ولكنني خفتُ الفرقة ، واستئثار الأنصار بالأمر على قريش ،
وأعجلت عن حضورك ومشاورتك ، ولو كنت حاضراً لباعتك ولم أعدل بك ،
ولقد حط الله عن ظهرك ما أنقل كاهلي به ، وما أسد من ينظر الله إليه بالكافية ؟
وإنما إليك لمحاجون ، وبفضلك عالمون ، وإلى رأيك وهديك في جميع الأحوال
راغبون ، وعلى حمايتك وحفيظتك^(٢) معون . ثم انصرف وتركه مع عمر ؛
فالتفت على إلى عمر فقال :

والله ما قعدت عن صاحبكم كارها ، ولا أتيته فرقاً ، ولا أقول ما أقول
تعلة^(٣) .

وإنما لأعرف منتهى طرف ، ومحظ قدmi ، ومنزع قوسى ، وموضع سهمي ؛
ولكن قد أزّمت^(٤) على فأسى ؛ ثقة برّي في الدنيا والآخرة .

قال له عمر رضي الله عنه : كفِكْفَ غَرَبَكَ ، واستوِقْفَ سِرْبكَ ، ودع
العصى بلحائهما ، والدلّاء على رشائهما^(٥) ، فإنما من خلفها وورائهما ، إن قد حننا
أوريانا ، وإن متحننا أزوينا ، وإن قرحننا^(٦) أدمنينا ، ولقد سمعت أماثيلك^(٧)
التي لغّت بها صادرة عن صدر أكيل بالجوى ، ولو شئت قلت على مقالتك
ما إن سمعته ندّمت على ما قلت ، وزعمت أنك قدت في كن يبتلك لما وقدك
به رسول الله صلى الله عليه وسلم من فقدمه ، فهو وقدك ولم يقد غيرك ! بل مصابه

(١) شدحت : دهشت . (٢) المفيفة : اسم بمعنى المحافظة . (٣) التعلة : ما يتعلّل به .

(٤) أزم الفرس على فأس اللجام : إذا عصها وقبض عليها ، وأفس اللجام : الجديدة المعرضة منه
في المحنك ، يريد أنه كتم ما في نفسه . (٥) الرشاء : جبل الدلو . (٦) قرح : جرح .

(٧) أماثيل : جم أمثلة ، تعلل : إذا أنسد بيتا ثم آخر ثم وهي الأمثلة .

أعظم وأعم من ذلك ، وإن من حق مصابه ألا تصدع شمل الجماعة بفرقة لاعصام لها ، ولا يؤمن كيد الشيطان في بقائهما ، هذه العرب حولنا ، والله لو تداعت علينا في صبح نهار لم نلتقي في مسائهما .

وزعمت أن الشّوق إلى اللحاق به كاف عن الطمع في غيره ! فمن علامات الشّوق إليه نصرة دينه ، وموازرة أوليائه ، وتعاونهم .

وزعمت أنك عكفت على عهد الله تجمع ما تفرق منه ؟ فمن العكوف على عهد الله النصيحة لعباد الله ، والرأفة على خلق الله ، وبذل ما يصلحون به ويرشدون عليه .

وزعمت أنك لم تعلم أن التظاهر واقع عليك ، أى حق لط^(١) دونك ! قد سمعت وعلمت ما قال الأنصار بالأمس سرًا وجمهرا ، وتقلبت عليه بطنًا وظهرًا ، فهل ذكرت أو أشادت بك ، أو وجدت رضاه عنك ؟ هل قال أحد منهم بسانه : إنك تصلح لهذا الأمر ، أو أومأ بعينه ، أو هم في نفسه ؟ أتظن أن الناس ضلوا من أجلك ، وعادوا كفارا زهدا فيك ، وباعوا الله تحاملا عليك ؟ لا والله ! لقد جاءني عَقِيل بن زياد الخزرجي في نفر من أصحابه ، ومعهم شُرَحْبِيل بن يعقوب الخزرجي وقالوا : إن علياً ينضر الإمامة ويزعم أنه أولى بهما من غيره ، وينكل على من يعتقد الخلافة ؛ فأنكرت عليهم ، وردت القول في نحرهم حيث قالوا : إنه ينضر الوحي ، ويتوكل^(٢) مُناجاة الملك .

فقلت : ذاك أمر طوأه الله بعد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، أكان الأمر

(١) لط : جحد . (٢) يتوكل : ينتظر .

معقوداً بأشوطة^(١) ، أو مشدوداً بأطراف ليطنة^(٢) ؟ كلا ! والله لا يحبه محمد الله
إلا أفحىت ، ولا شوكاء إلا وقد تفتحت .

ومن أعجب شأنك قولك : « ولو لا سالف عهدي وسابق عقد ، لشفيت غيفي ! »
وهل ترك الدين لأهله أن يشفوا غيفهم بيد أو بلسان ؟ تلك جاهلية ، وقد استأصل
الله شاقتها ، واقتلع جرثومتها ، وهو ر^(٣) ليلها ، وغور سيلها ، وأبدل منها
الروح والريحان ، والمدى والبرهان . وزعمت أنك ملجم ؛ ولعمري إنَّ من أتقى
الله ، وآثر رضاه ، وطلب ما عنده ، أمسك لسانه ، وأطبق فاه ، وجعل سعيه لما
وراه .

وأما قولك : إنِّي لاعرف منزع قوسي ، فإذا عرفت مزيع قوسك عرف
غيرك مضرِّب سيفه ومطعن رمحه ؛ وأما ما تزعمه من الأمر الذي جعله رسول الله
ذلك فتخلقت إعذاراً إلى الله وإلى العارفة به من المسلمين ، فلو عرف المسلمون لجنحوا إليه
وأصفقوا عليه ، وما كان الله ليجمعهم على المعنى ، ولا يضرُّهم بالضلال بعد المدى ،
ولو كان لرسول الله فيك رأى ، وعليك عزم ، ثم بعثه الله ، فرأى اجتماع أمته على
أبي بكر لمسفه آراءهم ، ولا ضلل أحلامهم ، ولا آثارك عليهم ، ولا أرضاك بسخطهم ،
ولا أمرك باتباعهم والدخول معهم فيما ارتفوه لدينهم .

فقال على رضي الله عنه : مهلاً يا أبا حفص ، والله ما بذلت مبذلت وأنا أريد
نكتة ، ولا أقررت ما أقررت وأنا أبتغي حولاً عنه ؛ وإنَّ أخسر الناس صفتة

(١) الأشوط : عقدة يسهل انخلالها إذا أخذ بأحد طرفيها انتفتحت . (٢) اليطنة : قشرة

القصبة التي تليط بها أى تارق . (٣) هور : أذهب .

عند الله من آثر النفاق ، واحتضن الشقاق ، وفي الله خلَفَ من كل فائت ،
وعِوَضٌ من كل ذاهب ، وسُلْوةٌ عن كل حادث ، وعليه التوكُل في جميع الحوادث .
ارجع يا أبا حفص إلى مجلسك ناقِعَ القلب ، مَبْرُودَ الغليل ، فسيح اللبان^(١) ،
فصيح اللسان ؛ فليس وراء ما سمعتَ وقلتُ إِلَّا مَا يشَدُّ الْأَزْرُ ، ويحطِّ الْوِزْرُ ،
ويُضمِّنُ الإِصْرَ^(٢) ، ويجمعُ الْأَلْفَةَ بِمَشِيَّةِ اللهِ وَحْسَنِ تَوْفِيقِهِ .

قال أبو عبيدة : فانصرف على عمر رضي الله عنهما ، وهذا أصعب ما مر على
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) .

(١) اللبان : الصدر . (٢) الإصر : الذنب والثقل . (٣) قال ابن أبي الحديد في نهاية هذه
القصة : الذي يغلب على ظني أن هذه المراسلات والمحاورات والكلام كله موضوع مصنوع ،
وأنه من كلام أبي حيان التوحيدى لأنه بكلامه ومذهبه في الخطابة والبلاغة أشبهه (انظر صفحة
٥٩٧ من ج ٢) .

* ٩٣ — يَمْنُ أَسْتَجِيرُ مِنْ جَوْرِكَ؟

جلسَ معاويةُ بْنُ أَبِي سفِيَانَ فِي مَحْلِسٍ كَانَ لَهُ بِدْمَشِقَ، وَكَانَ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ
مَفْتَحَ الْجَوَابِ يَدْخُلُ مِنْهُ النَّسِيمُ، فَبِينَا هُوَ جَالِسٌ يَنْظُرُ إِلَى بَعْضِ الْجَهَاتِ فِي يَوْمٍ
شَدِيدِ الْحَرَّ، وَقَدْ اشْتَدَّ نَفْحُ الْمَجِيرِ^(١)، إِذْ نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَمْشِي نَحْوَهُ وَهُوَ يَتَلَطَّى
بِالنَّارِ مِنْ حَرَّ التَّرَابِ، وَيَحْجِلُ فِي مَشْيِهِ حَافِيًّا، فَتَأْمَلَهُ مُعاوِيَةُ وَقَالَ جَلْسَاهُ: هَلْ
خَلَقَ اللَّهُ أَشْقَى مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى الْحَرْكَةِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ؟ قَالَ بَعْضُهُمْ: لَعَلَّهُ يَقْصِدُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: وَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ قَاصِدِي سَائِلًا لِأُعْطِيَنَّهُ، أَوْ مُسْتَجِيرًا لِأُجِيرَنَّهُ،
أَوْ مَظْلومًا لِأَنْصَرَنَّهُ... يَا غَلَامُ! قَفْ بِالْبَابِ؛ فَإِنْ طَلَبْنِي هَذَا الْأَعْرَابِ فَلَا تَمْنَعْنِي
الدخولُ عَلَيْهِ.

فَخَرَجَ الْفَلَامُ فَوَاقَ الْأَعْرَابِ، وَقَالَ: مَا تَرِيدُ؟ قَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ:
ادْخُلْ، فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَى مُعاوِيَةَ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ الرَّجُلُ؟ قَالَ: مَنْ تَمِيمٌ، قَالَ: مَا الَّذِي
جَاءَ بِكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ؟ قَالَ: جَئْتُكَ مُشْكِكًا وَبِكَ مُسْتَجِيرًا. قَالَ: مَنْ؟
قَالَ: مَنْ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمَ، ثُمَّ أَشَدَّ هَذِهِ الْأَبِيَّاتِ:

مَعَاوِيَ، يَا زَادَ الْفَضْلِ وَالْحَلْمِ وَالْعُقْلِ وَذَا الْبَرِّ وَالْإِحْسَانِ وَالْجُودِ وَالْبَذْلِ
أَتَيْتُكَ لِمَا ضَاقَ فِي الْأَرْضِ مَذْهَبِي وَأَنْكَرْتُ مَا قَدْ أَصْبَتُ بِهِ عَقْلِي
لَقِيتُ الَّذِي لَمْ يَلْقَهُ أَحَدٌ قَبْلِي فَقَرَّجْ - كَلَّاكَ اللَّهُ - عَنِي فَإِنِّي

* المختار من نوادر الأخبار « مخطوط » ، نهاية الأربع : ٢ - ١٥٦

(١) المجير : نصف النهار عند اشتداد الحر .

وَخُذْنِي - هَدَاكَ اللَّهُ - حَقِّيْ مِنَ الَّذِي رَمَانِي بِسَهْمِيْ كَانَ أَيْسَرَهُ قَتْلِيْ !
وَكُنْتُ أَرْجُى عَدْلَهُ إِنْ أَبْتَهُ فَأَكْثَرَ تَرْذَادِيْ مَعَ الْحِبْسِ وَالْكَبْلِ
سَبَانِيْ سُعْدَيْ وَانْبَرَى لِخُصُومِيْ وَجَارَ وَلَمْ يَعْدِلْ وَغَاصِبِيْ أَهْلِ
فَطَّلَقْتُهَا مِنْ جَهْدِيْ مَا قَدْ أَصَابَنِي فَهَذَا ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ الْعَدْلِ ؟

فَلَمَّا سَمِعَ معاويةٌ إِنْشادَهُ وَالنَّارُ تَوْقَدَ مِنْ فِيهِ قَالَ : مَهْلَا يَا أَخَا الْعَرَبِ ، اذْكُرْ
قَصْتِكَ وَأَفْصِحْ عَنْ أَمْرِكَ .

قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَتْ لِي زَوْجَةٌ وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّي وَكُنْتُ لَهَا مُحِبًّا وَبِهَا
كِلَافًا ؛ وَكُنْتُ بِهَا قَرِيرَ الْعَيْنِ ، طَيِّبَ الْعِيشِ ، وَكَانَتْ لِي صِرْمَةً^(١) مِنَ الْإِبْلِ
أَسْتَعِنُ بِهَا عَلَى قِيَامِ حَالِي وَإِصْلَاحِ أَوْدِي^(٢) ؛ فَأَصَابَتْنَا سَنَةً ذَاتَ قَحْظٍ شَدِيدٍ ،
أَذْهَبَتِ الْخُفَّ وَالظَّلْفَ ، وَبَقِيَتْ لَا أَمْلَكَ شَيْئًا ؛ فَلَمَّا قَلَّ مَا بِيْدِيْ ؛ وَذَهَبَ حَالِي
وَمَالِي ، بَقِيَتْ مُهَانًا نَقِيلًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ؛ قَدْ أَبْعَدَنِي مَنْ كَانَ يَشْتَهِي الْقُرْبَ
مِنِّي ، وَازْوَرَ عَنِّي مَنْ كَانَ يَرْغُبُ فِي زِيَارَتِي !

فَلَمَّا عَلِمَ أَبُوهَا مَا بِيْ مِنْ سُوءِ الْحَالِ وَشَرَّ الْمَالِ أَخْذَهَا مِنِّي ، وَسَأَلَنِي الْفَرَاقُ
وَجَحْدِي وَطَرْدِي ، وَأَغْلَظَ عَلَيْهِ ؛ فَأَتَيْتُ إِلَيْ عَامِلِكَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكْمَ مُسْتَقْرِرًا ،
وَبِهِ رَاجِيًّا لِيَنْصُرَنِي ، فَأَحْضَرَ أَبَاهَا وَسَأَلَهُ عَنْ حَالِي ، فَقَالَ : مَا أَعْرَفُهُ قَبْلَ الْيَوْمِ ،
فَقَلَّتْ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! إِنْ رَأَى أَنْ يُخْضِرَهَا وَيُسَأَلُهَا عَنْ قَوْلِ أَبِيهَا فَلَيَفْعُلَ .

(١) الصرمَةُ : القطعةُ مِنَ الإِبْلِ ، وَهِيَ مَا يَنْعَنِي الشَّعْرَيْنِ لِلْثَّلَاثَيْنِ . (٢) الأَوْدُ : الْعَوْجُ .

فبعث إليها مَرْوَان وأحضرها مجلسه ، فلما وقفت بين يديه وقعت منه موقع الإعجاب ؛ فصار لـ خصماً وعلى مُنْكراً ! وانتهني وأظهرني الفضـبـ وبعث بي إلى السجن ، فبقيت كأنما خَرَّـتـ من السماء في مكان سـحـيقـ !

ثم قال لأـيـها : هل لكـ أـنـ تزوجـهاـ منـىـ علىـ أـلـفـ دـيـنـارـ وـعـشـرـةـ آـلـافـ درـمـ لكـ ؟ وـأـنـاـ ضـامـنـ لكـ خـلاـصـهـاـ منـ هـذـاـ الأـعـرـابـيـ . فـرغـبـ أـبـوهاـ فيـ الـبـذـلـ وـأـحـابـهـ لـذـلـكـ !

فـلـمـاـ كـانـ مـنـ النـدـ بـعـثـ إـلـيـ وـأـخـرـجـنـيـ مـنـ السـجـنـ ؛ وـأـوـقـنـيـ بـيـنـ يـدـيـهـ ، وـنـظـرـ إـلـيـ كـالـأـسـدـ الـفـضـيـانـ ؛ وـقـالـ : يـاـ أـعـرـابـيـ ، طـلـقـ سـعـدـيـ ؛ فـقـلـتـ : لـأـقـدـرـ عـلـىـ هـذـاـ فـسـلـطـ عـلـىـ جـمـاعـةـ مـنـ غـلـامـهـ ، فـأـخـذـوـاـ يـعـذـبـونـيـ بـأـنـوـاعـ الـعـذـابـ ، فـلـمـ أـجـدـ بـدـأـ مـنـ ذـلـكـ قـفـعـتـ ؛ ثـمـ عـادـوـاـ بـيـ إـلـيـ السـجـنـ ؛ فـمـكـثـتـ فـيـهـ إـلـيـ أـنـ اـنـفـضـتـ عـدـمـهـاـ ، فـتـزـوـجـهـاـ وـدـخـلـ بـهـاـ . وـقـدـ أـتـيـتـكـ مـسـقـبـجـيـرـاـ وـإـلـيـكـ مـلـجـهـاـ ، ثـمـ أـنـشـدـ :

فـالـقـلـبـ مـنـىـ نـارـ وـالـنـارـ فـيـهـ اـسـتعـارـ !
 وـالـجـسـمـ مـنـىـ سـقـيمـ وـالـلـوـنـ فـيـهـ اـصـفـارـ
 وـفـيـ فـؤـادـيـ جـمـرـ وـالـجـمـرـ فـيـهـ شـرـارـ
 وـالـعـيـنـ تـبـكـيـ بـشـجـونـ فـدـمـعـهـاـ مـدـرـارـ
 وـالـحـبـ دـاءـ عـسـيرـ فـيـهـ الطـبـيـبـ يـحـارـ
 حـمـلتـ مـنـهـ عـظـيمـاـ فـاـ عـلـيـهـ اـصـطـبـارـ
 فـلـيـسـ لـيـلـيـ تـلـيلـ وـلـاـ نـهـارـيـ نـهـارـ !

ثـمـ اـضـطـرـبـ وـخـرـ مـغـشـيـاـ عـلـيـهـ ، وـأـخـذـ يـقـلوـيـ كـالـحـلـيـةـ المـقـتـولـةـ ؛ فـلـمـ سـمـ كـلـامـهـ
 وـإـنـشـادـهـ قـالـ : تـعـدـيـ فـظـلـمـ مـرـوـانـ بـنـ الـحـكـمـ فـحـدـودـ الـدـيـنـ ، وـاجـتـرأـ عـلـىـ حـرـمـ

رَبَّتْ أَمْرًا عَظِيمًا لَسْتُ أَعْرِفُه
قَدْ كَنْتَ تَشْبِهَ صَوْفَيًّا لَهُ كُتُبٌ
حَتَّى أَتَانِي النَّفْتِ الْعَذْرِيَّ مُنْتَجِبًا
أَعْطَى إِلَهٌ عَهْوَدًا لَا أَخِيسُ بِهَا
إِنْ أَنْتَ رَاجِعٌ إِنِّي كَتَبْتُ بِهِ
طَلْقٌ سُعَادٌ، وَعِجْلَهَا مَجْهَزٌ
مَا سَمِعْتُ كَلَّا بُلْفَتْ مِنْ عَجَبٍ

ثم طوى الكتاب وطبعه بخطاه ، واستدعي الكميٰت ونصر بن ذبيان -
وكان يستهضمما في قضايا الحوائج لآمانتهما - فأخذاه وسارا حتى قدموا المدينة ؟
ودخلا على مروان وسلمـا إليه الكتاب ، فقضـه وقرأه ، ثم ارتمـت فرائصـه ،
وطلقـها في الحال وبعـث بها إلى أمـير المؤمنـين ، وكـتب إلى معاوية كتابـاً فيه :
حوراء يقصـر عنـها الوصفُ إـن وصفـتْ أقولَ ذلك في سـرِّ واعـلانِ
فـلما قـرأه قال : لقد أحسنـ في الطـاعة ؛ وأطـنبـ في حـسن الجـارية .

ولما رأى معاوية الجارية رأى صورة لم ير مثلها في الحسن والقدّ والجمال ؟
وخطبها فوجدها أنسجم النساء بعذوبة منطق ، ثم قال : على بالاعرابي ؛ فأنى إليه

وهو على غاية من سوء الحال ، فقال : يا أعرابي ؟ هل لك عندها من سلامة ، وأعوضك
ثلاث جواري مع كل جارية ألف دينار ، وأقسم لك من بيت المال في كل سنة
ما يكفيك ويعينك على صحبتهن ؟

فلا سمع الأعرابي كلام معاوية شهق شهقة ظن معاوية أنه قد مات ، ولما أفاق
قال له : ما بالك ؟ فقال : شرّ بال ، وأسوأ حال ؛ استجرت بعد ذلك من جور
ابن الحكم ، فِيمَنْ أَسْتَجِيرُ مِنْ جُوْرَكِ ! نَمْ أَنْشَدَ :

لَا تَجْعَلْنِي وَالْأَمْثَالُ تُضْرِبُ بِي
كَالْمُسْتَحِيرِ مِنَ الْأَمْضَاءِ بِالنَّارِ
أَرْدُدْ سُعَادَ عَلَى حَيْرَانِ مَكْتَبِي
يُمْسِي وَيَصْبِحُ فِي هَمٍّ وَتَذَكَّرِ
قَدْ شَفَهَ قَلْقَلَ مَا مَشَّلَهُ قَلْقَلَ
وَأَسْعِرَ الْقَلْبَ مِنِّي أَيِّ إِسْمَارِ
كَيْفَ السَّلُوُّ وَقَدْ هَامَ الْفَوَادُ بِهَا
وَأَصْبَحَ الْقَلْبُ عَنْهَا غَيْرَ صَبَارِ !
نَمْ قَالَ : يا أمير المؤمنين ؟ لو أعطيتني ما حوتة الخلافة ما اعتقضته دون
سعدي .

فقال معاوية : يا أعرابي ؟ إنك مُقرٌّ أنك طلقها ، ومروان مقرٌّ أنه طلقها ،
ونحن نخربها ، فإن اختارت سواك زوجناه بها ، وإن اختارتك رجعنا بها إليك .
قال : افعل ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم .

ودعاها معاوية وقال لها : ما تقولين يا سعدي ؟ أَيْ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ أمير المؤمنين
في عزّه وشرفه وسلطانه وقصوره وما تصيرين عنده ، أو مرwan بن الحكم في
عُسْفِه وجوره ، أو هذا الأعرابي مع جُوعِه وفقره وسوء حاله ؟ فأنشدت هذين
البيتين :

هذا وإن كان في فقر وإضرار أعز عندى من قوى ومن جارى !
وصاحب الحاج أو مَرْوَانَ عَامِلِهِ وكل ذى درهم عندى ودينار
نم قالت : والله يا أمير المؤمنين ؛ ما أنا بخاذلته لحادثة الزمان ، ولا لغدرات
الأيام ؛ وإن لي معه صحبة قدية لا تنسى ، ومحبة لا تبلى ، وأنا أحق من صبر
معه على الضراء ، كما تعمتُ معه في السراء .
فتعجب معاوية من عقلها ومرءتها ، وأمر لها بعشرة آلاف درهم ، ورددها
بعقد جديد ، فأخذها الأعرابي وانصرف يقول :
خلوا عن الطريق للأعرابي ألم ترقوا ويحكم ، مما بي !

* ٩٤ — خدعة معاوية*

سمع يزيدُ بن معاوية بن أبي سفيان بجمال زينب بنت إسحاق زوج عبد الله ابن سلام القرشى؛ وكانت من أجمل النساء فى وقها، وأحسنهن أدباً، وأكثرهن مالاً؛ ففتن بها؛ فلما عيل صبره ذكر ذلك لبعض خاصة أبيه، واسمه رفيق، فذكر ذلك لمعاوية، وقال له: إن يزيد قد ضاق ذرعه بها.

فبعث معاوية إلى يزيد، فاستفسر عن أمره؛ فبئث له شأنه؛ قال: مهلا يا يزيد؛ فقال له: علام تأمرني بالمهل وقد اقطع منها الأمل؟ فقال له معاوية: فain مروتك وجحاك وتقاك؛ فقال: قد عيل الصبر، ولو كان أحد ينتفع فيما يبتلى به من الموى بتقاه، أو يدفع ما أقصده^(١) بمجاه، لكان أولى الناس به داود^(٢) حين أبتلى به.

قال: ألم يا بني أمرك؟ فإن البون به غير نافعك، والله بالغ أمره فيك، ولا بد مما هو كائن.

وأخذ معاوية في الاحتياط في تبليغ يزيد مناه، فكتب إلى زوجها عبد الله ابن سلام - وكان قد استعمله على العراق: أن أقبل حين تنظر كتابي لأمر فيه حظك إن شاء الله تعالى، فلا تتأخر عنه.

* نهاية الأرب: ٦ - ١٨٠

(١) أقصده: أقصد الرجل إذا طنته أو رميته بسمهم فلم تخطى مقاتله. (٢) يشير إلى داود عليه السلام، حينما تزوج من خطيبة أحد جنوده، ولقد عابه الله في ذلك، فاستغفر له، فغفر له.

فَأَغْذَ^(١) السِّيرَ وَقَدِمْ ، فَأَنْزَلَهُ معاوِيَةً مِنْ لَا كَانَ قَدْ هَبَّ^٢ لَهُ ، وَكَانَ عِنْدَ معاوِيَةَ يَوْمَئِذٍ بِالشَّامِ أَبُو هُرَيْرَةَ وَأَبُو الدَّرْدَاءَ ، فَقَالَ لَهُمَا معاوِيَةً : إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَسَمَ بَيْنَ عِبَادِهِ قَسْمًا ، وَوَهُبْتُمْ نِعْمًا أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ فِيهَا شَكْرَهُ ، وَحَتَّىٰ عَلَيْهِمْ حَفْظَهَا ، خَبَانِي مِنْهَا عَزْ وَجْلَ بَاتِمَ الشَّرْفِ وَأَفْضَلِ الذِّكْرِ ، وَأَوْسَعَ عَلَى الرِّزْقِ ، وَجَعَلَنِي رَاعِيَ خَلْقِهِ ، وَأَمِينَهُ فِي بَلَادِهِ ، وَالحاِكَمُ فِي أَمْرِ عِبَادِهِ ، لِيَبْلُوَنِي أَشْكَرُ أَمْ أَكُفُّ^٣ ! وَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي لِلْمَرءِ أَنْ يَتَفَقَّدَ وَيَنْتَظِرَ مِنْ اسْتِرْعَاهُ اللَّهُ أَمْرَهُ ، وَمِنْ لَاغْنِي بِهِ عَنْهُ .

وَقَدْ بَلَغْتُ لِي ابْنَةً أَرِيدُ زِوْجَهَا وَالنَّظَرَ فِي اخْتِيَارِ مَنْ يُبَاعُ لَهَا^(٢) ، لَعْلَىٰ مَنْ يَكُونُ بَعْدِي يَقْتَدِي فِيهِ بَهْدِي ، وَيَتَبَعُ فِيهِ أُثْرِي ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يُلِي هَذَا الْمَلْكَ بَعْدِي مِنْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ ، وَيَحْمِلُهُ عَلَى تَعْضِيلِ الْبَنَاتِ^(٣) ؛ فَلَا يَرَوْنَ لَهَا كَفَنًا وَلَا نَظِيرًا . وَقَدْ رَضِيتُ^٤ لَهَا ابْنَ سَلَامَ الْقَرْشَى ؛ لِدِينِهِ وَشَرْفِهِ وَفَضْلِهِ وَمَرْوِعَتِهِ وَأَدْبِرِهِ ؛ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِرِعَايَةِ نَعْمَ اللَّهُ وَشَكْرَهَا ، وَطَلَبَ مَرْضَاتِهِ فِيهَا اخْتِصَهُ لَأَنَّتِ .

فَقَالَ لَهُمَا معاوِيَةً : فَإِذْ كُرِّأَ لَهُ ذَلِكَ عَنِي ! وَقَدْ كَفْتُ جَعْلَتُ^٥ لَمَافِ نَفْسِي شُورَى ، غَيْرَ أَنِّي أَرْجُو أَلَا تَخْرُجَ مِنْ رَأْيِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
نَخْرُجًا مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَتَيْا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامَ ، وَذُكْرَاهُ^٦ الْفَصْحَةَ .

ثُمَّ دَخَلَ معاوِيَةً عَلَى ابْنَتِهِ ، وَقَالَ لَهَا : إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَأَبُو هُرَيْرَةَ ، فَعَرْضَا عَلَيْكَ أَمْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامَ ، وَحَضَّاكَ عَلَى الْمُسَارِعَةِ إِلَى اتِّبَاعِ رَأْيِي فِيهِ ؟

(١) أَغْذَ السِّيرَ وَفِيهِ أَسْعَ . (٢) يُبَاعُ لَهَا : يَتَعَذَّهَا زِوْجًا وَبِعْلًا . (٣) تَعْضِيلُ الْبَنَاتِ : حِبْسِهِنَ عن الزِّوْجِ ظَلْمًا .

قولي لها : إِنَّ كَفَرَ كَرِيمٌ ، وَقَرِيبَ حَمِيمٍ ، غَيْرَ أَنْ تَحْتَهُ زَيْنَبُ بْنَتُ إِسْحَاقَ ،
وَأَخَافُ أَنْ يَعْرُضَ لِي مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يَعْرُضُ لِلنِّسَاءِ ؛ فَأَتَنَاوِلُ مِنْهُ مَا يَسْخَطُ اللَّهُ تَعَالَى
فِيهِ ، فَيَعْذِبُنِي عَلَيْهِ ، وَلَسْتُ بِقَاعِلَةٍ حَتَّى يَفْارَقَهَا .

فَلَمَّا اجْتَمَعَ أَبُو هَرِيرَةَ وَأَبُو الدَّرَدَاءِ بَعْدَ اللَّهِ ، وَأَعْلَمَاهُ بِقُولِ مَعَاوِيَةَ ، رَدَهَا
إِلَيْهِ يَخْطُبُانَ لَهُ مِنْهُ ، فَأَتَيْاهُ ، قَالَ : قَدْ عَلِمْتَ رَضَايَ بِهِ ، وَجِرْحِي عَلَيْهِ ، وَكُنْتَ
قَدْ أَعْلَمَتَ كَمَا الَّذِي جَعَلْتُ لَهَا فِي نَفْسِهَا مِنَ الشُّورَى ؟ فَادْخَلَاهُ عَلَيْهَا ، وَاعْرِضا
عَلَيْهَا الَّذِي رَأَيْتُ لَهَا .

فَدَخَلَاهُ عَلَيْهَا وَأَعْلَمَاهَا ، قَالَتْ لَهَا مَا قَالَهُ مَعَاوِيَةَ لَهَا ؟ فَرَجَعَا إِلَى ابْنِ سَلَامَ ،
وَأَعْلَمَاهُ بِمَا قَالَهُ .

فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّهُ لَا يَعْنِيهَا مِنْهُ إِلَّا فَرَاقُ زَيْنَبَ أَشْهَدُهَا بِطَلاقِهَا ، وَأَعْدَاهَا إِلَى
ابْنَةِ مَعَاوِيَةَ .

فَأَتَيْاهُ مَعَاوِيَةَ ، وَأَعْلَمَاهُ بِمَا كَانَ مِنْ فَرَاقِ عَبْدِ اللَّهِ زَوْجِهِ ؛ رَغْبَةً فِي الاتِّصالِ
بِابْنِهِ ؛ فَأَظْهَرَ مَعَاوِيَةً كُرَاهَةً فِيهِ ، وَفَرَاقَهُ لِزَيْنَبَ ، وَقَالَ : مَا اسْتَحْسَنْتُ لَهُ طَلاقَ
امْرَأَتِهِ ، وَلَا أَحْبَبْتُهُ ؛ فَانْصَرَفَ فِي عَافِيَةٍ ، ثُمَّ عَوَدَ إِلَيْهَا ، وَخَذَدا رِضاها .

فَقَامَ اثْمَ عَادَ إِلَيْهِ ؛ فَأَمْرَهَا بِالدُّخُولِ عَلَى ابْنِهِ وَسُؤَالِهَا عَنْ رِضاها ؛ وَقَالَ :
لَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أُكْرِهَهَا ، وَقَدْ جَعَلْتُ لَهَا الشُّورَى فِي نَفْسِهَا .

فَدَخَلَاهُ عَلَيْهَا فَأَعْلَمَاهَا بِطَلاقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامَ امْرَأَتِهِ لِيَسِّرَهَا ؛ وَذَكَرَا مِنْ
فَضْلِهِ وَكَلَ مِرْوَعَتِهِ وَكَرْمَ مَخْتِدِهِ ؛ فَقَالَتْ لَهَا : إِنَّهُ فِي قَوْيِشِ لِرْفِيعِ الْقَدْرِ ، وَقَدْ
تَرَفَانَ أَنَّ الْأَنَّةَ فِي الْأَمْرَوْرِ أَرْفَقَ لِمَا يُخَافُ مِنَ الْمُذْنُورِ ؛ وَإِنِّي سَائِلَةُ عَنْهِ حَتَّى

أَعْرَفَ دِخْلَةَ أُمْرِهِ ، وَأَعْلَمَ كَا بِالَّذِي يُرِيَنِيهِ اللَّهُ لِي ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَقَالَ :
وَقَلَّكَ اللَّهُ ، وَخَارَ لَكَ . وَانْصَرَ فَآعْنَاهَا ، وَأَعْلَمَا عَبْدَ اللَّهِ بِقُولَّهَا ، فَأَنْشَدَ :
إِنْ يَكْ صَدُّرْ هَذَا الْيَوْمَ وَلَىٰ إِنْ غَدَّاً لَنَاظِرِهِ قَرِيبُ
وَتَحْدِثُ النَّاسَ بِمَا كَانَ مِنْ طَلاقِ عَبْدِ اللَّهِ زَيْنَبَ ، وَخَطْبَتِهِ ابْنَةِ مَعَاوِيَةَ ،
وَلَامُوهُ عَلَى مِبَادِرَتِهِ بِالطلاقِ قَبْلِ إِحْكَامِ أُمْرِهِ وَإِبْرَاهِيمَ .

ثُمَّ اسْتَحْثَ عَبْدُ اللَّهِ أَبَا هَرِيرَةَ وَأَبَا الدَّرَدَاءِ ؛ فَأَتَيْهَا وَقَالَا لَهَا : أَصْنَعْتِ مَا أَنْتِ
صَانِعَهُ وَاسْتَخِيرِي اللَّهَ ، فَإِنَّهُ يَهْدِي مِنْ اسْتِهْدَاهُ ؛ فَقَالَتْ : أَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ
قدْ خَارَ لِي ، وَقَدْ اسْتَبَرَاتُ^(١) أُمْرِهِ ، وَسَأَلَتْ عَنْهُ ، فَوُجِدَتْهُ غَيْرَ مُلَائِمٍ وَلَا مُوَافِقٍ
لِمَا أَرِيدُ لِنَفْسِي .

وَلَقَدْ اخْتَلَفَ مِنْ اسْتَشَرَتْهُ فِيهِ ، فَنَهَمُ الْنَّاهِيَ عَنْهُ ، وَمِنْهُمْ الْأَمْرُ بِهِ ، وَالْخَتْلَافُ فِيهِ
أُولُوْ مَا كَرِهُتْ .

فَلَمَّا بَلَّغَهَا كَلَامَهَا عَلِمَ أَنَّهُ تَخْدُوَعُ ، وَقَالَ : لَيْسَ لِأُمْرِ اللَّهِ رَأِيٌّ ، وَلَا لَمَا لَابَدَّ
مِنْهُ صَادِقٌ ؛ فَإِنَّ الرَّءُوفَ وَإِنْ كَمْلَ حِلْمُهُ ، وَاجْتَمَعَ لَهُ عَقْلُهُ وَاسْتَدَرَأَيْهُ ، لَيْسَ بِدَافِعٍ
عَنْ نَفْسِهِ قَدْرًا بِرَأْيِي وَلَا كِيدَ ، وَلَعِلَّ مَا سُرُّوا بِهِ وَاسْتَجَذَلُوا لَهُ لَا يَدُومُ لَهُ
سُرُورٌ ، وَلَا يَصْرُفُ عَنْهُمْ مَحْذُورَهُ .

وَذَاعَ أُمْرُهُ ، وَفَشَا فِي النَّاسِ ، وَقَالُوا : خَدَّعَهُ مَعَاوِيَةَ حَتَّىٰ طَلَقَ امْرَأَتَهُ !
وَإِنَّمَا أَرَادَهَا لَابْنَهُ ، وَقَبَحُوا فَعْلَهُ .

(١) المقص أَنَّهَا استَقْصَتْ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ حَقَّ عِرْفَتِهِ كُلَّ الْعِرْفَةِ .

فَقَمْتُ مَكِيدَتَهُ تِلْكَ ، وَلَكِنَّ الْمَقَادِيرَ أَتَتْ بِخَلَافِ تَدْبِيرِهِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لِمَا
أَفْضَلَتْ أَفْرَاءَ^(١) زَيْنَبَ ، وَجَهَ مَعَاوِيَةُ أَبَا الدَّرَداءِ إِلَى الْعَرَاقِ خَاطِبًا لَهَا عَلَى ابْنِهِ
يَزِيدَ ؟ فَخَرَجَ حَتَّى قَدِمَ الْكَوْفَةَ ، وَبِهَا يَوْمَئِذٍ الْحَسِينُ بْنُ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ،
فَبِدَا أَبَا الدَّرَداءِ بِزِيَارَتِهِ ، فَسَلَمَ عَلَيْهِ الْحَسِينُ ، وَسَأَلَهُ عَنْ سَبِيلِ مَقْدِمَهُ ؛ فَقَالَ :
وَجَهْنَمُ مَعَاوِيَةُ خَاطِبًا عَلَى ابْنِهِ يَزِيدِ زَيْنَبَ بَنْتَ إِسْحَاقَ ؛ فَقَالَ لَهُ الْحَسِينُ :
لَقَدْ كُنْتَ أَرْدَتُ نِكَاحَهَا ، وَقَصَدْتَ الْإِرْسَالَ إِلَيْهَا إِذَا أَفْضَلْتَ أَفْرَاؤُهَا ، فَلِمَ يَنْعُفُ
مِنْ ذَلِكَ إِلَّا تَخْيِيرُ^(٢) مَنْتَكَ ؟ فَقَدْ أَتَى اللَّهُ بِكَ ؛ فَأَخْطُبْ - رَحْمَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ
لِتَخْيِيرِ مِنْ اخْتَارَهُ اللَّهُ لَهَا ، وَهِيَ أَمَانَةٌ فِي عُنْقِكَ حَتَّى تُؤْدِيَهَا إِلَيْهَا وَأَعْطِيهَا مِنَ الْمَهْرِ
مِثْلُ مَا بَذَلَ مَعَاوِيَةُ عَنْ ابْنِهِ ؛ فَقَالَ : أَفْعُلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا أَبَا الدَّرَداءِ ، قَالَ : أَيْتَهَا الْمَرْأَةُ ؟ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَمْرَ بِقَدْرِهِ ،
وَكَوَّنَهَا بِعَزَّتِهِ ، فَجَعَلَ لِكُلِّ قَدْرٍ قَدْرًا ، وَلِكُلِّ قَدْرٍ سَبِيلًا ؛ فَلِيُسْ لِأَحَدٍ عَنْ
قَدْرِ اللَّهِ مَحِيصٌ ، وَلَا لِخُروجِ عَنْ أَمْرِهِ مَهْرَبٌ ؛ فَكَانَ مَا سَبَقَ لَكَ ، وَقَدْرَ
عَلَيْكَ ، الَّذِي كَانَ مِنْ فَرَاقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ إِيَّاكَ ، وَلَعِلَّ ذَلِكَ لَا يَضُرُّكَ ، وَيَجْعَلُ
اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ؛ وَقَدْ خَطَبْتَ أَمِيرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَابْنَ مَلَكَهَا ، وَوَلَى عَهْدَهِ
وَالخَلِيفَةِ مِنْ بَعْدِهِ : يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ ، وَالْحَسِينَ بْنَ بَنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وَسَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَقَدْ بَلَغْتَ شَأْنَهُمَا وَسَنَاؤُهُمَا وَفَضْلَهُمَا ، وَقَدْ جَنَّتِكَ
خَاطِبًا عَلَيْهِمَا فَاخْتَارَى أَيْهُمَا شَتَّى .

فَسَكَتَ طَوِيلًا ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا أَبَا الدَّرَداءِ ؟ لَوْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ جَاءَنِي وَأَنْتَ

(١) المراد عدتها . (٢) التخيير : الانتقاء .

غائب لأشخصتُ فيه الرسل إلَيْكَ ، واتبعتُ فِيهِ رأيكَ ، ولم أقطعه دونكَ ،
فاما إذ كنتَ أنتَ المرسل ؟ فقد فوّضتُ أمرِي بعد الله إلَيْكَ وجعلتهُ في يديكَ ؟
فاخترَتْ لي أرضاها لدِيكَ ، والله شاهد علَيْكَ ، فاقضِ فِي أمرِي بالتحرّى ،
ولا يصدُّكَ عن ذلك اتباعُ هوى ، فليس أمرِها علَيْكَ خفيًا ، ولا أنتَ عما
طوقتكَ غيبًا .

قال : أيتها المرأة ؛ إنما على إعلامكَ ، وعليكِ الاختيار لنفسكَ . قالت :
عفا الله عنكِ ! إنما أنا ابنةُ أخيكَ ، ولا غَنِيَ لِي عنكَ ، فلا تمنعكَ رهبةُ أحدٍ عن
قول الحق فيما طوقتكَ ، فقد وجب عليكِ أداء الأمانة فيما حملتَكَ ؟ والله خير من
رُوعي وخيف ، إنه بنا خير لطيف .

فلما لم يجد بُدًّا من القول والإشارة قال : أى بنية ؟ إن ابنَ بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم أحبُ إلى وأرضى عندى والله أعلم بمخير ما لكِ .

قالت : قد اخترتُهُ وأردتهُ ورضيتهُ .

فتروّجها الحسين ، وساق لها مهراً عظيماً . فبلغ ذلك معاوية ، فتعاظمه ولام
أبا الدرداء لوماً شديداً ، وقال : من يرسل ذاتَةً وعَنِّي يركب خلاف ما يهوى .

ثم اطرح معاوية عبد الله بن سلام ، وقطع عنه جميع روافده ، لسوء قوله فيه ،
وتهمنه أنه خدعه ، ولم يزل يجفونه حتى عَيَّلَ صبره ، وقلَّ مافي يده .

فرجع إلى العراق ، وكان قد استودع زينب قبل طلاقه مالا عظيماً ، ودرّا
كثيراً ؛ فظن أنها تجحّده ؛ لسوء فعله بها ، وطلاقها من غير شيء كان منها .

فَلَقِيْ حُسَيْنًا فِلَمْ عَلِمْهُ ، ثُمَّ قَالَ : قَدْ عَلِمْتَ مَا كَانَ مِنْ خَبْرِيْ وَخَبْرِ زَيْنَبِ ،
وَإِنِّي كَنْتُ قَدْ اسْتَوْدَعْتُهَا مَالًا ، وَلَمْ أَقْبِضْهُ - وَأَنِّي عَلَيْهَا - وَقَالَ لَهُ : ذَاكُرْهَا
أُمْرِي ، وَاحْضُرْهَا عَلَى رَدِّ مَالِيْ .

فَلَمَّا انْصَرَفَ الْحَسِينُ إِلَيْهَا ، قَالَ لَهَا : قَدْ قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامَ ، وَهُوَ يُحْسِنُ
الثَّنَاءَ عَلَيْكَ ، وَيَحْمِلُ النَّشَرَ عَنْكَ فِي حَسْنَةِ صَحْبِتِكَ ، وَمَا آتَيْتَهُ قَدِيمًا مِنْ أَمَانَتِكَ ؟
فَسَرَّنِي ذَلِكُ وَأَعْجَبَنِي ، وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ اسْتَوْدَعَكِ مَالًا ، فَأَدَّى إِلَيْهِ أَمَانَتِهِ ،
وَرُدِّيَ عَلَيْهِ مَالُهُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ إِلَّا صَدَقًا ، وَلَمْ يَطْلُبْ إِلَّا حَقًّا .

فَقَالَتْ : صَدَقَ ، اسْتَوْدَعْتُ مَالًا لَا أَدْرِي مَا هُوَ ، فَادْفَعْهُ إِلَيْهِ بَطَابِعَهُ ،
فَأَنِّي عَلَيْهَا حَسِينٌ خَيْرًا . وَقَالَ : أَلَا أَذْخُلَهُ إِلَيْكِ حَتَّى تَتَبَرَّنِي إِلَيْهِ مِنْهُ
كَمَا دَفَعْتُ إِلَيْكِ ؟

ثُمَّ لَقِيَ عَبْدُ اللَّهِ وَقَالَ : مَا أَنْكَرْتُ مَالَكَ ، وَإِنَّهَا زَعَمَتْ أَنَّهُ بَطَابِعَكَ فَادْخُلْ
إِلَيْهَا ، وَتَسْلِمْ مَالَكَ مِنْهَا .

فَقَالَ : أَوْ مَا تَأْمِرُ مِنْ يَدْفَعُهُ إِلَيَّ ؟ قَالَ : لَا ؛ بَلْ تَقْبِضُهُ مِنْهَا كَمَا دَفَعْتُهُ إِلَيْهَا .
وَدَخَلَ عَلَيْهَا حَسِينٌ ، وَقَالَ : هَذَا عَبْدُ اللَّهِ قَدْ جَاءَ يَطْلُبُ وَدِيعَتِهِ ؛ فَأَخْرَجَتْ
إِلَيْهِ الْبَدَرَ ، فَوَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدِيهِ ، وَقَالَتْ : هَذَا مَالَكُ ، فَشَكَرَ وَأَنِّي .

وَخَرَجَ حَسِينٌ عَنْهُمَا ، وَفَضَّلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامَ خَوَاتِمَ بَدْرَةَ^(١) ، وَحَنَى لَهَا
مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : خُذْهُ فَهُوَ قَلِيلٌ مِنِّي ؛ فَاسْتَعْبَرَاهَا جَمِيعًا ، حَتَّى عَلِمَتْ أَصْوَاتِهِمَا
أَسْفًا عَلَى مَا ابْتَلَيَا بِهِ ، فَدَخَلَ الْحَسِينُ عَلَيْهِمَا ، وَقَدْ رَقَّ لَهُمَا ، قَالَ :

(١) الْبَدْرَةُ : كَيْسٌ فِيهِ أَلْفُ أَوْ عَشْرَةَ آلَافَ .

أشهد الله أني طقتها؛ اللهم إنك تعلم أني لم أتزوجها رغبة في مالها ولا جمالها،
ولكنني أردت إحلالها لبعليها.

فسألها عبد الله أن تصرف إلى حسين ما كان قد ساقه إليها من مهر؛ فأجابته
إلى ذلك؛ فلم يقبله الحسين، وقال: الذي أرجوه من التواب خير لي.
فلما انقضت أقواؤها تزوجها عبد الله، وحرمتها الله يزيد بن معاوية.

* ٩٥ — مَنْ صَدَقَ اللَّهَ (١) بِنَجَا

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : أَنَّهُ قَالَ : إِنْ ثَلَاثَةَ نَفَرَ انطَلَقُوا إِلَى الصَّحْرَاءِ فَمَطَرَّتْهُمُ السَّمَاءُ ؛ فَلَجَجُوْا إِلَى كَهْفٍ فِي جَبَلٍ يَنْتَظِرُونَ إِقْلَاعَ الْمَطَرِ ؛ فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ هَبَطَتْ صَخْرَةٌ مِّنَ الْجَبَلِ ، وَجَثَّمَتْ عَلَى بَابِ الْفَارِ
فَيَنْسُوا مِنَ الْحَيَاةِ وَالنَّجَاهَةِ ، قَالَ أَحْدَمُ : لِيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِّنْكُمْ إِلَى أَفْضَلِ عَمَلٍ
عَلَيْهِ فَلَيَذْكُرْهُ ، ثُمَّ لِيَدْعُ اللَّهُ تَعَالَى عَسْى أَنْ يَرَحَّمَنَا وَيَنْجِيَنَا .

قَالَ أَحْدَمُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كَنْتَ بَارِاً بِوَالِدِيَّ ، وَكَنْتَ آتَيْهِما
بَغْبُوقَهُمَا (٢) فَيَقْتَبِقَا نِهَى ، فَأَتَيْتَ لِيَلَةَ بَغْبُوقَهُمَا ، فَوَجَدْهُمَا قَدْ نَامَا ، وَكَرِهْتُ أَنْ
أُوْقَظَهُمَا ، وَكَرِهْتُ الرَّجُوعَ ؛ فَلَمْ يَزُلْ ذَلِكَ دَأْبِي حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ ؛ فَإِنْ كَنْتُ
عَمِلْتُ ذَلِكَ لِوَجْهِكَ ، فَأَفْرِجْ عَنَا ؛ فَأَنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ عَنْ مَكَانِهَا حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِمْ
الضَّوءُ .

وَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي هُوَيْتُ امْرَأَةً ، وَلَقِيْتُ فِي شَأنِهَا أَهْوَالًا
حَتَّى ظَفَرْتُ بِهَا ، وَلَكِنِي تَرَكْتُهَا خَوْفًا مِّنْكَ ؛ فَإِنْ كَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ مَا حَلَّنِي عَلَى
ذَلِكَ إِلَّا مَحَافِظَتُكَ فَأَفْرِجْ عَنَا فَأَنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ حَتَّى لَوْ شَاءَ الْقَوْمُ أَنْ يَخْرُجُوا
لَقْدِرُوا .

* بِعِمَّ الْأَمْتَالِ : ٢ - ١٦٧

(١) صَدَقَ اللَّهَ : لَقِيَ اللَّهَ بِالصَّدَقِ ، وَهُوَ أَنْ يَحْقِقَ قَوْلَهُ عَلَيْهِ . (٢) الْغَبْوَقُ : شَرَابُ الشَّهْرِ .

وقال الثالث : اللهم إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجَرَاءً ، فَعِمِلْوَا لِي فِوْقَ ثِيمَهُمْ
أَجُورَهُمْ إِلَّا رِجْلًا وَاحِدًا تَرَكَ أَجْرَهُ عِنْدِي ، وَخَرَجَ مُغَاضِبًا ، فَرَبَيْتُ أَجْرَهُ حَتَّى
نَمَا وَبَلَغَ مِبْلَغاً ، ثُمَّ جَاءَ الْأَجِيرُ ، فَطَلَبَ أَجْرَتَهُ ؛ فَقَلَّتْ : هَذِهِ مَا تَرَى مِنَ الْمَالِ ؟
فَإِنَّ كَيْنَتْ عَمِلْتُ ذَلِكَ لَكَ فَأَفْرَجْ عَنَّا ؛ فَقَالَ الصَّخْرَةُ وَانْطَلَقُوا سَالِمِينَ ! قَالَ
صَلِّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّمَ : « مَنْ صَدَقَ اللَّهَ نَجَّا ». .

* ٩٦ — عمر بن أبي ربيعة في مضر بفاطمة بنت عبد الملك

كان عمر^(١) بن أبي ربيعة جالساً يمئي في فناء^(٢) مضر به، وغلماه حوله إذ أقبلت امرأة بُرْزَة^(٣) عليها أثر النعمة؛ فسلمت فرد عليها عمر السلام، فقالت له: أنت عمر بن أبي ربيعة؟ فقال لها: أنا هو؛ فما حاجتك؟ قالت له: حياك الله وقربك؛ هل لك في محادثة أحسن الناس وجهها، وأتمهم خلقاً، وأكملهم أدباً، وأشارفهم حسبياً! قال: ما أحب إلى ذلك! قالت: على شرط! قال: قولي، قالت: تُمْكِنْتَ من عينيك فأشدُّها وأقودُك، حتى إذا توَسَّطْتَ الموضع الذي أريد حللت الشدة، ثم أفعل ذلك بك عند إخراجك حتى أنتهي بك إلى مضر بك، قال: شأنك. ففعلت ذلك به.

قال عمر: فلما انتهت بي إلى المضر الذي أرادت كشفَت عن وجهي فإذا أنا بأمرأة على كرسى لم أر مثلها قط جمالاً وكالاً، فسلمت وجلست، قالت: أنت عمر بن أبي ربيعة؟ قلت: أنا عمر، قالت: أنت الفاضح للحرائر؟ قلت: وما ذاك - جعلني الله فداءك! قالت: ألسْت القائل:

* الأغاني: ١ - ١٩٠

(١) هو عمر بن أبي ربيعة، اختص شعره بوصف النساء وعد أنساب الشعراة، وكان يقيم بعكة ويتعرض للحجاج، وله في ذلك أخبار كثيرة. توفي سنة ٩٣ هـ. (٢) الفناء: الساحة على باب الدار. (٣) بُرْزَة: بارزة الجبال.

قالت: وَعَيْشِ أخِي وَنَعْمَةِ الَّذِي لَا يَبْهَنُ الْحَى إِنْ لَمْ تَخْرُجْ
 فَخَرَجْتُ خَوْفَ يَمِينِهَا فَبَسَّمْتُ
 فَتَنَاهُلَتْ رَأْسِي لِتَعْرُفْ مَسَّهُ
 شُرْبَ النَّزِيفِ^(٣) بِرِدِ مَاءِ الْحَشْرَاجِ^(٤)

ثُمَّ قَالَتْ: قَمْ فَأَخْرَجْتُ عَنِي، ثُمَّ قَامَتْ مِنْ مَجْلِسِهَا وَجَاءَتِ الْمَرْأَةُ فَسَدَّتْ
 عَيْنِي، ثُمَّ أَخْرَجْتُهُ حَتَّى انتَهَى بِي إِلَى مَضْرِبِي وَانْصَرَفَتْ وَتَرَكَتِي، فَلَمَّا
 عَيْنِي وَقَدْ دَخَلْتُ مِنَ الْكَابَةِ وَالْحَزْنُ مَا اللَّهُ بِهِ أَعْلَمُ؛ وَبَتُّ لِيلَتِي؛ فَلَمَّا أَصْبَحَتْ
 إِذَا أَنَا بِهَا، قَالَتْ: هَلْ لَكَ فِي الْوَادِ؟ قَلَتْ: شَائِنِكِ، فَقَعَلَتْ بِي مِثْلَ قِيلَهَا
 بِالْأَمْسِ حَتَّى انتَهَى بِي إِلَى الْمَوْضِعِ، فَلَمَّا دَخَلْتُ إِذَا بِتِلْكَ الْفَقَاهَةِ عَلَى كَرْسِيِّهَا،
 قَالَتْ: إِيَّهَا يَا فَضَّاحَ الْحَرَاثَرِ! قَلَتْ: بِمَاذَا - جَعَلَنِي اللَّهُ فَدَاءَكَ؟ قَالَتْ: بِقَوْلِكِ
 « وَنَاهِدَةُ التَّدِيْنِ » .

ثُمَّ قَالَتْ: قَمْ فَأَخْرَجْتُ عَنِي .

فَقَمَتْ فَخَرَجْتُ ثُمَّ رُدِّدْتُ، قَالَتْ لِي: لَوْلَا وَشَكَ الرَّحِيلُ، وَخَوْفُ الْفَوَتِ،
 وَحَبَّتِ لِمَنَاجَاتِكَ، وَالْاسْتَكْثَارِ مِنْ مَحَادِثِكَ لِأَقْصِيْتُكَ، هَاتِ الْآنَ كَلْمَنِي
 وَحَدَّتِي وَأَنْشَدَتِي، فَكَلَمْتُ آدَبَ النَّاسِ وَأَعْلَمَهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ نَهَضْتُ

(١) لَمْ تَخْرُجْ : لَمْ تَضْعِفْ وَلَمْ تَكُنْ جَادَةً فِي حَلْفِهَا . (٢) مَشْنَجْ : مَتْقِبْسِنْ . (٣) النَّزِيفْ :
 الْمَزْوَفُ ، وَهُوَ مِنْ عَطْشٍ حَتَّى يَبْسُطُ عَرْوَةَ وَجْفَ لِسانِهِ . (٤) الْحَشْرَاجْ : الْنَّقَرَةُ فِي الْجَبَلِ
 يَمْسِحُ فِيهَا الْمَاءَ فَيَصْفُو .

وأبطأْت العجوز وخلَّا لِي الْبَيْت ، فأخذت أُنْظَر ، فإِذَا أَنَا بِتُور^(١) فِيهِ خَلُوق^(٢) ،
فَادْخَلْتُ يَدِي فِيهِ ثُمَّ خَبَأْتُهَا فِي رُدْنِي^(٣) ؛ وَجَاءَتْ تِلْكَ الْعَجُوزَ فَشَدَّتْ عَيْنِي
وَنَهَضَتْ بِي تَقْوِدِي ، حَتَّى إِذَا صَرَّتْ عَلَى بَابِ الْمُضْرِبِ ، أَخْرَجَتْ يَدِي فَضَرَبَتْ
بِهَا عَلَى الْمُضْرِبِ ثُمَّ صَرَّتْ إِلَى مُضْرِبِي ، فَدَعَوْتُ غِلْمَانِي قَلْتُ : أَيْكَمْ يَقْنَى عَلَى
بَابِ مُضْرِبِ عَلَيْهِ خَلُوقَ ، كَأَنَّهُ أَتَرَ كَفَ فَهُوَ حَرَثُ وَلَهُ خَمْسَانَةُ دَرْهَمٍ .

فَلَمْ أُلْبِثْ أَنْ جَاءَ بَعْضُهُمْ قَالَ : قَمْ ، فَقَهَضَتْ مَعَهُ فَإِذَا أَنَا بِالْكَفِ طَرِيقَةٌ ؛
وَإِذَا الْمُضْرِبُ مُضْرِبُ فَاطِمَةَ بُنْتِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُرْوَانَ ، فَأَخْذَتْ فِي أَهْبَةِ
الرَّحِيلِ ، فَلَمَّا نَفَرْتُ نَفَرْتُ مَعَهَا فَبَصَرْتُ فِي طَرِيقَهَا بِقِبَابٍ وَمُضْرِبٍ وَهِيَتِهِ جَيْلَةً ،
فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ ، قَقَيلَهَا : هَذَا عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، فَسَاءَهَا أَمْرُهُ ؛ وَقَالَتْ
لِلْعَجُوزِ الَّتِي كَانَتْ تُرْسَلُ إِلَيْهِ : قَوْلِي لَهُ : نَسَدْتُكَ اللَّهُ وَالرَّحْمَنُ أَلَا تَصْبَحَنِي ،
وَنَحْنُكَ ! مَا شَانُكَ ؟ وَمَا الَّذِي تُرِيدُ ؟ اَنْصَرْفُ وَلَا تَفْضُحْنِي وَتُشَيِّطْ^(٤) بِدَمْكَ .

فَسَارَتِ الْعَجُوزُ إِلَيْهِ فَأَدَدَتْ إِلَيْهِ مَا قَالَتْ لَهَا فَاطِمَةُ ، قَالَ : لَسْتُ بِمُنْصَرِفٍ
أَوْ تُوجَّهُ إِلَيْهِ بِقَمِيصِهَا ، فَوَجَهَتْ إِلَيْهِ بِقَمِيصِهَا ، فَزَادَهُ ذَلِكَ شَفَقَةً ؛ وَلَمْ يَزُلْ
يَتَبعُهُمْ وَلَا يَخَالِطُهُمْ حَتَّى إِذَا صَارُوا عَلَى أَمْيَالٍ مِنْ دَمْشَقِ اَنْصَرَفُ ، وَقَالَ ذَلِكَ :
ضَاقَ الْفَدَاءُ بِحَاجَتِي صَدْرِي وَيَئِسَتْ بَعْدَ تَقَارِبِ الْأَمْرِ
وَذَكَرْتُ فَاطِمَةَ الَّتِي عَلَقَّتْهَا عَرَضًا فِي اِحْوَادِ الدَّهْرِ
وَكَانَ فَاهَا عَنْدَ رَقْدَتِهَا تَجْرِي عَلَيْهِ سُلَافَةُ الْمُنْجَرِ

(١) التور : لِإِنَاءِ صَغِيرٍ . (٢) الخلوق : نوع من الطيب . (٣) الردن : الكم . (٤) أشاط
بِدَمِهِ : أَهْدَرَهُ .

فَسَبَّتْ فُؤَادِي إِذْ عَرَضْتُ لَهَا يَوْمَ الرَّحِيلِ بِسَاحَةِ الْقُصْمِ
بِمَزِينَ رَدْعُ^(١) الْعَبِيرِ بِهِ حَسَنَ التَّرَائِبُ^(٢) وَاضْحَى النَّحْرُ
وَبِجِيدِ آدَمَ^(٣) شَادِينَ^(٤) خَرِيقَ^(٥)
لَا رَأَيْتُ مَطِيهَا حِزْفَ^(٦) خَفَقَ الْفُؤَادُ وَكُنْتُ ذَا صَبْرِ
وَتَبَادَرَتْ^(٧) عَيْنَاهَا بَعْدَهُمْ وَانْهَلَ دَمَهُمَا عَلَى الصَّدْرِ
وَلَقَدْ عَصِيتْ ذُوِّي الْقِرَابَةِ فِي كُمْ طُرَّاً وَأَهْلَ الْوُدِّ وَالصَّمْرِ
حَتَّى لَقِدْ قَالُوا وَمَا كَذَبُوا : أَجْنَتَ أَمْ بَكْ دَخَلَ السُّحْرِ !

(١) الرَّدْعُ : أُثْرُ الطَّيْبِ فِي الْجَسَدِ . (٢) التَّرَائِبُ : جَمْعُ تَرِيَةٍ ، وَهِيَ مَوْضِعُ الْقَلَادَةِ مِنَ الصَّدْرِ .
(٣) الْآدَمُ : الْأَسْمَرُ . (٤) شَادِينَ الْفَلَبِيُّ : تَرْعِعُ وَشَبَّ . (٥) الْخَرِيقُ : الْخَائِفُ الْمُتَحِيرُ .
(٦) حِزْفَ : جَمَاعَاتٌ . (٧) تَبَادَرَتْ : سَالَتْ دَمَوْعَاهَا .

* مَارَةٌ - ٩٧

كانت عند عبد الله^(١) بن جعفر جارية مُغَنِّية يقال لها عمارة، وكان لها منه
مكان لم يكن لأحدٍ من جواريه.

فَلَمَّا وَفَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرَ عَلَى مَعاوِيَةَ خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَزَارَهُ يَزِيدُ ذَاتَ يَوْمٍ
فَأَخْرَجَهَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا وَسَمِعْ غَنَاءَهَا وَقَمَّتْ فِي نَفْسِهِ، وَجَعَلَ لَا يَمْنَعَهُ مِنْ أَنْ
يَبْوَحَ بِمَا يَجِدُ بِهَا إِلَّا مَكَانُ أَبِيهِ، مَعَ يَاسِهِ مِنَ الظَّفَرِ بِهَا، فَلَمْ يَزِلْ يَكَاتِمُ النَّاسَ
أَمْرَهَا إِلَى أَنْ مَاتَ مَعاوِيَةَ، وَأَفْضَى الْأَمْرُ إِلَيْهِ، فَاسْتَشَارَ بَعْضَ مَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ مِنْ
أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَعَامَةَ مَنْ يَشَقُّ بِهِ فِي أَمْرِهَا، وَكَيْفَ الْحِيلَةُ فِيهَا، فَقَيْلَ لَهُ: إِنَّ أَمْرَ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنَ جَعْفَرَ لَا يُرَا مِنْ أَكْرَاهِهِ، وَمِنْ زَلَّتْهُ مِنْ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ وَمِنْكُمْ مَا قَدِعْلَمْتُ، وَأَنْتَ لَا تَسْتَجِيزُ
إِكْرَاهَهُ، وَهُوَ لَا يَبِيعُهَا بَشِّيًّا أَبَدًا، وَلَيْسُ يُغْنِي فِي هَذَا إِلَّا الْحِيلَةَ.

فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى رَجُلًا عِرَاقِيًّا لَهُ أَدْبٌ وَظَرْفٌ وَمَعْرِفَةٌ، فَطَلَبُوهُ فَأَتَوْهُ بِهِ؛
فَلَمَّا دَخَلْ رَأَى بَيَانًا وَحْلَوَةً وَفَهْمًا، فَقَالَ يَزِيدُ: إِنِّي دَعَوْتُكَ لِأَمْرِي إِنْ ظَفَرْتَ بِهِ
فَهُوَ حُظْكَ آخر الدَّهْرِ، وَيَدُكَ كَافِئُكَ عَلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ ثُمَّ أَخْبَرَهُ بِأَمْرِهِ،
فَقَالَ لَهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرَ لَيْسُ يُرَا مَا فِي قَلْبِهِ إِلَّا بِالْخَلْدِيَّةِ، وَلَنْ يَقْدِرَ أَحَدٌ عَلَى
مَا سَأَلْتَ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَهُ وَالْقُوَّةُ بِاللَّهِ، فَأَعْنَى بِالْمَالِ. قَالَ: خَذْمَاً أَحَبِبْتَ.

* مصارع المشاق : ٣١٠

(١) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، كان كريماً جوداً ، يميل إلى سماع الغناء ، وأخباره
في الكرم والسباع كثيرة ، توفي سنة ٥٩٠ .

فأخذ من طرف الشام ونياب مصر، واشترى متعالاً للتجارة من رقيق ودواب
وغير ذلك ، ثم شخص إلى المدينة ، فأناخ بعرصة^(١) عبد الله بن جعفر ،
وأكترى منزلة إلى جانبه ، ثم توسل إليه ، وقال : إني رجل من أهل العراق
قدمت بتجارة ، وأحببت أن أكون في عز جوارك وكتفك ، إلى أن أبيع
ما جئت به .

فبعث عبد الله بن جعفر إلى قهرمانه : أن أكرم الرجل ، ووسّع عليه
في نزله^(٢) . فلما اطمأنَّ العراق سلم عليه أيامًا ، وعرفه نفسه ، وهياً له بفلة
طارحة ، ونيابةً من نياض العراق وألطافها ؛ فبعث بها إليه ، وكتب معها :
« ياسيدى ؛ إني رجل تاجر ، ونعمَّ الله على سابقة ، وقد بعثت إليك بشئ
من تحف ، ونياب وعطر ، وبعثت ببَغْلة خفيفة العنان ، وطيبة الظاهر ؛ فاتخذها
لرِكوبك ؛ فأنا أسألك بقرباتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلِه إلا قبلت
هديتَك ، فإن أعظم أمل في سفرتى هذه أن أستفيد الأنس بك ، والتحرُّم
بمواصلتك .

فأمر عبد الله بقبض هديته ، وخرج إلى الصلاة ، فلما رجع مر بالعراق في منزله
قامت إليه ، وقبل يده ، واستكثر منه ، فرأى أدباً وظرفاً وفصاحة ، فأعجب به وسرّ
بنزوله عليه ، فجعل العراق في كل يوم يبعث إلى عبد الله بهدية طريفة . فقال
عبد الله : جزى الله ضيفنا هذا خيراً ، فقد ملأنا شكرأ ، وما نقدر على مكافأته ؛

(١) العرصة : كل بقعة بين الدور ليس بها بناء . (٢) النزل : ماهي لضيف أن ينزل فيه .

وإنه لـ كذلك إلى أن دعا عبد الله ، ودعا بـ عمارة في جواريه ، فلما طاب لها المجلس وسمع غناء عمارة ، تعجب وجعل يزيد عجبه ، فلما رأى ذلك عبد الله سرّ به إلى أن قال له : هل رأيت مثل عمارة ؟ قال : لا والله يا سيدى ، ما رأيت مثلها وما تصلح إلا لك ، وما ظننت أن يكون في الدنيا مثل هذه الجارية : حُسْن وجه ، وحُسْن عمل . قال : فكم تساوى عندك ؟ قال : ما لها ثمن إلا الخلافة ، قال : تقول هذا لـ زين لـ رأياً فيها وتحتسب سرورى ! قال له : يا سيدى ؟ والله إنى لأحب سرورك ، وما قلت لك إلا الجد ، وبعد فإني تاجر أجمع الدرام إلى الدرام ، طلبا للربح ولو أعطيتها عشرة آلاف دينار لأخذتها ، فقال له عبد الله : عشرة آلاف ؟ قال : نعم - ولم يكن في ذلك الزمان جارية بهذا الثمن - فقال له عبد الله : أنا أبيعكها عشرة آلاف . قال : قد أخذتها . قال : قد وجب البيع .
وانصرف العراق .

فلما أصبح عبد الله لم يشعر إلا بالمال قد جيء به ، فقيل لعبد الله : قد بعث العراق عشرة آلاف دينار ، وقال : هذا ثمن عمارة . فردّها ، وكتب إليه : إنما كنت أمزح معك ، وما أعلمك أن مثل لا يبيع مثلها ، فقال له : جعلت فداءك ! إن الجد والهزل في البيع سواء ، فقال له عبد الله : ويحك ! ما أعلم جاريّة تساوى ما بذلت ، ولو كنت بأتعها من أحد لآثرتك ، ولكنني كنت مازحاً ، وما أبيعها بملك الدنيا لحرمتها بي ، وموصعها من قلبي . فقال العراق : إن كنت مازحاً فإني كنت جاداً ، وما اطلع على ما في نفسك ، وقد

ملَكتُ الْجَارِيَةَ ، وَبَعْثَتُ إِلَيْكَ بِشَمْنَهَا ، وَلَيْسَتْ تَحْلُّ لَكَ ، وَمَالِي مِنْ أَخْذِهَا
مِنْ بُدُّ .

فَانْهَى إِلَيْهَا فَقَالَ لَهُ : لَيْسَتْ لِي بَيْنَهُ ، وَلَكِنِي أَسْتَحْلِفُكَ عِنْدَ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمِنْ بَرِّهِ ، فَلَمَّا رَأَى عَبْدَ اللَّهِ الْجَدَّ قَالَ : بَئْسَ الضَّيْفُ أَنْتَ !
مَا طَرَقْنَا طَارِقَ ، وَلَا نَزَّلْنَا نَازِلَ ، أَعْظَمُ بَلِيهًّا مِنْكَ ، أَتَحْلِفُنِي فِي قَوْلِ النَّاسِ :
اضْطَهَدْتُ عَبْدَ اللَّهِ ضَيْفَهُ وَقَهَّرَهُ ، وَأَجْأَهُ إِلَى مَنْ اسْتَحْلَفَهُ ، أَمَا وَاللَّهِ لَعْنُنِي أَنِي
سَاعَقْتُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ بِالصَّبْرِ وَحْسَنِ الْعِزَاءِ .

نَمْ أَمْرَ قَهَّرَ مَا نَهَى بِقَبْضِ الْمَالِ مِنْهُ ، وَبِتَجْهِيزِ الْجَارِيَةِ بِمَا يُشَبِّهُهَا مِنَ الْخَدْمِ
وَالثَّيَابِ وَالطَّيْبِ ، فَجُمِّرَتْ بِنَحْوِهِ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ .

فَقَبْضُ الْعَرَاقِيِّ الْجَارِيَةِ ، وَخَرَجَ بِهَا ؛ فَلَمَّا بَرَزَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، قَالَ لَهَا : يَا عُمَارَةَ :
إِنِّي وَاللَّهِ مَا مَلَكْتُكَ قَطُّ ، وَلَا أَنْتَ لِي ، وَلَا مِثْلِي يَشْتَرِي جَارِيَةً بِعَشْرَةِ آلَافِ
دِينَارٍ ، وَمَا كُنْتُ لِأَقْدِمُ عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَآلِبِهِ أَحَبَّ
النَّاسِ إِلَيْهِ لِنَفْسِي ، وَلَكِنِي دَسِيسٌ^(١) مِنْ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، وَأَنْتِ لَهُ ، وَفِي
طَبِيلَكَ بَعْثَ بَنِي ، فَاسْتَتَرِي مِنِي .

ثُمَّ مَضَى بِهَا حَتَّى وَرَدَ دَمْشَقَ ، فَتَلَقَّاهُ النَّاسُ بِمَحَاجَزِ يَزِيدَ ، وَقَدْ اسْتَخَلَفَ ابْنَهُ
مَعَاوِيَةَ بْنَ يَزِيدَ ؟ فَأَقْامَ الرَّجُلُ أَيَامًا ، ثُمَّ تَلَطَّفَ لِلدخولِ عَلَيْهِ ، فَشَرَحَ لَهُ الْقَصْةَ
— وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ بَنِي أُمِّيَّةَ يَعْدِلُ بِمَعَاوِيَةَ بْنَ يَزِيدَ فِي زَمَانِهِ نَبَلًا وَنُسْكًا — فَلَمَّا

(١) الدَّسِيسُ : مَنْ تَدْسِسُهُ لِيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ .

أخبره قال : هي لك ، وكل ما دفعته إليك من أمرها فهو لك ، وارحل من يومك فلا أسمع بخبرك في شيء من بلاد الشام .

فرحل العزاق ، ثم قال للجارية : إنني قلت لك ما قلت حين خرحت بك من المدينة ؟ فأخبرتك أنك ليزيد ، وقد صرت لي ، وأناأشهد أنك لعبد الله بن جعفر ، وأنني قد ردت لك عليه ، فاستترى مني .

ثم خرج بها حتى قدم المدينة ، فنزل قريباً من عبد الله ، فدخل عليه بعض خدمه ، فقال له : هذا العراقي ضيفك الذي صنع بنا ما صنع ، وقد نزل العَرَصة لا حياء لله ! فقال عبد الله : مه ! أُنْزِلُوا الرجل وأُكْرِمُوه ! فلما استقرَّ بعث إلى عبد الله : جعلت فداءك ! إنْ رأيتَ أن تاذنَ لي لأشافهك بشيء فقلت : فأذنْ له ؟ فلما دخل سلم عليه ، وقبَّل يده فقرَّ به عبد الله ، ثم اقتصر عليه القصة حتى إذا فرغ ، قال : قد والله وهبها لك قبل أن أراها وأضع يدي عليها ، فهـى لك ومردودة عليك ، وقد علم الله تعالى أنـي ما رأيت لها وجهاً إلا عندك .

بعث إليها ، فجاءت ، وجاء بما جهزها به موْقِرًا ، فلما نظرت إلى عبد الله ، خرَّت مغشياً عليها ، وأهوى إليها عبد الله ، وخرج العراقي وتصاير أهل الدار : عمارة ! عمارة ! فجعل عبد الله يقول ، ودموعه تجري : أحلمُ هـذا ؟ أحقُ هـذا ؟ ما أصدق بـهـذا ! فقال له العراقي : جعلت فداءك ! قد ردـها عليك إـيـشارـك الـوقـاء ، وصـبرـك عـلـى الـحـقـ ، وـانـقـيـادـكـ لـهـ .

قال عبد الله : الحمد لله ، اللهم إـنـكـ تـعـلـمـ أـنـيـ تـصـبـرـتـ عـنـهـاـ ، وـآـثـرـتـ الـوـفـاءـ ،

وأسلمت لأمرك ، فرددتها على بمنبك ؟ فلك الحمد . ثم قال : يا أخا العراق ؟ ما في الأرض أعظم منهَّ منك ، وسيجازيك الله تعالى .

وأقام العراقي أيامًا وباع عبد الله غنماً لهُ بثلاثة عشر ألف دينار ، وقال لقهرمانه : أحملها إليه ، وقل له : اعذر ، واعلم أنى لو وصلتك بكل ما أملك لرأيتك أهلاً لأنك أكثر منه ؛ فرحل العراقي محموداً وافر المال .

٩٨ - عمر بن أبي ربيعة في لبسة أعرابي*

قال عثمان بن إبراهيم الخاطي :

أيدتُ عمرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ بَعْدَ أَنْ نَسَكَ بَسْنِينَ ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي مَخْزُومَ ، فَانْتَظَرْتُ حَتَّى تَفَرَّقَ الْقَوْمُ ، ثُمَّ دَنَوْتُ مِنْهُ وَمَعِي صَاحِبٌ لِي طَرِيفَ ، وَكَانَ قَدْ قَالَ لِي : تَعَالَ حَتَّى نَرِبِّيْجَهُ عَلَى ذِكْرِ الْغَزَلِ ، فَنَنْظَرَ هَلْ بَقَيَ فِي نَفْسِهِ مِنْهُ شَيْءٌ ، قَالَ لِهِ صَاحِبِي : يَا أَبا الْخَطَابِ ، أَكْرَمْتَ اللَّهَ ؛ لَقَدْ أَحْسَنَ الْعَذْرِيْ وَأَجَادَ فِيهَا قَالَ . فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لِهِ : وَمَاذَا قَالَ ؟ قَالَ : حَيْثُ يَقُولُ :

لَوْ جُدَّ بِالسَّيْفِ رَأْسِي فِي مَوَدَّتِهَا لَمْرَأَهُوَ سَرِيعًا نَحْوَهَا رَأَسِي
فَارْتَاحَ عَمَرٌ إِلَى قَوْلِهِ وَقَالَ : هَاهُ ! لَقَدْ أَجَادَ وَأَحْسَنَ . فَقَلَتْ : وَلَلَّهِ دَرُّ جُنَادَةِ
الْعَذْرِيْ ! فَقَالَ عَمَرٌ : حَيْثُ يَقُولُ مَاذَا ؟ وَيَحْكُمُ اقْلِيلًا فَقَلَتْ : حَيْثُ يَقُولُ :

سَرَّتْ لِعِينِكَ سَلَّى بَعْدَ مَغْفَلَاهَا فَبِئْتُ مُسْتَنْبِهَا^(١) مِنْ بَعْدِ مَسْرَاهَا
وَقَلَتْ : أَهَلًا وَسَهَلًا مَنْ هَدَاكِ لَنَا إِنْ كَفَتِ تَمَثَّلَاهَا أَوْ كَنْتِ إِيَاهَا
تَأْتِي الرِّيَاحُ الَّتِي مِنْ نَحْوِ بَلْدَتِكُمْ
وَقَدْ تَرَأْخَتْ بِنَا عَنْهَا نُوَيْ قَذْفِهِ^(٢)
مِنْ حَبَّهَا أَتَنْفَى أَنْ يُلَاقِيَنِي منْ نَحْوِ بَلْدَتِهَا نَاعِ فَيَنْعَاهَا
كَيْا أَقُولُ فِرَاقٌ لَا لَقَاءَ لَهُ وَتُضَمِّرُ النَّفْسُ يَأْسًا ثُمَّ تَسْلَاهَا

* الأغاني : ١ - ١٧٤ ، الأمالي : ٢ - ٥٠

(١) مستنبها : مستيقظاً . (٢) نوى قذف : بعيدة .

ولو توت لراعتني وقلتُ أَلَا يابؤمن للموت إِلَيْتَ الْمَوْتَ أَبْقَاهَا
قال : فضحك عمر ، ثم قال : وأبيك لقد أحسن وأجاد وما أبقى ، ولقد
هَيَّجْتُمَا عَلَى ساكنًا ، وذَكَرْتُمَا مَا كَانَ عَنِ غَايَةً ، وَلَا حَدَّثْتُكُمَا
حَدِيثًا حلوًّا :

يبنا أنا منذ أعواام جالس إذأتاني خالد الخريت فقال لي : يا أبا الخطاب ؟
مرتب بـ أربع نسوة قبيل العشاء يُرِدُنْ موضع كذا وكذا ؛ ولم أر مثلهن في بدءِ
ولا حضر ، فيهن هند بنت الحارث المريّة ، فهل لك أن تأتيهن مقتراً ، فتسمع
من حديثهن ، وتتمتع بالنظر إليهن ، ولا يعلم من أنت ؟ فقلت له : ويحك !
وكيف لي أن أخفي نفسي ؟ قال : تَلْبَسْ لِبْسَةً أَعْرَابِيٍّ ؛ ثم تجلس على قعود^(١) ،
فلا يشعرنَ إِلَّا بك قد هَيَّجْتَهُنَّ عَلَيْهِنَّ .

فعملت ما قال ؛ وجلست على قعود ، ثم أتَيْتُهُنَّ فسلمتُ عليهن ، ثم وقفتُ
بِقُرْبِهِنَّ ، فسألنَّي أَن أنسدهن وأحدَّهُنَّ ، فأَنْسَدْتُهُنَّ لَكَثِيرٍ وَجَمِيلٍ وَالْأَحْوَصِ
وَنُصَيْبٍ وَغَيْرِهِمْ ؛ فقلن لي : ويحك يا أَعْرَابِي ! مَا أَمْلَأَكُ وَأَظْرَفُكَ ! لو نزلت
فَتَحَدَّثْتَ معنا يومنا هذا ! فإذا أَمْسَيْتَ انصرَفْتَ فِي حَفْظِ اللهِ !

فأنجتُ بعيري ، ثم تَحَدَّثْتُ معهن ، وأنشدَهُنَّ فسررن بي وجذلْنَ
بِقُرْبِي ، وأعجبهن حديثي ، ثم إنهم تَعَامَزْنَ ، وجمل بعضهن يقول بعض : كأننا
نعرف هذا الأعرابي ! ما أشبهه بعمر بن أبي ربيعة ! فقالت إحداهن : هو والله
عمر ! فدت هند يدها فانتزعَتْ عمامتي فأفلتها عن رأسِي ثم قالت لي : هيه يا عمر !

(١) القعود من الإبل : ما يقتعده الراعي في كل حاجة .

أَتْرَاكَ خَدْعَتْنَا مِنْذُ الْيَوْمِ ! بَلْ نَحْنُ وَاللَّهُ خَدْعَنَاكَ وَاحْتَلَنَا عَلَيْكَ بِخَالِدٍ ؛ فَأَرْسَلْنَاهُ
إِلَيْكَ لِتَأْتِينَا فِي أَسْوَأِ هِيَةٍ ، وَنَحْنُ كَمَا تَرَى . قَالَ عُمَرُ : خَادَتْنَاهُ سَاعَةً ،
ثُمَّ انْصَرَفَتْ ، فَذَلِكَ قَوْلِي :

أَلمْ تَسْأَلُ الْأَطْلَالَ وَالْمُتَرَبَّا
فِي بَخْلَنْ أَوْ يُخْبِرُنَّ بِالْعِلْمِ بَعْدَ مَا
بَهْنَدَ وَأَتْرَابَ لَهْنَدَ إِذْ الْهَوَى
وَإِذْ نَحْنُ مِثْلُ الْمَاءِ كَانَ مِزاجُهُ (٢)
وَإِذْ لَا نُطِيعُ الْعَادِلِينَ وَلَا نُرِى
تُنُوعَتْنَ حَتَّى عَاوَدَ الْقَلْبَ سُقُمُهُ
فَقَلَتْ لَمْطَرِيهِنَ بِالْحَسْنِ : إِنَّمَا
وَهِيجَتْ قَلْبًا كَانَ قَدْ وَدَعَ الصَّبَّا
لَئِنْ كَانَ مَا قَدْ قَلَتْ حَقًا فَمَا أَرَى
فَقَالَ : تَعَالَ ، انْظُرْ ، وَكَيْفَ لِي !
فَقَالَ : أَكْتَفِلُ (٦) ثُمَّ التَّقِيمُ وَأَتْبَاغِيَا
فَإِنِّي سَأْخُفِي الْعَيْنَ عَنْكَ فَلَا تُرَى

بِيَطْنِ (١) حُلَيَّاتٍ دَوَارِسٍ بَلْقَعَا
نَكَانْ فَوَادَا كَانَ قِدْمًا مُفَجَّعَا
جَعِيْعٌ وَإِذْ لَمْ تَنْخَشْ أَنْ يَتَصَدَّعَا
كَاصِفَّ (٤) السَّاقِ الرَّحِيقُ الْمَشْعَشُماً (٤)

لَوَاشِ لَدِينَا يَطْلُبُ الصَّرَمُ (٥) مُوضِعَا
وَحَتَّى تَذَكَّرُ الْحَدِيثُ الْمَوْدَعَا
ضَرَرَتْ فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفَعًا فَتَنَفَّعَا
وَأَشِيَاعَهُ ، فَأَشْفَعَ عَسَى أَنْ تُشَفَّعَا
كَثُلُ الْأَلَى أَطْرِيَتَ فِي النَّاسِ أَرْبَعا
أَخَافُ مَقَامًا أَنْ يَشْيَعَ فَيَشَنُّوا
فَسَلَمُ ، وَلَا تَكْثِرْ بَأْنَ تَنْوِرُ عَا
خَافَةً أَنْ يَفْشُوا الْحَدِيثَ فَيَسْمُوا

(١) بطن حليات : اسم موضع قرب مكة . (٢) مزاج الشراب : ما يمزج به . (٣) التصفيق : المزج . (٤) الرحيق : أطيب الحر ، والمشعش : المزوج . (٥) الصرم : القطع . (٦) أكتفل
البعير : إذا أدار على موضع من ظهره كساء وركب عليه .

فَأَقْبَلَتُ أَهْوِي مِثْلَ مَا قَالَ صَاحِبِي
 لِمَوْعِدِهِ أَزْجِي قَعُودًا مُوقَعًا^(١)
 فَلَمَا تَوَاقَنَا وَسَلَّمَ أَشْرَقَتْ
 تَبَالَهْنَ بِالْعِرْفَانِ لَمْ اعْرَفْنِي
 وَقَرَبَنَ أَسْبَابَ الْمَهْوِي لَتَقِيمَ
 فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْأَحَادِيثَ قَلَنَ لِي :
 فِي الْأَمْسِ أَرْسَلْنَا بِذَلِكَ خَالِدًا
 فَإِنَّا إِلَى عَلِيٍّ وَفِي مَوْعِدٍ
 رَأَيْنَا خَلَاءً مِنْ عَيْنٍ وَبِجَلْسَـا
 وَقَلَنَ : كَرِيمٌ نَالَ وَصَلَ كَرَامٌ
 لِمَوْعِدِهِ زَهَاهَا الْحَسْنُ أَنْ تَتَقَمَّـا^(٢)
 يَقِيسُ ذَرَاعًا كَلَا قِسْنَ إِمْصَـا
 أَخِفْتَ عَلَيْنَا أَنْ نُغَرَّ وَنُخْدَعَا ؟
 إِلَيْكَ وَيَنْتَ لِهِ الشَّأنَ أَجْعَـا
 عَلَى مَلَأِ مَنَا خَرَجْنَا لِهِ مَعَـا^(٣)
 دَمِيتَ^(٤) الرُّبَّا سَهْلَ الْمَحَلَةِ مُمْرِعًا^(٥)
 فَحُقَّ لِهِ فِي الْيَوْمِ أَنْ يَتَمَمَّـا

(١) القعود الموقع : الذي بظهره آثار المزوح لكتلة ما حمل عليه وركب ، فهو بعيد ذلول .

(٢) أكل وأوضع : أسرع في سيره . (٣) دمت المكان : سهل . (٤) ممرع : محصب .

(٥) هذه التصييدة نفسها قصة ممتعة تتحدث . مما كان في الشعر العربي من قصص .

٩٩ — حديث يوم الدوحة*

قال حمّاد الرواية :

أتت مكة ، فلست في حلقة فيها عمر بن أبي ربيعة ، وإذا هم يتذاكرن
العذريين^(١) وعشقهم وصبابهم ، فقال عمر : أحدثكم عن بعض ذلك :
كان لي خليل من عذرة يقال له : الجعد بن مجعع ، ويُكنى أبي مسهر ،
وكان يلقي مثل الذي ألقى من الصبابة النساء والوجن بهن ؛ على أنه كان لاعاهر
الخلوة ، ولا سريح السلوة ؛ وكان يوافي الموسم في كل سنة ، فإذا رأث^(٢) عن
وقته ترجمت عنه الأخبار ، وتوكفت^(٣) له الأسفار^(٤) حتى يُقدم ؛ فعمى ذات
سنة إبطاؤه حتى قدم حجاج عذرة ، فأتيت القوم أنشد^(٥) صاحبها ، وإذا غلام
تنفس الصعداء ! ثم قال : أعن أبي المسهر تسأل ؟ قلت : عنه أسأله ، وإذا
أردت . قال : هيهات هيهات ! أصبح والله أبو المسهر لاموسياً فيهم ، ولا مرجوأ
فيعلم ، وأصبح والله كما قال القائل :

* الأغاني ١٠ - ٤٨ ، مصارع المشاق : ٥٦ ، العقد الفريد : ٤ : ٣٨٤ ، تزيين الأسواق : ٢٤٨

(١) عذرة : قبيلة اشتهر فيها العشق . قيل لأعرابي : من أنت ؟ قال : من قوم إذا عشقا
ماتوا ، قال : عذري ورب الكعبة ! ثم قيل له : ولم ذلك ؟ قال : لأن في نسائنا صباة ، وف
فتیاننا عفة . وقيل لعروة بن حزام : أصحیح ما يقال فيکم : إنكم أرق الناس قلوباً ؟ قال : نعم ،
والله لقد تركت ثلاثة شباباً في الحي ، قد خارجهم الموت ، ما لهم داء إلا الحب ! (٢) راث :
أبطأ . (٣) يقال : توكت لفلان ، أى تعرض له حتى يلقاه . (٤) قوم أسفار : ذوو سفر
(٥) أنشده : أطلبه .

ل عمرك ما حُجّي لِأَنْمَاءَ تاركى أَعِيشُ ولا أَقِضى به فَأَمُوتُ

قلت : وما الذى به ؟ قال : مثلُ الذى بك ؛ من تهورك فى الصلال ،
و جرّ كُما أذىالَّا خسار ؛ فكأنك لم تسمعا بجنتِه ولا نار ! قلت : من أَنْتَ منه
يابن أخي ؟ قال : أخوه . قلت : أما والله يابن أخي ما يمنعك أن تسلكَ مسلكَ
أخيك من الأدب ، وأن تركب منه مركبه إلا عَجزك عن مجاراته . ثم صرفتُ
وجهَ ناقتي وأنا أقول :

أَرَاهُمْ حُجَّاجَ عُذْرَةَ وُجْهَهُ
وَلَمَّا يَرْحُ فِي الْقَوْمِ جَعْدَ بْنَ مِهْجَعَ
خَلِيلَانَ نَشَكُوا مَا نَلَاقُ مِنَ الْهَوَى
مَتَى مَا يَقُلُّ أَسْمَعُ وَإِنْ قَلْتُ يَسْمَعُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي أَئِ شَيْءٌ أَصَابَهُ
فَلِي زَافِراتِ هِجْنَ مَا بَيْنَ أَصْلِي
فَلَا يَبْعَدَنْكَ اللَّهُ خَلَّا فَإِنِّي سَأْلُكَ كَمَا لَاقِيتَ فِي الْحُبِّ مَصْرُعِي

ثم انطلقت حتى وقفتُ موقفي من عرفات ؛ فيينا أنا كذلك إذ يأنسان
قد تغير لونه ، وساعت هيئته ، فأدنى ناقتي من ناقتي حتى خالف بين أعنقاها ،
ثم عاينت حتى اشقد بكاواه ، فقالت: ما وراءك ؟ فقال: بَرْح العَذْلِ ، وطُولَ الْمَطْلِ ،
ثم أنساً يقول :

لَئِنْ كَانَتْ عَدِيلَةُ ذَاتَ مَطْلِ	لَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنَّ الْحُبَّ دَاءٌ
أَلَمْ تَنْظُرْ إِلَى تَغْيِيرِ جَسْمِي	وَأَنَّ لَا يَفْارِقُنِي الْبَكَاءُ
وَإِنَّكَ لَوْ تَكْلَفْتِ الذِّي بِي	لِزَالَ السُّتُّرُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وَإِنَّ مَعَاشِي وَرِجَالَ قَوْمِي	حَتَّوْهُمُ الصِّبَابَةُ وَالْقَاءُ

قالت : يا أبا المسير ؟ إنها ساعة تُضرب إليها كباد الإبل من شرق الأرض
وغربها ، فلو دعوت الله كنت قيّماً بمحاجتك ، وأن تُنصر على عدوك ؟ فتركتني
وأقبل على الدعاء ، فلما نزلت الشمس لغروب ، وهم الناس أن يُفيضوا سمعه
يتكلم بشيء ، فأصغيت إليه ، فإذا هو يقول :

يا رب كل غدوة وروحه من محرم يشكو الصبا ونوحه
أنت حسيب الخلق يوم الدّوحة

فقالت له : وما يوم الدّوحة ؟ قال : والله لا أخبرتك ولو لم تسائلني !

فييممنا نحو مزدلفة^(١) ، فاقبّل على وقال : إني رجل ذو مال كثير ؟ من نعم
وشاء ، وقد خشيت على أموالي التّلف ، فأتىت أخواتي كلّيما ، فأوسعوا لي عن
صدر المجلس ، وكنت فيهم في خير أحوال ؛ ثم إني خرّجت يوماً إلى ماء لهم ،
وركبت فرسى ، وسمّطت^(٢) خلفي شرابة كان أهداه إلى بعضهم ثم مضيت حتى
إذا كنت بين الحى ومراعى النّعيم ، رفعت لى دوحة عظيمة ، فنزلت عن فرسى ،
وشددت بغضن من أغصانها ، وجلست في ظلمها ؛ فبينما أنا كذلك إذ سطع غبار
من ناحية الحى ، ورفعت لى شخوص ثلاثة ، ثم تبيّنت فإذا فارس يطرد أثانيين ،
فتأمّلته فإذا عليه درع أصفر ، وعمامة خرز سوداء ، وإذا فروع شعره تُضرّب خصره
قالت : غلام حدث عهدي بعرس ، أعيجّلته لذة الصيد ، فترك ثوبه ؛ ولبس ثوب
أمراته ؛ فما جاز على إلا يسراً حتى طعن الأناثان ، وأقبل راجعاً نحوى .

(١) مزدلفة : موضع بين عرفات ومنى ، سمى بذلك لأنّه يتقرّب فيه إلى الله تعالى . (٢) سقط
الشيء : علقه .

فقلت له : إِنَّكَ قَدْ تَعْبَتَ وَأَنْعَبْتَ ، فَلَوْ نَزَّلْتَ ! فَشَفَنِي رَجُلٌ وَنَزَّلَ ، ثُمَّ شَدَّ
فَرْسَهُ بِغَصْنٍ مِنْ أَغْصَانِ الشَّجَرَةِ ، وَأَلْقَى رَحْمَهُ وَأَقْبَلَ حَتَّى جَلَسَ ، فَجَعَلَ يَحْدَثُنِي
حَدِيثًا ذَكَرْتُ بِهِ قَوْلَ أَبِي ذُؤَيْبٍ :
وَإِنَّ حَدِيثًا مِنْكِ لَوْ تَبَذُّلْنِي جَنِي النَّحْلِ فِي الْبَلَانِ عَوْذٌ^(١) مَطَافِلٌ

فَقَمْتُ إِلَى فَرْسِي فَأَصْلَحْتُ مِنْ أَمْرِهِ ثُمَّ رَجَعْتُ ، وَقَدْ حَسَرَ الْعِامَةَ عَنْ رَأْسِهِ؛
فَإِذَا غَلَامٌ كَانَ وَجْهُهُ الدِّينَارُ المَقْوُشُ ، فَقَلَتْ : سَبَحْتُكَ اللَّهُمَّ ! مَا أَعْظَمْ قُدْرَتِكَ !
وَأَحْسَنَ صَنْعَتِكَ ! فَقَالَ : مِمَّ ذَاكَ ؟ قَلَتْ : مَا رَاعَنِي مِنْ جَمَالِكَ ، وَبَهْرَنِي مِنْ
نُورِكَ . قَالَ : وَمَا الَّذِي يَرُوعُكَ مِنْ حَبِيسِ التُّرَابِ وَأَكْيَلِ الدَّوَابِ ، ثُمَّ
لَا يَدْرِي بَعْدَ ذَلِكَ أَيْنَنِعَ أَمْ يَبَسُّ ؟ قَلَتْ : لَا يَصْنَعُ اللَّهُ بِكَ إِلَّا خَيْرًا .

ثُمَّ تَحْدَثَنَا سَاعَةً ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ : مَا هَذَا الَّذِي أَرَى قَدْ سَمَّطْتَ فِي سَرْجِكَ ؟
قَلَتْ : شَرَابٌ أَهْدَاهُ إِلَى بَعْضِ أَهْلِكَ ، فَهَلْ لَكَ فِيهِ مِنْ أَرْبَ ؟ قَالَ : أَنْتَ وَذَاكَ ،
فَأَتَيْتُهُ بِهِ ، فَشَرَبَ مِنْهُ ، وَجَعَلَ يَنْسَكُتْ أَحْيَانًا بِالسُّوتِ عَلَى ثَنَاءِيَاهُ ؛ فَجَعَلَ وَاللهُ
يَبْيَّنَ لِي ظُلُّ السُّوتِ فِيهِنَّ ، فَقَلَتْ : مَهْلًا ، فَإِنِّي خَائِفٌ أَنْ تَكْسِرَهُنَّ ، فَقَالَ :
وَلِمَ ؟ قَلَتْ : لِأَنَّهُنَّ رِقَاقٌ ، وَهُنَّ عِذَابٌ ؛ ثُمَّ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ يَقْعُنِي :
إِذَا قَبَلَ الإِنْسَانُ آخِرَ يَشْتَهِي ثَنَاءِيَاهُ لَمْ يَأْتِمْ وَكَانَ لَهُ أَجْرًا
فَإِنْ زَادَ زَادَ اللَّهُ فِي حَسَنَاتِهِ مَشَاقِيلٌ يَحْوِلُ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا الْوِزْرَا

(١) العوذ : المديحات النتاج ، والمطافل جمع مطفل : ذات الطفل .

ثُمَّ قَامَ إِلَى فَرْسِهِ ، فَأَصْلَحَ مِنْ أَمْرِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ .

قَالَ أَبُو مُسْهِرٍ : فَبِرْقَةٌ لَيْ بَارِقَةٌ تَحْتَ الدَّرْزِ ، فَإِذَا نَدَى ، قَلْتَ : نَشَدْتُكَ
اللَّهُ ! امْرَأَةً ! قَالَتْ : إِلَى وَاللهِ ؛ إِلَّا أَنِّي أَكْرَهُ الْعَشِيرَ . ثُمَّ جَلَسَتْ ، فَجَعَلَتْ
تَشْرِبُ مَعِي ، وَمَا أَفْقَدَ مِنْ أَنْسَهَا شَيْئًا ، فَالْبَلْثَتْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى اتَّبَعَتْ فَزْعَةَ ،
فَلَاثَتْ عِمَّامَتَهَا بِرَأْسِهَا ، وَجَالَتْ فِي مَنْطِقَةِ فَرْسِهَا ، وَقَالَتْ : جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الصَّحْبَةِ
خَيْرًا . قَلَتْ : أَوْ مَا تَرْزُوْ دِينِنِي مِنْكَ زَادًا ، فَنَاوَلْتُنِي يَدَهَا فَقَبَّلَتْهَا ، فَشَمَّتْ وَاللهُ مِنْهَا
رِيحَ الْمَسْكِ الْمَقْتُوتِ ، فَذَكَرَتْ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

كَانَهَا إِذَا تَقْضَى النَّوْمَ وَانْتَبَهَتْ سَحَابَةً مَا هَمَّ أَعْيَنْ وَلَا أَنْتَ

ثُمَّ قَلَتْ لَهَا : وَأَيْنَ الْمَوْعِدُ ؟ قَالَتْ : إِنَّ لِي إِخْوَةً شُرْسَانَ ، وَأَبَا غَيْوَرَا ،
وَوَاللهِ لَأَنْ أَسْرَكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُسْرِكَ ، ثُمَّ انْصَرَفَ ، فَجَعَلَتْ أَتَبِعُهَا
بَصَرِي حَتَّى غَابَتْ ، فَهِيَ وَاللهِ يَا بْنَ أَبِي رِبِيعَةَ حَلَقَنِي هَذَا الْخَلَّ ، وَأَبْلَغَنِي هَذَا
الْمَلْبُغُ !

قَالَ عُمَرُ : قَلْتَ لَهُ : يَا أَبَا الْمُسْهِرِ ؛ إِنَّ الْفَدَرَ بِكَ مَعَ مَا تَذَكَّرُ مِنْهُ ، فَبَسَّكَ
وَاشْتَدَّ بِكَلَوْهِ . قَلْتَ : لَا تَبْكِ ، فَما قَلْتُ لَكَ مَا قَلْتُ إِلَّا مَازَحًا ، وَلَوْلَمْ أُبَلِّغَ
فِي حَاجَتِكَ بِمَا لَيْسَتِ فِي ذَلِكَ حَتَّى أَقْدِرَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : خَيْرًا .

قَالَ عُمَرُ : فَلَمَا اتَّقَضَ الْمَوْسِمُ شَدَّدَتْ عَلَى نَاقِتِهِ ، وَشَدَّدَ عَلَى نَاقِتِهِ ، وَدَعَوْتَ
غَلَائِي ، فَشَدَّدَ عَلَى بَعِيرِهِ ، وَحَمَلْتَ عَلَيْهِ قَبَّةَ حَمَراءَ مِنْ أَدَمَ^(١) ، كَانَتْ لَأَبِي رِبِيعَةَ
الْمَخْزُومِيَّ ، وَحَمَلْتَ مَعِي أَلْفَ دِينَارٍ وَمُطْرَفَ^(٢) خَزَّ ، وَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا بِلَادَ كَلْبِ ،

(١) الأَدَمُ : الْجَلَدُ . (٢) الْمُطْرَفُ : رِداءُ مِنْ خَزَّ مَرِيمَ ذُو أَعْلَامٍ .

فَنَشَدْنَا أَبَا الْجَارِيَةَ ، فَوَجَدْنَاهُ فِي نَادِي قَوْمِهِ ، وَإِذَا هُوَ سَيِّدُ الْحَيِّ ، وَإِذَا النَّاسُ
حَوْلَهُ ، فَوَقَتْ عَلَى الْقَوْمِ ، فَسَلَّمَ فَرْدُ الشِّيْخِ السَّلَامُ ، ثُمَّ قَالَ : مَنِ الرَّجُلُ ؟
قَالَ : عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغَيْرَةَ ، قَالَ : الْمَعْرُوفُ غَيْرُ النَّسْكَرَ ! فَمَا الَّذِي جَاءَ
بِكَ ؟ قَالَ : خَاطِبًا ، قَالَ : الْكَفَاءُ وَالرَّغْبَةُ ، قَالَ : إِنِّي لَمْ آتِ ذَلِكَ لِنَفْسِي عَنْ
غَيْرِ زَهَادَةِ فِيهِكَ ، وَلَا جَهَالَةَ بِشَرْفِكَ ؛ وَلَكِنِي أَتَيْتُ فِي حَاجَةِ ابْنِ أَخْقَكُمْ
الْعُذْرَى ، وَهَا هُوَ ذَاكَ . قَالَ : وَاللَّهِ إِنَّهُ لَكُفَاءُ الْحَسْبَ ؟ رَفِيقُ الْبَيْتِ ، غَيْرُ أَنْ
بَنَاتِي لَمْ يَقْعُنْ إِلَّا فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ قَرِيشٍ .

فَوَجَحَتْ لَذِكْرُهُ ، وَعَرَفَ التَّغْيِيرَ فِي وَجْهِي ، قَالَ : أَمَا إِنِّي صَانِعُ بِكَ مَا لَمْ
أَصْنَعْهُ مَعَ غَيْرِكَ ، قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ فَتَنَاهُ مَنْ شَكَرَ . قَالَ : أَخْيَرُهَا ، فَهِيَ
وَمَا اخْتَارَتْ ، ثُمَّ خَيَرُهَا ، قَالَتْ : وَمَا كَنْتُ لِأَسْتَبِدَ بِرَأْيِ دُونِ الْقَرْشَى ، فَانْخِلَابُ
وَالْحُكْمُ لَهُ . قَالَ لِي : إِنَّهَا وَقْدَ وَلَتَكَ أَمْرَهَا ، فَاقْضِي مَا أَنْتَ قَاضٍ . فَخَمَدَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْتَيْتُ عَلَيْهِ ، وَقَلَتْ : اشْهَدُوا أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُهَا مِنْ الْجَمَدِ بْنِ مَهْجَنَ ،
وَأَصْدَقْتُهَا هَذَا الْأَلْفَ الدِّينَارَ ، وَجَعَلْتُ تَكْرِمَتِهَا الْعَبْدُ وَالْبَعْدُ وَالْقُبَّةُ ؛ وَكَسُوتُ
الشِّيْخَ الْمُطْرَفَ ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَنْبَنيْ بِهَا فِي لَيْلَتِهِ ؛ فَأُرْسَلَ إِلَيْهَا ؛ قَالَتْ : أَتَخْرُجُ
ابْنَتِي كَمَا تَخْرُجُ الْأَمَّةَ ! قَالَ الشِّيْخُ : قَوْمٌ فِي جَهَازِهَا ، فَمَا بَرَحْتَ حَتَّى ضَرَبْتَ
الْقُبَّةَ فِي وَسْطِ الْحَرَمِ ؟ ثُمَّ أَهْدَيْتُ إِلَيْهِ لِيَلَا ؛ وَبَتَّ عَنْدَ الشِّيْخِ ؛ فَلَمَّا أَصْبَحَتْ
أَبْيَتُ الْقُبَّةَ ، فَصَبَحْتُ بِصَاحِبِي نَفْرَجَ إِلَيْهِ وَقَدْ أَثْرَ السَّرْوُرُ فِيهِ ، قَالَتْ : كَيْفَ
كَنْتَ بَعْدِي ؟ وَكَيْفَ هِيَ بَعْدِكَ ؟ قَالَ لِي : أَبْدَتْ لِي وَاللَّهُ كَفِيرًا مَا كَانَتْ

أَخْفَتَهُ عَنِ يَوْمٍ لَقِيَتْهَا ؛ فَقَلَتْ : أَقِمْ عَلَى أَهْلَكَ ، بَارِكْ اللَّهُ لَكَ فِيهِمْ ، وَانْطَلَقْتْ
وَأَنَا أَقُولْ :

كَفِيتْ أَخِي الْعَذْرَى مَا كَانَ نَابَةً^١ وَإِنِّي لَأَعْبَأَ النَّوَافِيْبِ حَمَالْ
فَقَالَ الْعَذْرَى :

إِذَا مَا أَبُو انْطَطَابَ خَلَ مَكَانَهُ فَأَفَ لِدُنِّيَا لِيْسَ مِنْ أَهْلَهَا عُمْرًا !

١٠٠ - لَوْلَا فَصَاحُّهُمْ لَضَرَبَتْ أَعْنَاقَهُمْ *

أمر الحجاج^(١) صاحب حرسيه أن يطوف بالليل ؛ فمن رأه بعد العشاء سكران ضرب عنقه ؛ فطار ليلة من الليلي ، فوجد ثلاثة فتیان يتأilosون ، وعليهم أمارات السكر ؛ فأحاطت بهم الغلمان ، وقال لهم صاحب الحرس : من أنت حتى خالقتم أمير المؤمنين ، وخرجتم في مثل هذا الوقت ! فقال أحدهم :

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَ الرِّقَابَ لَهُ مَا بَيْنَ مَخْزُومَهَا وَهَاشِمَهَا
تَأْتِيهِ بِالرَّغْمِ وَهِيَ صَاغِرَةٌ يَأْخُذُ مِنْ مَا لَهَا وَمِنْ دَمِهَا

فأمشك عنه ، وقال : لعله من أقارب أمير المؤمنين ! ثم قال للآخر : وأنت من تكون ؟ فقال :

أَنَا ابْنُ مَنْ لَا تَنْزِلُ الْدَّهْرَ قِدْرَهُ وَإِنْ نَزَّلَتْ يَوْمًا فَسُوفَ تَعْوَدُ
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضُوءِ نَارِهِ فَنَهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقَعُودٌ

فأمشك عنه ، وقال : لعله ابن أشرف العرب . ثم قال للآخر : وأنت من تكون ؟ فأنشد على البديهة :

أَنَا ابْنُ مَنْ خَاصَ الصَّفَوْفَ بِعَزْمِهِ وَقَوْمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى اسْتَقَامَتِ
وَرَكْبَاهُ لَا يَنْفَكُ رِجْلَاهُ مِنْهُمَا إِذَا اخْتَلَلَ فِي يَوْمِ الْكَرْبَلَةِ وَلَتِ

* مجاني الأدب : ١٥-٣

(١) الحجاج بن يوسف : نشأ بالطائف ، وولى العراق والشرق ، وهلك بواسط سنة ٩٥ .

فأمسك عنه أيضاً ، وقال : لعله ابن أشجع العرب ؛ واحتفظ عليهم .
فلا كان الصباح رفع أمرهم إليه ؛ فأحضرهم ، وكشف عن حالم ؛ فإذا الأول
ابن حجاج ، والثاني ابن فوّال ، والثالث ابن حائث !
فتعجب من فصاحتهم ، وقال جلسته : علموا أولادكم الأدب ، فوالله لو لا
فصاحتهم لضررتُ أعناقهم .

(١) شرحت في تفسير (٢) سعد الدين عاصي بن عبد العطاء لما ذكر
القرشى واد السماح والمصور ، وكثيراً ما يخاطب سعيد تعمالي الناس واغتنام مالك
حين لا يكتسب أمره ذات ممتلكات (٣) معنى سق المروءة .

* ١٠١ - يوم دَارَةِ جُلْجُلٍ

قال الفرزدق^(١) : أصابنا بالبصرة مطر جَوْدٌ^(٢) ، فلما أصبحت ركبتي بفلقى ، وسرت إلى المِرْبَد^(٣) ، فإذا أنا بأثار دواب ، وقد خرجت إلى ناحية البرية ، فظننت أنهم قوم خرجوا للنزهة وهم خلقاء أن يكون معهم سُفَرَةٌ^(٤) ، فاتبعت آثارهم حتى انتهيت إلى بفال عليها رحائل^(٥) موقوفة على غدير ، فأسرعت إلى الغدير ، فإذا فيه نسوة مستنقعات في الماء ، فقلت : لم أر كاليل يوم قط ولا يوم دارة جُلْجُل ، وانصرفت مستحييًّا .

فناديني : يا صاحبَ البغلة ؟ ارجِعْ نسالك عن شئ فرجعت إلىهن ، فقعدن في الماء إلى حُلوقهن ، ثم قلن : بالله إلا ما أخبرتنا ، ما كان من حديث دارة جلجل .

قلت : حَدَّثَنِي جدي - وأنا يومئذ غلام حافظ - أن امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عميه - ويقال لها عُنيزة - وأنه طلبها زماناً فلم يصل ، حتى كان يوم الغدير - وهو يوم دارة جلجل - وذلك أنَّ الْحَيَّ تحملوا ، فتقدم الرجال ، وتختلف النساء والخدم والثقل ، فلما رأى ذلك امرأ القيس تخلف بعدما سار مع رجال قومه غلوة ، فكَمَنَ في غابة من الأرض حتى مَرَّ به النساء ، وفيهن عُنيزة ، فلما وَرَدْنَ الغدير

* العقد الفريد : ٤ - ٣٥٢

(١) هو أبو فراس هام بن غالب نشاً بالبصرة وأخذه أبوه برواية الشعر ونظمه فرواه ونبغ فيه . مات سنة ١١٠ هـ . (٢) الجود : المطر الغزير . (٣) المربد : سوق بالبصرة ، كان يعقد للبيع ، وفيه ينشد الشعر . (٤) السفرة : طعام المسافر . (٥) الرحالة : السرج .

قلن : لو نزلنا واغتسلنا في هذا الغدير فذهب عنا بعض **الكلال** ! فنزلن في الغدير ،
ثم تجرّد فوقن فيه ، فأناهن أمرؤ القيس ، فأخذ ثيابهن **فجمعها** ، وقعد عليهما ،
وقال : والله لا أعطى جارية منكـن ثوبـها ، ولو قعدت في الغدير يومـها حتى تخرج
متجردة فأخذ ثوبـها ، فأبـين ذلك عليه حتى تـالي النهـار ، وخشـين أن يـصرن عن
المنـزل الذى يـردـنه ، خـرجـن جـميعـا غير عـنيـزة ، فـناـشـدـته اللهـ أـن يـطـرحـ ثـوبـها ، فـأـبـيـ،
خـرجـتـ فـنـظـرـ إـلـيـها مـقـبـلة مـدـبـرة ، وأـقـبـلـنـ عـلـيـه ، فـقـلـنـ لـهـ : إـنـكـ عـذـبـتـنا وـحـبـسـتـنا
وـأـجـعـنـا ، قالـ : فـإـنـ نـحـرـتـ لـكـنـ نـاقـتـيـ أـنـأـ كـلـ مـعـ ؟ قـلـنـ : نـعـ ، فـجـرـدـ سـيفـاـ
فـرـقـبـهـا وـنـحرـهـا ، ثمـ كـشـطـهـا ، وـجـمـعـ الـخـدـمـ حـطـبـاـ كـثـيرـاـ ، فـأـجـجـنـ نـارـاـ عـظـيمـةـ ،
فـجـعـلـ يـقـطـعـ أـطـاـيـهـا ، وـيـلـقـىـ عـلـىـ الجـمـ ، وـيـأـكـلـنـ وـيـأـكـلـ مـعـهـنـ ، وـيـشـرـبـ منـ
فـضـلـةـ كـانـتـ مـعـهـ ، وـيـسـقـيـهـنـ وـيـنـبـذـ إـلـىـ العـبـيدـ مـنـ **الـكـيـابـ**^(١) ، فـلـمـ أـرـادـواـ
الـرـحـيلـ قـالـتـ إـحـدـاهـنـ : أـنـأـ حـلـ طـنـفـسـتـهـ ، وـقـالـتـ الـأـخـرـىـ : أـنـأـ حـلـ رـحـلـهـ
وـنـسـاعـدـهـ ، فـتـقـسـمـنـ مـقـاعـهـ وـزـادـهـ ، وـبـقـيـتـ عـنـيـزةـ لـمـ تـحـمـلـ لـهـ شـيـئـاـ ، فـقـالـ لـهـ : يـابـنـ
الـكـرـامـ ؛ لـا بـدـ أـنـ تـحـمـلـيـنـ مـعـكـ ، فـإـنـ لـا أـطـيـقـ المـشـىـ ، فـخـمـلـهـ عـلـىـ غـارـبـ بـعـيرـهـاـ
فـكـانـ يـجـنـحـ إـلـيـها فـيـمـيلـ حـدـجـهـ^(٢) ، فـتـقـولـ : « عـرـتـ بـعـيرـىـ ، فـانـزلـ » ، وـفـيـ
ذـلـكـ يـقـولـ :

أـلـا رـبـ يـوـمـ لـيـ مـنـ الـبـيـضـ صـالـحـ لـوـسـيـاـ يـوـمـ بـدـارـةـ جـلـجـلـ^(٣)
وـيـوـمـ عـرـتـ لـلـعـذـارـىـ مـطـيـتـىـ^(٤) فـيـاـ عـجـباـ مـنـ كـوـرـهـاـ الـمـتـحـمـلـ

(١) **الـكـيـابـ** : ضـربـ منـ قـلـيـ اللـعـمـ . (٢) **الـحـدـجـ** : مـركـبـ للـنسـاءـ كـالمـفـةـ . (٣) دـارـةـ جـلـجـلـ :
مـكـانـ بـنـجـدـ . (٤) **مـطـيـتـىـ** : نـاقـهـ ، وـالـعـذـارـىـ : الـأـبـكـارـ ، وـالـكـوـرـ : الرـحلـ ، وـالـمـتـحـمـلـ : الـمـحـولـ .

فَظَلَّ الْعَذَارِيَّ يَرْتَمِيْنَ بِالْحَمْمَهَا
وَشَحْمٌ كُهْدَابٌ^(١) الدَّمْقَسُ الْمَفْتَلُ
وَبِيَوْمِ دَخْلَتِ الْخَدْرَ^(٢) خَدْرَ عَنْيَزَهُ
فَقَالَتْ : لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجِلٌ^(٣)
عَقْرَتُ^(٤) بَعِيرَى يَا امْرَأَ الْقَيْسَ فَانْزَلْ
تَقْوُلُ وَقَدْ مَالَ الْفَبِيطُ^(٤) بِنَا مَعًا
فَقَلَّتُ هَاهُ : سِيرَى وَأَرْخَى زِمَامَهُ
وَلَا تُبْعِدِنِي مِنْ جَنَاكِ الْمَعَلَلِ^(٦)

(١) هداب الدمقس: أطراف الحرير، والمفتل: المهدوج، وهو في الأصل الستر. (٢) مرجل: من أرجنته: صيرته راجلاً. وقيل معناه: فاضحى بين رجال. (٣) الفبيط: الرجل. (٤) عقرت بعيري: أدمي ظهره ثقلك. (٥) الجني: الثغر، والمعلل: المطيب مرة بعد أخرى.

١٠٢ — دَعْنِي وَرَبِّي النَّذِي لَا يَبْخَلُ وَلَا يَذْهَلُ*

لما بلغ الوليد^(١) بن يزيد أن يزيد بن الوليد بن عبد الملك قد شرد عن القلوب ، واستجاش^(٢) عليه أهل المين ، ونازعه في ملكه ؛ احتجب عن سماره ، ودعى في بعض الليالي خادمًا له ؛ فقال له : انطلق متنكرًا حتى تقف ببعض الطرق ؛ وتأمل من يمر بك من الناس ؟ فإذا رأيت كهلاً رثَّ الهيئة ؛ يمشي الهوبي ؛ وهو مطرق ، فسلم عليه ؛ وقل له في ذنه : أمير المؤمنين يدعوك ؟ فإن أسرع في الإجابة فأنت به ، وإن استراب^(٣) فدغه ، واطلب غيره ؛ حتى تجد رجلاً على الشرط الذي ذكرت لك .

فانطلق الخادم ؛ فأتاه برجل على الشرط .

فلما دخل الرجل على الوليد حيّاه بتحية الخلافة ، فأمره الوليد بالجلوس والدنون منه ؛ وصبر إلى أن ذهب روعه ، وسكن جائده ، ثم أقبل عليه ، فقال له : أتحسن المسامرة للخلفاء ؟ فقال . نعم يا أمير المؤمنين . فقال الوليد : إن كنت تحسّنها فأخبرنا ماهي ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ المسامرة إخبار لمنصتي ، وإن صات لمخبر ؛ ومفاوضة فيما يعجب ويليق .

* ثُرات الأوراق : ١٧٤

- (١) كان الوليد بن يزيد - ويكنى أبا العباس - ماجنا سفيها يقطع دهره بالهو والتزل ، ويقول أشعار المنفرين يحمل فيها الألحان . مات مقتولا سنة ١٢٦ هـ . (٢) استجاش أهل المين : حملهم على - المهاجر . (٣) استراب به :رأى منه ما يريد .

قال له الوليد : أحسنت ! لا أزيدك امتحاناً ! قيل : أسمع لقولك .

قال السَّكَهُلُ : نعم يا أمير المؤمنين ؛ ولكن المسامرة صِنْفان لا ثالث لها : أحدها الإخبار بما يوافق خبراً مسماً ، والثاني الإخبار بما يُواافق غرضًا من أغراض صاحب المجلس ، وإنى لم أسمع بحضره أمير المؤمنين طريقة فَأَنْجُو نحومها ، وأزَمَّ أسلوبها .

قال الوليد : صدقت ، وها نحن أولاء نقترح لك ما تتفق عليه .

قد بلغنا أن رجلاً من رَعِيَّتَنا سعى في ضرر مُلْكَنا ، فأثر سعيه ؛ وشق ذلك علينا ، فهل سمعت ذلك ؟ قال السَّكَهُلُ : نعم يا أمير المؤمنين ! قال له الوليد : قل الآن على حَسْبِ ما سمعتَ ، وعلى ما ترى من التقدير .

قال : بلغني عن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان : أنه لما ندب الناصم لقتال ابن الزبير ؛ وخرج بهم متوجّهاً إلى مكة - حرسها الله - استصحب عمرو بن سعيد بن العاص ، وكان عمرو قد انطوى على فساد نية ، وخُبِثَ طوبية ، وطَماعية في نيل الخلافة ، وكان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قد فطن لذلك ، إلا أنه كان يحترمه .

ولما بَعْدَ أمير المؤمنين عن دمشق تماَرض عمرو بن سعيد ، واستأذن في العود إلى دمشق ؛ فأذن له .

فلمَّا دخل عمرو دمشق صَعِدَ المنبر ، نفطَبَ الناس خطبة ، نال فيها من الخليفة ، واستولى على دمشق ، ودعا الناس إلى خَلْعِ عبد الملك ؛ فأجابوه إلى ذلك ،

وبايده ، وحصّن بعد ذلك سورَ دمشق وحمى حَوْزَتِها .

فبلغ ذلك عبد الملك ، وهو متوجّه إلى ابن الزبير ؛ وبلغه مع ذلك : أن والـ
ـ حـصـنـ قد نـزـعـ يـدـهـ منـ الطـاعـةـ ؛ وـأـنـ أـهـلـ الشـفـورـ قدـ تـشـوـفـواـ للـخـلـافـ ؛ فـأـحـضـرـ
ـ وزـراءـهـ ؛ فـأـطـلـعـهـمـ عـلـىـ ماـ بـلـفـهـ ، وـقـالـ لـهـمـ : دـمـشـقـ قدـ اـسـتـولـىـ عـلـيـهـاـ عـمـرـوـ بـنـ سـعـيدـ ،
ـ وـهـذـاـ عـبـدـ إـلـهـ بـنـ الزـبـيرـ قـدـ مـلـكـ الـحـجازـ وـالـعـرـاقـ وـالـبـيـنـ وـمـصـرـ وـخـرـاسـانـ ، وـهـذـاـ
ـ النـعـانـ بـنـ بـشـيرـ أـمـيـرـ حـصـنـ ، وـزـفـرـ بـنـ الـحـارـثـ أـمـيـرـ فـلـسـطـينـ قدـ خـرـجاـ عنـ الطـاعـةـ
ـ وـبـاـيـعـاـ النـاسـ لـابـنـ الزـبـيرـ .

فـلـماـ سـعـيـ وـزـرـاؤـهـ مـقـالـهـ ذـهـلـتـ عـقـولـهـمـ ، فـقـالـ لـهـمـ عـبـدـ الـمـلـكـ : مـاـ لـكـمـ لـاـ تـنـطـقـونـ ؟
ـ هـذـاـ وـقـتـ الـحـاجـةـ إـلـيـكـمـ .

فـقـالـ أـفـضـلـهـمـ : وـدـدـتـ أـنـ كـوـنـ طـيـراـ عـلـىـ عـوـدـ مـنـ أـعـوـادـ تـهـامـةـ حـتـىـ تـنـقـضـىـ
ـ هـذـهـ الـفـتـنـ !

فـلـماـ سـعـيـ عـبـدـ الـمـلـكـ مـقـالـهـ صـاحـبـهـ قـامـ ، وـأـمـرـهـ بـلـزـومـ مـوـضـهـمـ ، وـرـكـبـ مـنـفـرـداـ ،
ـ وـأـمـرـ جـمـاعـهـ مـنـ شـجـعـانـهـ أـنـ يـتـبعـهـ مـتـبـاعـدـينـ ، فـقـعـلـواـ .

وسـارـ عـبـدـ الـمـلـكـ حـتـىـ اـنـتـهـىـ إـلـىـ شـيـخـ ضـعـيفـ ، سـيـّـيـ العـالـ ، وـهـوـ يـجـمعـ
ـ مـتـهـاـقاـ(١)ـ ؛ فـسـلـمـ عـلـيـهـ عـبـدـ الـمـلـكـ وـآـنـسـ بـحـدـيـثـهـ ، ثـمـ قـالـ لـهـ : أـيـهـاـ الشـيـخـ ، أـلـكـ عـلـمـ
ـ بـنـزـولـ هـذـاـ الـعـسـكـرـ ؟ فـقـالـ الشـيـخـ : وـمـاـ سـؤـالـكـ عـنـهـ ؟ فـقـالـ عـبـدـ الـمـلـكـ : إـنـىـ
ـ أـرـدـتـ الـانتـظـامـ فـسـلـيـكـهـ ! فـقـالـ لـهـ : إـنـىـ أـرـىـ عـلـيـكـ سـمـةـ الـرـيـاسـةـ ، فـيـنـبـغـىـ لـكـ

(١) السـيـاقـ ، كـرـمانـ : ثـرـ يـشـهـىـ .

أَنْ تَصْرِفَ نَفْسَكَ عَنْ هَذَا الرَّأْيِ ؟ فَإِنَّ الْأَمْيَرَ الَّذِي أَنْتَ قَاصِدُهُ قَدْ أَخْلَتْ
عَرَّا مُذْكُورَهُ ؛ وَالسُّلْطَانُ فِي اضْطَرَابٍ أَمْوَارُهُ كَالْبَحْرِ إِذَا هَاجَ !

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكَ : أَيْهَا الشَّيْخُ ؛ قَدْ تَاقَتْ نَفْسِي إِلَى صَحْبَةِ هَذَا الْأَمْيَرِ ؛ فَهَلْ
لَكَ أَنْ تُرْشِدَنِي إِلَى رَأْيٍ ؟ فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : إِنَّ هَذِهِ النَّازَلَةِ الَّتِي نَزَلْتُ بِهِذَا الْأَمْيَرِ
مِنَ النَّوَازِلِ الَّتِي لَا تَنْفَذُ فِيهَا الْعُقُولُ ، وَإِنِّي لَا أَكُرِهُ أَنْ أَرْدِدَ مَسَانِدَكَ بِالْخُبْيَةِ . فَقَالَ
لَهُ عَبْدُ الْمَلِكَ : قُلْ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا !

فَقَالَ الشَّيْخُ : إِذَا قَصَدْتَ هَذَا الْأَمْيَرَ ، وَانْتَظَمْتَ فِي سَلْكِهِ ؛ فَانْظُرْ فِي أَمْرِهِ
فَإِنْ رَأَيْتَهُ قَدْ أَصَرَّ عَلَى قَصْدَهِ ابْنَ الزَّيْرِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَخْذُولٌ فَاجْتَنِبْهُ ؛ وَإِنْ رَأَيْتَهُ قَدْ
رَجَعَ مِنْ حِيتَنَ جَاءَ ، وَتَرَكَ قَصْدَهُ الْأَوَّلَ ؛ فَارْجُ لَهُ النَّصْرَ وَالسَّلَامَةَ .

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكَ : يَا شَيْخُ ، وَهَلْ رَجُوعٌ إِلَى دَمْشَقٍ إِلَّا كَمْسِيرِهِ إِلَى ابْنِ
الْزَّيْرِ ؟ قَالَ الشَّيْخُ : إِنَّ الَّذِي أَشْكَلَ عَلَيْكَ لَوْاْضِحَ ! وَهَذَا أَزْيَلَ عَنْكَ الْبَسْ ;
إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكَ إِذَا قَصَدَ ابْنَ الزَّيْرِ كَانَ فِي صُورَةٍ ظَالِمٍ ؛ لَأَنَّ ابْنَ الزَّيْرِ مَا وَثَبَ لَهُ
عَلَى مُلْكَةٍ ؛ فَإِذَا قَصَدَ ابْنَ سَعِيدٍ كَانَ فِي صُورَةٍ مَظْلُومٍ ؛ لَأَنَّهُ نَسْكَثَ بِيَعْتَهَ ، وَخَانَ
أَمَانَتَهُ ، وَوَثَبَ عَلَى دَارِ مَلِكٍ لَمْ تَكُنْ لَهُ وَلَا لِأَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ؛ بَلْ كَانَتْ لِعَبْدِ الْمَلِكِ
وَلِأَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ؛ وَعَمِرُوا عَلَيْهَا مُتَعَدِّدًا .

وَفِي الْأَمْتَالِ : سَمِينُ الْفَصْبِ مَهْزُولٌ ، وَوَلِيُّ الْغَدْرِ مَعْزُولٌ ، وَسَاضِرُ
لَكَ مَثَلًا يَشْفِي النَّفْسَ ، وَيَزِيلُ الْبَسْ :

زَعَمُوا أَنْ تَعْلِبًا كَانَ يَسْمَى ظَالِمًا ، وَكَانَ لَهُ جُحْرٌ يَأْوِي إِلَيْهِ ، وَكَانَ مُغْتَبِطًا بِهِ ؛

تخرج يوماً يبتغى ما يأكل، ثم رجع؛ فوْجِدَ فِيهِ حَيَّةً، فَاقْتَظَرَ حُرُوجَهَا، فَلَمْ تُخْرُجْ؛
فَلَمْ أَنْهَا اسْتَوْطِنْتَهُ، وَلَمَّا لَمْ يَمْكُنْهُ الشُّكْنَى مَعَهَا ذَهْبٌ يَطْلُبُ لِنَفْسِهِ مَأْوَى؛
فَانْتَهَى بِهِ السَّيْرُ إِلَى جُحْرِ حَسَنِ الظَّاهِرِ، حَصِينٌ فِي أَرْضِ مَنْيَعَةِ ذاتِ أَشْجَارٍ
مُلْتَقَّةٍ وَمَاءٍ مَعِينٍ^(١)؛ فَأَعْجَبَهُ، وَسَأَلَ عَنْهُ؛ قَالُوا: هَذَا الْجُحْرُ يَمْلَكُهُ ثَلْبُ اسْمِهِ
مَفْوَضٌ، وَأَنَّهُ وَرَثَهُ عَنْ أَبِيهِ؛ فَنَادَاهُ ظَالِمٌ فَخَرَجَ إِلَيْهِ، وَرَحِبَ بِهِ،
وَأَدْخَلَهُ إِلَى جُحْرِهِ، وَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ؛ فَقَصَّ عَلَيْهِ خَبْرَهُ مَعَ الْحَيَاةِ؛ فَرَقَّ لَهُ
مَفْوَضٌ، وَقَالَ لَهُ: الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنَ الْحَيَاةِ فِي الْعَارِ، وَالرَّأْيُ عِنْدِي: أَنْ
تَنْطَلِقَ مَعِي إِلَى مَأْوَاكَ الَّذِي أَخِذَ مِنْكَ غَصْبًا، حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَعِلَّ أَهْتَدِيُ إِلَى
مَكِيدَةٍ تُخْلَصُ بِهَا مَأْوَاكَ.

فَانْطَلَقا معاً إِلَى ذَلِكَ الْجُحْرِ؛ فَتَأَمَّلَهُ مَفْوَضٌ، وَقَالَ ظَالِمٌ: اذْهَبْ مَعِي فَبَيْتِ
اللَّيْلَةِ عِنْدِي لِأَنْظُرَ لِيَتِي هَذِهِ فِيمَا يَسْنَحُ مِنَ الرَّأْيِ وَالْمَكِيدَةِ.

فَفَعَلَ ذَلِكُ، وَبَاتَ مَفْوَضٌ مَفْكَرًا، وَجَعَلَ ظَالِمَ يَتَأَمَّلُ مَسْكَنَ مَفْوَضٌ
فَرَأَى مِنْ سَعْتِهِ، وَطَيْبَ هُوَانَهُ وَحَصَانَتَهُ مَا اشْتَدَّ بِهِ حِرْصُهُ عَلَيْهِ، وَطَفَقَ يَدْبَرُ
فِي حَيْلَةٍ لَاغْصَابِهِ، وَنَفِي مَفْوَضٌ عَنْهُ.

فَلَمَّا أَصْبَحَا قَالَ مَفْوَضٌ لِظَالِمٌ: إِنِّي رَأَيْتُ ذَلِكَ الْجُحْرَ بَعِيدًا مِنَ الشَّجَرِ وَالْمَاءِ
فَاصْرَفْ نَفْسَكَ عَنْهُ، وَهُلْمَّ أَعْيَنْتَ عَلَى احْتِفَارِ جُحْرٍ فِي هَذَا الْمَكَانِ الْمُشَهَّدِ.

فَقَالَ ظَالِمٌ: غَيْرُ هَذَا مُمْكِنٌ؛ لَأَنِّي نَفَسًا تَهَلَّكُ لِبَعْدِ الْوَطْنِ حَنِينًا؛ فَلَمَّا سَمِعْ مَفْوَضٌ

(١) مَاءٌ مَعِينٌ: جَارٌ.

مقالة ظالمٍ، وما يظهر به من الرغبة في وطنه ، قال : إنّي أرى أنّ نذهب يومنا هذا ، فنحتطب حطباً ، ونربط منه حزمتين ، فإذا جاء الليل انطلقنا إلى بعض هذه الخيم ، فأخذنا قبسَ نار ، واحتملنا الحطب والقبس إلى مسكنك ؛ فنجعل الحزمتين في بابه ، ونُضرِّم النار ؛ فإن خرجت الحية احترقت ، وإن لزمنا الجمرَ قتلها الدخان .

فقال له ظالم : نعمَ الرأى !

فذهبوا وأخذوا طبلاً حزمتين ، ولما جاء الليل انطلق مفوض إلى ظاهر تلك الخيم ، فأخذ قبساً ؛ فعمد ظالم إلى إحدى الحزمتين ، فازها إلى موضعٍ غيرها فيه ، ثم جرَّ الحزمة الأخرى إلى باب مسكن مفوض ، فسدَّ بها سداً مُخْكماً ، وقدر في نفسه أن مفوضاً إذا أتى الجمر لم يكنته الدخول إليه لصانته ، فإذا يئس منه ذهب فنظر لنفسه مأوى .

وكان ظالم قد رأى في منزل مفوض طعاماً آخره لنفسه ؛ فموَّل على أنه يقتاتُ به لأنّ حاضره مفوض ، وهو من داخل ؛ وأذله الشره والحرصُ عن فساد هذا الرأى .

ثم إن مفوضاً جاء بالقبسِ فلم يجد ظالماً ؛ فظنَّ أنه قد حمل إحدى الحزمتين تحقيقاً عنه ، وأنه سبقه إلى مسكنه الذي فيه الحية ، إشفاقاً عليه ، فشقَ ذلك عليه ، وظهر له من الرأى أن يُبادر إليه ويلاعقه ؛ ليحمل معه الحطب .

فوضع القبس بالقرب من الحطب ، ولم يشعر أن الباب مسدود به ؛ لشدة الظلمة ، فما بَعْد عن الباب إلا وضوء النار وشدةُ الدخان قد لَحِقَّا به ، فعاد وتأمل الباب ، فرأى الحطب قد صار ناراً ، فعلم مكيدة ظالم ، ورأه قد احترق من داخل

الحجر ، وحاق به مَكْرُه ؛ فقال : هذا الباحث على حِتْفِه^(١) بِظِلْفِه .

ثم إن مفهوماً صبر حتى انطفأت النار ؛ فدخل حُجْرَه ؛ فأخرج جنةَ ظالم ؛
فألقاها ؛ واستوطن حجره آمنا .

فهذا المثل ضربته لك ؛ لأنَّه ملَمْ لفعل عمرو بن سعيد في بَغْيِه وَمُخَادَعَتِه
عبدَ الملك ، وحيلته في أخذ دار ملَكَه وتحصينها منه .

فَلَمَا سَمِعَ عَبْدُ الْمَلِكَ حِكْمَةَ الشَّيْخِ فِي ضَرْبِ أُمَّالِهِ سُرَّ بِذَلِكَ مَسْرُورًا عَظِيمًا ،
أَنْمَى أَقْبَلَ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ : جُزِيَتْ عَنِّي خَيْرًا ! وَإِنِّي أَرِيدُ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنِي وَبَيْنِكَ مَوْعِدًا
وَتَعْرِفَنِي مَكَانَكَ ؛ لَا لَقَاكَ بِهِ بَعْدَ يَوْمِ هَذَا .

فَقَالَ الشَّيْخُ : وَمَا تَرِيدُ بِذَلِكَ ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكَ : إِنِّي أَرِيدُ مَكَافَاتَكَ عَلَى
مَا كَانَ مِنْكَ ؛ فَقَالَ الشَّيْخُ : إِنِّي أَعْطَيْتُ اللَّهَ عَهْدًا أَلَا أَقْبَلَ مَنْتَهَا بِخَيْلٍ .

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكَ : وَمَنْ أَينَ عَلِمْتَ أَنِّي بِخَيْلٍ ؟ قَالَ : لَا نَكَ أَخْرَتَ صَلْتِي مَعَ
الْقَدْرَةِ ؛ فَمَا عَلَيْكَ لَوْ وَصَلَقْتَنِي بِيَعْضِ مَا عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكَ : أَقْسَمْتُ لَقْدَ ذَهَلْتُ !
ثُمَّ نَزَعَ سَيْفَهُ ، وَقَالَ لَهُ : أَقْبَلَ مِنِي هَذَا وَاحْرَصَ عَلَيْهِ ؛ فَقِيمَتُهُ عَشْرُونَ أَلْفَ دَرَهْمٍ .
فَقَالَ الشَّيْخُ : إِنِّي لَا أَقْبَلُ صَلَةَ ذَاهِلٍ ، فَدَعَنِي وَرَبِّي الَّذِي لَا يَذْهَلُ وَلَا يَبْخَلُ ؛
فَهُوَ حَسْبِي !

فَلَمَّا سَمِعَ عَبْدُ الْمَلِكَ كَلَامَ الشَّيْخِ عَظِيمًا فِي عَيْنِهِ ، وَعْلَمَ فَضْلَهُ فِي دِينِهِ ، فَقَالَ لَهُ :
أَنَا عَبْدُ الْمَلِكَ ؛ فَأَرْفَعَ حَوَاجْنِكَ إِلَيَّ ، فَقَالَ الشَّيْخُ : وَأَنَا أَيْضًا عَبْدُ الْمَلِكَ ؛ فَهَلْمَ
نَرْفَعُ حَوَاجْنَا إِلَى مَنْ أَنْتَ وَأَنَا لَهُ عَبْدَانَ .

(١) الحرف: الموت.

فانطلق عبد الملك وعمل برأى الشیخ ؛ فأنجح الله قصداه ، وانتصر على أعدائه .
فلا يسمع الوليد ما أخبره به السکھل استرجح عقله ، واستقرض أدبه ، واستحسن
محاضرته ، وسأله عن نفسه ؟ فقسما له وانتسب ؟ فلم يعرفه الوليد ، فاستحيى منه ،
وقال له : من جهل مثلك في رعيته ضاع .

قال له السکھل : يا أمير المؤمنين ؛ إن الملوك لا تعرف إلا من تعرف إليها ،
ولزم أبوابها .

قال له الوليد : صدقت ، ثم أمر له بصدقة مُعجلة ، وعهد إليه في ملازمته ؟
فكان يتمتع بأدبه وحكمته .

كتاب يوم العرش في مخاليف العادة والمعادة في ما يتعلّق بحسب
مقدمة كتابي أصيحة في روایة آن من بناء المدرسة فليس على عيشه
والمؤلف في ذلك يذكر وصيحة مفادها كذا وصيحة مفادها كذا وصيحة
أخرى في ذلك واجده طافت أن أكون وأعطيك صيحة مفادها كذا .

(١) مدارك شارعه ، لغير ملوك نافذ . (٢) أقضى العصر بالآباء في عصايل . (٣) أصل
بالبيضاء لا يذكره . (٤) امتحن عنه وعنه . (٥) أقيمت

* ١٠٣ — أبو جعفر المنصور في المرأة *

قال شَبِّيبُ بْنُ شَبِّيْبَةَ : حَجَّتْ عَامَ هَلَكَ هَشَّامَ ؛ وَوَلَى الوليدُ بْنُ يَزِيدَ ، وَذَلِكَ سَنَةُ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ وَمَا تَأْتَى ، فَبَيْنَمَا أَنَا مُرْيَحٌ نَاحِيَةً مِنَ الْمَسْجِدِ ، إِذْ طَلَعَ مِنْ بَعْضِ أَبْوَابِهِ فَتَى أَسْمَرَ ، رَقِيقُ السَّمْرَةِ ، مَوْفُورُ الْلَّمَّةِ^(١) ، خَفِيفُ الْلَّحِيَّةِ ، رَحِبُ الْجَبَّةِ ، أَفْنَى^(٢) بَيْنَ الْقَنَاءِ ، أَعْيَنَ^(٣) كَانُ عَيْنِيهِ لَسَانَانِ يَنْطَقَانِ ، يَخْلَطُ أَبْهَةَ الْأَمْلَاكِ^(٤) يَبْرِيِّ النَّاسَكَ ، تَقْبِلُهُ الْقُلُوبُ ، وَتَتَبَعُهُ الْعَيْنُونُ ، يَعْرُفُ الشَّرْفَ فِي تَوَاضِعِهِ ، وَالْعَفْوُ^(٥) فِي صُورَتِهِ ، وَالْلَّبُ^(٦) فِي مِشِيَّتِهِ ؛ فَمَا مَلَكَتْ نَفْسِي أَنْ نَهْضَتْ فِي أَثْرِهِ ، سَأَلَاهُ عَنْ خَبْرِهِ ، وَسَبَقَنِي فَتَحَرَّمَ بِالظَّوَافِ ؛ فَلَمَّا سَبَعَ^(٧) قَصْدُ الْمَقَامِ ، فَرَكِعَ وَأَنَا أَرْعَاهُ بِبَصَرِيِّ ، ثُمَّ نَهَضَ مُنْصَرِفًا ، فَكَانُ عَيْنِاً أَصَابَتْهُ ، فَكَبَّا كَبْوَةً دَمِيتَهَا إِصْبَعَهُ ؛ فَقَعَدَ لَهَا الْقُرْفُصَاءُ ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ مَقْوِجًا لِمَا نَالَهُ ، مَتَصَلًا بِهِ ؛ أَمْسَحُ رِجْلَهُ مِنَ التَّرَابِ ، فَلَا يَمْتَنَعُ عَلَيَّ ، ثُمَّ شَقَّتْ حَاشِيَّةً ثُوبَهُ ، فَعَصَبَتْ بَهَا إِصْبَعَهُ ، وَمَا يَنْكِرُ ذَلِكَ وَلَا يَدْفَعُهُ ، ثُمَّ نَهَضَ مَتْوِكِيًّا عَلَيَّ ، وَاقْتَدَتْ لَهُ أَمَا شَيْهَ ، حَتَّى إِذَا أَتَى دَارًا بِأَعْلَى مَسْكَةِ ابْتِدَابِهِ رَجَلًا نَادَ صَدُورَهُمَا تَنْفُرَجَ مِنْ هَيْبَتِهِ ، فَفَتَحَا لَهُ الْبَابُ ، فَدَخَلَ وَاجْتَذَبَنِي ، فَدَخَلْتُ بِدُخُولِهِ ، ثُمَّ خَلَى يَدِي ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْقَبْلَةِ ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ أَوْ جُزَّ فِيهِمَا فِي تَعَامِ .

* العقد الفريد : ٣ - ٢٨٩

(١) الْلَّمَّةُ : الشَّعْرُ الَّذِي يَجْاوزُ شَحْمَةَ الْأَذْنِ . (٢) قَنَ الْأَنْفُ : ارْتِقَاعُ أَعْلَاهُ وَاحْدِيدَابُ وَسُطْهُ وَسَبُوغُ طَرْفَهُ . (٣) الْأَعْيَنُ : عَظِيمُ سُوادِ الْعَيْنِ فِي سَعَةِ . (٤) الْأَمْلَاكُ : الْمُلُوكُ .
وَالْأَبْهَةُ : الْعَلَمَةُ وَالْكَبْرُ . (٥) الْعَفْوُ : الْفَضْلُ . (٦) الْلَّبُ : الْعُقْلُ . (٧) سَبْعُ الشَّيْءِ : جَعَلَهُ سَبْعَةً .

ثُمَّ استوى في صَدْرِ مجلسه خَمْدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَى عَلَى النَّبِيِّ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَمْ صَلَاةً وَأَطْبَيْهَا ، ثُمَّ قَالَ : لَمْ يَخْفَ عَلَى مَكَانِكَ مِنْذَ الْيَوْمِ وَلَا فَعْلَكَ بِي ؟ فَنَّ تَكُونَ يَرْجُوكَ اللهُ ؟ قَلْتَ : شَبِيبُ^(١) بْنُ شَيْبَةَ التَّمِيمِيُّ . قَالَ : الْأَهْمَمُ ؟ قَلْتَ : نَعَمْ . فَرَحَّبَ وَقَرَبَ ، وَوَصَفَ قَوْمِي بِأَبْيَنِ بَيَانٍ وَأَفْصَحَ لِسَانَ ، فَقَلْتَ لَهُ : أَنَا أَجِلْكَ - أَصْلَاحُكَ اللهُ - عَنِ الْمَسَأَةِ ، وَأَحِبُّ الْمَعْرِفَةَ ؟ فَقَسَمَ وَقَالَ : لُطْفُ أَهْلِ الْعَرَاقِ ! أَنَا عَبْدُ اللهِ^(٢) بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ! قَلْتَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! مَا أَشْبَهُكَ بَنْسِيكَ ، وَأَدَلَّكَ عَلَى مَنْصِبِكَ ! وَلَقَدْ سَبَقَ إِلَيْ قَلْبِي مِنْ مَحْبِبِكَ مَا لَمْ يَلْفَهْ بِوَصْفِكَ . قَالَ : فَاحْمَدْ اللهُ يَا أَخَا تَمِيمَ ، فَإِنَّا قَوْمٌ يُسْعِدُ اللهُ بِحُبِّنَا مَنْ أَحَبَّهُ وَيُشْقِي بِيُغْضِنَا مَنْ أَبْغَضَهُ ، وَلَنْ يَصْلَلَ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِ أَحَدِكُمْ حَتَّى يَحْبَبَ اللهُ وَيَحْبَبَ رَسُولَهُ ، وَإِنْ ضَعْفَنَا عَنْ جَزَاهُ قَوَى اللهُ عَلَى أَدَاهُ .

فَقَلْتَ لَهُ : أَنْتَ تُوَصُّفُ بِالْعِلْمِ ، وَأَنَا مِنْ حَمَلَتِهِ ، وَأَيَّامُ الْمَوْسِمِ ضِيقَةُ ، وَشُغْلُ أَهْلِ مَكَةَ كَثِيرٌ ، وَفِي نَفْسِي أَشْيَايَهُ أَحِبُّ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهَا ، أَفْتَأْذُنَ لِي - جَعَلْتَ فَدَاكَ ! قَالَ : نَحْنُ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ مَسْتَوْحِشُونَ ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ لِلْسَّرِّ مَوْضِعًا وَلِلْأَمَانَةِ رَاعِيًّا ، فَإِنْ كُنْتَ كَارِجُوتَ فَافْعُلْ !

فَقَدَّمْتُ مِنْ وَثَائِقِ القَوْلِ وَالْأَيْمَانِ مَا سَكَنَ إِلَيْهِ ، فَتَلا قَوْلُ اللهُ : { قُلْ أَئِي شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهَادَةً ؟ قُلِّ اللَّهُ شَهِيدٌ بِيَنِّي وَبِيَنْكُمْ } . ثُمَّ قَالَ : سَلْ عَمَّا بَدَأْتَكَ

(١) هو خطيب البصرة في زمانه ، نشأ في البصرة ، وامتاز بنبلة نفس ، وسخاء كف ، وحسن تواضع ، عرف أبا جعفر المنصور قبل خلافته ، ثم اتصل به بعدها فعمله في حاشية ولی عهده المهدي حتى ولی المهدي الخلافة ، فصار من خيرة سماره وجلسائه ، إلى أن مات سنة ١٧٠ هـ.

(٢) أبو جعفر المنصور .

قلت : ما ترى فيمن على الموسم - وكان عليه يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي -
فتنفس الصعداء وقال : عن الصلاة خلفه تسألني ، ألم كرهت أن يقام ^(١) على آل
الله من ليس منهم ؟ قلت : عن كل الأمرين .

قال : إن هذا عند الله لظيم ، فاما الصلاة ففرض الله تعبد به خلقه ، فاذ
ما فرض الله تعالى عليك في كل وقت مع كل أحد ، وعلى كل حال ، فإن الذي
نذبك لحج بيقه وحضور جماعته وأعياده لم يخبرك في كتابه بأنه لا يقبل منك
نسكا إلا مع أكمل المؤمنين إيمانا ؛ رحمة منه لك ؛ ولو فعل ذلك بك ضاق الأمر
عليك ؛ فانصح يسمح لك . ثم كررت في السؤال عليه ؛ فما احتجت أن أسأله
عن أمر ديني أحداً بعده .

ثم قلت : يزعم أهل العلم أنها ستكون لكم دولة ؟ فقال : لا شك فيها ؛ تطلع
طوع الشمس ، وتظهر ظهورها ؛ فتسأل الله خيرها ونحوه بالله من شرها ، فتحذر
بحظ لسانك ويدك منها إن أدركتها . قلت : أويَّتَ خلَفَ عَمَّا أَحْدَدَ مِنَ الْعَرَبِ وَأَنْتَ
سادتها ؟ قال : نعم ، قوم يا بون إلا الوفاء لمن اصطنعهم ، ونبي إلا طلبنا بحقنا
فننصر وينخذلون ؛ كما نصر بأولنا أولهم ؛ ويخذل بمخالفتنا من خالف منهم ؛
فاسترجعت ، فقال : سهل عليك الأمر ، « سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِ
وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَبَدِّي لَا » ، وليس ما يكون لهم بمحاجز لنا عن صلة أرحامهم ،
وحفظ أعقابهم ؛ وتجديد الصناعة . قلت : كيف تسلم لهم قلوبكم ؛ وقد قاتلوا مع
عدوك ؟ قال : نحن قوم حُبِّب إلينا الوفاء وإن كان علينا ، وبغض إلينا الغدر .

(١) تامر : تسلط .

وإن كان لنا، وإنما يشدّ عنا منهم الأقل ، فاما أنصار دولتنا وقباء شيعتنا، وأمراء
جيونا ، فهم مواليهم ، وموالى القوم من أنفسهم ، فإذا وضعت الحربُ أو زارها
صَفَحَنَا عن المسىء ، وَهَبَنَا للرجل قومه ، ومن اتصل بأسبابه ؛ فتقذهب المنابذة ،
وتختبو الفتنة ، وتطمئن القلوب .

قلت : ويقال إنه يُبْقى بكم مَن أَخْلَصَ لِكُم الْحَبَّةَ . قال : قدرُوا أَنَّ الْبَلَاءَ
أَسْرَعَ إِلَى محبتنا من الماء إلى قراره . قلت : لم أرد هذا . قال : فمَهْ ؟ قلت : تقعون
بِالْوَلَى ، وَتَحْظَوْنَ بِالْعُدُوِّ . قال : مَن يسْعَدُ بِنَا مِنَ الْأُولَيَاءِ أَكْثَرُ ، وَمَن يسلِّمُ لَنَا
مِنَ الْأَعْدَاءِ أَقْلَ وَأَيْسَرَ ، وإنما نحن بشر ، وأَكْثَرُنَا أَذْنَانًا ولا يعلم الغيب إلا الله ،
وربما استترتْ عنا الأمور ، فنفع فيها لا نزيد ، وإن لنا لإحساناً يَأْسُو^(١) الله به
مَا نَكْلَمُ^(٢) ، وَيَرَمُ^(٣) مَا نَشَلُ ، وَنَسْتَغْفِرُ اللهَ مَا لَا نَعْلَمُ ، وَمَا أَنْكَرْتُ مِنْ أَنْ
يَكُونَ الْأَمْرُ عَلَى مَا بِلْفَكَ ، وَمَعَ الْوَلَى التَّعْزَزُ وَالْإِدْلَالُ ؛ وَالثَّقَةُ وَالْإِسْتِرْسَالُ ،
وَمَعَ الْمَدُو التَّحْرِزُ وَالْأَحْتِيَالُ ، وَالتَّذَلُّلُ وَالْأَغْتِيَالُ ! وَرَبِّا أَمْلَأَ الْمُدِيلَ ؛ وَأَخْلَأَ
الْمُسْتَرِسَلَ ، وَتَجَانَبَ الْمَقَارِبَ ، وَمَعَ الْمِيقَةِ^(٤) تَكُونُ الثَّقَةُ ، وَعَلَى أَنَّ الْعَاقِبَةَ لَنَا عَلَى
عُدُوِّنَا ، وَهِيَ لَوْلَيْنَا ، وَإِنَّكَ لَسَئُولٌ يَا أَخَا تَعْيِمَ .

قلت : إِنِّي أَخَافُ أَلَا أَرَاكَ بَعْدَ الْيَوْمِ . إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَرَاكَ وَتَرَانِي كَمَا
تَحْبُّ عَنْ قَرِيبِ إِنْ شَاءَ اللهُ . قلت : عَجَّلَ اللهُ ذَلِكَ ! قال : آمِينَ ! قلت : وَوَهْبَ
لِي السَّلَامَةَ مِنْكُمْ فَإِنِّي مُجِيِّبُكُمْ . قال : آمِينَ ؟ وَتَبَسَّمَ ! وَقَالَ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ
مَا أَعْذَكَ اللهُ مِنْ ثَلَاثَ . قلت : وَمَا هِيَ ؟ قال : قَدْحٌ فِي الدِّينِ ، أَوْ هَنْكَ لِلْمَلَكِ ،
أَوْ هَمْمَةٌ فِي حِرْمَةِ . ثُمَّ قال : احْفَظْ عَنِّي مَا أُقُولُ لَكَ : اصْدُقْ وَإِنْ ضَرَّكَ الصَّدْقُ ،

(١) يَأْسُو : يَدَاوِي . (٢) نَكْلَمُ : نَجْرُوحُ . (٣) يَرَمُ : يَصْلَحُ . (٤) الْمِيقَةُ : الْحَبَّةُ .

وأنصح وإن باعدك النصح ، ولا تجسس عدونا وإن أحظيناها فإنه مخذول ،
ولا تخذل وليتنا فإنه منصور؛ واصحبنا بترك الماكرة، وتواضع إذا رفوك ، وصل
إذا قطعوك ، ولا تسخف فيمقطوك ، ولا تنقبض فيحشموك^(١) ، ولا تبدأ حتى
يبدئوك ، ولا تخطب الأعمال ، ولا ت تعرض للأموال ؛ وأنا رأيُّ من عشيقي هذه
فهل من حاجة ؟ فهمضت لوداعه فودعته ، ثم قلت : أترقب لظهور الأمر وقتاً ؟
قال : الله المقدر الوقت ، فإذا قامت النور حتان بالشام فهذا آخر العلامات . قلت :
وما هما ؟ قال : موت هشام العام ، وموت محمد بن علي^(٢) مستهل ذى القعدة .
قلت : فهل أوصى ؟ قال : نعم ، إلى أخيه إبراهيم .

قال : فلما خرجت ، فإذا مولى له يتبعني حتى عرف منزلتي ، ثم أتاني بكسوة
من كسوته ، فقال : يأمرك أبو جعفر أن تصلي في هذه .

قال شبيب : وافتقتنا ، فوالله ما رأيْت إلا وحرسِيَان قابضان على يدْنَبَان
منه في جماعة من قومي لا يابعه ، فاما نظر إلى أنتَنَى^(٣) ، ثم قال : خليا عن
صحت مودته ، وتقدمت حرمته ، وأخذت قبل اليوم بيته ، فأكبر الناس ذلك
من قوله ، ووجده على أول عهده لي .

ثم قال لي : أين كنت عني في أيام أخي أبي العباس ؟ فذهبت أعتذر .
قال : أمسك ؛ فإن لكل شيء وقتاً لا يعوده ، ولن يفوتك إن شاء الله حظ .

(١) فيسمعونك ما تذكره . (٢) هو محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشى والد السفاح والمنصور ، وكان يرأس جماعاً سرية تدعى بني العباس واعتقله هشام بن عبد الملك حين انكشف أمره فمات معتقلاً . (٣) عرفني حق المعرفة .

مودتك ، وحق مسابقتك ؟ فاختر بين رزقي يسعك ؟ أو عمل يرتكب . قلت : أنا حافظ لوصيتك . قال : وأنا لها أحفظ ؛ إنما هبتك أن تحظب الأعمال ، ولم أنهك عن قبولاها . قلت : الرزق مع قرب أمير المؤمنين أحب إلى . قال : ذلك لك ، وهو أجم لتلبيك ، وأودع لك ، وأغفر إن شاء الله .

ثم قال : هل زدت في عيالك بعدي شيئاً ؟ وكان قد سأله عنهم فذكر لهم له - فعجبت من حفظه ! ثم قلت : الفرسان والخادم ! قال : قد ألحقنا عيالك بعيالنا ، وخدمتك بخدمتنا ، وفرسكت بحصتنا ، ولو وسعني لملت لك من بيت المسال ، وقد ضممتك إلى المهدى ، وأنا أوصيه بك فإنه أفرغ لك مني .

١٠٤ — واعظ أبي جعفر المنصور*

يَنِمَا الْمُنْصُورُ يَطُوفُ لَيْلًا ، إِذْ تَسْمِعُ قَائِلًا يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ظَهُورَ
الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ، وَمَا يَحُولُ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنَ الطَّعْمِ ! نَخْرُجُ الْمُنْصُورُ ،
فِلْسِ نَاحِيَةً مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَأُرْسَلَ إِلَى الرَّجُلِ يَدْعُوهُ ، فَصَلَّى الرَّجُلُ رَكْعَتَيْنِ ،
وَاسْتَلَمَ الرَّكْنَ^(١) ، وَأَقْبَلَ مَعَ الرَّسُولِ ؛ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخَلَافَةِ .

فَقَالَ الْمُنْصُورُ : مَا النَّذِي سَمِعْتُكَ تَذَكَّرُ مِنْ ظَهُورِ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ
وَمَا يَحُولُ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنَ الطَّعْمِ ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ حَشِوتَ مَسَامِعِي مَا أَرْمَضَنِي^(٢) ،
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنِّي أَمْتَنَّنِي عَلَى نَفْسِي أَنْبَأْتُكَ بِالْأَمْرِ مِنْ أُصُولِهَا ، وَإِلَّا
أَحْجَزْتَ مِنْكَ ، وَاقْتَصَرْتَ عَلَى نَفْسِي ، فَقِيمَهَا شَاغِلٌ .

فَقَالَ : أَنْتَ آمِنٌ عَلَى نَفْسِكَ ؟ فَقَلَ ! فَقَالَ : إِنَّ الذِّي دَخَلَهُ الطَّعْمُ حَتَّى حَالَ
بِينَهُ وَبَيْنَ مَا ظَهَرَ مِنَ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ لَأَنْتَ ! قَالَ : وَيَحْكُمُ ! وَكَيْفَ يَدْخُلُنِي الطَّعْمُ ،
وَالصَّفَرَاءُ وَالْبَيْضَاءُ فِي قَبْضِي ، وَالْخُلُوُّ وَالْحَامِضُ عَنِّي ؟ قَالَ : وَهَلْ دَخَلَ أَحَدٌ
مِنَ الطَّعْمِ مَا دَخَلْتَكَ ! إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْتَرَّ عَنِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ ، فَأَغْفَلْتَ
أَمْوَالَهُمْ ، وَاهْتَمَّتَ بِجَمِيعِ أَمْوَالِهِمْ ، وَجَعَلْتَ بِيْنَكَ وَبِيْنَهُمْ حِجَابًا مِنَ الْجِصْ وَالْأَجْرُ^(٣) ؟
وَأَبْوَابًا مِنَ الْحَدِيدِ ، وَحَجَبَةً مَعْهُمُ السَّلَاحِ ؛ ثُمَّ سَجَّفْتَ نَفْسَكَ فِيهَا عَنْهُمْ ، وَبَعْثَتْ

* عيون الأخبار : ٢ - ٣٣٣

(١) استلم الركن : لسه : بالقبة أو باليد . (٢) ما أرمضني : ما أوجعني وآلني .

عُمَالَكَ فِي جِبَايَةِ الْأَمْوَالِ وَجَمِيعِهَا، وَقُوَّتِهِمْ بِالرِّجَالِ وَالسَّلَاحِ وَالسُّكَّرَاعِ^(١)،
وَأُمِرَتْ بِأَلَا يَدْخُلَ عَلَيْكَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فَلَانٌ وَفَلَانٌ، نَفَرَ سَمِيتِهِمْ وَلَمْ تَأْمِرْ بِيَاصَالِ
الظَّلُومِ؛ وَلَا الْمَهْوَفِ، وَلَا الْجَائِمِ الْعَارِيِّ، وَلَا الْضَّعِيفِ الْفَقِيرِ، وَلَا أَحَدٌ إِلَّا وَلَهُ فِي
هَذَا الْمَالِ حَقٌّ.

فَلَمَّا رَأَكَ هُؤُلَاءِ النَّفَرَ الَّذِينَ اسْتَقْرَبُوكَ لِنَفْسِكَ، وَآثَرْتَهُمْ عَلَى رَعِيَّتِكَ،
وَأُمِرَتْ أَلَا يُحْجَبُوكَ عَنْكَ - تَجْبِي الْأَمْوَالَ وَتَجْمِعُهَا وَلَا تَقْسِمُهَا قَالُوا : هَذَا قَدْ
خَانَ اللَّهَ، فَمَا بِالنَّا لَنْخُونُهُ، وَقَدْ سَجَنَ لَنَا نَفْسَهُ !

فَأَتَمْرُوا بِأَلَا يَصْلِيَكَ مِنْ عِلْمِ أَخْبَارِ النَّاسِ شَيْءٍ؛ إِلَّا مَا أَرَادُوكَ، وَلَا يَخْرُجَ
لَكَ عَامِلٌ فِي خَالِفِ أَمْرِهِمْ إِلَّا قَصْبُوهُ^(٢) عِنْدَكَ، وَنَفَوْهُ حَتَّى تَسْقُطَ مِنْزُلُكَ وَيَصُغرَ
قَدْرُهُ؛ فَلَمَّا اتَّشَرَ ذَلِكَ عَنْكَ وَعَنْهُمْ أَعْظَمُهُمُ النَّاسُ وَهَابُوكَ؛ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ
صَانَعَهُمْ عَمَالَكَ بِالْمَدِيَا وَالْأَمْوَالِ، لِيَقُولُوا بِهَا عَلَى ظُلُمِ رَعِيَّتِكَ.

ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ذُوو الْقَدْرَةِ وَالثَّرَوَةِ مِنْ رَعِيَّتِكَ، لِيَنْلَاوَاهُمْ ظُلُمٌ مَّنْ دُونَهُمْ؛ فَامْتَلَأَتِ
بِلَادُ اللَّهِ بِالْطَّمْعِ، بِفِيَّا وَفَسَادًا، وَصَارَ هُؤُلَاءِ الْقَوْمُ شُرَكَاءَكَ فِي سُلْطَانِكَ، وَأَنْتَ
غَافِلٌ؛ فَإِنْ جَاءَ مُقْتَلَمْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دُخُولِ مَدِينَتِكَ؛ فَإِنْ أَرَادَ رُفْعَ قَصْتَهِ
إِلَيْكَ عَنْدَ ظَهُورِكَ وَجَدَكَ قَدْ نَهَيْتَ عَنْ ذَلِكَ؛ وَأَوْفَقْتَ لِلنَّاسِ رِجْلاً يَنْظَرُ فِي
مَظَالِمِهِمْ؛ فَإِنْ جَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَبَلَغَ بَطَانَتَكَ خَبْرُهُ سَأَلَوْا صَاحِبَ الْمَظَالِمِ
أَلَا يَرْفَعُ مَظَالِمَهِ إِلَيْكَ، فَإِنْ لَتَظْلَمَهُ مِنْهُ لَهُ بِهِ حُرْمَةٌ، فَأَجَابُوهُمْ خَوْفًا مِّنْهُمْ :

فَلَا يَزَالُ الظَّالِمُ يُخْتَلِفُ إِلَيْهِ وَيَلُوذُ بِهِ، وَيَشْكُو وَيَسْتَغْيِثُ، وَهُوَ يَدْفَعُهُ
وَيَعْقِلُ بِهِ، فَإِذَا أَجْهَدَ وَأَحْرَجَ وَظَهَرَتْ صَرَخَ بَيْنَ يَدِيكَ، فَضَرَبَ ضَرَبًا

(١) السُّكَّرَاعُ : السلاح ، وَقِيلَ : هُوَ اسْمٌ يُجْمِعُ الْخَيْلُ وَالسَّلَاحِ . (٢) قَصْبُوهُ : عَابُوهُ وَشَتَّمُوهُ .

مُبَرِّحًا ؛ لِيـكُونْ نـكـالـاً لـغـيرـه ؛ وـأـنـتـ تـنـظـرـ فـلا تـنـكـرـ ، فـا بـقـاءـ الإـسـلـامـ
بعـدـ هـذـاـ !

وقد كـنـتـ يـاـ أـمـيـرـ الـؤـمـنـينـ أـسـاـفـرـ إـلـىـ الصـينـ، قـدـمـتـهـاـ مـرـةـ ، وـقـدـ أـصـيـبـ مـلـكـهاـ
بـسـمـعـهـ ؛ فـبـكـيـ يـوـمـاـ بـكـاءـ شـدـيدـاـ، فـخـيـهـ جـلـساـوـهـ عـلـىـ الصـبـرـ، فـقـالـ: أـمـاـ إـنـيـ لـسـتـ أـبـكـيـ
لـلـبـلـيـةـ النـازـلـةـ بـيـ ، وـلـكـنـيـ أـبـكـيـ مـلـظـلـومـ بـالـبـابـ يـصـرـخـ وـلـأـ سـمـعـ صـوـتهـ ، ثـمـ قـالـ:
أـمـاـ إـذـ ذـهـبـ سـمـعـ ؟ فـإـنـ بـصـرـىـ لـمـ يـذـهـبـ اـنـادـوـاـ فـالـنـاسـ أـلـاـ يـلـبـسـ نـوـبـاـ أـحـرـ
إـلـاـ مـقـظـلـمـ . ثـمـ كـانـ يـرـكـبـ الفـيـلـ طـرـقـ نـهـارـهـ وـيـنـظـرـ هـلـ يـرـىـ مـظـلـومـاـ !

فـهـذـاـ يـاـ أـمـيـرـ الـؤـمـنـينـ مـشـرـكـ بـالـلـهـ غـلـبـتـ رـأـفـتـهـ بـالـمـشـرـكـينـ شـحـ نـفـسـهـ ؛ وـأـنـتـ
مـؤـمـنـ بـالـلـهـ ، ثـمـ مـنـ أـهـلـ بـيـتـ نـبـيـهـ لـاـ تـغـلـبـ رـأـفـتـكـ بـالـمـسـلـمـينـ عـلـىـ شـحـ نـفـسـكـ إـفـانـ
كـنـتـ إـنـماـ تـجـمـعـ المـالـ لـوـلـكـ ، قـدـ أـرـاكـ اللـهـ عـبـراـفـ بـالـطـفـلـ يـسـقطـ مـنـ بـطـنـ أـمـهـ ، وـمـالـهـ
عـلـىـ الـأـرـضـ مـالـ ، وـمـاـ مـالـ إـلـاـ وـدـونـهـ يـدـ شـحـيـحةـ تـحـويـهـ ؛ فـمـاـ يـزـالـ اللـهـ يـلـطـفـ
بـذـلـكـ الطـفـلـ حـتـىـ تـعـظـمـ رـغـبـةـ النـاسـ إـلـيـهـ ؛ وـلـسـتـ بـالـذـيـ تـعـطـىـ ، بـلـ اللـهـ يـعـطـىـ مـنـ
يـشـاءـ مـاـ يـشـاءـ . وـإـنـ قـلـتـ : إـنـماـ أـجـمـعـ المـالـ لـتـشـدـيـدـ السـلـاطـانـ قـدـ أـرـاكـ اللـهـ عـبـراـفـ فيـ
بـنـيـ أـمـيـةـ ؛ مـاـ أـغـنـىـ عـنـهـمـ مـاـ جـمـعـواـ مـنـ الـذـهـبـ وـالـفـضـةـ ، وـأـعـدـ وـاـمـنـ الرـجـالـ وـالـسـلاحـ
وـالـكـرـاعـ ، حـتـىـ أـرـادـ اللـهـ بـكـمـ مـاـ أـرـادـ . وـإـنـ قـلـتـ : إـنـماـ أـجـمـعـ المـالـ لـتـلـطـبـ غـاـيـةـ
أـجـسـمـ مـنـ الغـاـيـةـ الـتـيـ أـنـاـ فـيـهـاـ ، فـوـالـلـهـ مـاـ فـوـقـ مـاـ أـنـتـ فـيـهـ إـلـاـ مـنـزـلـةـ لـاـ تـدـرـكـ إـلـاـ
بـخـلـافـ مـاـ أـنـتـ عـلـيـهـ يـاـ أـمـيـرـ الـؤـمـنـينـ ، هـلـ تـعـاقـبـ مـنـ عـصـاـكـ بـأـشـدـ مـنـ القـتلـ ؟

قال المنصور: لا. قال: فـكـيـفـ تـصـنـعـ بـالـمـلـكـ الـذـيـ خـوـلـكـ مـلـكـ الـدـنـيـاـ وـلـاـ يـعـاقـبـ
مـنـ عـصـاـهـ بـالـقـتلـ ! وـلـكـنـ بـالـخـلـودـ فـالـعـذـابـ الـأـلـيمـ ، قـدـ رـأـىـ مـاـ قـدـ عـقـدـ عـلـيـهـ قـلـبـكـ

و عملته جوارحُك ، و نظر إِلَيْه بصرك ، و اجترحْتَ يدَك ، و مشتَ إِلَيْه رجلَك ؛ هل
يغْنِي عنك ما شَحَّحتْ عَلَيْه مِنْ مَلْك الدُّنْيَا إِذَا انْزَعَهُ مِنْ يدَك و دعاكَ إِلَى الحِسَابِ ؟
فبَكَى الْمُنْصُورُ و قالَ : يا لِيَتَنِي لَمْ أَخْلَقْ ! و يَحْكَ ! فَكَيْفَ أَحْتَالُ لِنَفْسِي ؟
قالَ : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ إِنَّ لِلنَّاسِ أَعْلَامًا يَغْزِيُونَ إِلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ ، وَيَرْضُونَ بِهِمْ ؛
فَأَجْعَلْهُمْ يَطَّاَنْتَكَ يَرْشُدُوكَ ، وَشَاوِرُهُمْ فِي أَمْرِكَ يُسَدِّدُوكَ . قالَ : قَدْ بَعْثَتْ إِلَيْهِمْ
فَهَرَبُوا مِنِي . فقالَ : خَافُوا أَنْ تَحْمِلُهُمْ عَلَى طَرِيقِكَ ؟ وَلَكِنْ افْتَحْ بَابَكَ ،
وَسَهَّلْ حِجَابَكَ ، وَانْصُرْ الظَّالِمَ ، وَاقْعُ الظَّالِمَ ، وَخُذْ الْفَقِيرَ ، وَالصَّدَقَاتُ مَا حَلَّ
وَطَابَ ، وَاقْسِمْهُ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ عَلَى أَهْلِهِ ، وَأَنَا الضَّامِنُ عَنْهُمْ أَنْ يَأْتُوكَ ،
وَيُسَعِّدُوكَ عَلَى صَلَاحِ الْأُمَّةِ .

و جاءَ الْمُؤْذِنُونَ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ، فَصَلَّى ، وَعَادَ إِلَى مَجْلِسِهِ وَطَلَّبَ الرَّجُلَ فَلَمْ يُوجَدْ !

١٠٥ — لماذا سُلِّبُوا الملك*

سَمَرَ المنصورُ ذاتَ ليلةً، فذَكَرَ خُلُقَاءِ بَنِي أُمِّيَّةَ وسِيرَهُمْ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا عَلَى استقامةٍ؛ حتَّى أَفْضَى أَمْرُهُمْ إِلَى أَبْنَائِهِمُ الْمُتَرَفِّينَ، وَكَانَ هُمْ - مَعَ عَظِيمِ شَأنِ الْمَلَكِ وَجَلَالِهِ قَدْرِهِ قَصْدَ الشَّهْوَاتِ، وَإِيتَارِ الْلَّذَاتِ، وَالْدُخُولُ فِي مَعَاصِي اللهِ وَمَسَاخِطِهِ، جَهَلًا بِاسْتِدْرَاجِ اللهِ، وَأَمْنًا لِكُنْكِرِهِ، فَسَلَّبُوهُمُ اللهُ الْعَزَّ، وَنَقْلُ عَنْهُمِ النِّعَمةَ.

فَقَالَ لِهِ صَالِحَ بْنَ عَلَى : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُرْوَانَ لَمْ يَدْخُلْ النَّوْبَةَ هَارِبًا فِيمَنْ تَبِعُهُ ، سَأَلَ مِلْكَ النَّوْبَةِ عَنْهُمْ ، فَأَخْبَرَ ، فَرَكِبَ إِلَى عَبْدِ اللهِ فَكَلَمَهُ بِكَلَامٍ عَجِيبٍ فِي هَذَا النَّحْوِ ، لَا أَحْفَظُهُ ، وَأَزْعِجُهُ عَنْ بَلْدَهُ ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْعُوهُ بِهِ مِنَ الْجَبَسِ بِمَحْضِ تَنَافِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ ، وَيَسْأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ .

فَأَمَرَ الْمَنْصُورَ بِيَاهْضَارِهِ ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْقَصَّةِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَدِمْنَا أَرْضَ النَّوْبَةِ ، وَقَدْ أَخْبَرَ الْمَلَكَ بِأَمْرِنَا ، فَدَخَلَ عَلَى رَجُلٍ أَقْنَى^(١) الْأَنْفَ ، طُوَّالٌ ، حَسْنُ الْوَجْهِ ، فَقَعَدَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَلَمْ يَقْرَبْ الثِيَابَ ، فَقَلَتْ : مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَقْعُدَ عَلَى ثِيَابِنَا ؟ قَالَ : لَأَنِّي مَلَكُ ، وَيَحْقِقُ عَلَى الْمَلَكِ أَنْ يَقْوَاضِعَ لِعَظَمَةَ اللهِ إِذَا رَفَعَهُ اللهُ ، ثُمَّ قَالَ : لَأَى شَيْءٍ تُشَرِّبُونَ الْخَمْرَ وَهِيَ نُحْرَمَةٌ عَلَيْكُمْ ؟ قَلَتْ : اجْتَرِأُ عَلَى

* العقد الفريد : ٣ - ١٩٣ ، عيون الأخبار : ١ - ٢٠٥ ، ابن أبي الحديد : ٢ - ٢١٦

(١) قَنَ الْأَنْفَ : ارتفاعُ أَعْلَاهُ ، وَاحْدِيدَابُ وَسَطِهِ .

ذلك عبيدنا وغلمنا وأتباعنا ؛ لأنَّ الملك قد زال عنا . قال : فلم تطئون الزروع
بدوابكم ، والفسادُ حرم عليكم في كتابكم ؟ قلت : يفعل ذلك عبيدُنا وأتباعنا
بجهلهم . قال : فلم تلبسون الدِّياباج والحرير ، وستعملون الذهب والفضة ، وذلك
حرم عليكم ؟ قلت : ذهبَ الملكُ عنا ، وقلَّ أَنصارُنا ؛ فانتصرنا بقوم من العجم
دخلوا في ديننا ، فلبسو ذلك على السُّكُرِهِ منا .

قال : فأطْرَق ملِيًّا ، وجعل يقْلُب يده ، وينكِت الأرض ويقول : عبيدنا
وأتباعنا وقوْ دخلوا في ديننا ، وزال الملك عنا ! يرددده مراراً .

ثم قال : ليس ذلك كذلك ؟ بل أنتم قومٌ قد استحللتم ما حرم الله ، وركبتم
ما نهَاكم عنه ، وظلمتم منْ مُلْكِتُمْ أمرم ؛ فسلبكم اللهُ العز ، وألبسكم الذل
بذنبكم ، والله فيكم نعمة لن تبلغ غايَتها ، وأخاف أن يحمل بكم العذاب ، وأنتم
ببلدي ، فيصيَّبني معكم ؛ وإنما للضيافة ثلاثة أيام ، فتزودوا ما احتجتم ، وارتحلوا
عن بلدي .

١٠٦ — جعفر البرمكي والرشيد*

قال إبراهيم بن المهدى : قال لي جعفر بن يحيى^(١) يوماً : إنني استأذنتُ أمير المؤمنين في الحجامة ، وأردتُ أن أخلو بنفسي ، وأفر من أشغل الناس ، وأتوحد^(٢) ، فهل أنت مساعدى ؟ قلتُ : جعلنى الله فداءك ! أنا أسعد بمساعدتك وآنس بمحالتك^(٣) ، فقال : بـكـرـ إلى بـكـورـ الغـرابـ .

قال : فأتيت عند الفجر الثاني ، فوجدت الشمعة بين يديه ، وهو قاعد ينقطئى للميعاد ؛ فصلينا ، ثم أفضنا فى الحديث حتى أتى وقت الحجامة ، فأنقى الحجام فحجمنا فى ساعة واحدة ، ثم قدم إلينا الطعام ، فطعمينا ، فلما غسلنا أيدينا خل علىينا ثياب المنادمة ، وضمّخنا^(٤) بالخلوق ؛ وظللنا بأسر يوم صر بنا .

ثم إنه تذكر حاجة ، فدعا الحاجب ؛ فقال له : إذا جاء عبد الملك الفهر مان ، فاذن له ، فتسى الحاجب . وجاء عبد الملك بن صالح^(٥) الهاشمى - على جلالته وسنّه وقدره - فاذن له الحاجب ، فرارعنا إلا طلة عبد الملك بن صالح ! فتغير ذلك وجه جعفر ، وتتفقص عليه ما كان فيه .

* العقد الفريد : ٣ - ٢٦٨

(١) جعفر بن يحيى كان على القدر عظيم الـكرـمـ ، ذا منزلة قريبة عند الرشيد ، فصيحاً لسنـاـ ، قتلـهـ الرشـيدـ سـنةـ ١٨٧ـ هـ . (٢) تـوحـدـ : بـقـىـ مـفـرـداـ . (٣) المـحـالـةـ : المـاصـادـقـةـ . (٤) تـضـمـنـ بـالـخـلـوقـ : تـلـطـخـ بـهـ ، وـالـخـلـوقـ : نـوـعـ مـنـ الطـيـبـ . (٥) عبد الملك بن صالح : أمير من أمراء بني العباس ، تولى عدة ولايات ، ثم عزله الرشيد حين علم أنه يطعم في الخلافة ، توفى سنة ١٩٦ هـ .

فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ دَعَا غَلَامَهُ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ سِيفَهُ
وَسَوَادَهُ^(١) وَعَمَّاتِهِ ، ثُمَّ جَاءَ فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْجَلْسِ ، قَالَ : اصْنُعُوا بِنَا
مَا صَنَعْتُمُ بِأَنفُسِكُمْ .

قَالَ : بَخَاءُ الْفَلَامْ ، فَطَرَحَ عَلَيْهِ ثِيَابَ الْمَنَادِمَةِ ؛ وَدَعَا بِطَعَامِ فَطِيمْ ، ثُمَّ دَعَا
بِالشَّرَابِ فَشَرَبَ ثَلَاثَةً ، ثُمَّ قَالَ : لِيَنْفَفِ عنِ فَانَّهُ شَيْءٌ مَا شَرَبْتُهُ قَطْ ، فَتَهَلَّلَ
وَجْهُ جَعْفَرٍ فَرَحًا - وَقَدْ كَانَ الرَّشِيدُ حَاوَرَ عَبْدَ الْمَلِكَ عَلَى الْمَنَادِمَةِ ، فَأَبَى ذَلِكَ ،
وَتَنَزَّهَ عَنْهُ - ثُمَّ قَالَ لِهِ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى : جَعَلَنِي اللَّهُ فَدَاكَ ! قَدْ تَفَضَّلَتَ وَتَطَوَّلَتَ ،
فَهُلْ مِنْ حَاجَةٍ تَبَلُّغُهُ مَقْدِرَتِي ، وَتَحِيطُ بِهَا نِعْمَتِي ، فَأَقْضِيهَا لَكَ مَكَافَةً لِمَا صَنَعْتَ ؟
قَالَ : نَعَمْ ؛ إِنَّ قَلْبَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَاتَبَ عَلَى فَتَسْأَلِ الرَّضَا عَنِي . قَالَ : قَدْ
رَضَى عَنِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ قَالَ : وَعَلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ . قَالَ : هِي
حَاضِرَةٌ ، وَلَكِنْ مِنْ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِي . قَالَ : وَابْنِ إِبْرَاهِيمَ
أَحَبَّ أَنْ أَشْدَدَ ظَهْرَهُ بِمَصَاهِرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : قَدْ زَوْجَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
ابْنَقَهُ الْفَالِيَّةَ . قَالَ : وَأَحَبَّ أَنْ تَخْفَقَ الْأَلْوَيَّةَ عَلَى رَأْسِهِ بِوَلَايَةِ . قَالَ : وَقَدْ وَلَاهَ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِصْرَ ؟ فَانْصَرَفَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَنَحْنُ نَعْجَبُ مِنْ إِقْدَامِ جَعْفَرٍ عَلَى الرَّشِيدِ
مِنْ غَيْرِ اسْتِئْذَانِ .

فَلَمَّا كَانَ الْفَدُّ وَقَفَنَا عَلَى بَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَدَخَلَ جَعْفَرُ فَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ دُعِيَ
بِأَبِي يُوسُفَ الْقَاضِيِّ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَمَقْدَلَهُ عَلَى ابْنَةِ
الْرَّشِيدِ ، وَحَلَّتِ الْبِدَرَ^(٢) إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَكَتَبَ سِجْلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَى مَهْرِ .

(١) سوادُ الْأَمِيرِ : نَقْلَهُ وَمَقْاعِهِ . (٢) الْبِدَرَةُ : كَبِيسٌ فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ .

وخرجَ جعْنَرَ فأشارَ إلينا ، فلما صارَ إلى منزله ونحن خلفه نزل ونزلنا بنزوله ،
قالَتْ إلينا وقالَ : تعلقتُ قلوبكم بأول أمر عبد الملك فأحببتم أن تعرفوا آخره ،
وإنى لما دخلتُ على أمير المؤمنين ومتلت بين يديه سألفي عن أمسي ، فابتداة
أحدثه بالقصة من أولها إلى آخرها ، فعمل يقول : أحسنَ والله ؟ ثم قالَ :
ما أجبته ؟ فعلتُ أخبره وهو يقول في كل شيء : أحسن . وخرج إبراهيم واليَا
على مصر !

* ١٠٧ - إخوان الصفاء

روى أبو العباس محمد بن يزيد المبرد :

ذكروا أن فتياناً كانوا مجتمعين في نظام واحد، كلهم ابن نعمة؛ فذكر ذلك
منهم، قال: كنا أكثرنا داراً شارعة^(١) على أحد طرق بغداد المعوره بالناس، وكنا
وكنا أفلس^(٢) أحياناً، ونوسير أحياناً، على مقدار ما يمكن الواحد من أهله، وكنا
لا نذكر أن تقع مئونتنا على واحد منا إذا أمسكه، ويبقى الواحد منا لا يقدر
على شيء، فيقوم به أصحابه الدهر الأطول، وكنا إذا أيسرنا أكلنا من الطعام
أليته، ودعونا للملهيات والملهيات؛ وكان جلوسنا في أسفل الدار، فإذا عدمنا الغarb
جلسنا في غرفة لنا تعمق منها بالنظر إلى الناس، وكنا لا نخل^(٣) بالتبديد في عشر
ولا يسر .

فإنا كذلك يوماً إذا بفتى يستاذن علينا، فقلنا له: اصعد؛ فإذا رجل نظيف
حول الوجه، سري الهيبة، ينبي رواه أنه من أبناء النعم، فأقبل علينا ،
وقال: إني سمعت مجتمعكم وحسن منادمكم، وصحة ألقكم، حتى كانكم
أدرجتم في قلب واحد، فأحببنت أن تكون واحداً منكم، فلا تخشموا^(٤) عنـي.

* العقد الفريد ٤ : - ٣٤٥

(١) دار شارعة، أي على طريق نافذ. (٢) أفلس الشخص: إذا لم يبق معه مال. (٣) لانخل بالتبديد: لا نتركه . (٤) احتشم عنه ومهنه: القبض.

وقال لنا يوماً بعد اتصالِ الأنس : ألا أخبركم بم عرفتكم ؟ قلنا : إننا لا نحب ذلك . قال : أحببت جارية في جواركم ؟ فكانتُ أجلس لها في الطريق أ-times اجقیازها ، فأراها حتى أخلفني الجلوس على الطريق ، ورأيت غرفتكم هذه ، فسألت عن خبرها ، فأخبرتُ عن ائتلافكم وتمثيلكم ، ومساعدة بعضكم بعضاً ، فكان الدخول فيما أنت فيه أسرّ عندى من الجارية ، فسألناه عنهما فأخبرنا ، فقلنا له : نحن نُظْفِرُك بها ، فقال : يا إخوانى ؛ إنَّ اللَّهَ عَلَى مَا تَرَوْنَ مُّنِيبٌ

(١) الشنان : الماء البارد . (٢) المثلب : العسل . (٣) الأكلة : جم خلال ، وهو

٢) الملح : العسل .

(١) الشنان : الماء البارد . (٢) المخلب : العسل .
 (٣) العود الذي يتخلل به .

شدة الشفف والكلف بها ما قدرت فيها حراماً فقط ، ولا تقديرى إلا مطاولتها
ومصابرها إلى أن يمن الله على بشروة فأشترىها .

فأقام معنا شهرين ، ونحن على غاية الاغتماط بقربه ، والسرور بصحبته إلى
أن اختليس مينا ، فناننا بفراقه نتكل نمض ، ولوحة مؤلمة ، ولم نعرف له منزلة
نلمسه فيه ؟ فتكدر علينا من العيش ما كان طاب لنا به ، وقبح عندنا ما كان
حسن بقربه ، وجعلنا لا نرى سروراً ولا غمماً إلا ذكرنا السرور بصحبته ، والغم
بمقارنته ؟ فـ كنا فيه كما قال الشاعر :

يذكُرُّنِيهِمْ كُلَّ خَيْرِ رَأْيِهِ وَشَرِّ فَمَا أَنْفَكَ مِنْهُمْ عَلَى ذِكْرِ

ففاب عنا زهاء عشرين يوماً ؛ في بينما نحن محتازون يوماً من الرصافة^(١) إذ فهو
قد طلع في موكب نبيل ، وزيني جليل ، فلما بصر بنا انحط من دابنه ، وانحط
غلانه ، ثم قال : يا إخوانى ؟ والله ما هنالى عيش بعدكم ، ولست أميطلكم عن خبرى
حتى آتى المنزل ، ولكن ميلوا بنا إلى المنزل ، فميلنا معه ، فقال : أعرفكم أولا
بنفسى ، أنا العباس^(٢) بن الأحنت ، وكان من خبرى بعدكم أنى خرجت إلى
منزلى من عندكم ، فإذا الشرطة محطة بي ، فمضى بي إلى دار أمير المؤمنين ، فصرت
إلى بجيى بن خالد ، فقال لي : ويحك يا عباس ! إنما اخترتكم من طرقاء الشعراء
لقرب مأخذك وحسن تأثيك ، وإن الذى ندبتك له من شأنك ، وقد عرفت
خطرات الخلفاء ، وإنى أخبرك أن ماردة هي الفالية على أمير المؤمنين اليوم ،

(١) الرصافة : محلة يبغداد . (٢) كان منشئه يبغداد وكان صاحب غزل ، ويشبهه من المتقدمين

عمر بن أبي ربيعة ولم يكن يدح ولا يهجو . توفي سنة ١٩٢ هـ

وأنه جرى بينهما عتب ، فهى بذلة العشوّق تأبى أن تعتذر ، وهو بمزّ الخلافة وشرف الملك يأبى ذلك ، وقد رمتُ الأمر من قبلهما فأعيبانى ، وهو آخرى أن تستعبده الصيابة ؟ فقل شعراً مهلاً يسهل عليك هذه السبيل .

ثم دعاني إلى أمير المؤمنين فصرت إليه، وأعطيت قرطاساً ودواء، فاعتراضي
الرَّأْمَعَ^(١)، وتعذرَتْ عَلَى كلّ عَرْوَضٍ، ونفرتْ عَنِّي كُلّ قَافِيَةً، ثُمَّ انفَتَحَ لِي شَيْءٌ
وَالرَّسُلُ تَعْقِبُنِي، فَجَاءَتِنِي أَرْبَعَةُ أَبِيَاتٍ رَضِيَّتُهَا، وَقَعَتْ صَحِيحَةً الْمَعْنَى، سَهْلَةً
الْأَلْفَاظُ، مَلَائِمَةً لِمَا طَلَبَ مِنِّي، قَلْتُ لِأَحَدَ الرَّسُلِ: أَبْلَغُ الْوَزِيرَ أَنِّي قَلْتُ أَرْبَعَةَ
أَبِيَاتٍ، فَإِنْ كَانَ بِهَا مَقْنَعٌ وَجَهْتُ بِهَا، فَرَجَعَ إِلَيَّ الرَّسُولُ بِأَنْ هَاتَهَا، فَقَبَلَ
مِنْهَا مَقْنَعٌ، وَفِي ذَهَابِ الرَّسُولِ وَرَجْوَعِهِ قَلْتُ يَبْتَيِنُ مِنْ غَيْرِ ذَلِكِ الرَّوْىِ، فَكَتَبَتْ
الْأَبِيَاتُ الْأَرْبَعَةُ فِي صَدْرِ الرُّقْعَةِ، وَعَقَّبَتْ بِالْبَيْتَيْنِ، قَلْتُ:

العاشقان كلامها متغضبة وكلامها متوجدة متعقب

صدّت معاذيةً وصدّ معاذياً وكلاهما مما يعالج متعَبٌ

راجم أحبتك الذين هرّتهم إن الشّتم قلّما يتجنّب

إنَّ التَّجْنِبَ إِنَّ تَطاوِلَ مِنَكُمْ دَبَّ السَّلُوْلَ لَهُ وَعَزَّ الْمَطْلَبُ

ثم كتبت تحت ذلك :

لَا بد لِلعاشقِ مِن وَقْفَةٍ تَكُونُ بَيْنَ الْمُجْرِ وَالصَّرْمِ

حتى إذا المجر تمادى به راجعَ مَنْ يهوى على رغْ

ثم وجهت بالكتاب إلى يحيى بن خالد، فدفعه إلى الرشيد، فقال: والله

(١) الزمم : رعدة تأخذ بالإنسان .

ما رأيتُ شِعراً أشَبَّهَ بِمَا نحنُ فِيهِ مِنْ هَذَا ، وَاللَّهُ لَكَأَنِي قُسِّيدُ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى :
وَأَنْتَ وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَقْصُودُ بِهِ ، هَذَا يَقُولُهُ الْعَبَاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ فِي هَذِهِ الْقَصَّةِ :
فَلَمَّا قَرَأَ الْبِيَقِينَ وَأَفْضَى إِلَى قَوْلِهِ : « رَاجِعٌ مِنْ يَهُوּ عَلَى رَغْمٍ » : اسْتَغْرِبَ ضَحْكًا
حَتَّى سَمِعَتُ ضَحْكَهُ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي وَاللَّهُ أَرَاجِعُ عَلَى رَغْمٍ ، يَا غَلامٌ ؛ هَاتِ نَعْلِي ؛
فَهَمَضَ وَأَذْهَلَ السَّرُورَ عَنْ أَنْ يَأْمُرَ لِي بِشَيْءٍ ؛ فَدَعَانِي يَحْيَى ، وَقَالَ : إِنْ شَعْرَكَ قَدْ
وَقَعَ بِنَجَاةِ الْمُوافَقةِ ، وَأَذْهَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ السَّرُورَ عَنْ أَنْ يَأْمُرَ لَكَ بِشَيْءٍ ؛ ثُمَّ جَاءَ
غَلامٌ فَسَارَهُ ، فَهَمَضَ وَثَبَتَ مَكَانَهُ ، فَهَمَضَتْ بِنَهْوَضِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا عَبَاسُ ؟ أَمْسَيْتَ
أَنْبِيلَ النَّاسِ ، أَتَدْرِي مَا سَارَتِي بِهِ هَذَا الرَّسُولُ ؟ قَلَتْ : لَا ، قَالَ : ذَكْرٌ لِي أَنْ مَارِدَةَ
تَلَقَّتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا عَلِمْتَ بِمَجِيئِهِ ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ كَيْفَ كَانَ هَذَا ؟
فَنَوَاهُ الشِّعْرُ ، وَقَالَ : هَذَا أَتَى بِي إِلَيْكَ ، قَالَتْ : فَمَنْ يَقُولُهُ ؟ قَالَ : عَبَاسٌ
ابْنُ الْأَحْنَفِ ، قَالَتْ : فَبَيْمَ كَوْفَيْ ؟ قَالَ : مَا فَعَلْتُ شَيْئًا بَعْدَ ، قَالَتْ : إِذْنُ وَاللَّهِ
لَا أَجْلِسُ حَتَّى يَكَافِأً - قَالَ : فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَائِمٌ لِقِيَامِهِ ، وَأَنَا قَائِمٌ لِقِيَامِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَهَا يَتَنَاظِرَانِ فِي صِلْتِكَ ، فَهَذَا كَلْهُ لَكَ . قَلَتْ : مَالِي مِنْ هَذَا إِلَّا الصلةُ
فَقَالَ : هَذَا أَحْسَنُ مِنْ شَعْرِكَ . قَالَ : فَأَمْرَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَالٍ كَثِيرٍ ، وَأَمْرَتْنِي
مَارِدَةٌ بِمَالِ دُونِهِ ، وَأَمْرَ لِي الْوَزِيرُ بِمَالِ دُونِ مَا أَمْرَتْ بِهِ ، وَحُمِّلْتُ عَلَى مَا تَرَوْنَ مِنْ
الظَّاهَرِ ، ثُمَّ قَالَ الْوَزِيرُ : مِنْ تَمَامِ الْيَدِ عِنْدَكَ أَلَا تَخْرُجَ مِنَ الدَّارِ حَتَّى يَكُونَ لَكَ مِنْ
هَذَا الْمَالِ ضِيَاعٌ ، فَاشْتَرَيْتُ لِي ضِيَاعًا بِعِشْرِينَ أَلْفَ درَهمٍ ، وَدَفَعْتُ لِي بِقِيَةَ الْمَالِ ، فَهَذَا
الْخِبرُ الَّذِي عَاقَنِي عَنْكُمْ ، فَهَمُوا حَتَّى أَفَسَكْمُ الضِّيَاعِ وَأَفْرَقْتُ فِيكُمُ الْمَالِ . فَقَلَنَا لَهُ : هَنَاكَ
اللَّهُ ، فَكُلْ مَا يَرْجِعُ إِلَى نِعْمَةِ مِنْ أَبِيهِ ، فَأَقْسَمْتُ وَأَقْسَمْنَا . قَالَ : فَامضُوا بِنَا إِلَى

الخارية حتى نشتريها ، فشينا إلى صاحبها ، وكانت جارية جميلة حلوة ، لا تحسن شيئاً ، أكثر ما فيها ظرف اللسان وتأدية الرسائل ؛ وكانت تساوى على وجهها خمسين ومائة دينار ، فلما رأى مولاها ميل المشترى استقام بها خمسة ، فأجبناه بالعجب ؛ فخط مائة ، ثم خط مائة ، ثم قال العباس : ياقيان ، إني والله أحتشم أن أقول بعد ما قلت ، ولكنها حاجة في نفسى ، بهـا يتم سروري ، فإن ساعدمت فعلت ، قلنا له : قل ، قال : هذه الخارية أنا أعainها منذ دهر ، وأريد إثمار نفسى بها ، فأكره أن تنظر إلى بعين من قد مـا كـس فى ثـمنـها ، دعوني أعطـه بها خـمسـة دـينـارـ كـاسـأـلـ ، قـلـناـ لـهـ : وـإـنـهـ قـدـ حـطـ مـائـيـفـ . قال : وإن فعل . قال : فصادفت من مولاها رجلا حرّا ، فأخذ ثلاثة ، وجهزها بالمائتين ، فما زال إلينا محسناً حتى فرق الموت بيننا .

١٠٨ - لا أحب تخديش وجه الصاحب*

زعمت العرب أن الثعلب رأى حجراً أبيض بين لصبين^(١) ، فاراد أن يقاتل به الأسد ، فأتاه ذات يوم ، فقال له : يا أبو الحارث ، الغنيمة الباردة ! شحمة رأيتها بين لصبين ، فكرهت أن أدنو منها ، وأحبيت أن تتولى ذلك أنت ! فهم لأريكها !

فانطلق به حتى جاء به إليها ، فقال : دونك يا أبو الحارث !
فذهب الأسد ليدخل ، فضاق به المكان ؛ فقال له الثعلب : ادفع برأسك !
فأقبل الأسد يدفع برأسه حتى نشب ، فلم يقدر أن يتقدم ولا أن يتأخر .
ثم أقبل الثعلب يخداش خورانه^(٢) ؛ فقال الأسد : ما تصنع يا نعالة^(٣) ؟
قال : أريد لاستنقذك ؛ قال : فمن قبل الرأس إذن ! فقال الثعلب : لا أحب
مخديش وجه الصاحب !

* بجم الأمثال : ٢ - ١٧١

(١) اللصب : الشعب الصغير في الجبل . (٢) المراد مؤخره . (٣) نعالة : لقب الثعلب .

١٠٩ — حكمة الضب*

زعموا أن أربنا التقطت تمرة؛ فاختلسها الثعلب فأكلها، فانطلقا يختصمان إلى الضب؛ فقالت الأرنب: يا أبا الحِسْل^(١)! قال: «سمِعًا دعوت». قالت: أتيناك لِتحَقِّكِم إلينك. قال: «عَادِلًا حَكَمْتُمَا». قالت: فاخْرُجْ إلينا. قال: «فِي بَيْنِهِ يُؤْتَى الْحُكْمُ»، قالت: إني وجدت تمرة، قال: حُلْوة فَكُلْيَهَا. قالت: فاختلسها الثعلب. قال: لِنَفْسِهِ بَغَى الْخَيْرَ، قالت: فلظمه. قال: بِحُقْقِكِ أَخْذَتِ، قالت: فَلَطَمَنِي، قال: حُرُث انتصرَ، قالت: فاقض بِينَنَا؟ قال: قد قضيت!

* جمع الأمثال: ٢ - ١٧

(١) كنية الضب، والحسـل: ولد الضب.

* ١١٠ — أعلمك ثلات خصال*

قالوا : إن رجلا صاد قبرة ؛ فقالت : ما تريده أن تصنع بي ؟ قال : أذبحك وآكلك ! قالت : والله ما أشفي من قرم^(١) ، ولا أشبع من جوع ، ولكنني أعلمك ثلات خصال ؛ هي خير لك من كلّي : أما الأولى فأعلمك إياها وأنا في يدك ، وأما الثانية فإذا صرت على الشجرة ؛ وأما الثالثة فإذا صرت على الجبل .

قال : هاتي الأولى ، قالت : لا تلهفن على ما فات ؛ فخلالها ؛ فلما صارت على الشجرة ؛ قال : هاتي الثانية ؛ قالت : لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون ، ثم طارت فصارت على الجبل ، فقالت : ياشقي ؟ لو ذبحتني لأخرجت من حوصلتي درتين وزن كل واحدة ثلاثةون متقدلا !

فعض على يديه وتلهفت تلهف شديداً ، وقال : هاتي الثالثة ، قالت : قد نسيت الاثنين ، فما تصنع بالثالثة ؟ ألم أقل لك : لا تلهفن على ما فات ! وقد تلهفت ، أو لم أقل لك : لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون ! وأنا ولحي ودمي وريشي لا يكون عشرين متقدلا ، فكيف صدقت أن في حوصلتي درتين كل واحدة منها ثلاثةون متقدلا ! ثم طارت وذهبت .

* ابن أبي الحديد : ٤ - ٣٧٤

(١) القرم : شدة شهوة اللحم .

١١١ — مُجِيرُ أُمٌّ عَامِرٌ *

خرجَ قومٌ إِلَى الصَّيْدِ فِي يَوْمٍ حَارِّ؛ فَإِنَّهُمْ لَكَذَّالُكُمْ؛ إِذْ عَرَضْتُ لَهُمْ أُمًّا عَامِرًا^(١) — وَهِيَ كُنْيَةُ الضَّبْعِ — فَطَرَدُوهَا؛ فَأَتَبَعَهُمْ حَتَّى أَجْلَوْهَا إِلَى خِبَاءِ الْأَعْرَابِيَّةِ، فَاقْتَحَمْتَهُ؛ فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْأَعْرَابِيُّ وَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: صَيْدِنَا وَطَرِيدُنَا؟ قَالَ: كَلَّا؛ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَصْلُونَ إِلَيْهَا مَا ثَبَّتَ قَائِمُ سُبْقِي فِي يَدِيِّ، فَرَجَعُوا وَتَرَكُوهُ، وَقَامَ إِلَى لَقْحَةٍ^(٢) خَلْبِهَا، وَمَا فَقَرَبَ مِنْهَا، فَأَقْبَلَتْ تَلَغُّ مَرَّةً فِي هَذَا وَمَرَّةً فِي هَذَا حَتَّى رَوَيَّتْ وَاسْتَرَاحَتْ، فَبَيْنَا الْأَعْرَابِيُّ نَائِمٌ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ، إِذْ وَثَبَتْ عَلَيْهِ فَبَقْرَتْ بَطْنَهُ، وَشَرَبَتْ دَمَهُ وَتَرَكَتْهُ!

فَجَاءَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ يَطْلُبُهُ، فَإِذَا هُوَ فِي قَبْرٍ فِي بَيْتِهِ؛ فَالْتَّفَتَ إِلَى مَوْضِعِ الضَّبْعِ، فَلَمْ يَرِهَا، قَالَ: صَاحِبِي وَاللَّهُ، فَأَخْذَ قَوْسَهُ وَكَنَانَتَهُ وَاتَّبَعَهَا، فَلَمْ يَزُلْ حَتَّى أَدْرَكَهَا فَقَتَلَهَا، وَأَنْشَأَ يَقُولَ :

وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ مَعَ يَلْقَى الَّذِي لَاقَ مُجِيرًا أُمًّا عَامِرًا !

* بِجَمِيعِ الْأَمْثَالِ : ٢ - ٨٢

(١) عَامِرٌ: جَرُوُ الضَّبْعِ، وَأُمٌّ عَامِرٌ: كُنْيَتُهَا.

(٢) الْمَقْحَةُ: النَّاقَةُ الْحَلْوَبُ الْفَزِيرَةُ الْلَّبَنُ، وَلَا يُوصَفُ بِهِ.

١١٢ — كِيفَ أَعَاوِدُكَ وَهَذَا أَثْرَ فَاسِكٍ ! *

حَكَىْ أَنَّ أَخْوَيْنَ كَانَا فِي إِبْلِهِمَا ، فَأَجْدَبَتْ بِلَادُهُمَا ، وَكَانَ بِالقُرْبِ مِنْهُمَا
وَادِيْ خَصِيبٌ ، وَفِيهِ حَيَّةٌ تَحْمِيهِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، قَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرَ : يَا فَلَانُ ؟ لَوْ
أَنِّي أَتَيْتُ هَذَا الْوَادِيَ الْمَسْكَلِيَّ^(١) فَرَعَيْتُ فِيهِ إِبْلِيْ وَأَصْلَحْتُهَا ، قَالَ لَهُ أَخُوهُ :
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْحَيَّةَ ، أَلَا تَرَى أَنَّ أَحَدًا لَا يَهْبِطُ ذَلِكَ الْوَادِيَ إِلَّا أَهْلَكَتْهُ ؟
قَالَ : فَوَاللهِ لَأَفْعَلَنَّ ! فَهَبَطَ الْوَادِيَ وَرَعَى بِهِ إِبْلُهُ زَمَانًا .

ثُمَّ إِنَّ الْحَيَّةَ نَهَشَتْهُ فَقَتَلَهُ ، قَالَ أَخُوهُ : وَاللهِ مَا فِي الْحَيَاةِ بَعْدَ أَخِيْ خَيْرٍ ،
فَلَا طَلْبُنَّ الْحَيَاةَ وَلَا قَتْلَنَّهَا أَوْ لَا تَبْعَنَّ أَخِيْ ، فَهَبَطَ ذَلِكَ الْوَادِيَ وَطَلَبَ الْحَيَاةَ لِيَقْتَلَهَا ؟
فَقَالَتِ الْحَيَّةُ : أَلَسْتَ تَرَى أَنِّي قَتَلَتْ أَخَاكَ ؟ فَهَلْ لَكَ فِي الصَّلْحِ فَادْعَكَ بِهِذَا
الْوَادِيِ تَسْكُونُ فِيهِ وَأَعْطِيَكَ كُلَّ يَوْمٍ دِينَارًاً مَا بَقِيَتْ ؟ قَالَ : أَوْ فَاعْلَمْ أَنْتَ !
قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : إِنِّي أَفْعَلُ ، وَحَلَفْتُ لَهَا وَأَعْطَاهَا الْمَوَاتِيقَ لَا يَضْرُهَا ، وَجَعَلْتُ
تَعْطِيهِ كُلَّ يَوْمٍ دِينَارًاً ، فَكَثُرَ مَالُهُ حَتَّى صَارَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ حَالًا ، ثُمَّ إِنَّهُ ذَكَرَ
أَخَاكَ ، قَالَ : كِيفَ يَنْفَعُنِي الْعَيْشُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى قَاتِلِ أَخِي ؟ ثُمَّ عَدَ إِلَيْهِ فَأَسْ
فَأَخْذُهَا ؛ ثُمَّ قَدَّهَا ؛ فَرَرَّتْ بِهِ فَتَبَعَّهَا ، فَضَرَبَهَا فَأَخْطَلَهَا ، وَدَخَلَتِ الْجَحْرَ ،
وَوَقَتَتِ الْفَأْسُ فَوْقَ جَحْرِهَا فَأَثْرَتْ فِيهِ ، فَلَمَّا رَأَتْ مَا فَعَلَ قَطَعَتْ عَنْهُ الدِّينَارَ ؛
نَخَافُ الرَّجُلِ شَرِّهَا وَنَدَمْ ؛ قَالَ لَهَا : هَلْ لَكَ أَنْ تَنْتَوِقَ وَنَمُودُ إِلَى مَا كَنَا عَلَيْهِ ؟
فَقَالَتْ : « كِيفَ أَعَاوِدُكَ وَهَذَا أَثْرَ فَاسِكٍ ! »^(٢) .

* بِحُمَّ الأَمْتَالِ : ٢ - ٨٢

(١) الْمَسْكَلِيُّ : الْكَثِيرُ الْكَلَّا .

* ١١٣ — حكيم!

لما مات بعضُ الخلفاء ، اختلفت الرؤوم ، واجتمعت ملوكها ؛ فقلوا : الآن يشقغل المسلمون بعضهم ببعض ، فتمكنتنا الغرفة^(١) منهم والوثبة عليهم ، وعقدوا لذلك الشورات ، وترجعوا فيه بالمناظرات ، وأجمعوا على أنه فرصة الدهر .

وكان رجل منهم من ذوى العقل والمعرفة غائباً عنهم ، فقلوا : من الحزم عرضُ الرأى عليه ؟ فلما أخبروه بما أجمعوا عليه قال : لأرى ذلك صواباً ؛ فسألوه عن علة ذلك ؛ فقال : في غير أخبركم .

فلما أصبحوا أتوا إليه ، وقلوا : قد وعدتنا أن تخبرنا في هذا اليوم بالرأى فيما عولنا عليه ؛ فقال : سمعاً وطاعة ! وأمر بإحضار كلبين عظيمين ، كان قد أعدّهما ؛ ثم حرّش^(٢) بينهما ، وحرّض كل واحد منهما على الآخر ؛ فتوانبا وتهارشا^(٣) حتى سالت دماءهما .

فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده ، وأرسل على الكلبين ذئبًا كان قد أعدّه لذلك ، فلما أبصراه ترك ما كان فيه ، وتألفت قلوبهما ووثبوا جميعاً على الذئب فقتلاه .

* المستطرف : ١

(٢) الغرفة : الغفلة . (٢) التحريش : تحرير الكلاب
(٣) الممارسة : تحريش الكلاب بعضها على بعض .

فأقبل الرجل على أهل الجمع فقال : مثلُكم مع المسلمين مثلُ هذا
الذئب مع الكلاب ؛ لا يزال الهرج^(١) بين المسلمين ما لم يظهر
لهم عدو من غيرهم ؛ فإذا ظهر تركوا العداوة بينهم ، وتألفوا على
العدو .

فاستحسنوا قوله ، واستصوبوا رأيه ، واتبعوا مشورته .

(١) الهرج : الفتنة والاختلاط .

البَابُ الْخَامِسُ

فِي الْقَصْصِ الَّتِي يَعْرِفُ بِهَا مَذَهْبُهُمْ فِي شِيَاطِينِ الشِّعْرِ
وَأَصْوَاتِ الْجِنِ فِي الْفِيَاقِ ، وَأَحَادِيثِهِمْ عَنِ الْغُولِ ،
وَرَؤْيَاةِ مَنْ رَأَاهَا مِنْهُمْ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مَا يَصُورُ سُعَة
أَخْيَلَتِهِمْ ، وَسَعِيهِمْ وَرَاءَ الْجَهَولِ بِأَجْنَحَةِ التَّفْكِيرِ
وَالْتَّصُورِ .

* ١١٤ — تأبِط شرًا يقتل الغول*

قال عمرو بن أبي عمرو الشيباني : نزلت على حيٍّ من قَهْم ، فسألتهم عن خبر تأبِط شرًا^(١) ، فقال لي بعضهم : وما سؤالك عنه ؟ أتريد أن تكون لصاً ! قلت : لا ، ولكن أريد أن أعرف أخبار هؤلاء العدائيين فأنحدث بها . قالوا : نحدثك بخبره .

إن تأبِط شرًا كان أعدى ذي رِجْلَيْنِ وذى ساقين وذى عَيْنَيْنِ ، وكان إذا جاع لم تقم له قاعدة ، فكان ينظر إلى الظباء فينقتق على نظره أسماءها ، ثم يجري خلفه فلا يفوته حتى يأخذَه فيذبحه بسيفه ، ثم يشويه فيأكله .

وإنما سمي تأبِط شرًا ؛ لأنَّه فيما حكى لنا : لقَ الغُولَ في ليلة ظلماء في موضع يقال له : رحى بَطَان^(٢) ، في بلاد هذيل ، فأخذت عليه الطريق ، فلم يزل بها حتى قتَّلَها ، وبات عليها . فلما أصبح حملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه ، فقالوا له : لقد تأبِط شرًا ، وقال في هذا :

ألا منْ مُبْدِغٌ فَتَيَانَ قَهْمٍ بِمَا لاقِيتُ عَنْ دَرَحِي بَطَانٍ
وأني قد لقيتُ الغُولَ تَهُوي بسُهْبٍ^(٣) كالصحيفة صَحْصَحَانٍ
فقلتُ لها : كِلَانَا نِضُوَّاينَ^(٤) أَخو سَفَرٍ فَخَلَّى لِي مَكَانِي

* الأغاني : ٨ - ٢٠٩ ، معجم البلدان : ٤ - ٢٣١

(١) هو ثابت بن جابر ، وتأبِط شرًا لقبه ، توفي نحو سنة ٨٠ ق. م (٢) رحى بَطَان : موضع لهذيل . (٣) السهْب : الفلاة ، والصحيفان : ما المستوى من الأرض وواسع . (٤) الألين : الإعياء والتعب .

فشدت شدَّةً نحوی فاھوی	لــا كــفــي بــمــصــقــوــل يــمــانــي
فأضــرــبــهــا بــلا دــهــشــنــ فــخــرــتــ	صــرــيــعــا لــلــيــدــيــنــ وــلــلــعــجــرــانــ (١)
فــقــالــاتــ: عــدــقــلــتــ لــهــا: روــيــداـ (٢)	مــكــانــكــ! إــمــانــي ثــبــتــ الــجــنــانــ
فــلــمــ أــنــفــكــ مــتــكــثــا عــلــيــهــا	لــأــنــظــرــ مــضــبــحــا مــا زــادــ أــتــانــي
إــذــا عــيــنــانــ فــي رــأــســ قــبــيــحــ	كــرــأــســ الــهــرــ مشــقــوــقــ اللــســانــ
وــســاقــا مــخــدــاجــ وــشــواـةــ كــلــبــ (٣)	وــثــوبــ مــنــ عــبــاءــ أوــ شــنــانــ

(١) الجران للبعير : مقدم عنقه من مدحجه إلى منحره . (٢) زعمت العرب أن الفول إذ ضربت ضربة واحدة ماتت بها ، فإذا ضربت ضربة أخرى عاشت . (٣) مخدج : ناقص الخلق ، والشواة : جلة الرأس ، والثنان : جمع شن ، وهو القرية المثلق .

١١٥ - رَنْ^(١) الأَعْشَى *

قال جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيٌّ : سافرتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَقْبَلْتُ عَلَى بَعِيرٍ لِيلَةً أَرِيدُ أَنْ أَسْقِيَهُ ، فَحَمَلَتْ أُرِيدَهُ عَلَى أَنْ يَتَقْدَمُ ، فَوَاللَّهِ مَا يَتَقْدَمُ ، فَفَقَدَمْتُ فَدَنَوْتُ مِنَ الْمَاءِ وَعَقَلْتُهُ ، ثُمَّ أَتَيْتُ الْمَاءَ فَإِذَا قَوْمٌ مَشْوَهُونَ عَنْدَ الْمَاءِ فَقَعَدُتْ .

فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَهُمْ إِذَا أَتَاهُمْ رَجُلٌ أَشَدُّ تَشْوِيهًـا مِنْهُمْ قَالُوا : هَذَا شَاعِرُهُمْ . قَالُوا لَهُ : يَا فَلَانُ ؟ أَنْشَدْتَ هَذَا فِي نَهَارٍ ضَيْفٍ ؟ فَأَنْشَدَ :

* وَدَعْ هَرِيرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلٌ *

فَلَا وَاللَّهِ مَا خَرَمَ مِنْهَا بَيْتًا وَاحِدًا ، حَتَّى اتَّهَى إِلَى هَذَا الْبَيْتِ :
تَسْمَعُ لِلْحَلْيِ وَسُوَا سَأَإِذَا انْصَرَفْتَ كَمَا اسْتَعَانَ بِرِيحٍ عِشْرِيقٍ زَجْلٍ^(٢)
فَأُعْجِبُ بِهِ . قَلْتُ : مَنْ يَقُولُ هَذِهِ الْقُصِيْدَةَ ؟ قَالَ : أَنَا . قَلْتُ : لَوْلَا مَا تَقُولُ
لَا يَخْرُجُكَ أَنْ أَعْشَى بْنِي نَعْلَبَةَ أَنْشَدَنِيهَا عَامًا أَوَّلَ بَنْجَرَانَ . قَالَ : إِنَّكَ صَادِقٌ ، أَنَا
الَّذِي أَلْقَيْتَهَا عَلَى لِسَانِهِ ، وَأَنَا مِسْتَحَلٌ صَاحِبُهُ ، مَاضِيَّ شِعْرٍ شَاعِرٌ وَضَعِيْفٌ عَنْدَ مِيمُونَ
ابن قيس !

* الأَغَانِي : ٩ - ١٥٦

(١) الرَّئِيْسُ : الْبَجَلِيُّ . (٢) الْوَسْوَاسُ : صَوْتُ الْحَلْيِ ، وَالْعِشْرِيقُ : شَجَرَةٌ مُقْدَارٌ ذَرَاعَ ، لَهَا أَكْامٌ فِيهَا حَبَّ صَفَارٌ إِذَا جَفَّتْ فَرَثَ بِهَا الرِّيحُ تَهْرُكَ الْحَبَّ ، فَسَمِعَهُ خَشْشَةُ الْحَصَى . شَبَهَ وَسْوَاسَ حَلَبِيَّا بِصَوْتِهِ إِذَا ضَرَبَتِهِ الرِّيحُ . وَالْزَجْلُ : رُفعُ الصَّوْتِ بِالْطَّرْبِ ، وَالْزَجْلُ بِالْكَسْرِ : صَفَةُ مِنْهُ .

١١٦ - هاجس الأعشى*

قال الأعشى^(١) : خرجت أريد قيس بن معد يكرب بمحضر موت ، فضللتُ في أوائل أرض اليمين ؛ لأنني لم أكن سلكت ذلك الطريق قبل ، فأصابني مطر ، فرميت بيصرى أطلب مكاناً ألجأ إليه ، فوقيت عيني على خباء^(٢) من شعر ، فقصدت نحوه ، وإذا أنا بشيخ على باب الخباء ، فسلمت عليه ، فرداً على السلام ، وأدخل ناقتي خباء آخر كان بجانب البيت ، خططت رحلي وجلست ، فقال : من أنت ؟ وإلى أين تقصد ؟ قلت : أنا الأعشى ، أقصد قيس بن معد يكرب . فقال : حياك الله ! أظنك امتدحقة بشعر ؟ قلت : نعم ، قال : فأنشدْنيه ، فابتداة مطلع القصيدة :

رَحَّلَتْ سُمِّيَّةَ غُدُوَّةَ أَجَالَهَا غَضَبًا عَلَيْكَ فَاتَّقُولُ بَدَأَهَا !
فَلَمَّا أَنْشَدَهُ هَذَا الْمَطْلَعَ قَالَ : حَسْبُكَ ! أَهْذَهُ الْقَصِيدَةُ لَكَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : مَنْ سُمِّيَّةُ الَّتِي تَذَسُّبُ بِهَا ؟ قَالَتْ : لَا أَعْرِفُهَا ، وَإِنَّا هُوَ اسْمُ أُلْقَى فِي رُوعِي^(٣) ؟ فَنَادَى : يَا سُمِّيَّةُ ؟ اخْرُجْ ! وَإِذَا جَارِيَةٌ خَمَاسِيَّةٌ^(٤) قَدْ خَرَجَتْ ، فَوَقَفَتْ وَقَالَتْ :

* خزانة الأدب : ٣ - ٥٤٩ (طبعة بولاق) .

(١) هو أبو بصير ميمون الأعشى بن قيس بن جندل القيسي من خول شعراء الجاهلية ، وطال عمره حتى كان الإسلام ، فأعاد قصيدة مدح بها النبي وقصده بالحجاج فلقيه كفار قريش وصدهم عن وجهه على أن يأخذ منهم مائة ناقة حمراء ، ويرجم إلى بلده فقتل ، ولا يقرب من اليمامة سقط عن ناقته فقدت عنقه ومات . (٢) الخباء من الأبنية : يكون من وبر أو صوف أو شعر .

(٣) الروع : القلب والعقل . (٤) خماسية : طولها خمسة أشبار .

ما ترید يا بْتِ ؟ قال . أَنْشَدَى عَمَّكَ قَصِيدَتِي الَّتِي مَدَحْتُ بِهَا قَيْسَ بْنَ مَعْدِيكَرْبَ ، وَنَسَبْتُ بِكِ فِي أَوْلَاهَا ، فَانْدَفَعَتْ تُنْشِدُ الْقَصِيدَةَ حَتَّى أَتَتْ عَلَى آخِرِهَا لَمْ تَخْرُمْ مِنْهَا حِرْفًا ، فَلَمَّا أَتَتْهَا قَالَ : انْصَرْفُ ، ثُمَّ قَالَ : هَلْ قَلَتْ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ ؟ قَلَتْ : نَعَمْ ، كَانَ بَيْنِي وَبَيْنِ ابْنِ عَمِّي يُقَالُ لَهُ يَزِيدُ بْنُ مُسْهِرٍ ، مَا يَكُونُ بَيْنَ بَنِي الْعَمِّ ، فَبِجَانِي وَهَجُوتَهُ فَأَفْحَمْتُهُ . قَالَ : مَاذَا قَلْتَ فِيهِ ؟ قَالَ : قَلْتَ : وَدَعْ هُرِيرَةَ إِنَّ الرَّكَبَ مُرْتَحِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعِيًّا أَيْهَا الرَّجُلُ ! فَلَمَّا أَنْشَدَهُ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ ، قَالَ : حَسْبِكَ ! مَنْ هُرِيرَةُ هَذِهِ الَّتِي نَسَبْتَ بِهَا ؟ قَلَتْ : لَا أَعْرِفُهَا وَسَبَبِلَاهَا سَبَبِيلُ الَّتِي قَبْلَهَا ؟ فَنَادَى : يَا هِيرِيرَةَ ؟ فَإِذَا جَارِيَةٌ قَرِيبَةُ السَّنَّ مِنَ الْأَوَّلِي خَرَجَتْ ، قَالَ : أَنْشَدَى عَمَّكَ قَصِيدَتِي الَّتِي هَجُوتُ بِهَا يَزِيدَ بْنَ مُسْهِرَ ، فَأَنْشَدَهَا مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا لَمْ تَخْرُمْ مِنْهَا حِرْفًا ، فَسَقَطَ فِي يَدِي وَتَحْيَرْتُ وَتَعْشَقْتُ رِعْدَةً .

فَلَمَّا رَأَى مَا نَزَلَ بِي قَالَ : لَيْفَرِخْ رَوْعَكَ^(١) يَا بَاصِيرَ ؛ أَنَا هاجِسُكَ مِسْحَلَ ابنَ أَنَّاتَةَ ، الَّذِي أَلْقَى عَلَى لِسانِكَ الشِّعْرَ .

قَالَ الْأَعْشَى : فَسَكَنَتْ نَفْسِي وَرَجَعَتْ إِلَيْيَّ ، وَسَكَنَ الْمَطْرُ ، فَدَلَّى عَلَى الطَّرِيقِ ، وَأَرَانِي سَمْتَ مَقْصِدِي ، وَقَالَ : لَا تَعْجُجْ يَمِينًا وَلَا شَمَالًا حَتَّى تَقِعْ بِبَلَادَ قَيْسَ .

(١) لَيْفَرِخْ رَوْعَكَ : لِيَذْهَبْ رَعْبَكَ وَفَرْعَكَ ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ عَلَى مَا تَحَاذِرُ .

* ١١٧ - عبيد بن الأبرص والشجاع *

كنتُ في بعض السنين حاجاً ، فلما توسطت البادية في شديد الحر سمعتْ صرحة عظيمة في القافلة ألحقت أولها بآخرها ، فسألتُ عن القصة ، فقال لي رجل من القوم : تقدم تر ما بالنام . فتقدمت إلى أول القافلة فإذا أنا بشجاع^(١) أسود فاغر فاه كالمذع ، وهو يخور كالمخور الثور ، ويرغو كرغاء البعير ؛ فهانى أمره ، وبقيت لا أهتدى إلى ما أصنع ؛ فعدلت عن طريقه إلى ناحية أخرى ، فعارضنا ثانية ؛ ولم يحسر أحد من القوم أن يقربه ، قلت : أفدي هذا العالم بنفسى ، وأتقرب إلى الله تعالى بخلاص هذه القافلة منه .

فأخذت قربة من الماء فقلدتها وسلامت سيفي ، فلما رأني قربت منه سكناً ، وبقيت متوقعاً منه وثبة يبتلعني فيها ، فلما رأى القربة فتح فاه ، فجعلت فم القرابة

* المختار من نوادر الأخبار (مخطوط)، الأغاني: ١٩ - ٨٦ ، المستطرف: ١ - ٢٤٤

(١) الشجاع : الذكر من الحيات .

في فيه ، وصبت الماء كا يصب في الإناء . فلما فرغت القربة تسأب في لرمي ومضى ؟ فتعجبت من تعرّضه لنا وانصرافه عنا عن غير سوء لحقنا ، ومضينا الحجّنا .

ثم عدنا في طريقنا ذلك ، وحططنا في منزلنا ذلك ، في ليلة مظلمة مُدْهمة ، فأخذت شيئاً من الماء وعدلت إلى ناحية عن الطريق ، فأخذتني عيني ؟ فنمت مكانى ؟ فلما استيقظت من النوم لم أجده للقاولة حسا ، وقد ارتحلوا ، وبقيت منفراً لم أر أحداً ، ولم أهتد إلى ما أفعله ، وأخذتني حيرة ، وجعلت أضطرّب ، وإذا بصوت هاتف أسم صوته ولا أرى شخصه يقول :

يأيها الشخص المضلّ مرّكبه ما عنده من ذى رشاد بصحبه
دونك هذا البَكْرٌ منا تركبه وبـَكْرٍ الميمون حقاً تجنّبه^(١)
حتى إذا ما الليل زال غَيْبَه^(٢) عند الصباح في الفلا تسأبها^(٣)

فنظرت فإذا بـَكْرٍ قائم عندى وبـَكْرٍ إلى جانبي ، فأنفتحت وركبته ، وجنبت بـَكْرٍ ؟ فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لي القافلة ، وانفجر الفجر ، ووقف البـَكْر ، فعلمت أنه قد حان نزولى فتحولت إلى البـَكْر ، وقلت :
يأيها البـَكْر قد أنجحيت من كرب ومن همومِ تصل المدخل المــادي
من ذا الذى جاد بالمعروف في الوادى
ألا فـَخـَبـِرـَنـِي بالله خالقـِنـَا

(١) جنب البعير : قاده إلى جنبه . (٢) الغيب : شدة سواد الليل . (٣) سأب الشى : تركه .

وارجع حيـداً فـقد بـلـفـقـنـا مـنـنـا
بورـكـتـ منـ ذـى سـنـام رـأـمـ غـادـى
فـالـفـقـتـ الـبـكـرـ إـلـىـ ، وـهـوـ يـقـولـ :
أـنـ الشـبـحـاجـ الـبـىـ الـفـيـتـنـىـ رـمـضـاـ
وـالـلـهـ يـكـشـفـ ضـرـ الـخـاـزـ الصـادـىـ
نـصـفـ النـهـارـ عـلـىـ الرـمـضـاـءـفـ الـوـادـىـ
وـالـشـرـ أـخـبـثـ مـاـ أـوـعـيـتـ مـنـ زـادـ
مـذـا جـزاـوكـ مـنـ لـاـ يـعـنـ بـهـ
فـعـجـبـ الرـشـيدـ مـنـ قـوـلـهـ ، وـأـمـرـ بـالـقـصـةـ وـالـأـيـاتـ فـكـتـبـتـ ، وـقـالـ : لـاـ يـضـعـ
الـمـرـوـفـ أـيـنـ وـضـعـ !

١١٨ — وَمَنْ عَيِّدَ لَوْلَا هَبِيدَ *

قال رَأَوْ :

خرجتُ على بعيرٍ لي صعب يرِ لا يُمْكِنُ منْ أَمْرِ نفسي شيئاً ، حتى مرَ على جماعةٍ ظباءٍ في سفحِ جبل ، على قُلُّهِ رجلٌ عليه أَطْمَارٌ^(١) ، فلما رأتهُ الظباء هربت ، فقال : ما أردتُ إِلَى ماصنعتُ؟ إِنَّكَ لترضونَ بِنَ لوشاءَ قدَّعْكُمْ^(٢) عن ذلك ! فداخلني عليهِ منْ الفيظِ مالمُأْذِرِ أَنْ أَحْمَلَهُ ، قلتُ : إِنْ تَفْعَلْ بِي ذلِكَ لَا أَرْضِي لَكَ ؟ فضحكَ ، ثُمَّ قال : امض - عافاكَ اللهُ - لبَالِكَ .

فجعلتُ أرددُ البعيرَ في مراقيِ الظباءِ ، لاغضبيهِ ، فمضى وهو يقول : إِنَّكَ لخليدَ القلب ؛ ثُمَّ أتاني فصاح ببعيري صيحة ، ضربَ بجِرَانَهِ^(٣) الأرضَ ، ووَبَتَّ عَنْهُ إلى الأرضَ ، وعلمتُ أَنَّهُ جَانٌ ، قلتُ : أَيْهَا الشَّيْخُ ؛ إِنَّكَ لأسْوَأُ مِنْ صنيعًا ؛ فقال : بل أنتَ أَظْلَمُ وَأَلَمَ ، بَدَأْتَ بِالظُّلْمِ ، ثُمَّ لَوْمَتَ فِي ترْكَكَ المضى ، قلتُ : أَجَلَ ! عرَفتُ خطيئَ ، قال : فاذْكُرِ اللَّهَ فَقَدْ رُعْنَاكَ ، وبذِكْرِ اللَّهِ تطمئنُ القلوبَ ، فذَكَرَتِ اللَّهُ تَعَالَى ، ثُمَّ قلتُ دهشًا : أَتَرُوِي مِنْ أشعارِ العربِ شيئاً ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَرُوِي وَأَقُولُ قَوْلًا فاشَّا مِبْرَزاً ، قَالَتْ : فَأَرَنِي مِنْ قَوْلَكَ مَا أَحْبَبْتَ ؟ فَأَنْشَأَ بِقُولْ :

* الجمهرة : ٢٣

(١) الأطمار : جمع طمر ، وهو الثوبُ الخالق . (٢) قدَّعْكُمْ : كفُوكَ وَمُنْعِكُمْ . (٣) جران البعير : مقدم عنقه من مدبحه إلى منحره .

من آل سُلَيْمَانَ وَلَمْ يُلْمِمْ بِمِعْدَادِ
 فِي سَبَبِ^(١) ذَاتِ الدَّكَاكَةِ^(٢)
 مِثْلَ الْمَهَأَةِ إِذَا مَا حَمَّا الْحَادِي
 قَوْلًا سَيْدَنَبْهَ غَوْرًا بَعْدَ إِنْجَادِ
 إِلَّا وَالْمَوْتِ فِي آثارِهِ حَادِي
 وَفِي حَيَاتِيَّ ما زَوَّدَنِي زَادِي
 لَا حَاضِرٌ مُفْلِتٌ مِنْهُ وَلَا بَادِي
 طَافَ الْخَيَالُ عَلَيْنَا لِيَلَّةَ الْوَادِي
 إِنِّي اهْتَدِيتُ إِلَى مَنْ طَالَ لِيَلَّهُمْ
 يَكْلِفُونَ سُرَاهَا كُلَّ يَعْمَلَةِ^(٣)
 أَبْلَغَ أَبَا كَرْبَ^(٤) عَنِ وَاسِرَتِهِ
 يَا عُمَرُ وَمَارَاحَ مِنْ قَوْمٍ وَلَا بَتَكَرَوا
 لَا عُرْفَنِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ تَنْدُبِنِي
 أَمَّا حَامِكَ يَوْمًا أَنْتَ مُدْرَكَهُ
 فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ إِنْشَادِهِ قَلَّتْ : لَهُذَا الشِّعْرُ أَشْهَرُ فِي مَعْدَدِ بْنِ عَدْنَانَ مِنْ وَلَدِ الْفَرْسِ
 الْأَبْلَقِ^(٥) فِي الدَّهْمِ^(٦) الْعِرَابِ^(٧) ، هَذَا لَعَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ الْأَسْدِيُّ ، قَالَ : وَمَنْ
 عَبِيدَ لَوْلَا هَبِيدَ ! قَلَّتْ : وَمَنْ هَبِيدَ ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَنَا إِنْ بْنُ الصَّلَادِمَ أَذْعِي الْهَبِيدَ
 حَبُوتُ الْقَوَافِيَ قَرْمِيَ^(٨) أَسْدَ
 وَأَنْطَقْتُ بِشَرَّاً^(٩) عَلَى غَيْرِ كَذِ
 مَلَادًا عَزِيزًا وَمَجْدًا وَجَدَ
 مَنْحَنَاهُمُ الشِّعْرُ عَنْ قُدْرَةِ
 فَهَلْ تَشَكَّرُ الْيَوْمَ هَذَا مَعَدَ !

فَقَلَّتْ : أَمَا عَنْ نَفْسِكَ فَقَدْ أَخْبَرْتَنِي ، فَأَخْبَرْتَنِي عَنْ مُدْرَكَهُ ، قَالَ : هُوَ مُدْرَكَ
 بْنُ وَاغْمَ صَاحِبُ الْكَمِيَّةِ ، وَهُوَ بْنُ عَيْنِي ، وَكَانَ الصَّلَادِمُ وَوَاغْمُ مِنْ أَشْعَرِ الْجَنِّ.

(١) السبب : المفازة . (٢) الدكاك : أرض فيها غلظ . الأعقد : جم عقد، مانعقد من الرمل .

(٣) اليملة : الناقة النجيبة . (٤) أبو كرب : عمرو بن الحارث بن عمرو بن حجر آخر كل الموار .

(٥) الأبلق : ما فيه سواد وبياض . (٦) الدهم : السود . (٧) العراب : الأصيلة . (٨) القرم :

السيد ، ويريد بقرميأسد عبيدا وبشراما فهما من قبيلةأسد . (٩) بشراما : هو بشر بن أبي

خازم الشاعر . (١٠) الكمي : هو الكمي بن زيد الأسدي .

نم قال : لو أنك أصبحت من لبنِ عندنا ! فقلت : هات ، أريد الأنسَ به ، فذهب
فأتأني بعُسٍ^(١) فيه لبن ظبي ، فكرهته لزُهومته^(٢) ، فقلت : إلينك ! ومجّجتُ
ما كان في فمي منه ، فأخذه ثم قال : امض راشداً مصاحباً ، فوليت منصرفاً ،
فصالح بي من خلفي ؟ أما إنك لو شربت ما في العُس لاصبحت أشعـر قومك .
قال : فندمت على أنـي لم أشرب ما في عُسـه في جوفـ على ما كان من زُهومته ،

وأنـشـأتـ أقولـ في طـريقـي :

لقد حـرـمـتـنيـهـ صـرـوفـ القـادـيرـ
أـسـفـتـ عـلـىـ عـسـ الـهـبـيدـ وـشـرـبـهـ
وـلـوـ أـنـيـ إـذـ ذـاكـ كـنـتـ شـرـبـتـهـ
لـأـصـبـحـتـ فـيـ قـوـىـ هـلـمـ خـيـرـ شـاعـرـ

(١) عـسـ : إـنـاءـ . (٢) الزـهـومـةـ : رـائـحةـ غـيرـ مـقـبـولةـ .

* ١١٩ — لافظ بن لاحظ !

حدَّث أحد الرواة قال : خرجت في طلب لِقَاح^(١) لي على فَخْلِ كَاهْفَدَن^(٢) ، يمرُّ بي يسبق الريح ، حتى دفعت إلى خيمة وإذا بفتاها شيخ كبير ، فسلمت فلم يرد على ، فقال : من أين ؟ وإلى أين ؟ فاستحمدته ؛ إذ بَخْلِ برَدُ السلام ، وأسرع إلى السؤال . قلت : من هنا ! وأشارت إلى خلفي ، وإلى هنا ! وأشارت إلى أمامي ؛ فقال : أمّا مِنْ هَنَاءَنِعْمَ ، وأمّا إِلَى هَنَاءَنِعْمَ ما أَرَاكَ تَبَهَّجُ بِذَلِكَ ، إِلَّا أَنْ يَسْهُلَ عَلَيْكَ مُدَارَةً مِنْ تَرَدٍ عَلَيْهِ ! قلت : وَكَيْفَ ذَلِكَ أَيْهَا الشَّيْخُ ؟ قال : لِأَنَّ الشَّكْلَ غَيْرَ شَكْلِكَ ، وَالزَّيْرَ غَيْرُ زَيْكَ ، فَضَرَبَ قَلْبِي أَنَّهُ مِنَ الْجَنِّ ، وَقَلْتُ : أَتَرُوِيَ مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ شَيْئًا ؟ قال : نَعَمْ وَأَقُولُ ، قلت : فَأَنْشَدْنِي - كَالْمُسْتَهْزِيُّ بِهِ ! فَأَنْشَدَنِي
قول امرئ القيس :

قَفَانِبُكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسَقْطٍ^(٣) الْلَّوِي بَيْنَ الدَّخُولِ وَحَوْمَلِ
فَلَمَ فَرَغْ قلت : لو أن امرئ القيس يُنشر لرَدَاعك عن هذا الكلام . فقال :
ماذا تقول ؟ قلت : هذا لامرئ القيس ، قال : لستُ أَوَّلَ مَنْ كُفِرَ نَعْمَةً أَسْدَاهَا !
قلت : أَلَا تَسْتَحِي أَيْهَا الشَّيْخُ ، أَمِثْلِ امْرِئِ القَيْسِ يَقَالُ هَذَا ؟ قال : أَنَا وَاللهِ
مَنَحْتُهُ مَا أُعْجِبُ مِنْهُ ! قلت : فَإِنْمَكَ ؟ قال : لافظ بن لاحظ ، قلت : اسمان
منْكَرَانِ ! قال : أَجَلْ ! فَاسْتَحْمَقْتُ نَفْسِي لَهُ ، بَعْدَ مَا اسْتَحْمَقْتُهُ لَهُ ، وَأَنِسْتُ بِهِ

* الجمهرة : ٢٣

(١) اللِّقَاحُ : الإبل . (٢) الْفَدَنُ : القصر . (٣) سَقْطُ الْلَّوِي وَالدَّخُولِ وَحَوْمَلٌ : مواضع بنجد .

لطول محاورتي إياه ، وقد عرفت أنه من الجن ، فقلت له : منْ أَشَعَّ الْمَرْبُ ؟
فأنشاً يقول :

ذهب ابن حجر ^(١) بالقريض قوله ولقد أجاد فما يعاد زiad ^(٢)
له هادر إذ يجود قوله إن ابن ماهر بعدها لجود

قلت : من هادر ؟ قال : صاحب زiad الدياني وهو أشعر الجن ، وأضنهم بـ « شعره »
ولقد علم بنية لـ قصيدة له من فيه إلى أذنها ، ثم صرخ بها : آخر جي فدى لك
ما ولدت حواء ! فقلت له : ما أنت من أصناف أئمـ الشـيخ ، فقال : ما قلت بأسا ، ثم رجمت
إلى نفسي فعرفت ما أراد ، فسكت ، ثم أنشدتهـ الجـاريـة :

نـاتـ بـسـعـادـ عـنـكـ نـوـىـ شـطـونـ ^(٣) فـبـاتـ وـالـفـوـادـ بـهـاـ حـزـينـ
حتـىـ أـتـتـ عـلـىـ قـوـلـهـ مـنـهـاـ *ـ كـذـلـكـ كـانـ نـوـحـ لـاـ يـخـونـ *ـ قـالـ :ـ لـوـ كـانـ رـأـيـ
قـوـمـ نـوـحـ فـيـهـ كـرـأـيـ هـادـرـ مـاـ أـصـابـهـمـ الغـرقـ !ـ خـفـظـتـ الـبـيـتـيـنـ،ـ ثـمـ نـهـضـ بـيـ الـفـجـلـ
فـعـدـتـ إـلـىـ لـقـاحـيـ .

(١) ابن حجر : امرؤ القيس . (٢) زiad : النافعة الديانية . (٣) شطون : بيدمة .

١٢٠ — تابع زهير بن أبي سلمى*

قال على بن الجهم القرشى : دخلت على الم توكل يوماً ، وهو جالسٌ وحده ، فسلمتُ عليه فرد السلام ؛ وأجلسنى ، خافت مني التفاتة ، فرأيتُ الفتحَ بن خاقان^(١) واقفاً في غير رتبته التي كان يقوم فيها ، متكتناً على سيفه مُطْرِقاً ، فأنكرت حاله ، فكنت إذا نظرت إليه نظر إلى الخليفة ، فإذا صرف وجهي نحو الخليفة أطرق . فقال : يا على ، أذكرت شيئاً ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ! فقال : ما هو ؟ قلت : وقوف الفتح في غير رتبته التي كان يقوم فيها ! قال : سوء اختياره أقامه ذلك المقام . قلت : ما السبب يا أمير المؤمنين ؟ قال : خرجت من عند قبيحة^(٢) آنذا ، فأسررتُ إليه سراً ، فما عداني السر إِذْ عادَ إِلَيَّ ا قلت : لعلك أسررتَه إلى أحد غيره يا أمير المؤمنين ! قال : ما كان هذا ؟ قلت : فعل مُسْقَمًا استقمَ عليه كما ! قال : ولا هذا أيضاً . فاطرقت ملياً ؛ ثم رفعت رأسي ، قلت : يا أمير المؤمنين ، قد وجدت له مما هو فيه مخرجاً ! قال : ما هو ؟ قلت : حدثنا الفضل بن دكين ، قال أبو الجوزاء : طلقت أمرأتي في نفسي ، وأنا في المسجد ، ثم انصرفت إلى دارى ، فقالت لي امرأتي : أطلقتنى

* معجم الأدباء : ١٦ - ١٨٠

(١) هو الفتح بن خاقان بن أحمد القائد ، كان في نهاية الذكاء والقطنة وحسن الأدب ، وكان من أولاد الملوك ، اخذه الم توكل أخا ، وكان يقدمه على جميع أولاده وقتل مع الم توكل سنة ٢٤٧ هـ وهو غير الفتح بن خاقان الأندلسى . (٢) قبيحة : جارية الم توكل .

يا أبا الجوزاء ؟ قلت : من أين لك هذا ؟ قالت : خبرتني جاري الأنصارية أقلت :
ومن خبرها بذلك ؟ قالت : ذكرت أن زوجها خبرها بذلك !

فغدوت على ابن عباس فقصصت عليه القصة ؛ فقال : علمت أن وسوسـ^(١)
الرجل يحدث وسوانـ الرجل ، فـ مـ هـنـا يـ فـشـو السـرـ .

قال أبو نعيم : فـ كانـ فيـ نفسـيـ منـ هـذـاـ شـئـ حتىـ حدـثـيـ حـمـزةـ الـزيـاتـ ،
قال : خرجت سنة من السنتين أريد مكة ، فـ لـمـ جـزـتـ فـ بـعـضـ الطـرـيقـ ضـلـلتـ
راحتـيـ ، خـرـجـتـ أـطـلـبـهـاـ ، فـ إـذـ باـثـنـينـ قـدـ قـبـضاـ عـلـىـ ، أـحـسـ حـسـهـمـاـ ؛ وـ أـسـمـعـ
كـلـامـهـمـاـ ، وـ لـأـرـىـ شـخـصـهـمـاـ ! فـ أـخـذـانـيـ وـ جـاءـاـ بـيـ إـلـىـ شـيـخـ قـاعـدـ عـلـىـ تـلـعـةـ^(٢) مـنـ
الأـرـضـ ، حـسـنـ الشـيـبـةـ ؟ فـ سـلـمـتـ عـلـيـهـ فـرـدـ السـلامـ ؛ فـ أـفـرـخـ^(٣) رـوعـيـ ؛ نـمـ
قال : مـنـ أـينـ ؟ وـ إـلـىـ أـينـ ؟ فـ قـلـتـ : مـنـ الـكـوـفـةـ أـرـيدـ مـكـةـ .

قال : وـ لـمـ تـخـلـفـتـ عـنـ أـصـحـابـكـ ؟ فـ قـلـتـ : ضـلـلتـ رـاحـلـتـيـ فـجـئـتـ أـطـلـبـهـاـ !

فرفع رأسه إلى قوم على رأسه ؛ فقال : زاملة^(٤) ؛ فأنيخت بين يديه ؛ ثم
قال لي : أقرأ القرآن ! قلت : نعم ! قال : هاته ! فقرأت حتى انتهيت إلى هذه
الآية : ﴿ وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْقُمُونَ الْقُرْآنَ ؛ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا :
أَنْصِتاُوا ، فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ .

قال لي : على رسـلـكـ ! تـدـرـىـ كـمـ كـانـواـ ؟ قـلـتـ : اللـهـمـ لاـ ! قال : كـنـاـ أـرـبـعـةـ ؛
وـ كـنـتـ الـخـاطـيـبـ لـهـ ، قـلـتـ : « يـاـ قـوـمـنـاـ أـجـبـيـوـاـ دـاعـيـ اللـهـ » .

(١) وسوس الرجل : الشيطان الذي يوسر له . والوسوسة : الصوت الخفي والهمس .

(٢) التلعة : ما ارتفع من الأرض . (٣) الروع : القلب ، وأفرخ : أخرج ما به من خوف .

(٤) منادي مخدوف منه حرف النداء ، اسم ناقته .

ثم قال لي : أتقول الشعر ؟ قلت : اللهم لا ! قال : أفتزويه ؟ قلت : نعم !
قال : هاته ! فأنشدته قصيدة :

أَمِنْ أَمْ أَوْفَ دِمْنَةً لَمْ تَكُلْ مَحْوَمَانَةَ الدَّرَاجِ فَالْمُتَشَاءِ^(١)

قال : من هذه ؟ قلت : لزهير بن أبي سلمى ! قال : الجنى ؟ قلت : بل
الإنسى ! مراراً .

فرفع رأسه إلى قوم على رأسه ، فقال : زهير ! فأقى بشيخ كأنه قطعة لحم ؟
فألقى بين يديه ، فقال له : يا زهير ! قال : ليك ! قال : « أمن أوف » من ؟
قال : لي ! قال : هذا حزنة الزيارات يذكر أنها لزهير بن أبي سلمى الإنسى ، قال :
صدق هو ، وصدقت أنت !

قال : وكيف هذا ؟ قال : هو إلني من الإنس ، وأنا تابعه من الجن ، أقول
الشيء فألقيه في وهمه ، ويقول الشيء فأخذه عنه ؛ فإذا قاتلها في الجن ، وهو قاتلها
في الإنس .

قال أبو نعيم : فصدقت عندي هذا الحديث حديث أبي الجوزاء إن وسوان
الرجل يحدث وسوان الرجل ! فمن هنا يفسو السر !

فاسقفرغ^(٢) المتقوك ضحكاً ، وقال : إلى يافتح ! فصب عليه خلما^(٣) ، وحمل
على شيء من الظهر ، وأمر له بمال ، وأمر لى بدون ما أمر له به .
فانصرفت إلى منزلي ، وقد شاطرني الفتح ما أخذ ، فصار الأكثار إلى ،
وال أقل عندـه .

(١) أوف : على حذف مضارف ، أي أمن منازل أم أوف ، والدمنة : ما باق من آثار الديار ،
وحومانة الدراج : ماء في طريق البصرة إلى مكة ، والمتنتم : موضع أول أرض الصمان . (٢) بذل
جهده في الضحك . (٣) ما يخلع على الإنسان من الثياب وغيرها .

١٢١ - حاتم يُقرِّي الضيف بعد موته*

مرَّ نَفْرٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ بَقْبَرِ حَاتِمٍ^(١) ، فَبَزَلُوا قَرِيبًا مِنْهُ ، قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يُقالُ لَهُ
أَبُو اَنْخَيْرِي^(٢) ، وَجَعَلَ يَرْكَضُ^(٣) بِرِجْلِهِ قَبْرَهُ ؛ وَيَقُولُ : أَقْرَنَا ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ :
وَيْلَكَ ! مَا يَدْعُوكَ أَنْ تَعْرُضَ لِرَجُلٍ قَدْ مَاتَ ؟ قَالَ : إِنْ طَيًّا تَزَعَّمُ أَنَّهُ مَا نَزَلَ بِهِ
أَحَدٌ إِلَّا قَرَاهُ ، ثُمَّ أَجْنَمَ اللَّيلَ ، فَنَامُوا .

فَقَامَ أَبُو اَنْخَيْرِي فَزِعًا ، وَهُوَ يَقُولُ : وَارَاحْلَتَاهُ ! فَقَالُوا لَهُ : مَالِكٌ ؟ قَالَ :
أَتَانِي حَاتِمٌ فِي النَّوْمِ ، وَعَقَرَ نَاقَتِي بِالسِّيفِ ؛ وَأَنَا أَنْظَرُ إِلَيْهَا ، ثُمَّ أَنْشَدَنِي شِعْرًا
حَفِظْتُهُ ، يَقُولُ فِيهِ :

أَبَا اَنْخَيْرِي ^٤ ، وَأَنْتَ امْرُؤٌ	ظُلُومُ الْعَشَيْرَةِ شَتَّامُهَا
أَتَيْتَ بِصَحْبِكَ تَبْغِيَ الْفَرَّى	لَدَى حُفْرَةِ قَدْصَدَتٍ ^(٤) هَامُهَا
أَتَبْغِي لِي الدَّمَ عِنْدَ الْمَيْتِ	وَحَوْلَكَ طَيٌّ وَأَنْعَامُهَا
فَإِنَّا لَنْشَبُ أَضِيافًا	وَتَانِي الْمُطَىٰ فَنَعْتَامُهَا ^(٥)

* بلوغ الأربع : ١ - ٧٤

(١) هو حاتم بن عبد الله من قبيلة طيء، وهو من أجود العرب، وله أخبار كثيرة في السخاء مشهورة، حتى جرى ذكره بجري الأمثال، وكان مع ذلك شاعرًا وشجاعًا، توفى سنة ٦٥٠ م. (٢) قال في القاموس: كأنه ولد بخير. وخبير: حصن قرب المدينة. (٣) ركب الرجل ركضاً من باب قتل: ضرب برجله. (٤) صدت: صوت. والهامة: طير تزعّم العرب أنه يصبح على قبر الميت القتيل، فلا يفتّأ ينادي بشارة حتى يؤخذ به. (٥) نعثمتاها: عتمت الإبل، واعتمت، واستعثمت: إذا حلبت عشاء.

قاموا ، وإذا نافة الرجل تَكُوْس^(١) عقيراً ، فانتهروها وباتوا بأكلون ،
وقالوا : قرانا حاتم حيّاً وميتاً !

وأردفوا صاحبهم ، وانطلقوا سائرين ، وإذا برجل راكب بعيرأً وهو يقود
آخر ، قد لحقه ، وهو يقول : أيسكم أبو التّهِيْبِي ؟ قال الرجل : أنا ! قال : فخذ هذا
البعير ؛ أنا عدى بن حاتم ؛ جاءني حاتم اليوم في النوم ، وزعم أنه قراكم بناقتك ،
وأمرني أن أحملك ؛ فشأنك والبعير^(٢) !
ودفعه إليهم وانصرف .

(١) تَكُوْس : كاس البعير ، مشى على ثلاث قوائم وهو معرقب . (٢) إلى هذه القصة أشار ابن دارة الفطيفاني في قوله يدح عدى بن حاتم :

أبوك أبو سفانة التّهِيْبِ لم يزل
لدن شب حق مات في الخير داعيا
وكان له إذ ذاك حيا مصاحبا
 ولم يقر قبر الأضيف إذ نزلوا به
به تضرب الأمثال في الشعر ميتا
قرى قبره الأضيف إذ نزلوا به

١٢٢ - جَارُ مَالِكٍ بْنِ حَرَيْمٍ *

خرج مالك بن حَرِيم فِي نَفْرٍ مِنْ قَوْمِهِ يَرِيدُونَ عَذَّاكَاظَ ، فَاصْطَادُوا ظُبِيَاً ،
وَأَصَابُوهُمْ عَطْشًا شَدِيدًا ، فَاتَّهُوْنَا إِلَى مَوْضِعِ قَفَصَدُوا الظَّبَّيْنِ ، وَجَعَلُوا يَشْرُبُونَ مِنْ
دَمِهِ مِنَ الْعَطْشِ ، فَلَمَّا ذَهَبَ دَمُهُ ذَبْحُوهُ ، وَخَرَجُوا فِي طَلْبِ الْحَطْبِ ، وَكَمَّنَ مَالِكَ
فِي خِيَانَتِهِ فَأَثَارَ بَعْضُهُمْ شُجَاعًا^(١) فَأَقْبَلَ مُنْسَابًا حَتَّى دَخَلَ رَحْلَ مَالِكَ ، فَلَادَّ بِهِ ،
وَأَقْبَلَ الرَّجُلُ فِي أُثْرِهِ ؛ وَقَالَ : يَا مَالِكَ ، اسْتَيقِظْ فَإِنَّ الشُّجَاعَ عَنْدَكَ ؛ فَاسْتَيقِظْ
مَالِكَ ، وَنَظَرَ إِلَى الشُّجَاعِ ، فَإِذَا هُوَ يَلُوذُ^(٢) بِهِ ؛ قَالَ لِلرَّجُلِ : عَزَّمْتُ عَلَيْكِ إِلَّا
تَرَكْتَهُ ، فَكَفَّ عَنْهُ وَانْسَابَ الشُّجَاعِ إِلَى مَأْمَنِهِ ، وَأَنْشَأَ مَالِكَ يَقُولُ :
وَأَوْصَانِي الْحَرِيمَ بِعَزِّ جَارِيِّ
وَأَمْنِيَّهُ وَلَيْسَ بِهِ امْتِنَاعٌ
وَأَدْفَعَ ضَيْمَهُ وَأَذْبَثَ عَنْهُ
وَأَمْنِيَّهُ إِذَا مَنَعَ اللَّتَّاعَ
ثُمَّ ارْتَحَلُوا وَاشْتَدَّ بَهُمُ الْعَطْشُ ، وَإِذَا بَهَا تِفْفَ يَهْتَفُ بَهُمْ وَيَقُولُ :
يَا يَهَا الْقَوْمُ لَا مَاءَ أَمَامَكُمْ
حَتَّى تَسُومُوا الْمَطَابِيَا يَوْمَهَا التَّعْبَا
نَمْ اعْدُلُوا شَامَةَ فَالْمَاءُ عَنْ كَثْبِ
عَيْنِ رَوَاءَ وَمَاءَ يَذْهَبُ الْقَنَبَا^(٣)
فَاسْقُوا الْمَطَابِيَا وَمِنْهُ فَامْلَئُوا الْقِرَبَا
حَتَّى إِذَا مَا أَصْبَمْتُمْ مِنْهُ رِيَكُمْ
فَعَدُلُوا شَامَةَ ، فَإِذَا هُمْ فِي عَيْنِ خَرَّادَةٍ فِي أَصْلِ جَبَلٍ ، فَشَرَبُوا وَسَقُوا إِلَيْهِمْ .

٣٦٢ - ٢ : بلوغ الأربع *

(٢) لاذ به : **لِأَلْيَهُ** . (٣) الشامة : ضد اليمنة ،

(١) الشجاع : الذكر من الحيات .

والكثب : القرب ، واللغب : التعب .

وَحَمْلُوا يَهُمْ حَتَّى أَتُوا عَكَاظَ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا حَتَّى انْتَهَوا إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعَ ، فَلَمْ يَرُوا
شَيْئًا ، وَإِذَا بِهَا تَفَ يَقُولُ :

يَا مَالِ عَنِ جَزَاكَ اللَّهُ صَاحِلَةً
هَذَا وَدَاعُ لَكُمْ مِنِي وَسَلَامُ
لَا تَزَهَّدُ فِي أَصْطَنَاعِ الْخَيْرِ مَعَ أَحَدٍ
إِنَّ الَّذِي يَحْرُمُ الْمَعْرُوفَ مَحْرُومٌ
مِنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ مَغْبَتَهُ
مَا عَاشَ ، وَالْكُفْرُ بَعْدَ الْفَبَ مَذْمُومٌ
أَنَا الشَّجَاعُ الَّذِي أَنْجَيْتَ مِنْ رَهْقٍ
شَكَرْتُ ذَلِكَ إِنَّ الشَّكَرَ مَقْسُومٌ
ثُمَّ طَلَبُوا الْعَيْنَ فَلَمْ يَجِدُوهَا .

* ١٢٣ — الجن وابن الحمارس

كان عبيد بن الحمارس الكلبي رجلاً شجاعاً، وكان نازلاً بالسماوة^(١)، أيام الربيع، فلما حسر الربيع، وقل ماؤه، وأقلت أنواوه، تحمل^(٢) إلى وادي تبل^(٣) فرأى روضة وغدير، فقال: روضة وغدير وخطب يسير، وأنا لما حويتُ محير.

نزل هناك، وله أمرتان: اسم إحداهما الرّبّاب، والأخرى خولة؛ فقالت له خولة:

أرى بلدة قفراً قليلاً أنيسماً وإن لفخشي - إن دجال الليل
وقالت له الرّبّاب:

أرنتك برأيي، فاستمع عنك قولهما ولا تأمن جنَّ الفريف^(٤) وجهلها
قال مجيناً لها:

ألت كمياً^(٥) في الحروب مجرباً شجاعاً إذا شبَّت له الحرب بمحرباً^(٦)
سريراً إلى الهيجا^(٧) فإذا حبس^(٨) الونع فقسم لا أغدو الغدير منكما^(٩)
نم صعد إلى جبل تبل فرأى شيمه^(١٠)، فرمها فأقصصها^(١١)، ومعها ولدها
فارتبطه؛ فلما كان الليل هتف به هاتف من الجن:

* بلوغ الأرب: ٢ - ٣٥٥ ، ابن أبي الحديد: ٤ - ٤٤٨

- (١) السماوة: بادية قرب الشام. (٢) تحمل: سافر. (٣) تبل: واد على أميال يسيرة من الكوفة، وأعلاه متصل بسماوة كلب. (٤) الفريف: المخلاف. (٥) الكنى: الشجاع
- (٦) الحرب: صاحب الحرب. (٧) الهيجاء: الحرب. (٨) حس: اشتهد وصلب في القتال.
- (٩) نكب: عدل. (١٠) الشيمه: الأنبياء من القنافذ. (١١) أقصصها: قتلها مكانها.

وركبتَ صاحبنا بأسر مُفْطع
قوداً عنيفاً في المنيف الأرفع
والظلم فاعله وخيم المرتعن
شراً يحيك وما له من مَدْفع

أشمعْ لديك مقالي وتسمع
فيما حويتُ وحْزُتهُ من مطعم

قد جاءك الموتُ ووافاك الأجلْ
فاليوم أقويتُ (٤) وأعْيَّنكَ الحَيَّلَ

مسقمع مني فقد قُلتَ الخَطَلْ
هيبحت قِمَاماً (٥) من القوم بَطَلْ
لا يرعب الجنّ ولا الإنسَ أَجَلْ

من كان بالعَقوَةِ (٦) من جِنْ تُبَلْ

فسمعها شيخ من الجن ؟ فقال : لا والله لا نرى قَاتِلَ إنسان مثل هذا ، ثابتَ
القلب ، ماضى العزم ! ققام ذلك الشيخ فأنسد :

بابن الحمار من قد أَسْأَتَ جوارنا
وعقرتَ لَقْحَتَهُ (١) وقدْتَ فصيلها
ونزلتَ مَرْعِي شائناً وظلتَنا
فلنطر قَنْكَ بالذى أوَلَيَنْتَ

فأجابه ابن الحمار من :

يا مُدَعِّي ظُلْمِي ، ولستُ بظالمٍ
لَا نطمئنُوا فيما لدى فـالكم

فأجابه الجنى :

يا ضاربَ الْلَّقْحَةِ (٢) بالعَضْبِ الْأَفَلِ (٣)
وساقكَ الْحَيْنَ إلى جِنْ تُبَلْ

فأجابه ابن الحمار من :

يا صاحبَ الْلَّقْحَةِ هل أنت بمحل
وكثرةُ المِنْطَقِ في الحربِ فشل
ليث ليوث ، وإذا همْ فعل

من كان بالعَقوَةِ (٦) من جِنْ تُبَلْ

(١) اللقحة : الناقة . (٣) العصب : السيف . (٣) الأفل : المثلم . (٤) أقوى : افتقر .

(٥) التمَّام : السيد . (٦) العقوَة : الحلة .

فأصبت منهـا مـشـراً وـمنـاما
وـأـسـأـت لـمـا أـن نـطـقـت كـلـاما
إـنـا نـرـى لـك حـرـمـة وـذـمـاما
فـلـقـد أـصـبـت بـمـا فـعـلت أـثـاما^(١)
يـابـن الـحـمـارـس قـدـنـزـلت بـلـادـنـا
فـبـدـأـنـا ظـلـما بـعـرـلـقـوـحـنـا
فـاعـدـلـاً لـأـمـرـالـرـشـدـ وـاجـتـذـبـ الرـدـ
وـاغـرـمـ اـصـاحـبـنـا لـقـوـحـاً مـتـبعـاً
فـأـجـابـهـ اـبـنـ الـحـمـارـسـ :

إـنـي لـأـكـرـهـ أـنـ أـصـيـبـ أـثـاماـ
جـثـتـ الـبـلـادـ وـلـا أـرـيدـ مـقـاماـ
لـأـرـيـحـ فـيـهـ ظـهـرـنـاـ أـيـامـاـ
مـاـقـدـسـأـتـ وـلـا نـرـاهـ غـرـاماـ
الـلـهـ يـعـلـمـ حـيـثـ يـرـفـعـ عـوـشـهـ
أـمـاـ اـدـعـأـوـكـ ماـ اـدـعـيـتـ فـإـنـيـ
فـأـسـمـتـ^(٢) فـيـهـ مـالـنـاـ وـنـزـاـهـاـ
فـلـيـقـدـ صـاحـبـكـ عـلـيـنـاـ نـعـظـهـ
ثـمـ غـرـمـ لـلـجـنـ لـقـوـحـاـ مـتـبعـاـ^(٣)ـ.

(١) الأثاما: الإثم . (٢) أسام المال: أرعاه . والمال (هنا): الإبل . (٣) قال ابن أبي الحديد بعد إيراده هذه القصة في شرح نهج البلاغة: وهذه الحكاية وإن كانت كذباً إلا أنها تتضمن أدباء، وهي من طرائف أحاديث العرب فذكرناها لأدبه ولامتاعها .

١٢٤ — حارس مال ابن الخشَرَمَ *

خرج نجِيح الْيَهُوْعِي يوماً إلى الصيد ، فعرض له حمار وحشٌ فاتَّبعه ، حتى دفع إلى أَكْمَة ، فإذا هو بِرَجُل أَعْمَى أَسْوَد قاعِدٌ فِي أَطْمَارٍ^(١) ، بَيْنَ يَدِيهِ ذَهَبٌ وَفَضَّةٌ وَدُرْرٌ وَيَاقوْتٌ . فَدَنَّ مَنْهُ نَجِيحٌ ؛ فَتَنَاهُ مِنْهَا بَعْضُهَا ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَمْرِكَ يَدَهُ حَتَّى أَقْلَاهَا ؛ فَقَالَ : يَا هَذَا ؛ مَا الَّذِي بَيْنَ يَدِيكَ ؟ وَكَيْفَ تَسْتَطِعُ حَلَّهُ ؟ أَلَّا كَهُوَ أَمْ لِغَيرِكَ فَإِنِّي أَعْجَبُ مَا أَرَى ، أَجَوَادُ أَنْتَ فَتَجُودُ لَنَا ، أَمْ بِخَيْلٍ فَأَعْذِرُكَ ؟ فَقَالَ الْأَعْمَى : كَيْفَ تَطْلُبُ مَا لَمْ رَجُلٌ قَدْ غَابَ مِنْ دُسْتِينِ ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ خَشَرَمَ ، فَأَتَّنِي بِسَعْدٍ يَعْطُكَ مَا تَشَاءُ .

فَانْطَلَقَ نَجِيحٌ مُسْرِعاً ، قَدْ اسْتَطَيْرَ فُؤَادَهُ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَحَلَّتِهِ^(٢) ، وَدَخَلَ خِبَاءَهُ ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ ، وَنَامَ لَمَّا بَهُ مِنَ الْفَمِ ؛ لَا يَدْرِي مَنْ سَعْدٌ !

فَأَتَاهُ فِي مَنَامِهِ آتٌ ؛ فَقَالَ لَهُ : يَا نَجِيحٌ ؛ إِنَّ سَعْدَ بْنَ خَشَرَمَ فِي هَذِهِ مِنْ وَلَدِ ذُهْلٍ بْنِ شِيبَانٍ ؛ نَفَرَجَ وَسَأَلَ عَنْ بَنِي مُحَلَّمٍ ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ خَشَرَمَ ، فَإِنَّهُ هُوَ بَشِيقٌ قاعِدٌ عَلَى بَابِ خِبَائِهِ ، فَتَيَاهُ نَجِيحٌ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ نَجِيحٌ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : خَشَرَمَ بْنَ شَمَاسَ . قَالَ : وَأَنْتَ بْنُكَ ؟ قَالَ : خَرَجَ فِي طَلْبِ نَجِيحٍ الْيَهُوْعِي ؟

* المحسن والأصداد : ٦٩

(١) الأطمار : الملابس البالية . (٢) المحلة : منزل القوم ..

وذلك أن آتياً أتاها في منامه ، فخدته أن مالا له في نواحي بني يربوع لا يعلم به إلا نجح ، فضرب نجح بطن فرسه ، وهو يقول :
أطلبني منْ قد عَنِي إِنِي طَلَابُهُ فِي الْيَتَمَّى أَلْقَاكَ سَعْدَ بْنَ خَشْرَمَ
أَتَيْتَ بَنِي يَرْبَوْعَ تَبْغِي لِقَاءَنَا وَقَدْ جَئْتُ - كَيْ أَلْقَاكَ - حَىْ مُحَمَّدَ
فَلَمَّا دَنَا مِنْ مَحَلَّتِهِ اسْتَقْبَلَ سَعْدًا ، قَالَ لَهُ : أَيْهَا الرَّاكِبُ ؟ هَلْ لَقِيتَ سَعْدًا فِي
بَنِي يَرْبَوْعَ ؟ قَالَ : أَنَا سَعْدٌ ؛ فَهَلْ تَدْلُنِي عَلَى نَجْحٍ ؟ قَالَ : أَنَا نَجْحٌ ! وَحَدَّثَهُ
بِالْحَدِيثِ ؛ ثُمَّ قَالَ : الدَّالُ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلٌ .

فانطلقا حتى أتيا ذلك المكان ؟ فتوارى الرجل الأعمى حيز، أبصرها ، وترك
المال ، فأخذه سعد كله ، فقال له نجيح : يا سعد ؟ قاسمي ، فقال له : اطو عن مالي
كشحًا ! وأبى أن يعطيه شيئاً ، فانتفض نجيح سيفه ، وجعل يضربه ، حتى برد ؛
فلما وقع قتيلاً تحول الرجل الحافظ للمال سعيداً^(١) ، وأعاد المال إلى مكانه ؛ فلما
رأى نجيح ذلك ولّى هارباً إلى قومه !

(١) السعال : الغول أو ساحرة الجن .

١٢٥ — في موت أمية بن أبي الصلت*

لَا بُثَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْذَ أُمَيَّةَ بْنَ قَتْبَةَ وَهَرَبَ بِهِمَا إِلَى أَقْصَى
الْمَيْنَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الطَّائِفَ، فَيَدِنَا هُوَ يَشْرُبُ مَعَ إِخْرَانَ لَهُ فِي قَصْرِ غَيْلَانِ هَنَاكَ إِذَ
سَقَطَ غَرَابٌ عَلَى سُرْفَةِ الْقَصْرِ، فَنَعَّبَ نَعْبَةً؛ قَالَ أُمَيَّةُ: بِفِيكَ
الْكَثْكَثَ^(١)! قَالَ أَحْصَابُهُ: مَا يَقُولُ؟ قَالَ: يَقُولُ: إِنَّكَ إِذَا شَرَبْتَ الْكَأْسَ
الَّتِي يَدِكُ مِتَّ. فَقَاتَ: بِفِيكَ الْكَثْكَثَ، ثُمَّ نَعَّبَ نَعْبَةً أُخْرَى، قَالَ أُمَيَّةُ
نَحْوَ ذَلِكَ، قَالَ أَحْصَابُهُ: مَا يَقُولُ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّهُ يَقُولُ عَلَى هَذِهِ الْمَزْبَلَةِ^(٢) أَسْفَلَ
الْقَصْرِ، فَيَسْتَنِيرُ عَظِيمًا فَيَتَلَعَّهُ فَيَشْجُبُ بِهِ فِيمَوْتَ، فَقَلَّتْ نَحْوَ ذَلِكَ. فَوْقَ الْغَرَابِ
عَلَى الْمَزْبَلَةِ، فَأَنَارَ الْعَظِيمَ، فَشَجَبَ بِهِ فَمَاتَ.

فَانْكَسَرَ أُمَيَّةُ، وَوَضَعَ الْكَأْسَ مِنْ يَدِهِ، وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، قَالَ لَهُ أَحْصَابُهُ:
مَا أَكَثَرَ مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِ هَذَا وَكَانَ باطِلًا! ثُمَّ أَلْحَوَا عَلَيْهِ حَتَّى شَرَبَ الْكَأْسَ
فَالَّذِي أَغْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، ثُمَّ قَالَ: لَا بُرْيٌ فَأَعْتَذِرُ، وَلَا قُوَىٰ فَأَنْتَضِرُ، ثُمَّ
خَرَجَ تَنْسَهُ.

* الأغانى: ٤ - ١٣٣

(١) الْكَثْكَثُ: التراب. (٢) موْضِمُ السَّرْجِينَ.

* ١٢٦ - في بحر الخَزَرَ

قال ميمون الآمدي : ركبت بحر الخَزَرَ أريد بلداً حتى إذا ما كنت منه غير
بعيد لُجُجَ^(١) مرَكِبنا ، فاستاقتَه ريحُ الشمال شهرًا في اللَّجْة ، ثم انكسر بنا ،
فوقمتُ أنا ورجل من قريش إلى جزيرة في البحر ليس بها أنيس .

فجعلنا نطوف حتى أشرفتنا على هُوَّة ، وإذا بشيخ مستند إلى شجرة عظيمة ،
فلما رأنا تَحَشَّشَ^(٢) وأنافَ إلينا ! ففزعنا منه ، ثم دنونا نحوه ، وقلنا : السلام
عليك أيها الشيخ ! قال : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، فأنسنا به ، فقال :
ما خطبُكما ؟ فأخبرناه ، فضحك وقال : ما وطى هذا الموضع أحد من ولد آدم
قط ، فمن أنتما ؟ قلنا : من العرب ، قال : بابي وأمي العرب ، فمن أيها ؟ قلت :
أما أنا فرجل من خُزاعة ، وأما صاحبي فن قريش . قال : بابي قريش وأحمدُها !
قال : يا أخا خُزاعة ، هل تدرى من القائل :
كَانَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْمَجْوُنِ^(٣) إِلَى الصَّفَا أَنَّى وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَةَ سَامِرُ
بَلْ نَحْنُ كُنَّا أَهْلَمَا فَبَادَنَا صُرُوفُ الْلَّيَالِي وَالْجَدُودُ الْعَوَانِرُ
قلت : نعم ، ذلك الحارث بن ماضي الجرهمى . قال : ذلك مُؤَدِّيَها ، وأنا

* الجهرة : ٤٦

(١) لجج السفينة : خاضت اللجة . وبلة البحر : معظمه . (٢) تحشش : تحرك ، أناف :
أشرف . (٣) المجون : جبل بعكة ومقرة .

قائلها في الحرب التي كانت بينكم عشر خُرَّاعة وبين جُرُّهم .

يا أخا قريش ؟ أَوْلَد عبد المطلب بن هاشم ؟ قلت : أين يذهب بك ، رحمك الله ، فربما وعظم وقال : أرى زماناً قد تقارب إبأه ، أَفَوْلَد ابنه عبد الله ؟ قلنا : وأين يذهب بك ، إنك لتسألنا مسألةَ مَنْ كان في الموتى .

قال : فتزايدي ، ثم قال : فابنه محمد المادى ؟ قلت : هيئات ! مات رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أربعين سنة .

فشهق حتى ظننا أن نفسه قد خرجت ، وانقضت حتى صار كالفرخ وأنشا يقول :

ولرُبَّ راجِ حِيلَ دون رجائه ومؤمِّلٍ ذهبت به الآمال

ثم جعل ينوح وييكي ، حتى بل دمعه لحيته ، فبكينا لبكائه ، ثم قال : ويحسما ! فمن ول الأمر بعده ؟ قلنا : أبو بكر الصديق ، وهو دجل من خير أصحابه . قال : ثم من ؟ قلنا : عمر بن الخطاب ، قال : أفن قومه ؟ قلنا : نعم . قال : أما إن العرب لا تزال بخير ما فعلت ذلك !

١٢٧ - نجى^(١) سواد بن قارب*

وفد سواد بن قارب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فسلم عليه فرد السلام، فقال عمر: ياسواد! قال: ليك يا أمير المؤمنين! قال: ما بقي من كهانتك؟ فقضب ثم قال: يا أمير المؤمنين؟ ما أذنك استقبلت بهذا الكلام غيري؟ فلما رأى عمر الكراهة في وجهه قال: ياسواد! إن الذي كننا عليه من عبادة الأوّلَانِ أَعْظَمُ مِنْ الْكَهَانَةِ، فحدثني بحديث كنت أشتته أسمعه منك.

قال: نعم يا أمير المؤمنين، بينما أنا في إلبي بالسراء، وكان لي نجى من الجن؛ إذ أتاني في ليلة وأنا كالنائم، فركضني برجله، ثم قال: قم يا سواد، فقد ظهر بهامة نبى يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم، قات: تنح عن فإني ناعس؛ فوى عنى وهو يقول:

مجبت للجن وتطلاها	وشنده العيس بأكوارها ^(٢)
تهوى إلى مكة تبغى المدى	ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم	بين روابها وأحجارها

نم لakan في الليلة الثانية أتاني، فقال مثل ذلك القول، قلت: تنح عن فإني ناعس، فوى عنى وهو يقول:

عجابت للجن وتخبارها ^(٣)	وشنده العيس باتفاقها
------------------------------------	----------------------

* بلوغ الأربع: ٢ - ٣٠٣ ، الجمهرة: ٢٥

(١) النجى: من يلقى بالقول السر. (٢) الأكوار: جمع كوار، وهو الرجل. (٣) الأقتاب: جم قتب، وهو ما يوجد على سطح البعير.

تهوى إلى مكة تبغي المدى
ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم
ليس قداماها كاذنابها

ثم أتاني في الليلة الثالثة ، فقال مثل ذلك ، قلت : إنى ناعس ، فولى عن
وهو يقول :

عييت للجن وإنجاسها^(١)
وشدّها العيس بأحلاسها^(٢)
تهوى إلى مكة تبغي المدى
ما مؤمنو الجن كأنجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم
واسم بعينيك إلى رأسها

قال سواد : فلما أصبحت يا أمير المؤمنين أرسلت لناقة من إبلی ،
вшددت عليها ، وأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأسلمت وبأيمت ، وأنشأت
أقول :

أتأني نجي^٣ بعد هذه^(٣) ورقدة^(٤)
ولم يك فيها قد بلوت بـكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة^(٥)
أتأك رسول من لؤي بن غالب
في الذعلب الوجناء بين السباب^(٦)
فشررت عن ذيلي الإزار وأرقلت^(٧)
وأنك مأمون على كل غائب
فأشهد أن الله لا رب غيره
إلى الله يابن الأكرمين الأطاييف^(٨)
وأنك أدنى المرسلين وسيلة

(١) أوجس : وقع في نفسه الحوف . (٢) الملمس : كساء رقيق يكون تحت البردعة بغزة
المرشحة . (٣) المهد : السكون . (٤) أرقلت : أسرعت . (٥) الذعلب : الناقة السريعة ،
تشبهت بالذعلبة وهي النعامة اسرعتها (اللسان مادة ذعلب) ، والوجناء : الشديدة . والسباب ،
جمع سبب : المفازة .

فمرنـى بما أحبـتْ يـا خـيرـا مـُرـسـلـى
وـانـ كـانـ فـيـما قـلـتـ شـيـبـ الذـوـائـبـ
وـكـنـ لـىـ شـفـيـعـا يـوـمـ لـاـ ذـوـ شـفـاعـةـ
مـعـنـ فـتـيـلـاـ عـنـ سـوـادـ بـنـ قـارـبـ
فـقـرـحـ رـسـوـلـ اللـهـ وـأـصـحـابـهـ بـمـقـالـتـيـ فـرـحـاـ شـدـيدـاـ حـتـىـ رـُبـيـ الفـرـحـ فـيـ وـجـوهـهـمـ ؟
فـوـثـبـ إـلـيـهـ عـمـرـ فـالـزـمـهـ ،ـ وـقـالـ :ـ قـدـ كـنـتـ أـحـبـ أـنـ أـسـمـعـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ مـنـكـ ،ـ
فـهـلـ يـأـتـيـكـ رـئـيـكـ الـيـوـمـ ؟ـ فـقـالـ :ـ مـنـذـ قـرـأـتـ الـقـرـآنـ فـلـاـ ،ـ وـنـعـ الـعـوـضـ كـتـابـ اللـهـ
تعـالـىـ مـنـ الـجـنـ !ـ

•

١٢٨ — ليلي الأخيلية على قبر توبة*

مررت ليلي الأخيلية^(١) مع زوجها قبر توبة بن الحمير ، فقال لها : هذا قبر
الكذاب الذي قال :

ولو أنَّ لي ليلي الأخيلية سلمتْ علىَ ودوني جندلْ وصفائحُ
لسلمتْ تسليمَ البشاشةِ أو زقاً إلَيْها صدَّى من جانب القبرِ صائِحُ
قالت : دعه ، فقال : أقسمتُ عليكِ إلا مادنوتِ منه فسلمتْ عليه . فأبَتْ ،
فشكَرَ عليها ذلك ، فلما تقدَّمتْ إلى القبر ، وقالت : السلام عليكِ يا توبة ، طار من
جانب القبر طائرٌ كان هناك ، وزقاً ونفر منه جملٌ ليلي ، فوُقعت من أعلىه فاندقتْ
عنقها وماتت من وقها !

* ديوان الصباية : ١٨٤

(١) هي ليل بنت عبد الله من بنى الأخيل بن عامر ، من النساء المتقدمات في الشعر ، وكان توبة
بن الحمير يهواها ، وقال فيها الشعر الكثير ثم تزوجها ، توفيت سنة ٨٠ هـ .

* ١٢٩ — جان يختطف فتاة*

حدث زيد بن النضر الحارني قال : كنا على غَدِير لنافى الجاهلية ، ومعنا رجل من الحي يقال له : عمرو بن مالك ، معه بنية له شابة ، على ظهرها ذُؤابة ، فقال لها أبوها : خذى هذه الصَّحْفَة ، ثم ائتي الغدير ، فيجيئنا بشئ من مائة .

فانطلقت فوافقها عليه جان فاختطفها ، فذهب بها ؛ فلما فقدناها نادى أبوها في الحي ، فخرجنا على كل صعب وذلول^(١) ، وقصدنا كل شعب^(٢) ونقب ، فلم نجد لها آثراً ؛ ومضت على ذلك السنون ، حتى كان زمن عمر بن الخطاب ، فإذا هي قد جاءت ، وقد عفأ^(٣) شعرها وأظفارها ، وتغيرت حالمها ، فقال لها أبوها : أى بنية ؟ أنى كنت ؟ وقام إليها يقبلها ، ويشَمْ ريحها ، قالت : يا أبا ؟ أتذكر ليلة الغدير ؟ قال : نعم ! قالت : فإنه وافقني عليه جان ، فاختطفني ، فذهب بي ، فلم أزل فيهم ، حتى إذا كان الآن غزا هو وأهله قوماً مشركين ، أو غزاهم قوم مشركون ، فجعل الله تبارك وتعالى نذراً إنهم ظفروا بعدهم أني عتني ويردني إلى أهل ظفروا ؛ فحملني فأصبحت عندكم ، وقد جعل بيني وبينه أمارة ، إن احتجت إليه أن أولئك بصوتي ، فإنه يحضرني .

* المتنى من أخبار الأصمى : ١٣

(١) الصعب : الجبل الصهى ، والذلول : الجبل المحادى . (٢) الشعب : الطريق في الجبل ، وموسيل الماء في بطن أرض ، أو ما انفرج بين الجبلين . (٣) عفا شعرها : كثر وطال .

فأخذ أبوها من شعرها وأظافرها، وأصلح من شأنها، وزوجها رجلاً من أهله؟
فوق بيتها وبينه ذات يوم ما يقع بين المرأة وبعلها فغيرها، وقال: يا مجنونة!
والله، إن نشأت إلا في الجنة.

فصاحت وولدت بأعلى صوتها، فإذا هاتف يهتف: يامعشر بنى الحارث؟
اجتمعوا وكونوا حيَا كراماً، فاجتمعنا فقلنا: ما أنت - رحمك الله؟ فإننا نسمع
صوتاً ولا نرى شخصاً! فقال: أنا رب^(١) فلانة، رعيتها في الجاهلية بحسبى؛
وصنعتها في الإسلام بدينى، والله إن نلت منها محراً مَّا قط! واستغاثت في هذا
الوقت، فحضرت فسألتها عن أمرها، فزعمت أن زوجها غيرها بأنها كانت فينا،
والله، لو كنت تقدمت إليه لفقت عينيه! فقلنا: يا عبد الله؟ لك الحباء والجزاء
والكافأة! فقال: ذلك إلـيـه (يعنى الزوج)!

ف قامت إليه عجوز من الحمى، فقالت: أـسـأـلـكـ عـنـ شـيـءـ؟ فقال: سـلـيـ اـقـالـتـ:
إنـ لـيـ بـنـيـ أـصـابـتـهاـ حـصـبـةـ^(٢)، فـقـمـزـقـ رـأـسـهاـ، وـقـدـ أـخـذـتـهاـ حـمـىـ الـرـبـنـ^(٣)؛ فـهـلـ لهاـ
مـنـ دـوـاءـ؟ قالـ: نـعـمـ! اـعـمـدـيـ إـلـىـ ذـبـابـ المـاءـ الطـوـيلـ الـقـوـائـمـ الذـىـ يـكـوـنـ عـلـىـ
أـفـوـاهـ الـأـنـهـارـ، فـخـذـىـ مـنـهـ وـاحـدـةـ، فـأـجـعـلـيـهـاـ فـيـ سـبـعـةـ أـلـوـانـ عـهـنـ^(٤)، مـنـ أـصـفـرـهاـ
وـأـجـرـهاـ وـأـخـضـرـهاـ وـأـسـوـدـهاـ، وـأـبـيـضـهاـ وـأـكـحـلـهاـ وـأـزـرـقـهاـ، ثـمـ اـفـتـلـيـ ذـلـكـ الصـوـفـ
بـأـطـرـافـ أـصـابـعـكـ، ثـمـ اـعـقـدـيـهـ عـلـىـ عـضـدـكـ؛ فـقـعـلـتـ أـمـهـاـ ذـلـكـ، فـكـانـاـ نـشـطـتـ
مـنـ عـقـالـ!

(١) رب: كافل. (٢) الحصبة: يخرج بالجسد. (٣) الربع في الحمى: أن تأخذ يوماً وتدفع يومين، ثم تجيئ في اليوم الرابع. (٤) العهن: الصوف.

١٣٠ — لا بقاء للإنسان*

لبس سليمان^(١) بن عبد الملك يوم الجمعة في ولايته لباساً شهير به ، وتمطر ودعا
بَقَّخت^(٢) فيه عائمه ، وبهذه مرأة ، فلم يزل يعمّ بوحدة بعد أخرى حتى رضى
بوحدة منها ، فارخي من سُدوها ، وأخذ بيده مخصرة^(٣) ، وعلا المنبر ناظراً في
عطفيه ، وجمع جمه ، وخطب خطبته التي أرادها ، فأعجبته نفسه ، فقال : أنا الملك
الشاب ، السيد المهاب ، السكريم الوهاب ، فتمثلت له جارية من بعض جواريه ،
فقال لها : كيف ترين أمير المؤمنين ؟ قالت : أراه مُنِي النفس ، وقرة العين ، لو لا
ما قال الشاعر ! قال : وما قال الشاعر ؟ قالت :

أنت نعم الممتع لو كنتَ تَبْقَى غير أن لا بقاء للإنسان
أنت من لا يريانا منك شيء علم الله - غير أنك فان

فدمعت عيناه وخرج على الناس باكيًا ، فلما فرغ من خطبه وصلاته دعا
بالجارية ، فقال لها : ما دعاك إلى ما قلت لأمير المؤمنين ؟ قالت : والله ما رأيت
أمير المؤمنين اليوم ، ولا دخلت عليه ؟ فاكبرَ ذلك ، ودعا بقيمة جواريه ،
فصدقتها في قوله ، فراع ذلك سليمان ، ولم ينفع بنفسه ، ولم يمكث بعد ذلك إلا
مدةً حتى توفى .

* مروج الذهب : ١ - ١٦٣

(١) سليمان بن عبد الملك من خلفاء بني أمية ، كانت أيامه أيام فتح وغزو وكان فصيحاً بلينا ،
إلا أنه كان نهما ، توفي سنة ٩٦ هـ . (٢) التخت : وعاء تصان فيه الثياب . (٣) المخصرة :
ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوها ، وما يأخذه الملك يشير به إذا خطب ، والخطيب إذا خطب .

١٣١ — الغَرِيْض يَتَلَقّى غَنَاءً عَنِ الْجَنُّ *

قال مولى آل الغَرِيْض (١) :

حدَّثْنِي بعض مَوْلَيَاتِي وقد ذَكَرَنَّ الغَرِيْض فترَحَّبَ عَلَيْهِ وقلَّنَ : جاءَنَا يَوْمًا
 يَحْدَثُنَا بِمَحْدِثِ أَنْكَرْ نَاهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ عَرَفْنَا بَعْدَ ذَلِكَ حَقِيقَتَهُ ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ
 وَجَهًا صَغِيرًا وَكَبِيرًا ، وَكَنَا نَلْقَى مِنَ النَّاسِ عَنَّتًا بِسَبِيلِهِ ، وَكَانَ ابْنُ سُرِيجٍ فِي
 جَوَارِنَا فَدَفَنَاهُ إِلَيْهِ فَلَقِنََ الْفَنَاءَ ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا فَقْتَنِ أَهْلِ مَكَةَ
 بِحُسْنِ وَجْهٍ مَعَ حَسْنِ صَوْتِهِ ؛ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ابْنُ سُرِيجٍ نَحْتَاهُ عَنْهُ ، وَكَانَ بَعْضُ
 مَوْلَيَاتِهِ تَعْلَمُهُ النِّيَاحَةَ ، فَبَرَزَ فِيهَا ، فَجَاءَنِي يَوْمًا قَالَ : هَذِهِ الْجَنُّ أَنْ أُنْوَحُ ،
 وَأَسْمَعْتَنِي صَوْتًا عَجِيبًا ، فَقَدْ ابْتَنَيْتُ عَلَيْهِ لَهْنًا فَاسْمَعْتَهُ مِنِّي ، وَانْدَفَعَ فَفَنِي بِصَوْتٍ عَجِيبٍ
 فِي شِعْرِ الْمَرَّارِ الْأَسْدِيِّ :

حَلَقْتُ لَهَا بِاللهِ مَا بَيْنَ ذَيِّ الْفَضَّا وَهَضْبِ الْقَنَانِ (٢) مِنْ عَوَانٍ وَلَا بِكْرٍ
 أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْكَ دَلَّا وَمَا نَرَى بِهِ عِنْدَ لَيْلَى مِنْ ثَوَابٍ وَلَا أَجْرٍ
 فَكَذَّبَنَا وَقَلَّنَا : شَيْءٌ فَكَرَّ فِيهِ وَأَخْرَجَهُ عَلَى هَذَا الْلَّهُنَّ ، فَسَكَانُ فِي كُلِّ يَوْمٍ
 يَأْتِينَا فِي قَوْلٍ : سَمِعْتُ الْبَارِحةَ صَوْتًا مِنَ الْجَنِّ بِتَرْجِيمٍ وَتَقْطِيعٍ قَدْ بَنَيْتَ عَلَيْهِ صَوْتَ
 كَذَا وَكَذَا بِشِعْرٍ فَلَانَ ، فَلَمْ يَزُلْ عَلَى ذَلِكَ وَنَحْنُ نُنْسَكِرُ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَا لِكَذَلِكَ لَيْلَةٍ

* الأَغَانِي : ٢ - ٣٧٣

(١) اسْمُهُ عَبْدُ الْمَلِكَ ، وَالْغَرِيْضُ لَقْبُهُ ، كَانَ يَضْرِبُ بِالْعُودَ ، وَيَنْتَرُ بِالْدَفَ ، أَخْذَ الْفَنَاءَ عَنِ ابْنِ
 سُرِيجٍ ثُمَّ فَاقَ عَلَيْهِ ، وَتَوَفَّ فِي خَلَافَةِ سَلَيْهَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . (٢) الْقَنَانُ : جِبَلٌ لَبْنَ أَمْدَ .

وقد اجتمع جماعةٌ من نساء أهل مكة في جمع سَمْرٍ^{نَا} في ليلتنا ، والغريض ينفيها

بشعر عمر بن أبي ربيعة :

أَمِنْ آل زينب جَدَ الْبُكُورِ نَعَمْ فَلَلَّا يَ هُواهَا تَصِيرُ

إِذْ سَمِعْنَا فِي بَعْضِ الْلَّيْلِ عَزِيزًا عَجِيبًا وَأَصْوَاتًا مُخْتَلِفَةً ذُعْرَتْنَا وَأَفْزَعْتْنَا ، قَالَ لَنَا

الغريض : إِنْ فِي هَذِهِ الْأَصْوَاتِ صَوْتًا إِذَا نَمِتْ سَمْعُهُ ، وَأَصْبَحَ فَأْبَنِي عَلَيْهِ غِنَائِي ،

فَأَصْفَيْنَا إِلَيْهِ ، فَإِذَا نَفَمْتَهُ نَفَمَةَ الغَرِيْبِ بَعْيَنَهَا ، فَصَدَقَنَا هَذِهِ الْلَّيْلَةِ .

١٣٢ - شيطان أبي نواس*

قال رَزِينُ الْكَاتِبُ : اجتمعنا يوْمًا أَنَا وَأَبُو نواسٌ^(١) وَعَلَى بْنِ الْخَلِيلِ فِي سُوقِ الْسَّكْرَخِ^(٢) ، وَكُنَّا نَجْتَمِعُ وَنَتَنَاهُدُ إِلَيْهِ وَنَتَذَاكِرُ الْأَخْبَارُ وَنَتَحْدِثُ بِهَا ، قَالَ أَبُو نواسٌ : أَدْبَرَ مَنْ كَانَ فِي نَفْسِي ، وَكَانَ أَسْرَعَ الْخَلْقِ فِي طَاعَتِي ؟ فَمَا أَدْرِي مَا أَحْتَالَ لَهُ ؟ قَالَ عَلَى بْنُ الْخَلِيلِ يَمَازِحُهُ : يَا أَبا عَلِيٍّ ؟ سَلْ شِيخَكَ وَأَسْتَاذَكَ يُعْظِّفُهُ عَلَيْكَ ؟ قَالَ لَهُ أَبُو نواسٌ : مَنْ تَعْنِي ؟ قَالَ : مَنْ أَنْتَ فِي طَاعَتِهِ لِيَلَكَ وَنَهَارَكَ - يَعْنِي إِبْلِيسَ ، فَإِنْ لَمْ يَقْضِ لَكَ هَذِهِ الْحَاجَةَ ، فَمَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَسْأَلَ مَسَأَةً ، وَلَا أَنْ تُهْرِرَ عَيْنَهُ بِعَصَمِيَّةٍ . قَالَ : هُوَ أَسْدُ رَأْيِيَّاً مِنْ أَنْ يُخْلِلَ بِي أَوْ يَخْذُلُنِي ، وَأَنْفَضَى مُجْلِسَنَا ذَلِكَ .

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَامًا اجْتَمَعْنَا فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، وَأَخْذَنَا فِي أَحَادِيثِنَا ، فَضَحَّكَ أَبُو نواسٌ ، قَلَّنَا لَهُ : مَا أَضْحَكَكَ ؟ قَالَ : ذَكَرْتُ قَوْلَ عَلَى بْنِ الْخَلِيلِ يَوْمَئِذٍ : سَلْ شِيخَكَ يُعْظِّفُهُ عَلَيْكَ ، حِينَئِذٍ قَدْ سَأَلْتُهُ يَا أَبا الْحَسْنِ ، فَقَضَى الْحَاجَةَ ، وَمَا مَضَتْ وَاللهُ ثَالِثُهُ حَتَّى أَتَانِي مِنْ غَيْرِ أَنْ أَبْعَثَ إِلَيْهِ وَمِنْ غَيْرِ أَنْ أَسْتَزِيرَهُ ، فَعَاتَبَنِي وَاسْتَرْضَانِي ، وَكَانَ الْفَضْبُ مِنِي وَالتَّجْنِي ، وَأَحْسَبَ الشَّيْخَ - يَعْنِي إِبْلِيسَ -

* عَصْرُ الْمُؤْمِنِ : ٣ - ٢٣٣

(١) هو الحسن بن هانيٌ، رحل إلى بغداد، واتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، وهو أول من نهج للشعر طريقته المحضرية، وأخرج من اللهجة البدوية، توفي سنة ١٩٢ هـ .
(٢) من أسواق بغداد .

فأنشد: **كان يتسمّع علينا في وقت كلامنا، وقد قلت أبياتاً في ذلك؟ فقلنا: هاتـا،**

لَا جفانِ الحبيبُ وامتنعتْ
عَنِ الرِّسالاتِ مِنْهُ وَالْخَبْرُ
ذَكْرُ حَبِيبِي وَالْمَهْمُ وَالْفِكْرَ
فِي خَلْوَةِ الدَّمْوعِ تَنْحَدِرُ :
أَقْرَحَ جَفْنِي الْبَكَاءَ وَالسَّهْرُ
صَدَرَ حَبِيبِي وَأَنْتَ مَقْتَدِرٌ
وَلَا جَرِي فِي مَفَاصِلِ السَّكَرِ^(١)
حَتَّى أَتَانِي الحَبِيبُ يَعْتَذِرُ
عَنْدِي لِإِبْلِيسِ مَا لَهَا خَطَرُ

(١) السكر : السكر .

١٣٣ — إبليس في ضيافة إبراهيم الموصلي*

قال إبراهيم بن إسحاق الموصلى :

سألتُ الرشيد^(١) أن يَهَبَ لى يوماً في الجمعة لا يبعثُ فيه إلى بوجه ولا بسبب
لَا خلوَ فيه بجوارى وإخوانى ، فأذن لى في يوم السبت ، وقال لى : هو يوم
أَسْتَقْلِلُه ، قاله فيه بما شئت ؟ فاقت يوم السبت بمنزلى ، وتقىدتُ في إصلاح
طعامى وشرابى بما احتجتُ إليه ، وأمرتُ بوابى فأغلق الأبواب ، وتقىدتُ^(٢)
إليه ألا يأذنَ على لأحد .

فيينا أنا في مجلسى والخدم قد حفوا بي وجوارى يتربَّدُون بين يدى ، إذا أنا
 بشيخ ذى هيئة وجمال ، عليه قيسان ناعمان وخفاف قصيران ، وعلى رأسه قلنوسوة
 لاطئة^(٣) ، ويده عكازة مُقمعة بفضة ، ورواحم المسک تفوح منه حتى ملا
 البيت والدار ، فداخلنى بدخوله على - مع ما تقدمت فيه - غيط ماتداخلنى قط مثله ،
 وهمت بطرد بوابى ومن حجبنى لأجله ، فسلم على أحسن سلام ؛ فرددت عليه ،
 وأمرته بالجلوس مجلس ، ثم أخذتني في أحاديث الناس وأ أيام العرب وأحاديثها
 وأشعارها حتى سلَّى مابي من الغضب ، وظنت أن غلمنى تحرروا مسرتى يادخالم
 مثله على لأدبه وظرفه .

(*) الآنانى : ٥ - ٢٣١ ، ذيل زهر الآداب : ٢٦٤

(١) أعظم خلفاء بنى العباس ، وأكبرهم شأنًا ، كان حافظاً كثير الجهد وافر العطاء . توف

سنة ١٩٣ . (٢) تقدمت إليه : أمرته . (٣) الاطئة : قلنوسوة صغيرة تلرق بالرأس .

قلتُ : هل لك في الطعام ، فقال : لا حاجةَ لِي فيه ، قلتُ : هل لك في الشراب ، فقال : ذلك إِلَيْكَ ، فشربَتُ رطلاً وسقيته مثلك ، فقال لي : يا أبا إِسحاق ! هل لك أن تُنْفِنِي لنا شيئاً من صنعتك وما قد نفقتَ^(١) به عند اخْرَاصِ الْعَامِ ؟ ففاضتُ قوله ، ثم سهَّلتُ على نفسي أمرَه ، فأخذتُ العود بجسسه ثم ضربت فغَيْتُ ، فقال : أَحْسَنْتَ يَا إِبْرَاهِيمَ ! فازداد غيظي وقلتُ : مارضى بما فعله من دخوله على بغير إذن واقتراهه أن أغْنَيه حتى سَمَّاني ولم يُكَنِّي ولم يُجِّيل مخاطبتي ! ثم قال : هل لك أن تزيَّدَنا ؟ فتَذَمَّمتُ^(٢) فأخذتُ العود فغَيْتُ ، فقال : أَجَدْتَ يَا أبا إِسحاق ! فَأَتَمَّ حَتَّى نَكَافِئَكَ وَنُفْنِيَكَ ، فأخذتُ العود وفَنَيْتُ وتحفَّظْتُ وقتُ بما غَنَيْتُه إِيَّاه قِياماً تاماً ماتحفَّظْتُ مثلَه ، ولا قَتُّ بُغَنَاءَ كَانَتْ بِه لَه بَيْنَ يَدَيْ خَلِيقَةَ قَطْ وَلَا غَيْرَه ، لقوله لى : أَكَافِئُكَ ، فطَرِبَ وقال : أَحْسَنْتَ يَا سَيِّدِي ، ثم قال : أَتَأْذِنْ لِعِبْدِكَ بِالْفَنَاءِ ؟ قلتُ : شَأْنَكَ ، واستضفتُ عَقْلَه فِي أَنْ يَفْنِي بِحُضْرَتِي بَعْدَ مَا سَمِعَه مِنِي ، فأخذ العود وجسده فوَالله أَخْلَطَه يُنْطَقُ بِالْسَّانِ عَرَبِي لِحَسْنِ مَا سَمِعَه مِنْ صَوْتِه ثُمَّ تَغَنَّى :

وَلِكِيدُ مَقْرُوحةٌ مَنْ يَدِيعُنِي
بِهَا كِيداً لِيَسْتَ بِذَاتِ قُرُوحٍ
أَبَاها عَلَى النَّاسِ لَا يَشْتَرُونَهَا
وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عِلَّةً بِصَحِيحٍ
أُنِينٌ مِنَ الشَّوْقِ الَّذِي فِي جَوَانِي
أُنِينٌ غَصِيصٌ بِالشَّرَابِ جَرِيجٌ
قال إِبْرَاهِيمُ : فوَالله لَقَدْ ظَنَنتُ الْحَيْطَانَ وَالْأَبْوَابَ وَكُلَّ مَا فِي الْبَيْتِ يَجْمِيعِه

(١) نفقة : يزيد سار ذكرك به . (٢) تذمّم الرجل : استنكف ، ويقال : لم أترك الكذب فأنمأ لتركته تذمما .

وَيُغْنِي مَعَهُ مِنْ حُسْنِ غَنَائِهِ ، حَتَّى خَلَتُ وَاللَّهُ أَنِّي أَسْمَعُ أَعْضَائِي وَنِيابِي تَجْاوِبَهُ !
وَبَقِيتُ مَبْهُوتًا لَا أُسْتَطِيعُ الْكَلَامَ وَلَا الْجَوابَ وَلَا الْحَرْكَةَ لِمَا خَالَطَ قَلْبِي ،
ثُمَّ غَنِيَ :

أَلَا يَا حَمَامَاتِ اللَّوَى عَدْنَ عَوْدَةَ فَإِنِّي إِلَى أَصْوَاتِكُنَّ حَزِينُ
فَعُدْنَ فَلَمَّا عَدْنَ كَيْدَنْ يُمِتَنَّى وَكَدَتُ بِأَسْرَارِي هُنْ أَبِينُ
دَعَوْنَ بِتَرَدَادِ الْهَدِيرِ كَأَنَّهَا سُقِينَ حُيَّا أَوْ بَهْنَ جُنُونُ
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مُثْلِنِ حَمَانَهَا بَكِينَ وَلَمْ تَدْمَعْ هُنْ عَيْنُ
فَكَادَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، عَقْلِي أَنْ يَذْهَبْ طَرَبًا وَارْتِيَاحًا لَمَا سَمِعْتُ ، ثُمَّ غَنِيَ :
أَلَا يَا صَبَا نَجِدٍ مَتِّي هِيجَتْ مِنْ نَجِدٍ
لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكَ وَجَدَّا عَلَى وَجَدٍ
أَلَّا نَهَقْتُ وَرْقَاءَ فِرْوَنَقَ الضَّحَى^(١)
عَلَى قَنَ غَضَّ النَّبَاتَ مِنَ الرَّنَد^(٢)
بَكِيتَ كَا يَبْكِيَ الْحَزِينُ صَبَابَةَ
وَذَبْتَ مِنَ الْحَزَنِ الْمَبْرُّ وَالْجَهْدَ
يُمَلُّ وَأَنَّ النَّايَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدَ
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْحَبَّ إِذَا دَنَا
عَلَى أَنَّ قَرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبَعْدَ
بَكْلَ تَدَاوِينَا فَلَمْ يُشْفَ مَا بَنا
عَلَى أَنَّ قَرْبَ الدَّارِ لَيْسَ بَنَافِعَ
ثُمَّ قَالَ : يَا إِبْرَاهِيمُ ؛ هَذَا الْفَنَاءُ نَخْذُهُ وَأَنْحِي نَحْوَهُ فِي غَنَائِكَ وَعَلَّمَهُ جَوَارِيكَ ،
قَالَ : أَعِدْهُ عَلَيَّ ، فَقَالَ : لَسْتَ تَحْتَاجُ ، قَدْ أَخْذَتَهُ وَفَرَغْتَ مِنْهُ ، ثُمَّ غَابَ مِنْ
بَيْنِ يَدِيَ فَارْتَعَتُ وَقْتَ إِلَى السِّيفِ بِغَرَّدَتِهِ ، وَعَدْتُ نَحْوَ أَبْوَابِ الْحَرَمِ فَوَجَدْتُهَا
مُفْلِقَةً ، قَلْتُ لِلْجَوَارِيَ : أَئِي شَيْءٍ سَمِعْتَنِي عَنْدِي ؟ فَقَلَنَ : سَمِعْنَا أَحْسَنَ غَنَاءَ

(١) رونق الضجا : حسنة وإشراقة . (٢) الرند : شجر طيب الرائحة .

سِعْ قَطَّ ، نَخْرَجَتْ مُقْبَحِيًّا إِلَى بَابِ الدَّارِ ، فَوُجِدَتْ مُعْلَقاً ؛ فَسَأَلَتْ الْبُوَّابَ عَنِ الشَّيْخِ . قَالَ لَهُ : أَى شَيْخٍ هُوَ ؟ وَاللَّهِ مَا دَخَلَ إِلَيْكَ الْيَوْمَ أَحَدٌ ، فَرَجَعَتْ لَا تَأْمُلُ أَمْرِي ، فَإِذَا هُوَ قَدْ هَتَّفَ بِي مِنْ بَعْضِ جُوانِبِ الْبَيْتِ : لَا يَأْسٌ عَلَيْكَ يَا أَبا إِسْحَاقِ ! أَنَا إِبْلِيسٌ وَأَنَا كَنْتُ جَلِيلَكَ وَنَدِيمَكَ الْيَوْمَ ، فَلَا تُرْعِزْ .

فَرَكِبَتْ إِلَى الرَّشِيدِ وَقَلَتْ : لَا أَطْرُفَهُ أَبْدَا بِطُرُوفَةِ مِثْلِ هَذِهِ ، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ خَدْنَتِهِ بِالْحَدِيثِ ، قَالَ : وَيْحَكَ ! تَأْمُلْ هَذِهِ الْأَصْوَاتَ ، هَلْ أَخْذَتْهَا ؟ فَأَخْذَتِ الْعُودَ أَمْتَحِنُهَا ، فَإِذَا هِيَ رَاسِخَةٌ فِي صَدْرِي كَأَنَّهَا لَمْ تَزُلْ ، فَطَرَبَ الرَّشِيدَ وَجَلَسَ يَشْرَبُ وَلَمْ يَكُنْ عَزَمٌ عَلَى الشَّرَابِ ، وَأَمْرَلَ بِصَلَةٍ وَحُمْلَانٍ وَقَالَ : الشَّيْخُ كَانَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ لَكَ مِنْ أَنْكَ أَخْذَتِهَا وَفَرَغْتَ مِنْهَا ، فَلَيْتَهُ أَمْتَعَنَا بِنَفْسِهِ يَوْمًا وَاحِدًا كَأَمْتَعَكَ !

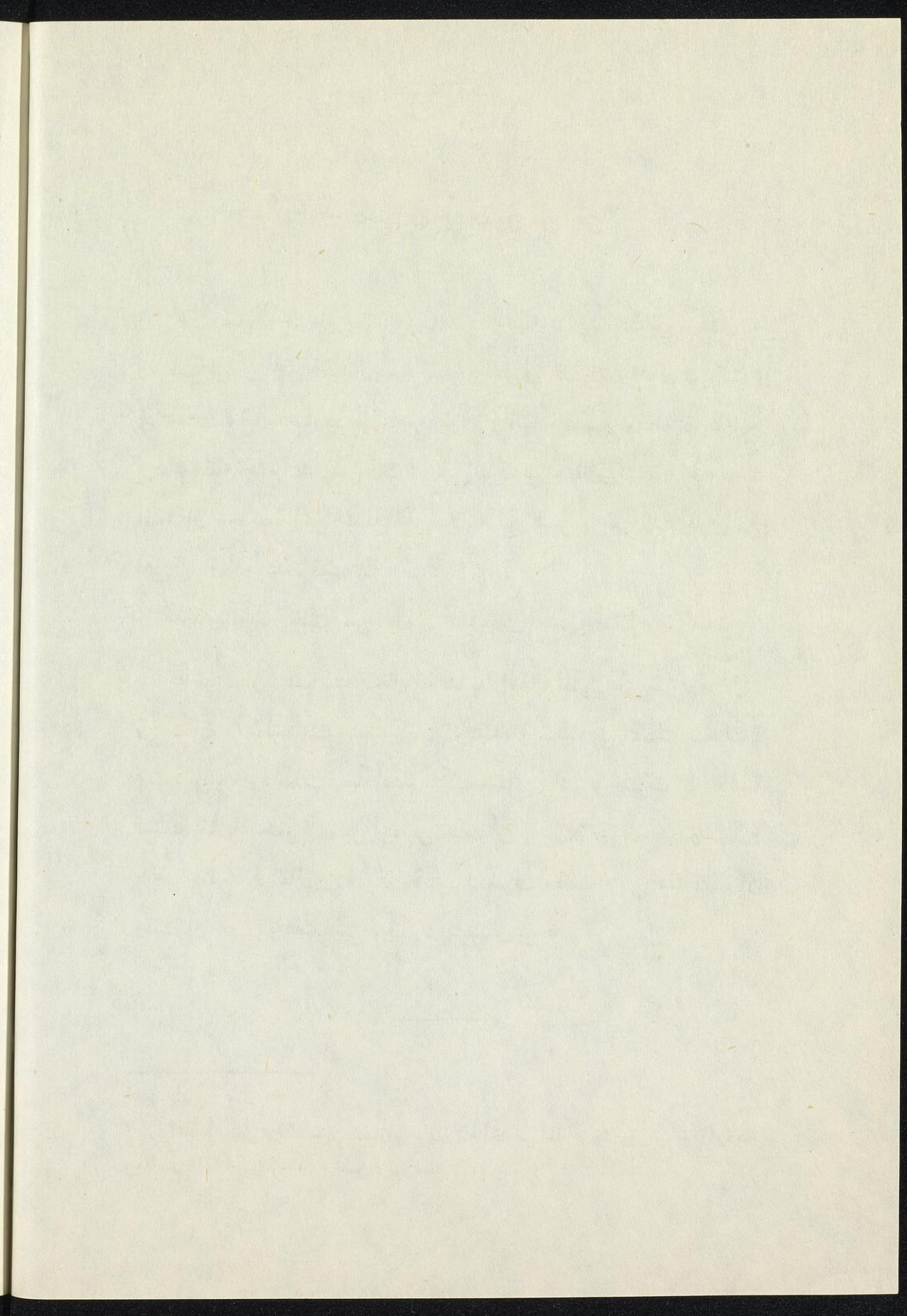
* ١٣٤ — دعبدل بن على ورجل من الجن

قال دعبدل^(١) بن على : لما هربت من الخليفة بتليلة بنيسابور وحدي ،
وعزمت على أن أعمل قصيدة في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة ؟ فإني لفي ذلك ؛
إذ سمعت - والباب مرودد على - من يقول : السلام عليكم ورحمة الله ، انج
يرحمك الله ، فاقشر بدني من ذلك ، ونالني أمر عظيم ، فقال لي : لا ترُغ ، عافاك
الله ، فإني رجل من إخوانك من الجن من ساكني اليمن ، طرأ علينا طارى من
أهل العراق ، فأنشدنا قصيتك :

مدارس آيات خلت من قلاوة منزل وحى مُقْفَر العَصَاتِ
فأحببت أن أسمعها منك . قال : فأنشدته إليها ، فبكي حتى خر ، ثم قال :
رَحِمَكَ الله ، ألا أحدثك حديثاً يزيد في نيتك ، ويُعينك على التمسك بمذهبك ؟
قلت : بلى ، قال : مكثت حيناً أسمع بذكر جعفر بن محمد ، فصرت إلى المدينة
فسمعته يقول : حدثني أبي عن أبيه عن جده : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« على شيعةهم الفائزون » ، ثم ودعني لينصرف ، فقلت له : يرحمك الله ، إن
رأيت أن تخبرني باسمك فافعل ، فقال : أنا ظبيان بن عامر !

* الأغاني : ٢ - ٣٩

(١) شاعر مطبوع هجاء خبيث اللسان ، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا وزرائهم ولا أولادهم
ولا ذوي نباهة أحسن إليه ألم يحسن ، توفي سنة ٢٤٦ هـ



البَابُ السِّادُونُ

فِي الْقَصْصِ الَّتِي تَسْدِدُ بَارِعَ الْمَلْحِ الَّتِي أَثْرَتْ
عَنِ الْحَقِّ وَالْمَجَانِينَ، وَتَفْصِيلُ رِوَايَةِ النَّوَادِرِ الَّتِي فَاضَتْ بِهَا
قِرَائِبُ الطَّفَيْلِيِّينَ وَالْمَتَبَشِّيِّينَ، وَمَا يُشَبِّهُ ذَلِكَ مَا فِيهِ رَاحَةٌ
لِلنُّفُوسِ، وَنِشَاطُ الْخَوَاطِرِ.

١٣٥ — أَنْفَكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعَ *

دفع الريبع بن كعب المازني فرسماً كان قد أَبْرَهُ^(١) على التحيلِ كرماً وجودة
إلى أخيه كميش ليأتى به أهله ، وكان كميش مشهوراً بالحق ، وقد كان رجلٌ من
بني مالك يقال له : قُرَادُ بْنُ جُرم ، قدم على أصحاب الفرسن ؛ ليصيب منهم غرّة
فيأخذها ، وكان داهية ؟ فشكث فيهم مقينا ؛ لا يعرفون نسبه ، ولا يظهرون هو .
فأنا نظر إلى كميش راكبا الفرسن ركب ناقته ، ثم عارضه^(٢) ، فقال :
يا كميش ؟ هل لك في عانة^(٣) لم أر مثلها سِنَماً ولا عِظَماً ، وعِيرٌ^(٤) فيها الذهب ؟
فأما الآتُن فتروح بها إلى أهلك ، فتملاً قدورهم وتُفْرِح صدورهم ؛ وأما العِيرُ
فلا افتقار بعده !

قال له كميش : وكيف لنا به ؟ قال : أنا لك به ، وليس يُدْرِك إلا على فرسك
هذا ، ولا يرى إلا بليل ، ولا يراه غيري !

قال كميش : فَدُونَكَه ! قال : نعم ، وأَمْسِكْ أنت راحتى .

فركب قراد الفرسن ، وقال : انتظرنى في هذا المكان إلى هذه الساعة من غدوة .
قال : نعم !

ومضى قراد ؛ فلما توارى أنساً يقول :

ضَيَّعْتَ فِي الْعِيرِ ضَلَالًا مُهْرَكًا لَقَطَعَ الْحَى جَمِيعًا عِيرَكَا

* بِحُجَّ الْأَمْثَالِ : ٢ - ٢٢٦

(١) أَبْرَهُ على أصحابه : علام . (٢) عارضه : سار حياله . (٣) العانة : القطعيم من حر الوحش .

(٤) العِيرُ : القافلة تحمل الميرة .

فسوف تأتى بالموان أهداك
و قبل هذا ما خدمت الأنوك^(١)
فلم يزل كميش ينتظر حتى أمسى من غدراه وجاع . فلما لم ير له أثراً انصرف
إلى أهله ، وقال في نفسه : إن سألني أخي عن الفرس ، قلت : تحول ناقة !
لما رأه الربع عرف أنه خدع عن الفرس ؟ فقال له : أين الفرس ؟ قال : تحول
ناقة ! قال : فما فعل السرج ؟ قال : لم أذكُر السرج فأطلب له علة !
فصرعه الربع ليقتلها ؛ فقال له قنفذ بن جمونة : الله عما فاتك ، فإن أنفك
منك وإن كان أحْجَدَ^(٢) !

وقد قراد بن جرم على أهله بالفرس ، وقال في ذلك :
يُوَمِّلُ عِيرًا من نُضَارٍ وَسَجَدَ فهل كان لي في غير ذلك مطعم
وقلت له : أَمْسِكْ قلوصي^(٣) ولا تَرِم^(٤) خِدَاعًا له إذ ذو المكايد يخدع
فأَصْبَحَ يَرْمِي الْخاقِنَين بطْرِفِه وأَصْبَحَ تَحْتِي ذُو أَفَانِين^(٥) جُرْشُ^(٦)

(١) أنوك : أحق . (٢) صارت مثلاً : يضرب لمن يلزمك خدراه وشره ، وإن كان ليس يستخدم
القرب . (٣) القلوص من الإبل : الشابة . (٤) لاترم : لا تبرح . (٥) الأفانين : جم أفنان ،
وأفنان جم فن ، وهو الحصلة من الشعر ، يقول : إنه ذو خصل من الشعر في ناصيته وذنبه
(٦) الجrush : العظيم من الخيل .

* ١٣٦ — أبو رافع لا يكذب في نوم ولا يقظة *

حَكِيَ أَنَّ امْرَأَةَ أَبِي رَافِعٍ^(١) رَأَتْهُ فِي نَوْمٍ بَعْدَ مَوْتِهِ، قَالَ لَهَا: أَتَعْرِفُنِينَ فَلَا نَا الصَّيْرِفَ^(٢)؟ قَالَ لَهُ: نَمْ، قَالَ: فَإِنَّ لِي عَلَيْهِ مائِيَّةَ دِينَارٍ.

فَلَمَّا انتَهَتْ غَدَّةُ إِلَى الصَّيْرِفِ فَأَخْبَرَتْهُ، وَسَأَلَتْهُ عَنِ الْمائِيَّةِ الدِّينَارِ! قَالَ: رَحْمَ اللَّهِ أَبَا رَافِعَ، وَاللَّهِ مَا جَرَتْ بَيْنِي وَبَيْنِهِ مَعْالَةٌ قَطْ!

فَأَقْبَلَتْ إِلَى مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ فَوُجِدَتْ مُشَايخُ مِنْ آلِ أَبِي رَافِعٍ، كُلُّهُمْ مُقْبُولٌ القَوْلُ، جَاءُوا الشَّهَادَةَ، فَقَصَّتْ عَلَيْهِمُ الرَّوْءِيَا، وَأَخْبَرَتْهُمْ خَبَرَ هَامِعِ الصَّيْرِفِ، وَإِنْكَارَهُ لِمَا ادْعَاهُ أَبُو رَافِعَ.

قَالُوا: مَا كَانَ أَبُو رَافِعَ لِيَكْذَبَ فِي نَوْمٍ وَلَا يَقْظَةً! قَرِيبٌ صَاحِبُكَ إِلَى السُّلْطَانِ، وَنَحْنُ نَشَهِدُ لَكَ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا عَلِمَ الصَّيْرِفُ عَزْمَ الْقَوْمِ عَلَى الشَّهَادَةِ لَهُ! وَعْلَمَ أَنَّهُمْ إِنْ شَهَدُوا عَلَيْهِمْ يَرْجِعُ حَتَّى يُؤْدِيَهَا، قَالَ لَهُمْ: إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُصْلِحُوا بَيْنِي وَبَيْنِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ عَلَى مَاتِرْوَنَهُ فَاقْفَلُوا، قَالُوا: نَمْ، وَالصَّلْحُ خَيْرٌ، وَنَمَ الصلحُ الشَّطَرُ، فَأَدْإِلُوهَا مائِيَّةَ دِينَارٍ مِنَ الْمَائِيَّنِ، قَالَ لَهُمْ: أَفْعُلُ، وَلَكُنْ أَكْتُبُوا بَيْنِي وَبَيْنَهَا كِتَابًا يَكُونُ وَثِيقَةً لِي.

* الْقَدْ الْفَرِيدُ: ٤ - ٢٠٤

(١) أَبُو رَافِعٍ: مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَآلُ أَبِي رَافِعٍ مِنْ فَضْلَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَخِيَارِهِمْ، مَمْ بَلَهُ فِيهِمْ وَعَى شَدِيدٍ. (٢) الصَّيْرِفُ: صَرَافُ الدِّرَاهِمِ.

قالوا : وكيف تكون هذه الوثيقة ؟ قال : تكتبون لي عليهما أنّها قبضت مني مائة دينار صلحاً عن مائتي الدينار التي أدعّها أبو رافع في نومها ، وأنّها قد أبرأتني منها ، وشرطت على نفسها ألا ترى أبا رافع في نومها مرة أخرى ، فیدعى على بغير هذه المائتي الدينار ؟ فتتجلى بفلان وفلان يشهدان على لها . فلما سمعوا الوثيقة انتبه القوم لأنفسهم ، وقالوا : قبحك الله ، وقبح ما جئت به !

١٣٧ — أهلك أعلم بك ! *

كان لأبي الأسود ^(١) الدؤلي دُكان ^(٢) إلى صدر الجبل يجلس فيه وحده ،
ويضع بين يديه مائدة ، ويدعو إليها كل من يمر به ، وليس لأحد أن يجلس
فينصرفون عنه .

فرأه به صبيٌّ من الأنصار ، فقال له أبو الأسود : هل ^{إلى} الفداء يا فتى ! فأتى
إليه ، فلم يَرِ موضعًا يجلس فيه ، فتناول المائدة فوضعها في الأرض ؛ ثم قال :
يا أبو الأسود ، إن كان لك في الفداء حاجة فاذْنُل ، وأقبل الفتى يأكل ، حتى أتى
على جميع ما في المائدة ، وسقطت آخر الطعام من يده لقمة على الأرض فأخذها ،
وقال : لا أدعها للشياطين ! فقال أبو الأسود : والله ما تدعها للملائكة المقربين ،
فكيف تدعها للشياطين ؟ ثم قال له : ما اسمك ؟ قال : لقمان . فقال أبو الأسود :
أهلك كانوا أعلم زمانهم إذ سَمِوك بهذا الاسم ؛ ولم يَعُدْ ^{إلى} ما كان يصنع !

* ذيل زهر الآداب : ١٦٧

(١) هو: ظالم بن عمرو، وأبو الأسود كنيته، وكان قد أدرك حياة النبي، وسافر إلى البصرة على
عهد عمر ، واستعمله على بن أبي طالب على البصرة وكان شيعيا ، وهو أول من وضع العربية ،
توفي سنة ٦٩ هـ . (٢) الدكان : الدكة المبنية للجلوس عليها .

١٣٨ - المقادير تصير العي خطيباً*

وُصف عند الحاجاج^(١) رجلاً بالجمل؛ وكانت له إلية حاجة، فقال في نفسه:
لَا خَتِيرَنَّه ! ثم قال له حين دخل عليه: أَعِصَمِي أَنْتَ أَمْ عَظَامِي^(٢) ؟ فقال الرجل:
أَنَا عِصَمِي وَعَظَامِي ، فقال الحاجاج : هذَا أَفْضَلُ النَّاسِ ، وَقَضَى حَاجَتَهُ وَزَادَهُ ،
وَمَكَثَ عِنْدَهُ مُدَّةً .

ثُمَّ باحثَهُ فوجده أَجْهَلَ النَّاسِ ، فقال له : تَصْدِقُنِي وَإِلَّا قُتْلُوكَ ، قال له :
قُلْ مَا بَدَأَكَ وَأَصْدِقُكَ ! قال : كَيْفَ أَجِبْتَنِي بِمَا أَجْبَتْ لَمَّا سَأَلْتُكَ عَمَّا سَأَلْتُ[؟]
قال له : وَاللَّهِ لَمْ أَعْلَمْ : أَعِصَمِي خَيْرُ أَمْ عَظَامِي ! نَخْشِيُّ أَنْ أَقُولَ أَحَدُهُمَا فَأُخْطِيَءَ
فَقَلَتْ : أَقُولُ كُلَّيْهِمَا ، فَإِنْ ضَرَّنِي أَحَدُهُمَا فَنَعْنَى الْآخَرُ ؛ فَقَالَ له الحاجاج عند ذلك :
المقادير تصير العي خطيباً !

* سبع الأمثال : ٢ - ٢٦٠

(١) الحاجاج بن يوسف بن الحكم التقفي : قائد خطيب ، ولد ونشأ في الطائف وانتقل إلى الشام ،
وهو مشهور بشدته ، توفي سنة ٩٥ هـ . (٢) يزيد : إشرفت بنفسك أَمْ تفتخر بآباءك الذين
صاروا عظاماً .

١٣٩ - لَئِنْ شَكْرَتُمْ لَا زِيَدَنَّكُمْ*

أخذ الحجاج لصًا أعرابياً؛ فضر به سبعمائة سوط، فكلما قرعه بسوط قال:
اللَّهُمَّ شَكْرًا! فَأَتَاهُ ابْنُ عَمٍّ لَهُ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا دَعَا الْحَجَاجَ إِلَى التَّمَادِي فِي ضَرِّكِ
إِلَّا كَثْرَةُ شُكْرِكَ، لَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: «لَئِنْ شَكْرَتُمْ لَا زِيَدَنَّكُمْ»؛
قال: أَهْذَا هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، فَأَنْشَأَ الْأَعْرَابَ يَقُولُ:
يَا رَبِّ لَا شُكْرَ فَلَا تَزِدْنِي أَسْرَفْتُ فِي شُكْرِكَ فَاعْفُ عَنِي
بَاعِدْ ثَوَاب الشَاكِرِينَ مِنِّي
فبلغ قولُه الحجاج، خلَّ سبيله.

* ١٤٠ - الحمد لله الذي مسخك كلياً

كان لأبي حية النميري^(١) سيف ليس بينه وبين الخشب فرق ، كان يسميه « لعاب المنيّة » ، فلما عنة بعض جيرانه أنه قال : أشرفت عليه ليلة وقد انتصاء ؛ وهو واقف بباب بيته في داره ، قد سمع فيه حسنا ، وهو يقول : أيها المفتر بنا ، المفتر علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ! خير قليل ، وسيف صقيل « لعاب المنيّة » الذي سمعت به ، مشهورة صوّاته ، لا تخاف نبوته ، اخرج بالغفو عنك ، لا أدخل العقوبة عليك ! إني والله إن أدع قيضاً تملأ الفضاء عليك خيلاً ورجالاً^(٢) ، سبحان الله ! ما أكثراها وأطيبها ! والله ما أنت بيعيد من تابعها ، والرسوب في قيام لحّتها .

وَهَبَتْ رِيحٌ فَقَطَّعَ الْبَابَ ، نَفَرَجَ كَلْبٌ ، فَارَبَدَ وَجْهَهُ ، وَشَغَرَ^(۳) بِرْجَلِيهِ ،
وَتَبَادَرَتْ إِلَيْهِ نِسَاءُ الْحَمِيمَةِ قَلْنَ : بَا أَبَا حَمِيمَةَ ، لِمُهْرِنْ رَوْعُكَ^(۴) إِنَّا هُوَ كَلْبٌ ،
فَلَسْ وَهُوَ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَسَخَكَ كَلْبًا ، وَكَفَانِي حَرْبًا .

* الأغاني: ١٥ - ٦١ ، ابن أبي الحديد: ٢ - ٤١

(١) هو الهميم بن الربيع، شاعر محيد من خضرمي الدولتين الأموية والعباسية مدح خلفاء عصره فيهما، وكان فصيحاً راجزاً، له أخبار وكانت به لوثة، وكان من أجيال الحلق توفى نحو سنة ١٦٠ هـ.

(٢) الرجل: جم راجل . وهو ضد الفارس . (٣) شغر: رفع احدى رجليه . (٤) لينكشف

عنك فزعك .

* ١٤١ - يوم الحساب !

قال أحد الرواة :

كان في زمن المهدى^(١) رجل صوفى ؛ يركب قصبة في كل جمعة يومين : الاثنين والخميس ، فإذا ركب في هذين اليومين فليس لعلم على صبيانه حكم ولا طاعة ، فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان .

شاهدته يوماً وقد صعد تلاً ؛ فنادى بأعلى صوته : ما فعل النبيون والرسولون ؟ أليسوا في أعلى علية ؟ قالوا : بلى ! قال : هاتوا أبي بكر الصديق ؛ فأخذ غلام فأجلس بين يديه ، فقال : جزاك الله خيراً أبي بكر عن الرعية ، فقد عدلت وقمت بالقسط ، وخلفت مهداً - عليه السلام - في حسن الخلافة ، ووصلت حبل الدين بعد حل وتنازع ، وفرغت منه إلى أعلى ثقة ، اذهبوا به إلى أعلى علية !

ثم نادى : هاتوا عمر ، فأجلس بين يديه غلام ، فقال : جزاك الله خيراً يا أبو حفص عن الإسلام ، قد فتحت الفتوح ، ووَسَعْتَ الْأَرْضَ ، وسَكَنْتَ سبيلاً الصالحين ، وعدلت في الرعية ، اذهبوا به إلى أعلى علية بمحذا أبي بكر .

* العقد الفريد : ٤ - ١٩٨

(١) محمد بن عبد الله من خلفاء الدولة العباسية في العراق ، ولد بعد وفاة أبيه وقام في الخلافة عشر سنين ومات سنة ١٦٩ هـ

ثم قال : هاتوا عثمان ؛ فأتى بغلام فأجلس بين يديه ، فقال له : خلّطتَ في تلك السنين ، ولكنَّ الله تعالى يقول : « خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيناً عسى الله أنْ يتوبَ عليهم ». ثم قال : اذهبوا به إلى صاحبيه في أعلى عِلَيْنِ .

ثم نادى : هاتوا على بن أبي طالب ، فأجلس بين يديه غلام ؛ فقال له : جراوك الله عن الأمة خيراً أبا الحسن فأنت الوصيُّ ، وولي النبي ، بسطتَ العدل ، وزهدت في الدنيا ، واعتزلت الفقير ، فلم تخُمس فيهم بباب ولا ظفر ، وأنت أبو الذرية المباركة ، وزوج الزكية الطاهرة ، اذهبوا به إلى أعلى عِلَيْنِ .

ثم قال : هاتوا معاوية ، فأجلس بين يديه غلام ؛ فقال له : أنت القاتل عمار ابن ياسر وخزيمة بن ثابت ذا الشهادتين ، وأنت الذي جعل الخلافة ملكاً ، واستأثر بالفقير ، وحكم بالهوى ، وبطّر بالنعم ، وأنت أول من غير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقضَ أحكامه ، وقام بالبغى ؛ اذهبوا به فأوقفوه مع الظلمة .

ثم قال : هاتوا يزيد ؛ فأجلس بين يديه غلام ؛ فقال له : أنت الذي قتلت أهلَ الحرَّة^(١) ، وأبحَثَتَ المدينة ثلاثة أيام ، وانهكتَ حُرمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأويتَ المُلْحِدِين ، وبوئتَ باللعنة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتمثلتَ بشعرِ الجاهليَّة :

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِسَدِيرٍ شَهِدوا جَزَعَ الْمَزْرَجَ^(٢) مِنْ وَقْعِ الْأَسْلَ^(٣)

(١) موضع بظاهر المدينة بها كانت وقعة الحرّة أيام يزيد . (٢) المزرج : إحدى قبيلتي الأنصار

(٣) الأسل : الرماح .

وَقَتَلَتْ حُسْنِيَاً ، وَحَلَّتْ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَابِيَاً عَلَى
حَقَّابَ (١) الْإِبْلِ ، اذْهَبُوا بِهِ إِلَى الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ !

وَلَمْ يَزِلْ يَذْكُرُ وَالِيَاً بَعْدَ وَالِيٍّ حَتَّى بَلَغَ إِلَى عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ : هَاتُوا
عُمَرَ ، فَأَتَيْتِيَ بَغْلَامَ ، فَأَجْلَسْتِي بَيْنَ يَدِيهِ ، فَقَالَ : جَزَاكُ اللَّهُ خَيْرًا عَنِ الْإِسْلَامِ ؛ فَقَدْ
أَحْيَيْتَ الْعَدْلَ بَعْدِ مَوْتِهِ ، وَأَنْتَ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةِ ؟ وَقَامَ بِكَ عَمُودُ الدِّينِ عَلَى سَاقِ
بَعْدِ شَقَاقٍ وَنِفَاقٍ ، اذْهَبُوا بِهِ فَأَلْحِقُوهُ بِالصَّدِيقِيْنَ ، ثُمَّ ذَكَرَ مَنْ كَانَ بَعْدَهُ مِنْ
الخَلْفَاءِ إِلَى أَنْ بَلَغَ دُولَةَ بَنِي الْعَبَاسِ ، فَسَكَتَ ، فَقَيْلَ لَهُ : هَذَا أَبُو الْعَبَاسِ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : فَبَلَغَ أَمْرُنَا إِلَى بَنِي الْعَبَاسِ ! ارْفُوْا حِسَابَ هُؤُلَاءِ جَمِيلَةَ ،
وَاقْذِفُوْا بَهُمْ فِي النَّارِ جَمِيعًا !

(١) الحقيقة : الرفادة في مؤخر القتب ، وكل ما شد في مؤخر رحل أو قتب فقد احتقب .

* ١٤٢ — إِنْ أَعْطُوا مِنْهَا رَضْوًا

ركب محمد بن سليمان^(١) يوماً بالبصرة وسوار القاضي يسايره في جنازة ابن عم له، فاعتراضه مجنون يعرف برأس النعجة، فقال له : يا محمد ؟ أمن العدل أن تكون نحيلتك^(٢) في كل يوم مائة ألف درهم ، وأنا أطلب نصف درهم فلا أقدر عليه ؟

ثم التفت إلى سوار فقال : إن كان هذا عدلاً فأننا أكفر به ؟ فأسرع إليه غلام محمد ؛ فكفهم عنه ، وأمر له بمائة درهم !

ف لما انصرف محمد وسوار معه اعترضه رأس النعجة فقال : لقد كرم الله منصبك^(٣) ، وشرف أبوتك ، وحسن وجهك ، وعظم قدرك ، وأرجو أن يكون ذلك لخير يريده الله بك !

فدنما منه سوار فقال : يا خبيث ؟ ما كان هذا قولك في البداءة ؟ فقال له : سألك بحق الله وبحق الأمير إلا ما أخبرتني في أى سورة هذه الآية : « إِنْ أَعْطُوا مِنْهَا رَضْوًا ، وَإِنْ لَمْ يُعْطُوهُ مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ » ؟ قال : في « براءة ». قال : صدقت ؟ فبرى الله رسوله منك ! فضحك محمد بن سليمان حتى كاد يسقط عن دابته !

* المسعودي ٢٦٣ - ٢ :

(١) محمد بن سليمان بن علي الصباسي : أمير البصرة ، ولد في أيام المهدى ، واستمر إلى أن توفي فيها ، وكان غنياً نسبياً سمع نفسه إلى الخلافة ؛ وصده عن الجهر بطلبه ما كانت عليه من القوة أيام المهدى والرشيد ، توفي سنة ١٢٣ هـ . (٢) النحلة : المخطبة . (٣) المنصب : الأصل .

* ١٤٣ — ما أختار غيرَ عبد الله بن طاهر*

شكا اليزيدي^(١) إلى المؤمن خلة^(٢) أصابته وَدَيْنَا لَحْقَه ، فقال : ما عندنا في هذه الأيام ما إنْ أعطيتكه بلغتَ به ما تُريد ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنَّ الْأَمْرَ قَدْ ضَاقَ عَلَىِّ ، وإنْ غُرَمَائِيْ قدْ أَرْهَقَوْنِي ، قال : فَرُمْ لِنفْسِكَ أَمْرًا تُنْلِيْ بِهِ نَفْعًا .

قال : لك منادمون ، فيهم ما إنْ حَرَّ كَتُهْ نَلَتْ مِنْهُ مَا أُحِبُّ ، فَاطْلُقْ لِي الحيلةَ فيهم ، قال : قل ما بَدَأَ لَكَ ؟ قال : فإذا حضروا وحضرت فَمُرْ فلا تَأْخُذُ الخادم أن يوصل إِلَيْكَ رُقْعَتِي ، فإذا قرأْتَهَا فَأَرْسِلْ إِلَيَّ : دخولُكَ في هذا الوقت متذرٌ ؛ ولكن اخْتَرْ لِنفْسِكَ مِنْ أَحَبَّتِيْ .

فلما علم اليزيدي بجلوس المؤمن ، واجتمع ندماهه إِلَيْهِ ، وتيقَنَ أنَّهُمْ في سرورهم أُتْقِنَ البابَ فَدَافَعَ إِلَى ذلك الخادم رقعةً قدْ كتبَها ، فَأَوْصَلَهَا إِلَى المؤمن فقرأها ، فإذا فيها :

يَا خَيْرَ إِخْوَانِيْ وَأَحْبَابِيْ هَذَا الطَّفْلِيَّ لَدِي الْبَابِ
خُبْرَ أَنَّ الْقَوْمَ فِي لَذَّةٍ يَصْبُو إِلَيْهَا كُلُّ أُوَابٍ
فَصَبِرُونِيْ وَاحْدَادًا مِنْكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا لِي بَعْضَ أَثْرَابِيْ

* عصر المؤمن : ١ - ٣٣٣

(١) اليزيدي : يحيى بن المبارك بن المقيرة من علماء العربية والأدب ، اتصل بالرشيد فعهد إليه في تأديب المؤمن فعاش إلى أيام خلافته ، توفي سنة ٢٠٢ هـ . (٢) الخلة : الحاجة والقرف .

قرأها المأمون على من حضره ؛ فقالوا : ما ينبغي أن يدخل هذا الطفيلي على مثل هذه الحالة ؟ فأرسل إليه المأمون : دخولك في هذا الوقت متذر ، فاختر نفسك من أحبيت تنادمه .

قال : ما أرى اختياراً غير عبد الله بن طاهر ، فقال له المأمون : قد وقع اختياره عليك ؟ فسر إليه . قال : يا أمير المؤمنين ، فما كون شريك الطفيلي ! قال : ما يمكن رد أبي محمد عن أمرين ، فإن أحبت أن تخرج وإلا فاقتند نفسك !

قال : يا أمير المؤمنين ، له على عشرة آلاف درهم ! قال : لا أحسب ذلك يقنه منك ومن مجالستك ، قال : فلم يزل يزيده عشرة عشرة ، والمأمون يقول له : لا أرضي له بذلك ، حتى بلغ مائة ألف ، فقال له المأمون : فجعلها له ، فكتب لها بها إلى وكيله ، ووجهه معه رسول إليه المأمون : قبض هذه في مثل هذه الحال أصلح لك من منادمته على مثل حاله ، وأفع عاقبة .

* ١٤٤ — أَتْرَى اللَّهُ يُعْطِيكَ وَيَنْسَانِي؟

خرج الرشيد إلى الحجّ فلماً كان بظاهر الكوفة إذ أبصر بهلولا^(١) المجنون على قصبة، وخلفه الصبيان وهو يمدو، فقال: من هذا؟ فقيل له: بهلول للمجنون، فقال: كنت أشتئي أن أراه، فادعوه من غير ترويع، فذهبوا إليه وقالوا: أجب أمير المؤمنين؟ فلم يجب، فذهب إليه الرشيد، وقال: السلام عليك يا بهلول، فقال: عليك السلام يا أمير المؤمنين، فقال: دعوتك لاشتياق إليك، فقال بهلول: لكنني لم أشتاق إليك! فقال الرشيد: عذني يا بهلول، فقال: ونم أعظك؟ هذى صورهم وهذه قبورهم! فقال الرشيد: زدني فقد أحسنت! فقال: يا أمير المؤمنين من رزقه الله مالاً وجحلاً، فمعت في جحالة، وواسى في ماله كتب في ديوان الأبرار، فظن الرشيد أنه يريد شيئاً، فقال: قد أمرنا لك أن تقضي دينك، فقال: لا، يا أمير المؤمنين، لا يقضى الدين بدين، اردد الحق على أهله، واقتض دين نفسك من نفسك، قال: فإننا قد أمرنا أن يجري عليك. فقال: يا أمير المؤمنين؛ أترى الله يعطيك وينسانني؟ ثم ولى هارباً.

* علاء المجنين: ٦٩

(١) هو بهلول بن عمرو، كان من علاء المجنين، ولد ونشأ بالكوفة واستقدمه الرشيد وغيره من الخلفاء لسماع كلامه، وله كلام مليح، ونواود وأشعار، توفي سنة ٥٩٠.

١٤٥ - طفيلي في حضرة المأمون*

أمر المأمون أن يُحمل إليه عشرة من الزنادقة مُسْوَى الله من أهل البصرة، فجتمعوا فأبصراهم طفيلي فقال: ما اجتمعوا إلا لِصَنْعِهِ، فدخل في وسطهم، ومضى بهم الموكلون، حتى انتهوا إلى زورق قد أعد لهم، قال الطفيلي: هي نزهة، فدخل معهم الزورق، فلم يكن بأسرع من أن يقيدوا، وقيد معهم الطفيلي.

ثم سير بهم إلى بغداد، فأدخلوا على المأمون، فجعل يدعوهم باسمائهم رجالاً؛ ويأمر بضرب أعناقهم، حتى وصل إلى الطفيلي، وقد استوفى العدة، فقال للموكلين: ما هذا؟ قالوا: والله ما ندرى، غير أننا وجدناه مع القوم، فخشنا به. فقال له المأمون: ما قصتك ويلك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لا أعرف من أقاولهم شيئاً، وإنما أنا رجل طفيلي، رأيتهم مجتمعين، فظننت صنيعاً يدعون إليه. فضحك المأمون، وقال: يؤذب!

وكان إبراهيم بن المهدى قائماً على رأس المأمون، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي أدبه، وأحدثك بحديث عجيب عن نفسى، قال: قل يا إبراهيم.

قال: يا أمير المؤمنين، خرجمت من عندك يوماً؛ فطفت في سلك بغداد متطرقاً، حتى انتهيت إلى موضع كذا، فشمت من قتار^(١) أبا زير قدور

* العقد الفريد: ٤ - ٢٣٧ ، نهاية الأرب: ٣ - ٣٣٢

(١) القتار: ربع القدر والشواء، والأبا زير: التوابل.

قدْ فاح ؛ فتاقتْ نفسي إلَيْها ، وَإِلَى طيب ريحها ، فوَقفتُ إِلَى خِيَاط ، قلت له :
لِمَنْ هذه الدار ؟ فقال : لرجل من التجار . قلت : ما اسمه ؟ قال : فلان ابن فلان ،
فرميتُ بطرفِ إِلَى الدار ؛ فإذا شُبّاك به جارية ذات منظر حسن ، فبُهِتَّ ساعَةً
ثم أدركتني ذِهْنِي ، فقات لِلخِيَاط : أَهُو مَنْ يشرب النبيذ ؟ قال : نعم ، وأحسب
أَنَّ عَنْهُ الْيَوْم دُعْوَة ، وَهُوَ لَا يُنَادِم إِلَّا تُجَارًا مَثْلَه مَسْتُورِينَ .

فَإِنِّي لِكَذَلِك ، إِذْ أَقْبَلَ رَجُلًا نَبِيلًا رَاكِبًا مِنْ رَأْسِ الدَّرْب ، قَالَ لِي
الخِيَاط : هُؤُلَاء مُنَادِمَاه ، قَالَتْ : مَا اسْمُهُمَا وَمَا كَنَاهُمَا ؟ قَالَ : فلان وَفَلان ،
حَفَرَّ كُتُّ دَابَّتِي وَدَاخَلَتِهِما ، وَقَالَتْ : جَعَلْتُ فِدَاكَما ، قَدْ اسْتَبَطَ كُمَا أَبُو فَلان ،
وَسَارِيَتُهُمَا حَتَّى بَلَقْنَا الْبَاب ، فَأَجَلَانِي وَقَدْمَانِي ؛ فَدَخَلْتُ وَدَخَلَا .

فَلَمَّا رَأَنِي صَاحِبُ الْمَنْزِل مَعْهُمَا لَمْ يُشَكْ أَنِّي مِنْهُمَا ؛ فَرَحَّبَ بِي وَأَجْلَسَنِي فِي
أَفْضَلِ الْمَوْاضِع ، فَجَئِيْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَائِدَةٍ عَلَيْهَا خَبْزٌ نَظِيفٌ ، وَأَتَيْنَا بِكُلِّ
الْأَوْانِ ، فَكَانَ طَعْمُهَا أَطْيَابٌ مِنْ رِيحِهَا ، ثُمَّ رُفِعَ الطَّعَام ، وَجَئِيْ بِالْوَضْوءِ ، ثُمَّ
صِرَنَا إِلَى مَجْلِسِ الْمَنَادِمَة ، وَجَعَلَ صَاحِبُ الْمَنْزِل يَلْطَفُ بِي ؛ وَيَمْلِيُ عَلَيَّ بِالْحَدِيثِ ؛
حَتَّى إِذَا شَرِبْنَا أَقْدَاحًا خَرَجْتُ عَلَيْنَا جَارِيَة ، كَانَهَا بَدْرٌ فَاقْبَلَتْ ؛ وَسَلَّمَتْ
غَيْرَ خَجِّلَة ، وَنَبَتَتْ لَهَا وِسَادَة ، فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا ؛ وَأَتَى بِالْعُود فَوُصِّعَ فِي حِجْرِهَا ؛
فَجَسَّثَهُ فَاسْتَبَقْتُ حِذْقَهَا فِي جَسَّهَا ؛ ثُمَّ اندفَعَتْ مُغَيْيَةً :

تَوَهَّمَهَا طَرِيقٌ فَأَصْبَحَ خَدْدَهَا وَفِيهِ مَكَانُ الْوَهْمِ مِنْ نَظَرِي أَثْرٌ
تَصَافِحُهَا كَفَّيْ فَتَوَهَّمَ كَفَّهَا فِيمَنْ مَسَّ كَفَّيْ فِي أَنَامِلِهَا عَقْرٌ^(١)

فَهِيَجَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَلَابَلِي ، وَطَرِبَتْ لِحُسْنِ شِعْرِهَا ، ثُمَّ اندفَتْ
تَقْنِي :

أَشَرَتْ إِلَيْهَا هَلْ عَرَفْتِ مُوَدَّتِي ؟ فَرَدَتْ بِطَرَفِ الْعَيْنِ : إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ
وَحَادَتْ عَنِ الْإِظْهَارِ عَمْدًا لِسِرَّهَا وَحَدَّتْ عَنِ الْإِظْهَارِ أَيْضًا عَلَى عَنْدِ

فَصَحَّتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَجَاءَنِي مِنَ الْطَّرَبِ مَا لَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي مَعَهُ ، ثُمَّ
اندفَتْ فَنَّتْ الصَّوْتُ الْثَالِثُ :

أَلِيسْ عَجِيبًا أَنَّ يَبْتَأِ بِضُمْنِي
وَإِبَالِكِ لَا نَخْلُو وَلَا نَتَكَلَّمُ !
سِوَى أَعْيْنِ تَشْكُوا الْهَوَى بِجَفْونِهَا
وَتَقْطِيعِ أَكْبَادِ عَلَى النَّارِ تَضْرَمُ
إِشَارَةً أَفْوَاهِ وَغَنِيزِ حَوَاجِبِ
وَتَكْسِيرَ أَجْفَانِ وَكَفَّ تَسْلُمُ

فَسَدَّتْهَا وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى حِذْقَهَا وَمَعْرِفَتْهَا بِالْفِنَاءِ ، وَإِصَابَتْهَا لَعْنَى
الشِّعْرِ ، قَلَّتْ : بَقِيَ عَلَيْكِ يَا جَارِيَةً ، فَضَرَبَتْ بِالْعُودِ عَلَى الْأَرْضِ ، وَقَالَتْ : مَتِ
كُنْتُ تُخْضِرُونَ بِجَالِسَكُمُ الْبُغَضَاءِ ؟ فَنَدَمَتْ عَلَى مَا كَانَ مِنْيَ ، وَرَأَيْتَ الْقَوْمَ قَدْ
تَنَيَّرُوا إِلَيْيَ ، قَلَّتْ : أَمَا عِنْدَكُمْ عَوْدٌ غَيْرُ هَذَا ؟ قَالُوا : بَلِي ، فَأَتَيْتُ بِعَوْدٍ فَأَصْلَحْتُ

مِنْ شَأْنِهِ ثُمَّ غَنَّيْتُ :

مَا لِمَنَازِلِ لَا يُبَيِّنَ حَزِينًا
أَصْحَمْنَ أَمْ قَدْمَ الْبَلَى فَبِلَيْنَا ؟

رَاحُوا الْعَشِيَّةَ رَوْحَةً مُنْكُورَةً
إِنْ مُنَّ مُتَنَّا أَوْ حَيَّنَ حَيَّنَا

فَمَا اسْتَقْمَمْتُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى قَامَتِ الْجَارِيَةُ ، فَأَكَبَّتْ عَلَى رِجْلِيَّ تَقْبِيلُهُمَا ،
وَقَالَتْ : مَعْذِرَةً يَا سَيِّدِي ، فَوَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَغْنِي هَذَا الصَّوْتَ غِنَاءَكَ ، وَفَعَلَ

مولاهَا وأهْلِ الْمَجْلِسِ كَفَعْلَهَا ، وَطَرَبَ الْقَوْمُ وَاسْتَحْتَوا الشُّرْبَ فَشَرَبُوا ، ثُمَّ
الْدَفَتُ أَغْنِيَ :

أَفِي الْحَقِّ أَنْ تَمْشِي وَلَا تَذَكَّرْنَيْ
وَقَدْ هَمَّتْ عَيْنَاهُ مِنْ ذَكْرِهَا الدَّمَّا
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو بُخْلَهَا وَسَمَّا حَاتِي
لَمَّا عَسَلَ مَنِي وَتَبَذَّلَ عَلَقَمَا
وَلَا تَنْتَرِكِيهِ ذَاهِلَ الْعَقْلِ الْمُغْرِمَا
فَرْدَّى مَصَابَ الْقَلْبِ أَنْتِ قَتْلِيَهِ

فَطَرَبَ الْقَوْمُ حَتَّى خَرَجُوا مِنْ عَوْلَمِ ، فَأَمْسَكَتُ عَنْهُمْ سَاعَةً حَتَّى تَرَاجَعُوا ،

ثُمَّ غَنِيتَ الثَّالِثُ :

هَذَا مُحِبِّكَ مَطْوِيَا عَلَى كَمَدِيَهُ
عَبْرِي مَدَامَعِهِ تَجْرِي عَلَى جَسْدِهِ
مَا بِهِ وَيْدَ أُخْرَى عَلَى كَبِدِهِ
لَهِ يَدَ نَسَأَلُ الرَّحْمَنَ رَاحِتَهُ

بغمات الجارية تصريح : هذا الفناء والله يا سيدى ، لا ما كُنَّا فيهِ مِنْذِ الْيَوْمِ .
وقال صاحب المنزل : يا سيدى ؟ ذهبَ ما ماضى من أياماً ضيّعاً ، إذْ كُنْتُ لَا أُعْرِفُكَ ،
فنَّأْنِتَ ؟ وَلَمْ يَزِلْ يُلْحِحُ عَلَى حَتَّى أَخْبَرْتَهُ اخْبَرَ ، فَقَامَ وَقَبَّلَ رَأْسِي ، وَقَالَ : وَأَنَا
أَعْجَبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَدْبُ إِلَّا لِلْمَلَكِ ! وَإِنِّي جَالِسٌ مَعَ الْخَلِيفَةِ وَلَا أَشْعُرُ ، ثُمَّ
سَأَلَنِي عَنْ قِصَّتِي ، فَأَخْبَرْتَهُ حَتَّى بَلَغَتْ إِلَى تِلْكَ الْجَارِيَةِ الَّتِي رَأَيْتَهَا ، فَقَالَ لِلْجَارِيَةِ :
قَوْمِي قَوْلِي لِفُلَانَةِ : تَنْزَلُ ، فَلَمْ تَنْزَلْ تَنْزَلْ جَوَارِيَهُ وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، فَأَنْظَرْتُ إِلَيْكَ شَفَاهَا
وَمَعْصِمَهَا ، وَأَقُولُ : لَيْسَ هَذِهِ ! حَتَّى قَالَ : وَاللهِ مَا بَقِيَ غَيْرُ أَخْتِي وَأَمِي ، وَاللهِ
لَا تَرْلَمَهُمَا ؛ فَعَجِبْتُ مِنْ سَعَةِ صَدْرِهِ ، فَقَلَتْ : جَعْلْتُ فَدَاكَ ! ابْدَأْ بِالْأَخْتِ قَبْلِ
الْأَمِ ، فَعَسَى أَنْ تَكُونَ هَيِّ .

فبزت ، فلما رأيت كتفها ومعصمتها ، قلت : هذه هي ! فأمر غلاته ، فساروا إلى عشرة مشايخ من جلة جيرانه ؛ فأقبل بهم ، وأمر ببدرين فيما عشرون ألف درهم ؛ ثم قال للمشايخ : هذه أختي فلانة ، أشهدكم كم قد زوجتها من سيدى إبراهيم ابن المهدى ؛ وأنهرها عنه عشرين ألف درهم ، فرضيت وقبلت الزواج ، فدفع إليها بدرا ، وفرق الأخرى على المشايخ وصرفهم ، ثم قال : يا سيدى ، أمهد بعض البيوت ! فاحسنت ما رأيت من كرمك ، فقلت : أحضر عمارية^(١) وأحلها إلى منزلي . فوالله يا أمير المؤمنين لقد أتبعها من الجهاز ماضاقت عنده بيوتنا ، فأولدتها هذا القائم على رأس أمير المؤمنين - يشير إلى ولده .

فعجب المؤمنون من كرم الرجل ، وألحنه في خاصة أهله ، وأطلق الطفيلي ، وأجازه .

(١) العمارية : هودج مجلس فيه .

١٤٦ - أَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِكَ*

تَبَّأْ رَجُلٌ فِي أَيَّامِ الْمُؤْمِنِينَ، وَادَّعَ أَنَّهُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ، فَقَالَ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ لَهُ مَعْجَزَاتٍ وَبَرَاهِينٌ. قَالَ: وَمَا بَرَاهِينُهُ؟ قَالَ: أَضْرِمْتُ لَهُ نَارًا، وَأُلْقَى فِيهَا؛ فَصَارَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَنَحْنُ نُوقِدُ لَكَ نَارًا، وَنَطْرُكُ فِيهَا، فَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ كَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ آمِنًا بِكَ. قَالَ: أُرِيدُ وَاحِدَةً أَخْفَتَ مِنْ هَذِهِ! قَالَ: فَبَرَاهِينُ مُوسَى! قَالَ: وَمَا بَرَاهِينُهُ؟ قَالَ: أُلْقَى عَصَاهُ إِذَا هِيَ حَيَّةٌ! وَضَرَبَ الْبَحْرَ بِهَا فَانْفَلَقَ! وَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَبِيبِهِ فَأَخْرَجَهَا بَيْضَاءً، قَالَ: وَهَذِهِ عَلَى أَصْحَابِ الْأُولَى! قَالَ: فَبَرَاهِينُ عِيسَى، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: إِحْيَاءُ الْمَوْتَى! قَالَ: مَكَانِكَ قَدْ وَصَلْتَ! أَنَا أَضْرَبُ رَقْبَةَ الْقَاضِي يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ، وَأَحْيِيهِ لَكُمُ السَّاعَةَ!

فَقَالَ يَحْيَى: أَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِكَ وَصَدَقَ!

١٤٧ — أبو دلف وجمعيفران الموسوم*

قال على بن يوسف : كنت عند أبي دلف^(١) القاسم بن عيسى العجلى ، فاستأذن عليه حاجبُه لجعيفران^(٢) الموسوم ، فقال له : أى شىء أصنع بموسوم ؟ قد قضينا حقوق العقلاء ، وبقي علينا حقوق المجنين ! قلت له : جعلت فداء الأمير ، موسوس أفضل من كثيير من العقلاء ، وإن له لساناً يقى ، وقولاً ماثوراً يبق . فالله الله أن تتجهبه ! فليس عليك منه أذى ولا ثقل ! فأذن له . فلما مثلَ بين يديه قال :

يا أكرم العالم موجوداً ويا أعز الناس مفقوداً
لما سأل الناس عن واحدٍ أصبح في الأمة محموداً
قالوا جميعاً : إنه قاسم أشبهه آباء له صيداً^(٣)
لو عبدوا شيئاً سوئ ربيهم أصبحت في الأمة معبداً
لا زلت في نعمي وفي غبطةٍ مكرماً في الناس معدوداً
فأمر له بكسوة وبالف درهم ، فلما حي بالدرهم أخذ منها عشرة وقال : تأمر الظاهر مان^(٤) أن يعطيني الباق مفترقاً كلما جئت ؛ لثلا تضييع مني ، فقال للظاهر مان :

* الأغاني : ٨ - ٦٤

(١) أبو دلف : هو أحد قواد المأمون ثم المعتصم من بعده ، كان كريعاً سرياً جواداً ممدحاً شجاعاً . مقداماً ذا وقارئ مشهورة ، وصنائع مأثوره ، وله مشاركة في القناء ، توف سنة ٢٢٦ هـ .
(٢) ولد جعيفران ببغداد ونشأ بها ، ثم سكن سر من رأى ، وكان أدبياً شاعراً مطبوعاً ، وغلبت عليه المرة السوداء فاختلط في أوقاته ، ثم كان إذا أفاق ثاب إليه عقله وطبعه فقال الشاعر الجيد .
(٣) الأصيد : الملك ، ورافق رأسه كبيراً . (٤) الظاهر مان : هو المسيطار الحفيظ على ماتحت يده ، وهو من أمراء الملك وخاصة .

أَعْطِهِ الْمَالُ ، وَكَلَا جَاءَكَ فَأَعْطِهِ مَا شاءَ حَتَّى يَفْرَقَ لِلْوَتْ يَيْنَنَا ، فَبَسَّى عِنْدَ ذَلِكَ
جُمِيْرَانَ وَتَنَفَّسَ الصُّعْدَاءَ وَقَالَ :
يَمُوتُ هَذَا الَّذِي أَرَاهُ وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ نَفَادٌ
لَوْ غَيْرَ ذِي الْمَرْشِ دَامَ شَيْءٌ لَدَمَ ذَا الْمُفْضِلُ الْجَوَادُ
ثُمَّ خَرَجَ . قَالَ أَبُو دُلَّفَ : أَنْتَ كُنْتَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي .

قَالَ ؛ وَغَيْرَ^(١) عَنْ مَدَةٍ ثُمَّ لَقِينِي ، وَقَالَ : يَا أَبَا الْحَسْنَ ؟ مَا فَعَلَ أَمِيرُنَا
وَسِيدُنَا ؟ وَكَيْفَ حَالُهُ ؟ فَقَلَّتْ : بِخِيرٍ وَعَلَى غَايَةِ الشَّوْقِ إِلَيْكَ . قَالَ : أَنَا وَاللَّهُ
يَا أَخِي أَشْوَقُ . وَلَكُنِي أَعْرَفُ أَهْلَ الْعَسْكَرِ وَشَرَهُمْ وَالْمَاحِمِمُ ؛ وَاللَّهُ مَا أَرَامُ
يَتَرَكُونَهُ مِنَ الْمَسَأَلَهِ وَلَا يَتَرَكُهُ كَرْمُهُ أَنْ يَخْلِيَهُمْ مِنَ الْعَطْلَهِ حَتَّى يَخْرُجَ قَرِيرًا .
فَقَلَّتْ : دَعْ هَذَا عَنِكَ وَزُرْهُ ؟ فَإِنَّ كَثْرَةَ السُّؤَالِ لَا تَضُرُّ بَالَّهَ . قَالَ : وَكَيْفَ ؟ أَمْوَالُ
أَيْسَرُ مِنَ الْخَلِيلَهِ ؟ قَلَّتْ : لَا . قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ تَبَدَّلَ^(٢) لِمَمِ الْخَلِيلَهِ كَمَا يَتَبَدَّلُ أَبُو دُلَّفَ
وَأَطْعَمَهُمْ فِي مَالِهِ كَمَا يُطْعَمُهُمْ لِأَقْتَرَوْهُ فِي يَوْمَيْنِ ، وَلَكُنْ اسْمُهُ مَا قَاتَهُ فِي وَقْتِ هَذَا .
فَقَلَّتْ : هَاتِهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ ! فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَبَا حَسَنِيَّ بَلَغَنَ قَاسِمًا بَأْنِي لَمْ أَجِدْهُ عَنْ قِلَّا^(٣)
وَلَا عَنْ مَلَالِ لِإِنْتِيَانِهِ وَلَا عَنْ صَدُودِ وَلَا عَنْ عَنَانِ
وَلَكُنْ تَعَفَّفْتُ عَنْ مَالِهِ وَأَصْفَيْتُهُ^(٤) مِذْحَتِي وَالثَّنَانِ
أَبُو دُلَّفَ سِيدَ مَاجِدَهُ سَنِيُّ الْعَطَلَهِ رَحْبُ الْفِنَانِ

(١) غَيْرُ : مَكْثُ وَذَهَبُ ، ضَدُّ . (٢) الْابْتِدَالُ : ضَدُّ الصِّيَانَهُ . (٣) الْقِلَّا : الْبَعْضُ .

(٤) أَصْفَيْتُهُ مِذْحَتِي : أَخْلَصْتُهُ لَهُ .

كَرِيمٌ إِذَا آتَيْتَهُ الْمَعْقُوفَ نَعْمَمُ بِجَزِيلِ الْحِبَاءِ^(١)

قال : فَأَبْلَغْتُهَا أَبْنَى دَلْفَ ، وَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ النَّبِيِّ جَرِيٍ . قَالَ لِي : قَدْ لَقِيْتُهُ مِنْذَ أَيَّامٍ ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُ وَقَفْتُ لَهُ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَتَحْفَيْتُ^(٢) بِهِ ؛ قَالَ لِي : سِرْ أَيْهَا الْأَمِيرُ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ لِي :

يَا مَعْدِيَ الْجُودِ عَلَى الْأَمْوَالِ وَيَا كَرِيمَ النُّفُسِ فِي الْفَعَالِ

قَدْ صُنْتَنَّتِي عَنْ ذِلْلَةِ السُّؤَالِ بِجُودِكَ الْمُوْفِ على الْآمَالِ

صَانَكَ ذُو الْعَزَّةِ وَالْجَلَالِ مِنْ غَيْرِ الْأَيَّامِ وَالْيَوْمَ الْيَوْمِ

قَالَ : وَلَمْ يَزِلْ يَخْتَلِفُ إِلَى أَبْنَى دَلْفَ وَيَبْرَهُ حَتَّى افْتَرَقاً .

(١) الْحِبَاءُ : الْمَطَاءُ . (٢) تَحْفَيْتُ بِهِ : بَالْعَنْ فِي الْكَرَامَةِ .

* ١٤٨ — رميـتـ به في بطنـكـ

قال دـعـيلـ^(١) : أقـنـا يـوـمـاـ عـنـدـ مـهـلـ بـنـ هـارـونـ ، فـأـطـلـنـاـ الـحـدـيـثـ حـتـىـ اـضـطـرـهـ الجـوـعـ إـلـىـ أـنـ دـعـاـ بـغـادـاهـ ، فـأـتـيـ بـصـفـحـةـ عـدـ مـلـيـةـ^(٢) ، فـيـهـ اـمـرـقـ لـحـمـ دـيـلـ عـاشـ^(٣) هـرـمـ ، لـيـسـ قـبـلـهـ وـلـاـ بـعـدـهـ غـيرـهـاـ ، لـاـ تـحـزـ^(٤) فـيـهـ السـكـينـ ، وـلـاـ تـؤـثـرـ فـيـهـ الـأـضـرـامـ .

فـأـطـلـعـ فـيـ الـقـصـعـةـ ، وـقـلـبـ بـصـرـهـ فـيـهـاـ ؛ فـأـخـذـ قـطـعـةـ خـبـزـ يـابـسـ ؟ فـقـلـبـ بـهـاـ جـمـيعـ مـاـفـ الصـفـحـةـ فـفـقـدـ الرـأـسـ ؟ فـبـقـىـ مـطـرـقـاـ سـاعـةـ ، ثـمـ رـفـعـ رـأـسـهـ إـلـىـ الـفـلامـ ، وـقـالـ : أـيـنـ الرـأـسـ ؟ قـالـ : رـمـيـتـ بـهـ ، قـالـ : وـلـمـ ؟ قـالـ : مـاـ طـنـتـ أـنـكـ تـأـكـلـهـ ، وـلـاـ تـسـأـلـ عـنـهـ ! قـالـ : وـلـأـيـ شـيـ ؛ طـنـتـ ذـلـكـ ؟ فـوـالـلـهـ إـنـيـ لـأـمـقـتـ مـنـ يـرـمـيـ بـرـجـلـهـ ؟ فـكـيـفـ مـنـ يـرـمـيـ بـرـأـسـهـ !

وـالـرـأـسـ رـئـيـسـ ، وـفـيـهـ الـحـوـاسـ الـخـمـسـ ، وـمـنـهـ يـصـبـحـ الـدـيـلـ ، وـلـوـلاـ صـوـتهـ ماـ أـرـيـدـ ، وـفـيـهـ عـرـفـهـ الـذـيـ يـقـبـرـكـ بـهـ ، وـفـيـهـ عـيـنـهـ الـتـيـ يـضـرـبـ بـهـ الـمـلـلـ ؟ فـيـقـالـ : «ـشـرـابـ كـيـنـ الدـيـلـ» ، وـدـمـاغـهـ عـجـبـ لـوـجـعـ الـكـلـيـةـ ، وـلـنـ تـرـىـ عـظـمـاـ قـطـ أـهـشـ مـنـ عـظـمـ رـأـسـهـ ؟ فـإـنـ كـانـ مـنـ نـبـلـ أـنـكـ لـاـ تـأـكـلـهـ فـإـنـ عـنـدـنـاـ مـنـ يـأـكـلهـ ! أـوـ مـاـ عـلـمـتـ أـنـهـ خـيـرـ مـنـ طـرـفـ الـجـنـاحـ وـمـنـ السـاقـ وـالـعـنـقـ ! انـظـرـ أـيـنـ هـوـ ! قـالـ : وـالـلـهـ مـاـ أـدـرـيـ أـيـنـ هـوـ ، رـمـيـتـ بـهـ ؟ قـالـ : لـكـنـيـ أـدـرـىـ أـنـكـ رـمـيـتـ بـهـ فـيـ بـطـنـكـ ، وـالـلـهـ حـسـبـكـ !

* عـيـونـ الـأـخـبـارـ : ٣ - ٢٥٩

(١) كان شاعراً مجيداً ، إلا أنه كان بنيُّ اللسان أولم بالهجو والحط من أقدار الناس ، كان بينه وبين السكريت بن زيد وأبي سعد المخزوي مناقصات ، ومات سنة ٢٤٦ هـ . (٢) عدمية: قدية . (٣) العassi : الذي أحسن حق جف وصلب . (٤) لا تحرز: لا تقطع .

* ١٤٩ - لو عَلِمْتُ بِحَالِهِ لَوْلَجْتُ عَلَيْهِ!

قال بشرُّ بن سعيد : كان بالبصرة شيخٌ من بني هَنْشَل نزل بيني أخت له في سكّة بني مازن ، نخرج رجالهم إلى ضياعهم ، وذلِك في شهر رمضان ، وبقيت النساء يصلّين في المسجد ، فلم يبقَ في الدار إلا كلب يَعْسُ (١) ، فرأى يَعْسَا دخل وانشقَّ (٢) الباب ، فسمع الحركة بعض الإماماء ، فظنوا أنَّ لصًا دخل الدار .

فذهبت إِلَيْهِ الشَّيْخ ، وليس في الْحَيِّ رَجُلٌ غَيْرِهِ فأخبرته فقال : ما يَعْتَقِي الْلَّصُّ مِنَّا ؟ ثُمَّ أَخْذَ عَصَاهُ وَجَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ قَالَ : إِيَّاهُ يَامَلَامَانَ (٣) ! أَمَا وَاللهِ إِنَّكَ بِالْعَارِفِ ، وَإِنِّي بِكَ أَيْضًا لَعَارِفٌ ، فَهَلْ أَنْتَ إِلَّا مِنْ لصوصِ بني مازن ، شربتَ حامضًا خيشًا ، حتَّى إِذَا دَارَتِ الْأَقْدَاحُ فِي رَأْسِكَ مَنْتَكْ نَفْسُكَ الْأَمَانِي ، وَقَلْتَ : أَطْرُقْ بَنِي عَمْرو ، وَالرَّجَالُ خَلْوَفُ ، وَالنِّسَاءُ يَصْلِينَ فِي مَسْجِدِهِنَّ ، فَأَسْرَقْتَهُمْ ، سُوَّهَ لَكَ ! وَاللهِ مَا يَفْعَلُ هَذَا الْأَحْرَارِ ! لَيْسَ وَاللهِ مَا مَنَّتَكْ نَفْسَكَ ، فَأَخْرُجْ وَإِلَّا دَخَلْتُ عَلَيْكَ فَصَدَّمْتَكَ مِنِّي الْمُقْوَبَةَ ، وَإِيمَ اللهُ لِتَخْرُجَنَّ أَوْ لِأَهْتِفَنَ هَتْفَةً مَشْتُوْمَةً يَلْقَى فِيهَا الْحَيَّانَ : عَمْرو وَحَنْظَلَةَ ، وَيَمْجِي سَعْدٌ بَعْدَ الْحَصِّ ، وَيُسِيلُ عَلَيْكَ الرِّجَالُ مِنْ هَاهِنَا وَمِنْ هَاهِنَا ، وَلَئِنْ فَعَلْتُ لَتَكُونَنَّ أَشَأَمَ مَوْلَودَ .

* عيون الأخبار : ١ - ١٦٧ ، الحيوان : ٢ - ٨٤

(١) كلب عسوس : طلوب لما يأكل . (٢) انافق : أغلق . (٣) الملامان : اللثيم .

فَلِمَّا رأى أَنَّهُ لَا يَجِدُهُ أَخْذَهُ بِاللِّينِ ، وَقَالَ : اخْرُجْ بَابِي وَأَمِّي إِنِّي وَاللهِ
مَا أَرَاكَ تَعْرِفُنِي ، وَلَوْ عَرَفْتَنِي لَقَنَعْتَ بِقَوْلِي وَاطْمَأْنَنْتَ إِلَيْيَّ ! أَنَا عُرُوهَةُ بْنُ مَرْئِنَهُ ؛
أَبُو الْأَغْرَى ، وَأَنَا خَالُ الْقَوْمِ ، وَجِلْدُهُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ ، لَا يَعْصُونِي فِي أَمْرٍ ، وَأَنَا لَكَ
بِالنَّدْمَةِ^(١) كَفِيلٌ خَفِيرٌ ، أَصِيرُكَ بَيْنَ شَحْمَةِ أَذْنِي وَعَانِقِي ، لَا تُضَارُّ ؛ فَاخْرُجْ
فَأَنْتَ فِي ذَمَتِي ، وَإِلَّا فَإِنِّي عِنْدِي قَوْصَرَتَيْنِ أَهْدَاهُمَا إِلَيْيَّ ابْنَ أَخْتِي الْبَارُّ الْوَصْوَلُ ،
فَخُذْ إِحْدَاهُمَا فَانْتَبِذْهَا حَلَالًا مِنَ اللهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ !

وَكَانَ السَّكَلْبُ إِذَا سَمِعَ الْكَلَامَ أَطْرَقَ ، وَإِذَا سَكَتَ وَثَبَ يَرِيدُ الْخُرُجَ ؛
فَضَاحَكَ أَبُو الْأَغْرَى ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَلْأَمَ النَّاسُ وَأَوْضُمُهُمْ ؛ لَا أَرَى إِلَّا أَنِّي الْلَّيْلَةَ
فِي وَادِي وَأَنْتَ فِي آخِرِ ، إِذَا قُلْتَ لَكَ : السُّودَاءُ وَالبَيْضَاءُ تَسْكُتُ وَتُطْرَقُ ، فَإِذَا
سَكَتَ عَنْكَ تَرِيدُ الْمَخْرَجَ ، وَاللهُ لَتَخْرُجَنَّ بِالْعَفْوِ عَنْكَ ، أَوْ لَأَجِنَّ^(٢) عَلَيْكَ
الْبَيْتَ بِالْعَقوَبَةِ ؛ فَلَمَّا طَالَ وَقْوَفُهُ جَاءَتْ جَارِيَةٌ مِنْ إِمَامِ الْحَيِّ ، قَوْلَتْ : أَعْرَابِي
مَجْنُونُ وَاللهِ ! مَا أَرَى فِي الْبَيْتِ شَيْئًا ، وَدَفَعَتِ الْبَابَ فَخَرَجَ السَّكَلْبُ شَدِيدًا ،
وَحَادَ عَنْهُ أَبُو الْأَغْرَى ، سَاقِطًا عَلَى قَفَاهِ ! ثُمَّ قَالَ : أَمَا وَاللهِ لَوْ عَلِمْتُ بِحَالِهِ لَوَجَّتُ عَلَيْهِ !

(١) النَّدْمَةُ : الْمَهْدُ وَالْأَمَانُ . (٢) وَلَجَ الْبَابُ : دَخَلَ .

١٥٠ — وعلىَّ أيضًا !*

قال أبو الحسن : كان عندنا بالمدينة رجل قد كثُر عليه الدين حتى توأري من غُرماً فيه ، ولزم منزله ، فأتاه غريم عليه شىء يسير فتاطَّفَ حتى وصل إليه ، فقال له : ما تجعل لي إن أنا دللتُك على حيلة تصير بها إلى الظهور والسلامة من غُرمائك ؟ قال : أقضيك حقك وأزيدك ما عندك مما تقر به عينك . فتوثق منه بالأيمان ، فقال له : غداً قبل الصلاة مُر خدمك يكتُس بابك وفناك ، ويرش ويحيط على دكانك حصراً ، ويضع لك متكاً ، ثم اجلس وكل من يمر عليك ويسلم تنبح له في وجهه ، ولا تزيدين على النباح أحداً كائناً من كان ، ولو كلك أحد من أهلك أو خدمك أو من غيرهم أو غيره ، حتى تصير إلى الوالي ، فإذا كلك فانبخ له ؛ وإياك أن تزيده أو غيره على النباح ، فإن الوالي إذا أيقن أن ذلك منك جدلاً لم يشك أنه قد عرض لك عارض من مسىٍ فيخلي عنك .

ففعل ، فرَّ به بعضُ جيرانه فسلم عليه ؛ فنبخ في وجهه ؛ ثم مر آخر ففعل مثل ذلك حتى تسامع غُرماؤه ؛ فأتاه بعضهم فسلم عليه فلم يزده على النباح ، ثم آخر وآخر ؛ فتعلقوه به فرفوه إلى الوالي ؛ فسألته الوالي فلم يزده على النباح ، فرفعه معهم إلى القاضي فلم يزده على ذلك ؛ فأمر بحبسه أيامًا ، وجعل عليه العيون . فلما نفذه ، وجعل لا ينطق بحرف سوى النباح .

فَلَمَّا رأى القاضي ذلك أَمْرَ بِإِخْرَاجِهِ، وَوُضِعَ عَلَيْهِ الْعِيُونَ فِي مَنْزِلِهِ، وَجُلِّلَ
لَا يَنْطِقَ بِحُرْفٍ إِلَّا النَّبَاحُ، فَلَمَّا تَقْرَرَ ذَلِكَ عِنْدَ القاضي أَمْرَ غَرْمَاءَهُ بِالْكَفِ عَنْهُ،
وَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ بِهِ لَمْ ؟ فَكَثَّ مَا شاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

ثُمَّ إِنْ غَرِيمَهُ الَّذِي كَانَ عَلَمَهُ الْحِيلَةَ أَتَاهُ مُتَقَاضِيًّا لِعِدَّتَهُ، فَلَمَّا كَلَمَهُ
جُلِّلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَى النَّبَاحِ! قَالَ لَهُ: وَيْلَكَ يَا فَلَانُ ! وَعَلَىْ أَيْضًا ! وَأَنَا عَلِمْتُكَ
هَذِهِ الْحِيلَةَ ! جُلِّلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَى النَّبَاحِ، فَهَذَا يَئُسُّ مِنْهُ اتَّصِرْفُ غَيْرَ آمِلٍ فِيهَا
يَطَالِبُهُ بِهِ.

١٥١ - كَذِبٌ بِكَذِبٍ *

قال الجاحظ^(١) : حدثني محمد بن يسير^(٢) عن والي كان بفارس قال : بينما هو يوماً في مجلس ، وهو مشغول بمحاسبة وأمره ، وقد احتجب جده^(٣) ، إذ نجم^(٤) شاعر من بين يديه ، فأنشد شعراً مدحه فيه وقرظه^(٥) ومجده . فلما فرغ قال : قد أحسنت ، ثم أقبل على كاتبه فقال : أُعطي عشرة آلاف درهم ؛ ففرح الشاعر فرحاً قد يُستطار^(٦) له .

ف لما رأى حاله قال : وإن لرأي هذا القول قد وقع منك هذا الموضع . أجعلها عشرين ألف درهم . وكاد الشاعر يخرج من جلده ! فلما رأى فرحة قد تضاعف قال : وإن فرحاً ليتضاعف على قدر تضاعف القول ! أعطيه يا فلان أربعين ألفاً . فكاد الفرح يقتله . فلما رجعت إليه نفسه قال له : أنت - جعلت فداك - رجل كريم ، وأنا أعلم أنك كلما رأيتني قد ازددت فرحاً زدتني في الجائزة . وقبول هذا منك لا يكون إلا من قلة الشكر له ! ثم دعا له وخرج .

قال : فأقبل عليه كاتبه فقال : سبحان الله ! هذا كان يرضي منك بأربعين درهما ، تأمر له بأربعين ألف درهم ! قال : ويلك ! وتريد أن تعطيه شيئاً ؟ قال :

* البخلاء : ١ - ٥٩ (طبعة دار الكتب) .

(١) عمرو بن بحر ، ولد بالبصرة ، كتبه أشهر من أن تمحى ، توفي سنة ٢٥٥ هـ . (٢) شاعر بصرى . (٣) أي احتجب عن الناس ما أمكنه الاحتجاب . (٤) نجم : ظهر . (٥) قرظه : مدحه .

(٦) يستطار له : يدفع عنه .

وَمِنْ إِنْفَادُ أَمْرِكَ بِدَّ ؟ قَالَ : يَا أَحْقَى ؛ إِنَّمَا هَذَا رَجُلٌ مِّنَ الْمُرْسَلِينَ
بِكَلَامٍ ؛ هُوَ حِينَ زَعَمَ أَنِّي أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ ، وَأَشَدُّ مِنَ الْأَسْدِ ، وَأَنْ لِسَانِي أَقْطَعُ
مِنَ السِّيفِ ، وَأَنْ أَمْرِي أَنْفَدُ مِنَ السَّنَانِ ، جَعَلَ فِي يَدِي مِنْ هَذَا شَيْئًا أَرْجِعُهُ
إِلَى شَيْءٍ ؟ أَلَسْنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ كَذَبَ ؟ وَلَكِنَّهُ قَدْ مِرْسَلَنَا حِينَ كَذَبَ لَنَا . فَنَحْنُ أَيْضًا
مِرْسَلَهُ بِالْقَوْلِ ، وَنَأْمُرُ لَهُ بِالْجَوَافِزِ ، وَإِنْ كَانَ كَذَبًا ؛ فَيُكَوِّنُ كَذَبًا بِكَذَبِهِ ،
وَقَوْلًا بِقَوْلِهِ . فَأَمَا أَنْ يُكَوِّنُ كَذَبًا بِصَدَقَةِ الْمُرْسَلِينَ ، وَقَوْلًا بِفَعْلِهِ ، فَهَذَا هُوَ
الخَسْرَانُ الَّذِي مَا سَمِعْتُ بِهِ !

١٥٢ - ذهب الحمار بِأَمْ عَمْرُو *

قال الجاحظ : دخلت يوماً مدينةً ، فوجدت فيها معلماً في هيئة حسنة ، فسألتُ عليه ، فردَّ علىَ أحسنَ رد ، ورحب بي ، فجلست عنده ، وباحتثته في القرآن ؛ فإذا هو ماهرٌ فيه ، ثم تفأَّلْخَنَا الفقه والنحو وأشعار العرب ؛ فإذا هو كاملاً في الآداب ؛ قلت : سأختلفُ إليه وأزوره .

وجئت يوماً لزيارته ، فإذا بالكتاب^(١) مغلق ، ولم أجده ؛ فسألتُ عنه ، فقيل : مات له ميتٌ ؛ فحزن عليه ، وجلس في بيته للعزاء . فذهبت إلى بيته ، وطرقت الباب ، فخرجت إلى جارية وقالت : ما تريدين ؟ قلت : سيدك . فدخلت وخرجت ، وقالت : باسم الله ؟ فدخلت إليه ، وإذا به جالس . قلت : عَظَمَ اللَّهُ أَجْرُك ؛ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة . كل نفسٍ ذاتُه المُوت ؛ فليك بالصبر .

ثم قلت له : هذا الذي تُوفى ولدك ؟ قال : لا . قلت : فوالدك ؟ قال : لا . قلت : فأخوك ؟ قال : لا . قلت : فزوجك ؟ قال : لا . قلت : فمن هو ؟ قال : حبيبي . قلت في نفسي : هذه أولى العجائب . قلت : سبحان الله ! النساء كثير وستجد غيرها . فقال : أتظن أنِّي رأيتها ؟ قلت : وهذه الثانية .

ثم قلت : وكيف عشقتَ من لم تر ؟ فقال : اعلم أني كنت جالساً في هذا
المكان ، وأنا أنظر من الطاق^(١) ، إذ رأيت رجلاً عليه بُرد ، وهو يقول :
يا أمَّ عمِرو جزِّ الْهَمَارِ مَكْرَمَةً رُدُّي عَلَى فَوَادِي أَيْنَا كَانَ
قللت في نفسي : لو لا أنْ أَمَّ عمِرو هذه ما في الدنيا أَحْسَنُ منها ما قيل فيها هذا
الشعر ؛ فعشقتُها .

فَلَمَّا كَانَ مِنْذَ يَوْمَيْنِ مَرَّ ذَلِكَ الرَّجُلُ بِعِينِهِ وَهُوَ يَقُولُ :
لَقَدْ ذَهَبَ الْهَمَارُ بِأُمَّ عَمِرو فَلَا رَجَعَ لِرَجَعِ الْهَمَارِ
فَلَمَّا مَاتَتْ أَنْهَا ماتَتْ ، فَخَرَّتْ عَلَيْهَا ، وَأَغْلَقَتُ الْمَكْتَبَ ، وَجَلَستُ فِي الدَّارِ !
فَقَلَتْ : يَا هَذَا ؟ إِنِّي كَنْتُ قَدْ أَلْفَتُ كِتَابًا فِي نَوَادِيرِكُمْ مِعْشَرِ الْعَالَمِينَ ،
وَكَنْتُ حِينَ صَاحِبِتُكَ عَزَّمْتُ عَلَى تَقْطِيعِهِ ، وَالآنَ قَدْ قَوَيْتَ عَزْمِي عَلَى إِبْقَائِهِ ،
وَأَوْلَى مَا أَبْدَأْتُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) الطاق : ماعقد من الأبنية .

١٥٢ — أَعْجَبَ مَا رأَيْتَ مِنَ الْجَانِينَ *

حدث المبرد^(١) قال : قال لى المازنى : بلغنى أنك تصرف من مجلسنا إلى مواضع الجنين والمعالجين^(٢) فما معنى ذلك ؟ فقلت : أعزك الله تعالى ؛ إن لم طرائف من الكلام ! قال : فأخبرنى بأعجب ما رأيت من الجنين ! فقلت : صرت يوماً إليهم فورت على شيخ منهم ، وهو جالس على حصير قصبه ، فجاوزته إلى غيره ، فقال : سبحان الله ! أين السلام ؟ من الجنون ؟ أنا أم أنت ؟ فاستحييت منه ، وقلت : السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقال : لو كفت ابتدأت لأوجبت علينا حُسْنَ الرَّدَّ ، على أنا نصرف سوء أدبك إلى أحسن جهاته من العذر ، لأنه كان يقال : إن للداخل على القوم دهشة ، اجلس - أعزك الله - عندنا ، وأوْمِأْ إلى موضع من الحصير ، فلست إلى ناحية منه ، فقال لي - وقد رأى معنى محيرى : أرى معك آلة رجلين أرجو ألا تكون أحدهما : أصحاب الحديث الأغالاث ، أو الأدباء أصحاب التحو و الشعر ؟ قلت : الأدباء ! قال : أتعرف أبا عثمان المازنى ؟ قلت : نعم ! قال : أتعرف الذى يقول فيه القائل :

وَفَتَىٰ مِنْ مَازِنْ أَسْتَاذٌ أَهْلَ الْبَصَرَةِ
أَمْهُ مَعْرِفَةٌ وَأَبْوَهُ نَكِرَةٌ

* معجم الأدباء : ١٩ - ١١٦

(١) هو محمد بن يزيد ، المعروف بالمبرد إمام العربية في زمانه ببغداد وأحد أئمة الأدب والأخبار . مولده ببغداد وتوفى بها سنة ٢٨٦ هـ . (٢) المدخولين في عقوفهم ، والمعاطفين العلاج .

قلت : لا أعرفه ، فقال : أتعرف غلاماً له قد نبع في هذا العصر ، له ذهن وحفظ وقد برز في النحو ، يعرف بالمبред ؟ قلت : أنا والله أخلي به ! قال : فهل أنشدك شيئاً من شعره ؟ قلت : لا أحسبه يحسن قول الشعر ! قال : يا سبحان الله !
أليس هو القائل :

حَبَّذَا ماء العنايقِ بِرِيقِ الْفَانِيَاتِ
بِهِمَا يَنْبُتُ لَحْمِي وَدَمِي أَيَّ نَبَاتِ

قلت : قد سمعته ينشد هذا في مجلس أنس ؟ فقال : يا سبحان الله ! ألا يستحق أن ينشد مثل هذا الشعر حول الكعبة ؟ ثم قال : ألم تسمع ما يقولون في نسبة ؟
قلت : يقولون : إنه من الأزد أزد شنوة ، ثم من ثمالة ! قال : أتعرف القائل في ذلك :

سَأَلْنَا عَنْ ثُمَالَةَ كُلَّ حَيٍّ قال القائلون : وما ثماله ؟
فَقَالُوا : زِدْنَا بِهِمْ جَهَالَةً ! قلت : محمد بن يزيد منهم
فَقَالَ لِلْمَبْرَدَ : خَلَّ قَوْمِي قَوْمِي مَعْشَرٌ فِيهِمْ نَذَالَةً !

قلت : أعرفه ! هذا عبد الصمد بن المعتزل يقولها فيه ! قال : كذب فيها ادعاه ! هذا كلام رجل لا نسب له ، يريد أن يثبت له بهذا الشعر نسبة ،
قلت له : أنت أعلم ! فقال : ياهذا ، قد غلت خفة روحك على قلبي ، وقد أخررت
ما كان يجب تضليله ، ما الكنية ؟ أصلاحك الله ! قلت : أبو العباس ، قال :
فما الاسم ؟ قلت : محمد ، قال : فالأخ ؟ قلت : يزيد . قال : فبحبك الله ! أحوجتني
إلى الاعتزاز بما قدمت ذكره ، ثم وتب وبسط يده فصالحتني ؛ فرأيت القيد في

١٥٤ — مجنون أديب*

قال أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب^(١) : كان ببغداد فتى يجئ ستة أشهر ، فاستقبلني يوماً ببعض السلك فقال : ثعلب ! قلت : نعم ، قال : فأنشدته ، فأنشدته :

وإذا صررت بقبره فاعقر به كوم^(٢) المحيان وكل طرف^(٣) ساج
وانضج جوانب قبره بدماءها فكذا يكون أخادم وذباخ
فضحك ثم سكت ساعة ؛ وقال : ألا قال :

اذهبا بي إن لم يكن لـ كما عـرـ على تـرـبـ قـبـرهـ فـاعـقـرـانـيـ
وانضحا من دمي عليه فقد كـا نـ دـمـيـ منـ نـدـاهـ لوـ تـعـلـمانـ
ثم رآني يوماً بعد ذلك فتأملني ، وقال : ثعلب ! قلت : نعم ؛ قال : أنشدته ،
فأنشدته :

أعـارـ الجـوـدـ^(٤) نـاـئـلـهـ إـذـاـ ماـ مـالـهـ نـفـدـاـ
وـإـنـ أـسـدـ شـكـاـ جـبـنـاـ أـعـارـ فـؤـادـهـ الأـسـدـاـ

فضحك وقال : ألا قال :

عـلـمـ الجـوـدـ النـدـىـ حـتـىـ إـذـاـ ماـ حـكـاهـ عـلـمـ الـبـاسـ الأـسـدـ
فـلـهـ الجـوـدـ مـقـرـشـ بـالـنـدـىـ وـلـهـ الـلـيـثـ مـقـرـشـ بـالـجـلـدـ

* عقلاه المجانين : ١٣٥ ، نهاية الأرب : ٣ - ٢١٣

(١) أحمد بن يحيى لام المكتوفين في النحو واللغة كان راوية للشعر مشهوراً بالحفظ وصدق المراجحة ،
ثقة حجة ، توفي سنة ٢٩١ هـ . (٢) الكوم : القطعة من الإبل . (٣) الطرف : الكريم من
الخيل . (٤) الجود : المطر الغزير .

١٥٥ — كَدْرُ اللَّهِ مِنْ كَدْرِ العِيشِ *

قال الحدوبي : بعث إلى أَحْمَدَ بْنَ حَرْبَ الْمَهَابِ فِي غَدَاءِ ، السَّمَاءُ فِيهَا مَفِيمَةُ ، فَأَتَيْتُهُ ، وَالْمَائِدَةُ مَوْضِعَةٌ مُعَطَّلَةٌ ، وَقَدْ وَافَتْ « عِجَابُ » الْعَنْيَةُ ؛ فَأَكَلْنَا جَمِيعاً وَجَلَسْنَا عَلَى شَرَابِنَا ؛ فَارَاعَنَا إِلَّا دَاقَّ يَدْقُ الْبَابِ فَأَتَاهُ الْفَلَامُ ؛ قَالَ : بِالْبَابِ فَلَانُ ! قَالَ لِي : هُوَ فَتَّى مِنْ آلِ الْمَهَابِ ، ظَرِيفٌ نَظِيفٌ ! قَلَتْ : مَا نَرِيدُ غَيْرَ مَا نَحْنُ فِيهِ !

فَأَذْنَ لَهُ ؛ جَاءَ يَتَبَخْتِرُ ، وَقُدَّامِي قَدَّحُ شَرَابَ فَكْسَرَهُ ، فَإِذَا رَجُلُ آدَمَ^(١) ضَخْمٌ ! وَتَكَلَّمُ ؛ فَإِذَا هُوَ أَعْيَا النَّاسِ .

جَلْسَ يَيْنِي وَبَيْنَ « عِجَابَ » ؛ فَدَعُوتَ بَدَوَةً ، وَكَتَبْتَ إِلَى أَحْمَدَ
ابن حرب :

كَدْرُ اللَّهِ عِيشَ مِنْ كَدْرِ العِيشِ شَيْءٌ ؛ فَقَدْ كَانَ صَافِيَا مُسْتَقْطَابَاً
جَاءَنَا وَالسَّمَاءُ تَهْطَلُ بِالْغَيْرِ شَيْءٌ وَقَدْ طَابَقَ السَّمَاعَ الشَّرَابَا
كَسْرُ الْكَأْسِ وَهِيَ كَالْكَوْكَبِ الدَّرِّ^(٢) رَأَيْتُ مِنْ الْمَدَامُ^(٣) رُضَابَا^(٤)
قَلَتْ لَمَّا رَمِيتُ مِنْهُ بِمَا أَكَ رَهَّ ، وَالدَّهْرُ مَا أَفَادَ أَصَابَا !
مَجْلَ اللَّهُ رِقْمَةً لَابْنِ حَرْبٍ تَدَعُ الدَّارَ بِدَشْهِيرٍ خَرَابَا !

* زهر الآداب : ٤ - ١٧٧

(١) الآدم : الأسر . (٢) الكوكب الدرى : الثاقب المضى ، نسب إلى الدر لبيانه .

(٣) المدام : الخمر . (٤) الرضاب : العسل ، أو رغوثه .

وَدَفَعْتُ الرِّقْمَةَ لَهُ ؛ قَالَ : أَلَا نَفَسْتَ^(١) ؟ قَلْتَ : بَعْدَ حَوْلَ^(٢) ؟ قَلْتَ :
أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ بَعْدَ يَوْمٍ ؛ نَخْفِتُ أَنْ يَصِيبَنِي مَضْرَرٌ ذَلِكَ !
وَفِطْنَ النَّقْيلِ ؛ فَهُمْ ، قَالَ : آذِيَتَهُ ! قَلْتَ : هُوَ آذَانِي !

(١) نفس تنفيساً : فرج ، ي يريد ألا فرجت عن نفسك وصبرت . (٢) ي يريد : بدل شهر القمر .
وردت في البيت .

١٥٦ — يضيق أهل الصفة ثم يضر بهم

كان زيدُ بنُ عبدِ اللهِ الهاشمي واليَا علىَ المديْنَةِ ، وَكَانَ فِيهِ بُخْلَانٌ وَجفَاءٌ ،
خَاهَدَ إِلَيْهِ كَاتِبٌ سِلَالًا فِيهَا أطْعَمَةً ، وَقَدْ تَنُوقَ (١) فِيهَا ، فَوَافَقَتْهُ وَقَدْ تَنَّدَى ،
فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : غَدَاءُ بَعْثَةِ فَلَانِ السَّكَانِ ! فَغَضِبَ ، وَقَالَ : يَبْعِثُ أَحَدَمْ
الشَّيْءَ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ ! يَا يَحْيَى بْنَ مَالِكٍ - يَرِيدُ صَاحِبَ شَرْطَتِهِ : ادْعُ لِي أَهْلَ
الصَّفَةِ (٢) يَا كَلُونَ هَذَا !

فَبَعَثَ يَحْيَى الْحَرْسَ يَدْعُونَهُمْ ، فَقَالَ الرَّسُولُ الَّذِي جَاءَ بِالسَّلَالِ : أَصْلَحْ اللَّهُ
الْأَمْرَ ! لَوْ أَمْرَتَ بِهَذِهِ السَّلَالِ تَفْتَحْ وَيَنْظَرْ مَا فِيهَا !
قَالَ : أَكْشِفُوهَا ، فَإِذَا طَعَامُ حَسْنٍ مِنْ دَجَاجٍ وَجِدَاءٍ (٣) وَسِنَكٍ وَأَخْبَصَةٍ (٤)
وَحَلَوَاءٍ ! فَقَالَ : ارْفَعُوهَا هَذِهِ السَّلَالَ .

وَجَاءَ أَهْلُ الصَّفَةِ ؛ فَأَخْبَرُوهُمْ ، فَأَمْرَرَ يَاهْضَارَهُمْ ، وَقَالَ : يَا يَحْيَى ، اضْرِبْهُمْ عَشْرَةً
أَسْوَاطاً ، فَإِنَّهُ بِلْغَنِي أَنَّهُمْ يَحْدُثُونَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !

* مَهَايَةُ الْأَرْبَعَ : ٣٠٥ - ٣

(١) تَنُوقُ فِي الْأَمْرِ : تَأْنِقُ فِيهِ (٢) أَهْلُ الصَّفَةِ : كَانُوا أَصْنَافَ الإِسْلَامِ ، وَكَانُوا يَبْيَتُونَ فِي
مَسْجِدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) الْجِدَاءُ : جَمِيعُ الْجَدَاءِ ، وَهُوَ وَلَدُ الْمَعْزَ (٤) الْحَيْسُ : طَعَامُ
مِنَ التَّمَرِ وَالسَّمَنِ .

* ١٥٧ - ابن المدبر وطفيلي

كان ابن المدبر قليل الجلوس للندمة ، وكان له سبعة ندماء لا يأنس بغيرهم ولا ينبعط إلى سوام ، قد اصطفاهم لشرته ، واختارهم لندمتة ، كل رجل منهم قد انفرد بنوع من العلم لا يساويه فيه غيره .

وكان طفيلي يُعرف بابن دراج من أكمل الناس أدبا ، وأخفهم روحًا ، وأشدم في كل ملية افتئانا ؛ فلم يزل يحتال إنى أن عرف وقت جلوس ابن المدبر للندمة ، فتزينا في زى ندمائه ، ودخل في جلتهم ، وظن حاجبه أن ذلك بعلم من أصحابه ومعرفة من أولئك الندماء ، ولم يذكر شيئاً من حاله .

وخرج ابن المدبر ، فنظر إليه بين القوم ، فقال حاجبه : اذهب إلى ذلك الرجل ، فقال له : ألك حاجة ؟ فسقط في يد الحاجب ، وعلم أن الحيلة قد تمت عليه ، وأن ابن المدبر لا يرضي في عقوبته إلا بقتله ، فذهب إليه ، فقال له : الأستاذ يقول لك : ألك حاجة ؟ فقال : قل له : لا . فقال له : ارجع إليه فقال له : أى شيء أنت ؟ فقال : قل له : طفيلي يرحمك الله !

قال له ابن المدبر : أنت طفيلي ؟ قال : نعم ! أعزك الله ! قال : إن الطفيلي يحتمل دخوله بيوت الناس وإفساده عليهم ما يريدونه من الخلوة بندمامتهم والخلوض في أسرارهم الخصال ، منها أن يكون لاعبا بالشطرنج ، أو بالترندين ، أو ضاربا بالعود أو الطنبور !

قال : أَيْدِكَ اللَّهُ ! أَنَا أَحْسَنُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ كُلَّهَا ، قَالَ : وَفِي أَىْ وظِيفَةِ أَنْتَ مِنْهَا ؟ قَالَ : فِي الْعُلْمِيَّةِ مِنْ جَمِيعِهَا !

قال بعض نداماته : لا عنْه بالشَّطْرُنج ، فقال الطفيلي : أصلح الله الأستاذ !
فإِنْ قَمِرْتَ^(١) ؟ قال : آخر جناك من ديارنا . قال : فَإِنْ قَمِرْتَ ؟ قال : أعطيناك ألف درهم . قال : فَإِنْ رَأَيْتَ - أَيْدِكَ اللَّهُ - أَنْ تَخْضُرَ الْأَلْفَ ؟ فَإِنْ فِي حُضُورِهَا قُوَّةٌ لِلنَّفْسِ وَالْإِيمَانِ بِالظَّفَرِ .

فَأَحْضَرَتْ ؟ فَلَعْبًا فَقْلَبَ الطَّفِيلِيَّ ، وَمَدَّ يَدَهُ لِيَأْخُذَ الدِّرَاهَمَ ، فَقَالَ الْحَاجِبُ لِيُنْفِي عَنْ نَفْسِهِ بَعْضَ مَا وَقَعَ فِيهِ : أَعْزَ اللَّهُ الأَسْتَاذَ ؛ إِنَّهُ زَعْمٌ أَنَّهُ فِي الطَّبَقَةِ الْعُلْمِيَّةِ ، وَابْنُ فَلَانَ غَلامُكَ يَغْلِبُهُ .

فَأَحْضَرَ الغَلامَ ، فَقْلَبَ الطَّفِيلِيَّ ، فَقَالَ لَهُ : انْصِرْفْ ، فَقَالَ : أَحْضِرُوا النَّرْدَ ، فَأَحْضَرَتْ فَلُوعَبَ فَقْلَبَ ، فَقَالَ الْحَاجِبُ : وَلَا هَذَا - يَا سَيِّدِي - فِي الطَّبَقَةِ الْعُلْمِيَّةِ مِنَ النَّرْدِ ، وَلَكِنْ بَهَّا بَنُّا فَلَانَ يَغْلِبُهُ ، فَأَحْضَرَ الْبَوَابَ فَقْلَبَ الطَّفِيلِيَّ ، فَقَالَ لَهُ : اخْرُجْ ، فَقَالَ : يَا سَيِّدِي ، فَالْمَوْدُ ؟

فَأَتَى بِالْمَوْدُ ، فَضَرَبَ فَأَصَابَ ، وَغَنَّى فَأَطْرَبَ ، فَقَالَ الْحَاجِبُ : يَا سَيِّدِي ؟ فِي جَوَارِنَا شَيْخٌ هاشْمِيٌّ يُعْلَمُ الْقِيَّانِ أَحْذَقَ مِنْهُ ، فَأَحْضَرَ الشَّيْخَ ، فَكَانَ أَطْيَبَ مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : اخْرُجْ ، قَالَ : فَالْطَّنْبُورُ ، فَأَعْطَى طَنْبُورًا فَضَرَبَ ضَرَبَ لَمْ يَرَ النَّاسُ أَحْسَنَ مِنْهُ ، وَغَنَّى غَنَاءً فِي النَّهَايَةِ ، فَقَالَ الْحَاجِبُ : أَعْزَ اللَّهُ الأَسْتَاذَ ؛ فَلَانَ فِي جَوَارِنَا أَحْذَقَ مِنْهُ ، فَأَحْضَرَ فَكَانَ أَحْذَقَ مِنْهُ وَأَطْيَبَ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمَدْبُرِ :

(١) فَرَتْ : غَلَبَتْ فِي الْلَّعْبِ .

قد تقصّينا لك بكل جهد ، فابت حِرْفَتَك إلا طردك عن منزلنا .

قال : ياسيدى ، بقى شىء ! قال : ما هو ؟ قال : تأمر لى بقوس بندق ^(١) مع خمسين بندقة رصاص ، ويقام هذا الحاجب على أربع وأربعين بها ، وإن أخطأت ^أ واحدة منها ضربت رقبتى . فضجّ الحاجب من ذلك ، ووُجد ابن المدبر فى ذلك شفاء لنفسه وعقوبة له على ما فرط منه فى إدخال الطفيلي إلى مجلسه . فأمر ^أ كافين ^(٢) فاحضرا ، وجعل أحدهما فوق الآخر ، وشدّ الحاجب فوقهما ، وأمر بالقوس والبندق فدفعا إلى الطفيلي ، فرمى به ؛ فما أخطأه ؛ وخلّ عن الحاجب وهو يتأنّوه لما به ، فقال له الطفيلي : أعلى باب الأستاذ من يُحسن مثل هذا ؟ فقال : ما دام البرجاس ^(٣) اسْتِ فلا !

(١) البندق : الذى يرى به ، الواحدة بهاء (٢) الإكاف : البرذعة (٣) البرجاس : غرض فى المواه على رأس دمع أو نحوه .

١٥٨ - صناعتهم التَّطْفِيلُ *

قال دراج : قدمت من بغداد ، فررت بباب قوم وعندم ولية ، وإذا
بصاحب الدار يدخل ويضع سلماً فكلما رأى إنساناً لا يعرفه قال : اصعد يا أبي ؟
فاصعدت إلى غرفة مفروشة حتى وافيت فيها ثلاثة عشر طفيليما ، ثم رفع السلم ،
ووضعتم الموائد ، فبقي أصحابي قد تحرروا وقالوا : مامراً بنا مثل ذا قط ؟ قلت :
يافتين ، ما صناعتكم ؟ قالوا : التطفيل ، قلت : ما عندكم في هذا الأمر الذي وقعنا
فيه ؟ قالوا : ما عندنا فيه حيلة ، قلت : فإذا احتلت لكم حتى تأكلوا وتنزلوا تقرؤون
أني أعلمكم بالتطفيل ؟ قالوا : ومن تكون بالله ؟ قلت : أنا ابن دراج . قالوا : قد
أقررنا لك قبل أن تختال لنا . قال : بحثت إلى صاحب الدار فاطلعت عليه والناس
يأكلون وقلت : يا صاحب الدار ؟ قال : مالك ؟ قلت : أيما أحب إليك : تصعد
إلينا بخوان كبير ، نأكل وننزل أو أزى بنفسى ، فيخرج من دارك قتيل ؟ ويسير
عرسك مائتا ؟ وجعلت أريه كأنى أرى بنفسى ، فصاح وقال : اصبر ويلك
لا تفعل ! وجعل يعجل ويقول : هذا مجانون . وأصعدوا إلينا خوانا ، فأكلنا ونزلنا.

* ١٥٩ — اصبروا علىَ إِلَى غَدِّ

ادعى مدعى النبوة ، فطلب ودعى له بالسيف والنطع ؛ فقال : ما تصنعون ؟
قالوا : نقتلك ، قال : ولم تقتلوني ؟ قالوا : لأنك ادعية النبوة ، قال : فلستُ
ادعيعها ، قيل له : فائي شيء أنت ؟ قال : أنا صديق ، فدعى له بالسياط ، فقال :
لم تضر بوني ؟ قالوا : لداعائك أنك صديق ، قال : لا أدعى ذلك ، قالوا : فمن
أنت ؟ قال : من التابعين لهم بإحسان ، فدعى له بالدرة ^(١) ، قال : ولم ذلك ؟
قالوا : لداعائك ماليس فيك ، فقال : ويحكم ! أدخل إليكم وأنانبي تريدون أن
تخطوني في ساعة واحدة إلى مرتبة العوام ! اصبروا علىَ إِلَى غَدِّ حتى أصير لكم
ما شتم !

* نهاية الأربع : ٤ - ٦

(١) الدرة بالكسر : التي يضرب بها .

١٦٠ — هو خير الناسِ مهما يفعل *

حدثَ رجلٌ من عاصِنَةِ لُؤْيَ ، قال : كان صبيًّاً منا ترك له أبوه غنماً
وعيدها ؛ فخرج يوماً ، فنظر إلى جاريةٍ في خبائثها فهو يراها ، ومال إلى أنها ، وسألاها
لمن تزوجها منه ، فقالت : حتى أسألَ عن أخلاقك .

فسألَ عن أقرب الناسِ إليها ، فدلَّ على شيخٍ كان معروفاً بمحسن الخضرَ .
فأنا وسلَّمَ عليه ، وقال : ماجاه بك ؟ فأخرجه ! فقال : لا عليك ! فإنَّ العجوز غيرُ
خارجةٍ من رأيِّي ، فامضِ إلى مزرلك ، وأقمِ يوماً أو يومينِ ، ومرِّ بقىتك أنْ
تُساقَ ، ونادِ في أهلك : أَمَّا من أراد أن يحلُّبَ فليأتنا ! ودعني والأمرِ !

فشاء الخبرُ ، فخرجت العجوز مع مَنْ خرج ، والشيخُ مع القومِ ، فنظر إلى
الشابَ ، وقد كانت العجوز قد أخبرته بشأنِه ، فقال : هو هو ! فقالت : نعم ! قال :
لقد حُرِّمتِ حظكِ ! قالت : إنِّي أريد أن أسألكَ عن أخلاقه . قال : أنا ربيته .
قالت : فكيف لسانه ؟ قال : خطيبُ أهله ، والمتكلُّمُ عنهم . قالت : فكيف
سماعته ؟ قال : نِمَالٌ^(١) في قومه ، وربِّيهم ! قالت : فكيف شجاعته ؟ قال :
حامي قومه والمدافعُ عنهم !

قال : فطلعَ الفتى ، فقال : أما ترين ما أحسن ما أقبل ؟ ما انْهني ولا انْثني !

* الحسان والمساوي : ٦٤٣ (طبع ليزج) .

(١) النِّمَالُ : النبات الذي يقوم بأمر قومه .

فَلَمَّا قَرِبَ سَلْمٌ ، قَالَ : مَا أَحْسَنَ مَا سَلَمَ ! مَا حَارَ وَلَا نَارٌ . ثُمَّ اسْتَوَى جَالِسًا ،
قَالَ : مَا أَحْسَنَ مَا جَلَسَ ! مَا رَكَعَ وَلَا عَجَزَ . قَالَتْ : أَجَلْ ! فَذَهَبَ يَقْهَرُكَ
فَضَرَطَ ، قَالَ الشَّيْخُ : مَا أَحْسَنَ وَاللهُ مَا ضَرَطَ ، مَا أَطْنَثَهَا وَلَا أَغْتَهَا وَلَا نَفَخَهَا
وَلَا تَرْتَهَا ^(١) . فَهَبَسَ الْفَتَى خَجِلاً ، قَالَ الشَّيْخُ : مَا أَحْسَنَ وَاللهُ مَا هَبَسَ !
قَالَتِ الْمَجْوَزُ : أَجَلْ وَاللهُ ! فَصَحَّ بِهِ وَرُدَّهُ ، فَوَاللهِ لِزَوَّجْنَاهُ وَلَوْ فَعَلَ أَكْثَرَ
مَا فَلَ !

(١) التَّرْتُرُ : التَّرْلُولُ وَالتَّقْلُلُ .

* ١٦١ - طفيلي في عرس *

دخل طفيلي عُرْسًا فلم يقدر على الدخول ، فأخذ قرطاساً وأدَرَّ جهَّهَ^(١) ، ولم يكتب فيه شيئاً ، وسأل عن العروس : هل له قريب غائب ؟ فقيل : أخوه .

فكتب عنوان الكتاب من فلان ابن فلان أخيه . وجاء فدقَّ الباب ، وقال : معي كتابٌ من أخي العروس . فخرج العروس مبادراً فأدخله وأحضرَ له الطعام ؛ فلما قرأ العنوان قال : سبحان الله ! تراه نسيَ اسمى إذ لم يكتبه على الكتاب ! فقال الطفيلي : وأعجبُ من هذا أنه لم يكتب داخله شيئاً من العجلة ! فلم مراده وأدخله !

* ذيل زهر الآداب : ٢٨٠

(١) أدرج الكتاب : طواه .

١٦٣ — طفيلي محدث *

قال أبو عمرو نصر بن علي : كان لي جار طفيلي ، وكان من أحسن الناس
منظراً ، وأعذبهم منطقاً ، وأطيبهم رائحة ، وأجملهم لباساً ، وكان من شأنه معى أنى
إذا دعيت إلى مَدْعَة^(١) تبعني ، فيذكره الناس من أجلـي ، ويظنون أنه صاحبـ لي ؛
فانفق يوماً أن جعفر بن القاسم الهاشمي أمير البصرة أراد أن يختتن بعض أولاده ،
فقلت في نفسي : كأني برسول الأمـير قد جاء ، وكأني بهذا الرجل قد تبعـنى ، والله
لئن تبعـنى لأفضـحـنـه !

فأنا على ذلك إذا جاء رسولـ يدعـونـى ، فـا زـدتـ أـن لـبـسـتـ ثـيـابـ وـخـرـجـتـ ،
وـإـذـا أـنـاـ بـالـطـفـيلـ وـاقـفـ عـلـىـ بـابـ دـارـهـ ، وـسـبـقـنـيـ بـالـتـأـهـبـ فـتـقـدـمـتـ وـتـبـعـنـىـ ؟ـ فـلـماـ
دخلـنـاـ دـارـ الـأـمـيرـ جـلـسـنـاـ سـاعـةـ ، وـدـعـاـ بـالـطـعـامـ ، وـأـحـضـرـتـ المـوـائـدـ وـكـانـ كـلـ جـمـاعـةـ
عـلـىـ مـائـذـةـ لـكـثـرـةـ النـاسـ ، فـقـدـمـتـ إـلـىـ مـائـذـةـ وـالـطـفـيلـ مـعـىـ ، فـلـمـاـ مـدـ يـدـهـ ، وـشـرـعـ
فـيـ تـنـاوـلـ الطـعـامـ قـلـتـ : حـدـثـنـاـ نـافـعـ عـنـ اـبـنـ عـرـ ، قـالـ : قـالـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ
وـسـلـمـ : «ـ مـنـ دـخـلـ دـارـ قـوـمـ بـغـيـرـ إـذـنـهـ فـأـكـلـ طـعـامـهـ دـخـلـ سـارـقـاـ ، وـخـرـجـ مـغـيـرـاـ»ـ .ـ
فـلـماـ سـمـعـ ذـلـكـ قـالـ : أـنـفـتـ لـكـ وـالـلهـ أـبـاـ عـمـروـ مـنـ هـذـاـ الـكـلـامـ !ـ فـإـنـهـ مـاـ مـنـ
أـحـدـ مـنـ جـمـاعـةـ إـلـاـ وـهـوـ يـظـنـ أـنـكـ تـعـرـضـ بـهـ دـوـنـ صـاحـبـهـ ، أـوـ نـسـتـجـيـ أـنـ تـكـلـمـ
بـهـذـاـ الـكـلـامـ عـلـىـ مـائـذـةـ سـيـدـ مـنـ أـطـعـامـ الطـعـامـ ، وـتـبـخـلـ بـطـعـامـ غـيرـكـ عـلـىـ مـنـ سـواـكـ !ـ

* التطفيل للبغدادي : ٦٦

(١) المَدْعَةُ : الدُّعْوةُ

ثم لا تستحق أن تحدث بهذا الحديث وهو ضعيف ، وتحكم برفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، والسلكون على خلافه ! لأن حكم السارق القطع ، وحكم المغير أن يُعزَّر على ما يراه الإمام ، وأين أنت عن حديث حَدَّثَنَا أبو عاصم النبيل عن ابن جريج عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طعامُ الواحد يكفي الاثنين ، وطعام الاثنين يكفي الأربعة ، وطعام الأربعة يكفي التمانية ». وهو إسنادٌ صحيحٌ ومتنٌ صحيحٌ !

قال نصر : فأفهمني فلم يحضرني له جواب ، فلما خرجنا من الموضع للانصراف فارقني من جانب الطريق إلى الجانب الآخر بعد أن كان يمشي ورائي ، وسمعته يقول :

ومن ظنَّ مِنْ يلاقي الحروبَ بِالْأَلَّا يصَابَ قَدْ ظنَّ عَجَزًا

* ١٦٣ - غِنَى وَغَفْلَةُ

كان بمصر شريف من ولد العباس يعرف بأبي جعفر؛ شبيه بابن الجصاص في
الغفلة والجحود والنعمة.

قال أبو القاسم بن محمد التنوخي : بعثني أبي إيمه من قرية تعرف بجلا
يستقرضه عشرة أرادب فحاماً وتلاثين زوج بقر، وكتب معى بذلك رقعة، فأتيتُ
إليه وسلمت عليه ، ودفعت إليه الرقعة ؛ فقال : ذكرتُ أباك ، فهو صاحب
وصديق وخليطى ! وأين هو الآن ؟ قلت : بقرية تلا - أعز الله سيدى الشريف !
قال : نعم ! حفظه الله هو بالفسطاط معنا ، وقد انقطع عنا كذا ! ما كنت أظنه
إلا غائباً !

قلت : لا سيدى هو بتلا ! قال : فما لك ما قلتَ لي ؟ فما كان سيدى أن يؤنسنى
برقعة من قبله ؟ قلت : يا سيدى ، قد دفعت إليك رقعته ! قال : وأين هي ؟ قلت :
تحت البساط ! فأخذها وقرأها ، وقال : قل لي الآن ، أكان لك أخ أعرفه حاد
الدهن يحسن النحو والعروض والشعر ؟ فاقفل الله به ؟ قلت : أنا هو - أعزك الله !
قال : كبرتَ كذا ! وعهدى بك تأنيق معه ؟ قلت : نعم ! أيد الله الشريف !
قال : وما الذي جئتَ فيه ؟ قلت له : والدى بعثنى إليك برقعة يسألك فيها
قرض عشرة أرادب فحاماً وتلاثين زوج بقر . قال : وهو الآن بالفسطاط ؟ !

قلت : لا يا سيدى هو بتلا ! قال : نعم ! وإنما ذاك الفتى أخوك ؟ قلت : لا !
أنا هو .

فصار يراجعنى فى السکلام وقد ضجرت من شدة غفلته ، وكثرة نسيانه لما
أقول له ، حتى أقبل كاتبه أبو الحسين ، فقال له : سل هذا الفتى ما يريد ؟ فسألنى
غير فتنته فأخبره ، فقال له : نفذ له حاجته . فوقع لي الكتاب بما أراد ، وقال :
تلقانى للقبض بالديوان ، فشكرت الشريف ونهضت ! فقال : اصبر يا بني فقد حضر
طعامنا ؛ وقدم الطعام ، وفيه طعام غير جيد ، فرفع يده ، وقال : مثل مطبخى يكون
فيه مثل هذا ! على بالطباخ ! فأتى ، فقال له : ما هذا العمل ! فقال : يا سيدى ؟
إنما أنا صانع ، وعلى قدر ما أعطي أعمل ! وقد سألت المُنْفِقَ أن يشتري لي ما أحتاج
إليه فتأخر عنى ، فعملت على غير تمسك ؛ خاء التقصير كما ترى .

قال : على بالمنْفِقَ فاحضر ، فقال : مالى قليل ؟ قال : لا ، يا سيدى إنما أتفق
ما أعطي ، وقد سألت الجِهِيدَ^(١) أن يدفع لي فتأخر عنى ؟ فقال : على بالجِهِيدَ !
فأتي به . فقال : مالك لم تدفع للمنْفِقَ شيئاً ؟ قال : لم يوقع لي الكتاب ! فقال
للكاتب : لم تدفع إليه شيئاً ؟ فتلعثم في الكلام ، ولم يكن عنده جواب ؟
قال للكاتب : قف هنا ، فوقف ، ووقف خلفه الجِهِيدَ ، ووقف خلف الجِهِيدَ
المنْفِقَ ، وخلف المنْفِقَ الطباخ ، وقال : ليصنع كل واحد منكم من يليه بأكفر
ما يقدر عليه فتصاصفوا .

قال : فخررت وأنا متعجب من غيابه وغفلته !

(١) الجِهِيدَ : النقاد الحمير ، ويريد القائم بالإتفاق وحفظ الأموال ..

* ١٦٤ — حذاء أبي القاسم *

كان في بغداد رجلٌ اسمه أبو القاسم الطُّبُورِيُّ، وكان له مَدَانٌ^(١)، وهو يلبسُه سبعَ سنينٍ، وكان كلما تقطعَ منه موضعٌ جعل مكانه رقعةً إلى أن صار في غايةِ التَّنَلِ، وصار الناسُ يضرِبون به المثلَ.

فاتفقَ أنه دخل يوماً سوق الزجاجِ، فقال له سمسارٌ^(٢): يا أبو القاسمِ، قد قديمٌ إلينا اليوم تاجرٌ من حَلبَ، ومعه حُلُّ زجاجٌ مُذَهَّبٌ قد كسدَ، فاشترِه منهَ، وأنا أبيعه لكَ بعد هذه المدة؛ فَتَكْسِبُ به المثلِ مِثْلَيْنِ! فمضى واشتراه بستينَ ديناراً.

ثم إنَّه دخل إلى سوق العطارينَ؛ فصادفه سمسار آخرَ، وقال له: يا أبو القاسم؛ قد قديمٌ إلينا اليوم من تصييرين^(٣) تاجرٌ، ومعه ماءٌ ورَزْدٌ، ولِعَجَلةٌ سفره، يمكن أن تشتريه منه رخيصاً، وأنا أبيعه لكَ فيما بعدَ، بأقرب مدة؛ فَتَكْسِبُ به المثلِ مِثْلَيْنِ!

فمضى أبو القاسمُ، واشتراه أيضاً بستينَ ديناراً أخرىَ، وملأ به الزجاجَ المذهبَ وحملهَ، وجاء به فوضمه على رفٍ من رفوف ينته في الصدرِ، ثم إن أبو القاسم دخل الحمامَ يغسلُ؛ فقال له بعضُ أصدقائه: يا أبو القاسم؛

* بحان الأدب: ٣ - ٢٣٢.

(١) المداس كصحاب: الذي يلبس في الرجل (٢) السمسار: المتوسط بين البائع والمشتري

(٣) قاعدة ديار ربيعة.

أشئت أن تغير مدارسك هذا ! فإنه في غاية الشناعة ! وأنت ذو مال بحمد الله ! فقال
له أبو القاسم : الحق معك ؟ فالسمع والطاعة .

ثم إنه خرج من الحمام ، ولبس ثيابه ، فرأى بجانب مدارسه مدارساً آخر
جديداً ؛ فظن أن الرجل من كرمه اشتراه له ؟ فلبسه ، ومضى إلى بيته !
وكان ذلك المدارس الجديد للقاضي ، وقد جاء في ذلك اليوم إلى الحمام ، ووضع
مدارسه هناك ، ودخل يستتحم !

فما خرج فتش عن مدارسه ؟ فلم يجدِه ؟ فقال : أَمْنَ لبس حذائي لم يترك
عوضه شيئاً ؟ فقتلوا ؟ فلم يجدوا سوى مدارس أبي القاسم ! فعرفوه ؛ لأنَّه كان
يُصرَّ به المثل !

فأرسل القاضي خدمَه ، فكَبَسُوا ^(١) بيته ، فوجدوا مدارسَ القاضي عنده ؛
فأحضره القاضي ، وضربه تأديباً له ، وحبسه مدة ، وغرمه بعض المال وأطلقه !

فخرج أبو القاسم من الحبس ، وأخذ حذاءه ، وهو غضبان عليه ، ومضى إلى
دجلة ، فألقاه فيها ؛ ففاص في الماء !

فأَتَى بعض الصيادين ورمى شبكته ، فطاعم فيها ! فلما رأى الصياد عرفه ، وظن
أنَّه وقع منه في دجلة ! فحمله وأتى به بيت أبي القاسم ؟ فلم يجدِه ؟ فنظر فرأى نافذة
إلى صدر البيت ، فرمى منها إلى البيت ، فسقط على الرف الذي فيه الزجاج ، فوقع ،
وتكسَّر الزجاج وتبدَّد ماء الورد !

(١) كبس داره : هجم عليها واحتاط بها .

فجاء أبو القاسم ونظر إلى ذلك فعرف الأمر ، فلطم وجهه ، وصاح يكى ،
وقال : واقرئاه ! أقرني هذا المداس الملعون !

ثم إنه قام : ليحفر له في الليل حفرة ، ويدفعه فيها ، ويرتاح منه ؛ فسمع
الجيران حس الحفر ؛ فظنوا أن أحداً ينقب عليهم ؛ فرفعوا الأمر إلى الحاكم ؛
فأرسل إليه ، وأحضره ، وقال له : كيف تستتحل أن تنقب على جيرانك حانطهم ؟
وحبسه ، ولم يطلقه ، حتى غرم بعض المال !

ثم خرج من السجن ومضى وهو حردان ^(١) من المداس ، وحمله إلى كثيف
الخان ، ورماه فيه ، فسد قصبة الكثيف ؛ ففاض وضجر الناس من الرائحة
الكريهة ! وبخوا عن السبب ؛ فوجدوا مداساً فتاولوه ؛ فإذا هو مداس أبي القاسم !
فحملوه إلى الوالي ، وأخبروه بما وقع ؛ فأحضره الوالي ، ووبخه وحبسه ، وقال
له : عليك تصليح الكثيف ! فترم بحفلة مال ، وأخذ منه الوالي مقدار ما غرم
تأدبياً له وأطلقه .

فخرج أبو القاسم والمداس معه ، وقال - وهو مفتاطنه منه : والله ما عدت
أفارق هذا المداس !

ثم إنه غسله وجعله على سطح بيته حتى يجف ؛ فرأه كلب ؛ فظن أنه رمة فحمله
وعبر به إلى سطح آخر ؛ فسقط من الكلب على رأس رجل ، فالمه وجراه جرحًا
بلينا ، فنظروا وفتشوا من المداس ، فعرفوا أنه لأبي القاسم !

(١) حران : غضبان (٢) الرمة بالكسر : العظام البالية .

فرفعوا الأمر إلى الحاكم ؟ فألزَمَه بالعَوْض ، والقيام بلوازم المجروح مُدَّةَ
مرضه ! فنفِدَ عند ذلك جميعُ ما كان له ، ولم يبق عنده شَيْءٌ !

ثم إن أبا القاسم أخذ المدارس ، ومضى به إلى القاضي ، وقال له : أريد مني
مولانا القاضي أن يكتب بياني وبين هذا المدارس مبارأة شرعية على أنه ليس مني
ولست منه ! وأن كلاماً منا بريء من صاحبه ، وأنه مهما يفعله هذا المدارس لا أأخذ
أنا به ! وأخبره بجميع ما جرى عليه منه !
فضحك القاضي منه ووصله ومضى !

{ تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه }

فهرس القصص

الباب الأول

في القصص التي تصف مآسيه - دلوه من مجالس الطرف ، وحفلات الغناء ، وما
أثاروه من أسباب المنافسة بين المغنين ، فاصدقين التر فيه عن النقوس ، وجلاء المم ،
وتهذيب المشاعر ، وترقيق الوجدان :

العنوان	الصفحة	رقم القصة
الشعر والغناء	١٠	١
قل لـ скрам ببابنا يلجموا	١٢	٢
عبد الله بن جعفر ضيف طويس	١٣	٣
سقونى وقالوا لا تفن	١٤	٤
عبد الله بن جعفر عند جميلة	١٥	٥
ييتان من الشعر	١٦	٦
ماذا فعلت بزاهد متعبد؟	١٧	٧
دُعَابَةُ ابن أَبِي عَتِيق	١٨	٨
لحن جميلة	١٩	٩
في أيام الحج	٢٠	١٠
في وادي العقيق	٢١	١١

العنوان	الصفحة	رقم القصة
من أين صبّك الله علىَّ!	٣٧	١٢
ارجع إلى عملك راشدًا	٣٩	١٣
الأحوص يحتال حتى تسمع سلامه غناء الغريض .	٤١	١٤
غناء في ختان	٤٤	١٥
يضطرب حين يسمع الغناء	٤٧	١٦
في قصر الوليد بن يزيد	٤٩	١٧
معبد في مكة	٥١	١٨
معبد في السفينة	٥٣	١٩
وفاة مالك بن أبي السمح لمعب	٥٧	٢٠
مالك بن أنس يغنى	٦١	٢١
أفسد آخرًا ما أصلح أولاً !	٦٢	٢٢
ابن جامع في دار الخلافة	٦٣	٢٣
ابن جامع وأبو يوسف القاضى	٦٧	٢٤
سرقة الغناء	٧٤	٢٥
أنا والصبح كفرسي رهان	٧٨	٢٦
ما هذا بجزائي منك !	٨٠	٢٧
ما نفعي الغناء إلا ذلك اليوم	٨٢	٢٨
طفيلي ولكنه ظريف	٨٤	٢٩
زرياب وإسحاق الموصلى	٨٨	٣٠
في مسجد رسول الله تتفقى !	٩٢	٣١

العنوان	الصفحة	رقم القصة
شعر وقيق	٩٥	٣٢
صوت بدرهمين	٩٦	٣٣
أم جمفر تنوح على الرشيد	٩٨	٣٤
أما إليك سبيل غير مسدود؟	١٠٠	٣٥
عند مخارق	١٠١	٣٦
مخارق يغنى لأبى العتاهية فى شعره	١٠٤	٣٧
الفنون عند الواقع	١٠٦	٣٨
في دار الواقع	١٠٩	٣٩
محبوبة جارية المتكوك	١١٣	٤٠
قيمة تحن إلى بغداد	١١٥	٤١

الباب الثاني

فـ القصص التي تفضح عن رقة قلوب العرب، ورفاهة عواطفهم وسمو نفوسهم
بالإـ خـ بـارـ عـمـنـ وـقـعـ الـحـبـ فـ قـلـبـهـ وـامـتـزـجـ الـعـافـ وـالـشـرـفـ بـحـبـهـ ، وـلـكـنـ اـمـتنـعـ
عـلـيـهـ أـمـلـهـ ، فـبـقـيـ مـعـذـبـاـ فـ سـبـيلـ مـنـ أـحـبـ ؟ـ وـرـاحـ شـهـيـدـ الرـقـةـ وـالـعـافـ :ـ

العنوان	الصفحة	رقم القصة
جي الجمال على نصر فرق به	١١٨	٤٢
عن المدينة تبكيه وي بكيها		
عروة وعفرا	١٢١	٤٣

رقم القصة	الصفحة	العنوان
٤٤	١٢٨	قتيل الحب
٤٥	١٢٩	قيس ولبني
٤٦	١٤٤	ما أبالي ما نيل من شعرى ومن بشرى
٤٧	١٤٦	ف القلبين ثم هو دفين
٤٨	١٤٨	أخبرني عن ليلة الفيل
٤٩	١٥٠	أيا شبه ليلى لا تراعى
٥٠	١٥١	استبكاني السبيل إذ جرى
٥١	١٥٢	عهود جبل التوباد
٥٢	١٥٣	حديث الجنون عن ليل
٥٣	١٥٤	حلال لليلي شقمنا
٥٤	١٥٥	إن دائي ودوائي أنتِ
٥٥	١٥٧	مارأيت مثل حزنها ووجدها عليه قط
٥٦	١٥٩	عند الكعبة
٥٧	١٦١	ذهول!
٥٨	١٦٣	خاتمة الجنون
٥٩	١٦٧	اليوم يجمعنا في بطنهما الكفن
٦٠	١٧١	العفة في الحب
٦١	١٧٣	حديث جميل وبثينة
٦٢	١٨١	عتاب بين بثينة وجميل
٦٣	١٨٢	يقتذكran الشعر والم الموى
٦٤	١٨٣	لا أزال أبكيه حتى الممات

العنوان	الصفحة	رقم القصة
حى وتحك من حياك يا جل	١٨٥	٦٥
إلى الخلوات يأنس فيك قلبي	١٨٨	٦٦
من لم يقيد جوارحه أتعب قلبه	١٩٠	٦٧
غداً يكثر الباكون منا ومنكم	١٩٢	٦٨
وذو الشوق القديم وإن تعزى	١٩٤	٦٩
مشوق حين يلقى العاشقينا		
قضى كل ذى دين فوق غريمها	١٩٦	٧٠
وعزة مطلول معنى غريمها		
تفنيه فيموت	١٩٨	٧١
فاضت نفسها عليه	٢٠١	٧٢
يموتان في وقت واحد	٢٠٤	٧٣
رحلت مية ولم يبق إلا الديار	٢٠٧	٧٤
صباية ابن الطّارِيَة	٢١٠	٧٥
معبد الصغير وأحد العشاق	٢١٦	٧٦
نعب الغراب بغرافهما	٢٢٠	٧٧
نخلتا حلوان	٢٢٤	٧٨
وارحنا للعاشقينا	٢٢٦	٧٩
الله يعلم أنني كد	٢٢٩	٨٠
في دار المجنين	٢٣١	٨١
عتاب	٢٣٦	٨٢
يا غريب الدار عن وطنه	٢٤٠	٨٣

الباب الثالث

فِي الْقُصُصِ الَّتِي تَحْتَاجُ لِمَا اتَّصَفُوا بِهِ مِنْ شَدِيدِ الْعِيْرَةِ عَلَى الْجَرِيمِ ، وَبِالْعَالِمِ الْخَافِيِّ
مِنَ الْتَّهْمَةِ ؛ إِغْلَاءِ بِالشَّرْفِ ، وَضَمَانًاً لِوَفْرَةِ الْعَرْضِ ، وَمَا جَرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ إِزْهَاقِ
الْأَرْوَاحِ وَسْفَكِ الدَّمَاءِ ، دَرْءًاً لِلْفَلْذَةِ ، وَاتِّقاءً لِلْسَّمْعَةِ :

رقم القصة	الصفة	العنوان
٨٤	٢٤٢	لَا أَحَدٌ أَذْلُّ مِنْ جَدِيسٍ
٨٥	٢٤٥	آبِي الْتَّلِّ
٨٦	٢٤٧	أَجَبِنُ النَّاسَ وَأَحَيِلُّ النَّاسَ وَأَشْجَعُ النَّاسَ
٨٧	٢٥٤	خَلْ سَبِيلُ الْحَرَةِ الْمُنْبِعَةِ
٨٨	٢٥٨	عِنْدَ الْمَوْتِ
٨٩	٢٦٢	تَمُدوُ الْذِئْبُ عَلَى مَنْ لَا كَلَابَ لَهُ
٩٠	٢٦٣	الْأَحْوَصُ وَابْنُ حَزْمِ الْأَنْصَارِي

الباب الرابع

فِي الْقُصُصِ الَّتِي أَرَادَ بِهَا الْكِتَابُ تَصْوِيرَ حَالَةً ، أَوْ شَخْصًّا أَوْ مَجْلِسًا ،
وَأَخْتَرَعُوا لَهَا مِنَ الْكَلَامِ مَا يُبَلِّغُ إِرَادَتَهُمْ ، وَيُدْخِلُ فِي ذَلِكَ الْبَابِ مَا وَضَعُوهُ عَلَى
أَلْسُنَةِ الطَّيْرِ وَالْبَهَائِمِ ، وَأَنْوَاعِ الْحَيْوَانِ مِنْ مَحَاوِرَاتِ وَأَحَادِيثِ تَحْمِلُ فِي أَثْنَائِهَا
الْمَبْرَةُ وَالْمَظْهَرُ وَالنَّصْحُ :

العنوان	الصفحة	رقم القصة
أكلت يوم أكل كل الثور الأبيض	٢٦٨	٩١
حديث السقifica	٢٦٩	٩٢
من استجير من جورك؟	٢٨٥	٩٣
خدعة لعاوية	٢٩١	٩٤
من صدق الله نجا	٢٩٩	٩٥
عربن أبي ربيعة في مضرب فاطمة بنت عبد الملك	٣٠١	٩٦
عماره	٣٠٥	٩٧
عمر بن أبي ربيعة في لبسة أغрабي	٣١١	٩٨
حديث يوم الدُّوْنَة	٣١٥	٩٩
لولا فصاحتهم لضررت أعناقهم	٣٢٢	١٠٠
يوم دارة جلجل	٣٢٤	١٠١
دعني وربى الذي لا يدخل ولا يذهب	٣٢٧	١٠٢
أبو جعفر المنصور في المرأة	٣٣٥	١٠٣
واعظ أبي جعفر المنصور	٣٤١	١٠٤
لماذا سُلِّبوا الملك؟	٣٤٥	١٠٥
جعفر البرمكي والرشيد	٣٤٧	١٠٦
إخوان الصفا	٣٥٠	١٠٧
لا أحب تخديش وجه الصاحب	٣٥٦	١٠٨
حكومة الضب	٣٥٧	١٠٩
أعلمك ثلات خصال	٣٥٨	١١٠
مجير أم عامر	٣٥٩	١١١
كيف أعاودك وهذا أثر فأسك!	٣٦٠	١١٢
حكيم	٣٦١	١١٣

الباب الخامس

فِي الْقَصَصِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا مَذَهْبُهُمْ فِي شَيَاطِينِ الشِّعْرِ، وَأَصْوَاتِ الْجَنِ فِي
الْفَيَافِي وَأَحَادِيثِهِمْ عَنِ الْفَوْلِ، وَرُؤْيَا مِنْ رَآهُمْ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مَا يَصُورُ سَعْة
أَخْيَلَتْهُمْ، وَسَعِيهِمْ وَرَاءَ الْمَجْهُولِ بِأَجْنَحَةِ التَّفْكِيرِ وَالْتَّصْوِيرِ:

العنوان	الصفحة	رقم القصة
تأبط شرًّا يقتل الفول	٣٦٤	١١٤
رئي الأعشى	٣٦٦	١١٥
هاجم الأعشى	٣٦٧	١١٦
عبيد بن الأبرص والشجاع	٣٦٩	١١٧
ومن عبيد لولا هَبِيد	٣٧٢	١١٨
لافظ بن لاحظ	٣٧٥	١١٩
تابع زهير بن أبي سلى	٣٧٧	١٢٠
حاتم يقرى الضيف بعد موته	٣٨٠	١٢١
جار مالك بن حريم	٣٨٢	١٢٢
الجن وابن الحارس	٣٨٤	١٢٣
حارس مال ابن الخضرم	٣٨٧	١٢٤
في موت أمية بن أبي الصلت	٣٨٩	١٢٥
في بحر الخزر	٣٩٠	١٢٦
نبجي سواد بن قارب	٣٩٢	١٢٧
ليلي الأخيمية على قبر توبه	٣٩٥	١٢٨
جان يختطف فتاة	٣٩٦	١٢٩

رقم القصة	الصفحة	العنوان
١٣٠	٣٩٨	لا بقاء للإنسان
١٣١	٣٩٩	الفريض يتلقى غناه عن الجن
١٣٢	٤٠١	شيطان أبي نواس
١٣٣	٤٠٣	إبليس في ضيافة إبراهيم بن المهدى
١٣٤	٤٠٧	دعيلى بن على ورجل من الجن

الباب السادس

فِي الْقَصَصِ الَّتِي تُسَرِّدُ بارعَ الْمَلْحَ الَّتِي أَثْرَتَ عَنِ الْحَقِّ وَالْمَجَانِينَ ، وَتَفَصَّلُ
رَوَائِمُ النَّوَادِرِ الَّتِي فَاضَتْ بِهَا قِرَائِحُ الطَّفَلِيِّينَ وَالْمُتَبَشِّئِينَ ؛ وَمَا يُشَبِّهُ ذَلِكَ مَا فِي هِرَاجِة
لِلنَّفُوسِ وَنَشَاطِ الْخَوَاطِرِ :

رقم القصة	الصفحة	العنوان
١٣٥	٤١٠	أَنْفُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعُ
١٣٦	٤١٢	أَبُو رَافِعٍ لَا يَكْذِبُ فِي نَوْمٍ وَلَا يَقْظَةً
١٣٧	٤١٤	أَهْلُكَ أَعْلَمُ بِكَ
١٣٨	٤١٥	الْمَقَادِيرُ تَصِيرُ الْعَيْ خَطِيبًا
١٣٩	٤١٦	لَئِنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَكُمْ
١٤٠	٤١٧	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَسْخَكَ كُلَّا
١٤١	٤١٨	يَوْمُ الْحِسَابِ
١٤٢	٤٢١	إِنْ أَعْطُوا رَضُوا
١٤٣	٤٢٢	مَا أَخْتَارَ غَيْرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ

العنوان	الصفحة	رقم القصة
أترى الله يعطيك وينساني؟	٤٢٤	١٤٤
طفيلي في حضرة المأمون	٤٢٥	١٤٥
أنا أول من آمن بك	٤٣٠	١٤٦
أبو دلف وجميفران الموسوس	٤٣١	١٤٧
رميت به في بطنك!	٤٣٤	١٤٨
لو علمت بحاله لو جلت عليه	٤٣٥	١٤٩
وعلى أيضاً!	٤٣٧	١٥٠
كذب بكذب	٤٣٩	١٥١
ذهب الحمار بأم عمرو	٤٤١	١٥٢
أعجب مارأيت من المجانين	٤٤٣	١٥٣
مجنون أديب	٤٤٧	١٥٤
كدر الله من كدر العيش	٤٤٧	١٥٥
يضيف أهل الصفة ثم يضرهم	٤٤٩	١٥٦
ابن المدبر وطفيلي	٤٥٠	١٥٧
صناعتهم التطفيل	٤٥٣	١٥٨
اصبروا على إلى الفد	٤٥٤	١٥٩
هو خير الناس مهما يفعل!	٤٥٤	١٦٠
طفيلي في عرس	٤٥٧	١٦١
طفيلي محدث	٤٥٨	١٦٢
غنى وغفلة	٤٦٠	١٦٣
حذاء أبي القاسم	٤٦٢	١٦٤

فهرس الأعلام

ابن المدبر : ٤٥١	(١)
أبو الأسود الدؤلي : ٤١٤ ، ٢٦٢	إبراهيم الحراني : ٩٢
أبو بكر بن أبي قحافة (الصديق) : ٢٦٩	إبراهيم بن عبد الملك بن صالح : ٣٤٩
أبو الحسن الببغاء : ٢٣٦	إبراهيم بن المهدى : ٨٢ ، ٣٤٧
أبو حية التميري : ٤١٧	٤٢٥
أبو الخيرى : ٣٨٠	إبراهيم الموصلى : ٢٦ ، ٧٤ ، ٧٨
أبو الدرداء : ٢٩٢	٤٠٣ ، ٩٦
أبو رافع (مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) : ٤١٢	ابن أبي عتيق : ١٥ ، ٢٤ ، ١٣٠
أبو ريحانة (حاجب عبد الملك بن مروان) : ١٩٢	ابن بُسْخَنَر : ١٠٩
أبو صالح الفزارى : ٢٠٧	ابن جامع : ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٧٤
أبو عبيدة عامر بن الجراح : ٢٦٩	٩٦
أبو العتاهية : ١٠٤	ابن دراج : ٤٥٣
أبو على بن الأسكنر : ١١٥	ابن سريج : ٣٠ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٥٢
أبو العنبر الصimirي : ٢٣٣ ، ٢٢٢	٣٩٩
	ابن صياد (مغن) : ١٠
	ابن مكحول (عراف اليمامة) : ١٢٥

- | | |
|---|---|
| <p>بنو تغلب : ٢٨١</p> <p>بنو الحريش : ١٦٣ ، ١٥٧</p> <p>بنو حمزة : ١٩٦</p> <p>بنو حنظلة : ٢٠٤ ، ١٣٥</p> <p>بنو عامر : ١٥٧ ، ١٥٢</p> <p>بنو قشير : ٢١٠</p> <p>بنو كعب : ١٢٩</p> <p>بنو نهد : ١٨٦</p> <p>بهلو (المجنون) : ٤٢٤</p> <p>(ت)</p> <p>تأبط شرا : ٣٦٤</p> <p>تميم بن أبي تميم : ١١٥</p> <p>توبه بن الحمير : ٣٩٥</p> <p>(ج)</p> <p>الحافظ : ٤٥١ ، ٢٢٦</p> <p>جديس (قبيلة) : ٢٤٢</p> <p>جرم (قبيلة) : ٤١٠</p> <p>حرير بن عبد الله البجلي : ٣٦٦</p> <p>الجعد بن مهجم : ٣١٥</p> <p>جعفر بن يحيى : ٢١٩ ، ٧٤ ، ٦٩ ،</p> | <p>أبو نواس : ٤٠١</p> <p>أبو هريرة : ٢٩٢ ، ٢٨٤</p> <p>أبو يوسف القاضي : ٧٢</p> <p>أحمد بن بشر : ٢٦٩</p> <p>أحمد بن حرب المهاجي : ٤٤٧</p> <p>أحمد بن يحيى (نعلب) : ٤٤٦</p> <p>إسحاق بن إبراهيم الموصلى : ٢٦</p> <p>١٠٠ ، ٩٨ ، ٩٦ ، ٨٨ ، ٨٤</p> <p>إسماعيل بن المربذ : ٩٦</p> <p>الأصمى : ٨٠</p> <p>أعشى قيس : ٣٦٧ ، ٣٦٦</p> <p>امرو القيس : ٣٢٤ ، ٢١</p> <p>أم جحدر (معشوقة ابن ميادة) : ٢٢٠</p> <p>أمية بن أبي الصلت : ٣٨٩</p> <p>(ب)</p> <p>بثينة (معشوقة جيـل) : ١٧١</p> <p>١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٨١ ، ١٧٣</p> <p>البحترى : ٢٣٣</p> <p>البرامكة : ٢١٦</p> <p>بشر بن مروان : ١٤٤</p> <p>بلـ (قبيلة) : ١٢٧</p> |
|---|---|

(د)

درید بن الصمة : ٥٢٤

دعبل بن علي : ٤٣٤ ، ٤٠٧

(ذ)

ذو الرمة : ٢٠٧

(ر)

الريبع بن كعب المازني : ٤١٠

ريبيعة بن مكدم : ٢٥٥

رزين الساكت : ٤٠١

الرماح بن أبربد : ٢٢٠

رملة بنت الزبير : ١٩٠

ريطة بنت جذل : ٢٥٧

(ز)

زریاب المغنى : ٨٨

زفر بن الحارث : ٣٢٠

زلزل المغنى : ١٠٦

زياد بن عبد الله الحارثي : ٤٤٩

زياد بن عمّان الفطفاني : ٢٢٠

زياد بن النضر الحارثي : ٣٩٦

زياد بن زيد العنزي : ٢٥٨

جعيفران الموسوس : ٤٥١

جميل بن عبد الله بن معمر : ١٧١ ،

١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٨١ ، ١٧٣

جميلة المغنية : ١٨ ، ٢٠ ، ٢٦

جناد (مولى عمر بن أبي ربيعة) :

٣٠

(ح)

حاتم الطائفي : ٣٨٠

الحارث بن سعد : ٢٤٨

حيي المدينة : ٢٥٩

الحجاج الثقفي : ٤١٦ ، ٤١٥ ، ٣٢٢

الحسن بن الحسن بن علي : ٣٥

الحسين بن دمحان : ٦١

الحسين بن علي : ١٣٠ ، ٢٩٥

حزنة الزيارات : ٣٧٨

حزنة بن عبد الله بن الزبير : ٥٧

(خ)

خالد الخريت : ٣١٢

خالد بن الحكم : ١٣٧

خالد بن يزيد بن معاوية : ١٩٠

خليقه بن بوذل : ٢١٤

(ص)	صالح بن علي : ٣٤٥	زينب بنت إسحاق : ١٩١
(ط)	طسم (قبيلة) : ٢٤٢	سالم بن قبيبة : ٣٢٤
	طفيل بن عامر المعرى : ١٦٧	سبيعة (من ولد عبد الرحمن بن أبي بكرة) : ٢٨
	طويس المغنى : ١٣	سعد بن خشrum : ٣٨٧
(ظ)	ظبيان بن عامر : ٤٠٧	سعيد بن العاص : ٢٥٩
	ظبية (معنى) : ٥٣	سفيان بن عيينة : ٦٢
(ع)	العباس بن الأحنف : ٣٥١ ، ٢٣٩	سلام الأبرش : ٦٤
	عبد الرحمن بن إبراهيم المخزومي : ٤٤٠	سلامة الزرقاء (المغنية) : ٤١ ، ٤٤
	عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : ١٤	سلیمان بن عبد الملك : ٣٩٨
	عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : ٢٦٠ ، ١٣	سهيل بن هارون : ٤٣٤
	عبد الرحمن بن الحكم : ٩١	سود بن قارب : ٣٩٢
	عبد الرحمن بن زيد المذري : ٢٥٨	سوار القاضى : ٤٢١
	عبد قيس (قبيلة) : ٣٨٠	سياط المغنى : ٢٦
	عبد الله بن جعفر : ١٣ ، ١٢ ، ١٠	(ش)
	٣٠٠ ، ٢٠٠ ، ١٨ ، ١٥	شبيب بن شيبة : ٣٣٥
		شرحبيل بن يعقوب الخزرجي : ٢٨٢
		شميلة (زوج مجاشع بن مسعود) : ١٢٠

- | | |
|---|--|
| عَقِيلَةُ بْنَ الصَّحَاكِ : ٢٠٦ | عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْزَيْرِ : ٣٢٨ |
| عَلَوِيهِ الْمَغْنِي : ١٠٠ | عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ : ٢٩١ |
| عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ : ٢٦٩ ، ٢٦٨ | عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ : ٤٢٣ ، ١١٣ |
| عَلَى بْنِ الْجَهْمِ : ٢٧٧ ، ١١٣ | عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْوَانَ : ٣٤٥ |
| عَلَى بْنِ الْخَلِيلِ : ٤٠١ | عَبْدُ الْمَلِكِ بْنَ صَالِحٍ : ٣٤٧ |
| عَلَى بْنِ مُحَمَّدِ التَّوْحِيدِيِّ : ٢٦٩ | عَبْدُ الْمَلِكِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَرِيجٍ : ٩٣ |
| عَمَارَةُ (مَعْنَيَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ) : | عَبْدُ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ : ١٩٠ ، ١٥ |
| ٣٠٥ | ٣٢٨ ، ١٩٢ |
| عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةٍ : ٢٨ ، ٣٠ ، ١٩٢ | عَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ : ٣٧٢ ، ٣٦٩ |
| ٣١٥ ، ٣١١ ، ٣٠١ | عَبِيدُ بْنُ الْحَمَارِسِ : ٨٣٢ |
| عُمَرُ بْنُ الْخَطَابِ : ١١٨ ، ٢٤٧ ، ٢٤٧ | عَمَانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْخَاطِبِيِّ : ٣١١ |
| ٣٩٢ ، ٢٦٩ | عَمَانُ بْنُ حَيَانِ الْمَرْتَىِ : ٢٤ |
| عُمَرُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ : ٣٢٨ | عَلَى بْنِ حَاتَمٍ : ٣٨١ |
| عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَرِيجٍ : ٤٠ | عُذْرَةُ (قَبْيلَة) : ١٢٨ |
| عُمَرُ بْنُ كَثْوَمٍ : ٢٤٥ | عُروَةُ بْنُ حَزَامٍ : ١٢٨ ، ١٢١ |
| عُمَرُ بْنُ مَالِكٍ : ٣٩٦ | عَزَّةُ (مَعْشُوقَةُ كَثِيرٍ) : ١٩٦ ، ١٨٥ |
| عُمَرُ بْنُ مَعْدِ يَكْرَبٍ : ٢٤٧ | عَصْمَةُ بْنُ مَالِكٍ : ٥٧ |
| عُمَرُ بْنُ هَنْدٍ : ٢٤٥ | عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ : ٤٧ ، ٤٤ |
| (غ) | عَفْرَاءُ بْنَ عَقَالٍ : ١٢٨ |
| الْفَرِيسُ (الْمَغْنِي) : ٤١ ، ٤٤ | عَقَالُ بْنُ مَالِكٍ : ١٢٨ |
| ٣٩٩ ، ١٧٣ | عَقِيلُ بْنُ زَيْدِ الْخَارِجِيِّ : ٢٨٢ |

		(ف)
	قارعة بنت ثابت : ١٤	
	فاطمة بنت عبد الملك بن مروان :	
	٣٠١	
	الفتح بن خاقان : ٣٧٧	
	الفرزدق : ١٨٥ ، ٢٠٤ ، ٣٢٤	
	فريدة (مفنيّة الواشق والتوكل) : ١١٠	
	فزاراة (قبيلة) : ١٣٦	
	الفضل بن الربيع : ٦٩ ، ٦٤	
	فليح (المغنى) : ٩٦	
	فهم (قبيلة) : ٣٦٤	
	(ق)	
	القاسم بن عيسى العجل : ٤٣١	
	قراد بن جرم : ٤١٠	
	قفذ بن جعونة : ٤١١	
	قيس بن ذريح : ١٣٦ ، ١٣٤ ، ١٢٩	
	١٤٨ ، ١٣٩ ، ١٣٨	
	(م)	
٥٧	قيس بن معد يكرب : ٣٦٧	
٦١	قيس بن الملوح : ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠	
٣٨٢	١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٥٤	
(٤ - ٣١)	ملك بن حريم :	
	١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤	
	لily بنت مهملل : ٣٩٥	
	١٦٣	
	لily بنت الحباب الكنعانية : ١٢٩	
	١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩	
	(ل)	
	١٤٨	
	لily الأخيلية : ٣٨٧	
	لily العامرية : ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠	
	١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤	
	١٦١ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦١	
	(ك)	
	١٩٦	
	كثير بن عبد الرحمن : ١٨٢ ، ١٨٥	
	كثير بن الصلت : ١٤١	
	١٦٣	
	١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦١	

- | | |
|--|---|
| مسكين الدارمي : ٢٣ | اللاؤون (الخليفة العباسى) : ٨٦ |
| مطيم بن إياس : ٢٢٤ | ٤٣٠ ، ٤٢٥ ، ٤٢٢ ، ١٠٠ |
| معاوية بن أبي سفيان : ١٢٧ ، ١٠٠ ،
٢٨٥ ، ٢٥٨ ، ١٣٨ ، ١٢٨ | التوكل (الخليفة العباسى) : ١١١ |
| ٣٠٥ ، ٢٩١ | ٢٣١ ، ٢٢٦ ، ١١٣ |
| معبد الصغير : ٢١٦ | مجاشع بن مسعود السلى : ١١٨ |
| معبد بن وهب : ٥٣ ، ٥١ ، ٤٩ | محبوبة (جريدة التوكيل) : ١١٣ |
| ١٧٣ ، ٥٧ | محمد بن إبراهيم : ٢٢٦ |
| ملاظ (المقى) : ١٠٦ | محمد بن سليمان : ٤٢١ |
| الملوح (أبو المحنون) : ١٥٩ ، ١٥٤ | محمد بن عائشة : ٣٧ ، ٣٥ ، ٢٦ |
| المنصور (الخليفة العباسى) : ٢٦٤ | محمد بن عبد الله (الرسول صلى الله
عليه وسلم) : ٢٩٩ |
| ٣٤٥ ، ٣٤١ ، ٣٣٥ | محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى :
٢٦٣ |
| المهلب بن أبي صفرة : ١٤٤ | محمد بن عمرو الزف (المقى) : ٧٥ |
| مبي بنت مقاتل المنقرية : ٢٠٧ | محمد بن القاسم : ٢٣١ |
| مبياد الجرمي : ٢١٠ | محمد بن قيس : ٢٠١ |
| (ن) | محمد بن يزيد (المبرد) : ٢٣١ ، ٢٢٩
٤٤٣ |
| نجيح اليربوعي : ٣٨٧ | مخارق (المقى) : ١٠٤ ، ١٠١ |
| نصر بن حجاج : ١٠٩ | مروان بن الحكم : ٢٨٥ ، ١٣٧ |
| نصر بن ذبيان : ٢٨٨ | مسحول بن أثابة (شيطان الأعشى) :
٣٦٨ ، ٣٦٦ |
| النعمان بن بشير : ٣٢٩ ، ١٢٨ | |
| نوبل بن مساحق : ١٦١ | |

الوليد بن عبد الملك : ٢٦٣ ، ٣٧	(ه)	هاذر (شيطان النابغة الذهبياني) : ٣٧٦
الوليد بن يزيد : ٣٢٧ ، ٤٩		هارون بن أحمد بن هشام : ١٠١
(لا)		هارون الرشيد : ٧٤ ، ٧٢ ، ٦٩
لافظ بن لاحظ (شيطان أمرى)		، ٩٥ ، ٩٢ ، ٨٨ ، ٨٢ ، ٧٨
القيس) : ٣٧٥		، ٣٦٩ ، ٣٥٢ ، ٢١٩ ، ٩٨ ، ٩٦
(ى)		٤٢٤ ، ٤٠٣
يعيى بن أكثم : ٤٣٠ ، ٣٦٩		هبيد (شيطان عبيد بن الأبرص) : ٣٦٨
يعيى بن خالد : ٣٥٢ ، ٧٢		هدبة بن خشرم : ٢٥٨
يعيى بن المبارك : ٤٢٢		هشام بن عبد الملك : ١٨٦
يزيد بن الطيرية : ٢١٠		هند بنت الحارث (أم عمرو بن هند) : ٣١٢
يزيد بن عبد الملك : ٤١ ، ٣٤		هند بنت الحارث المريّة : ٣١٢
٢٢٧ ، ٢٠١ ، ١٩٨		(و)
يزيد بن مسهر : ٣٦٨		الواشق (ال الخليفة العباسى) : ١٠٩ ، ١٠٦
يزيد بن معاوية : ٣٠٥ ، ٢٩١		
يزيد بن الوليد بن عبد الملك : ٣٢٧		
بونس بن محمد السكاكى : ١٨٨ ، ٢٦		

فهرس الأماكن

(ع)	العقيق : ٢١٧ ، ١٨٨ ، ٣٥	(ا)	الأبلة : ٥٣
(ق)	القططل (نهر) : ٢٢٦		إضم : ٥٣
	قرطبة : ٩١		الأهواز : ٥٣
	قيقعان : ٩١	(ب)	باب محول : ٦٤
(ك)	كثيب أبي شحوة : ٣٢		بحر الخزر : ٣٩٠
			البصرة : ١١٩
(م)	المدينة : ٢٤ ، ١	(ت)	التوBAD : ١٥٢
	مصر : ٣٤٨		
(ن)	النوبة : ٣٤٥	(ح)	حلوان : ٢٢٤
(ى)	الياسرية : ١١٦	(ذ)	
	اليمين : ٢٠٤ ، ١٥٢		ذو طوى : ٤٧
		(ص)	سامرا : ٢٢٦

مراجع هذا الجزء

لأبي الفرج الأصفهانى	الأغانى
لأبي على القاتى	الأمالى
للزجاجى	الأمالى
الباحث	البخلاء
للألوى	بلغ الأرب
لداود الأنطاكي	تزين الأسواق
لبيدادى	التطفيل
للحموى	نمرات الأوراق
لأبي زيد محمد بن الخطاب القرشى	جمهرة أشعار العرب
الباحث	حيوان
لبيدادى	خرزاتة الأدب
لأبي على القاتى	ذيل الأمالى
للحصرى	ذيل زهر الأداب
لمرصفى	رغبة الأمالى
للحصرى	زهر الأداب
للبكرى	شرح الأمالى

شرح مقامات الحريرى	: للشريشى
شرح نهج البلاغة	: لا بن أبي الحديد
صبح الأعشى	: للقلقشندي
عصر المؤمن	: للدكتور فريد رفاعى
العقد الفريد	: لابن عبد ربه
عيون الأخبار	: لابن قتيبة
غرر الخصائص الواضحة	: لأبي إسحاق الوطواط
الكامل في التاريخ	: لابن الأثير
الكامل في الأدب	: للمبرد
مجاني الأدب	: للأب لويس شيخو
مجمع الأمثال	: للميدانى
المحاسن والأضداد	: للجاحظ
المحاسن والمساوى'	: للبيهقى
محاضرات الأبرار	: لابن عربى
المختار من نوادر الأخبار (مخطوط)	: لحمد بن أحمد الأنبارى
مروج الذهب	: للمسعودى
المستطرف في كل فن مستظرف	: للأ بشيهى
مصالح العشاق	: لأبي جعفر بن أحمد السراج
معجم الأدباء	: لياقوت الحموي
معجم البلدان	: لياقوت الحموي

المتنى من أخبار الأصمى

مهدب الأغانى

: المرحوم الخضرى

فتح الطيب

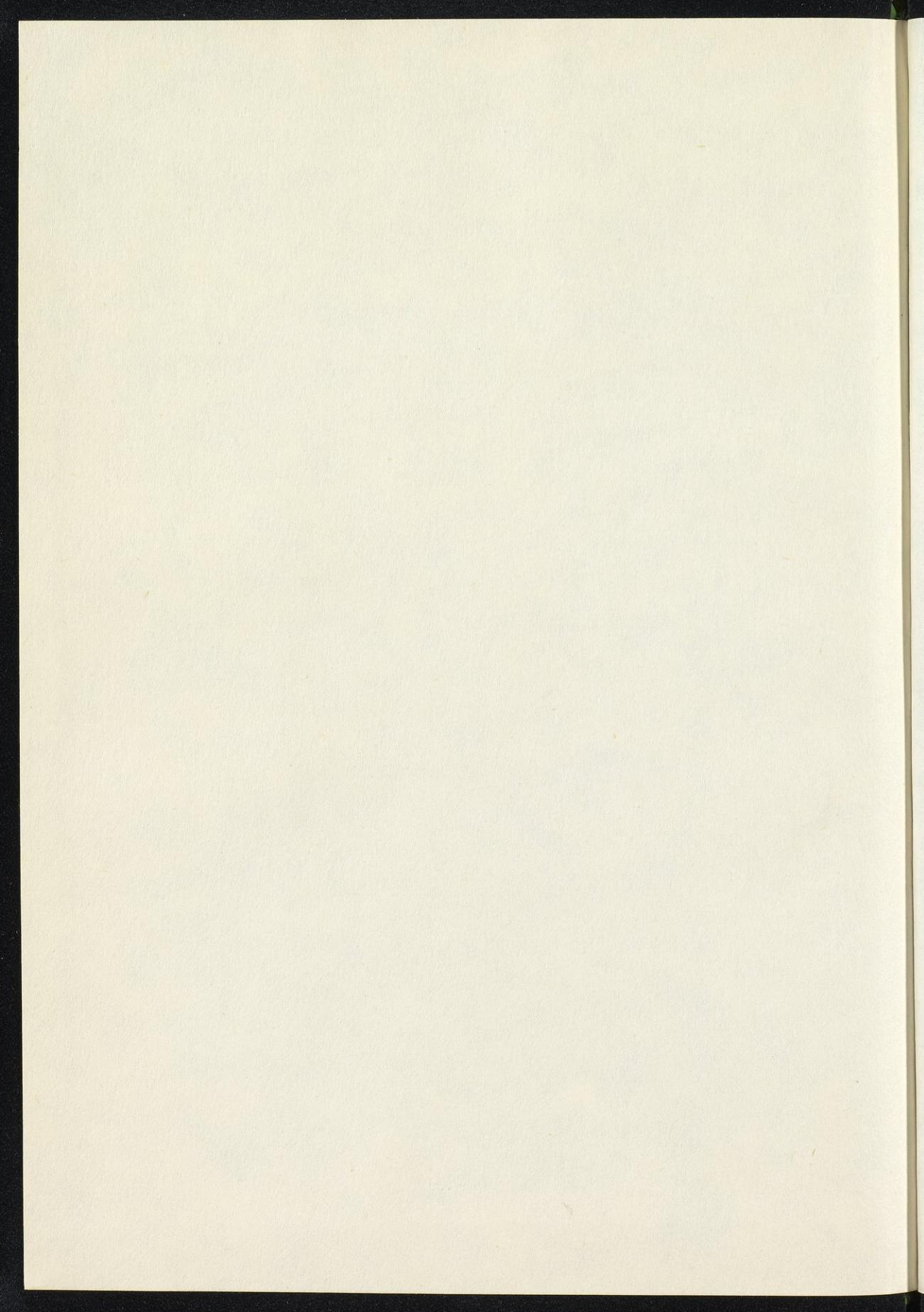
: المقرى

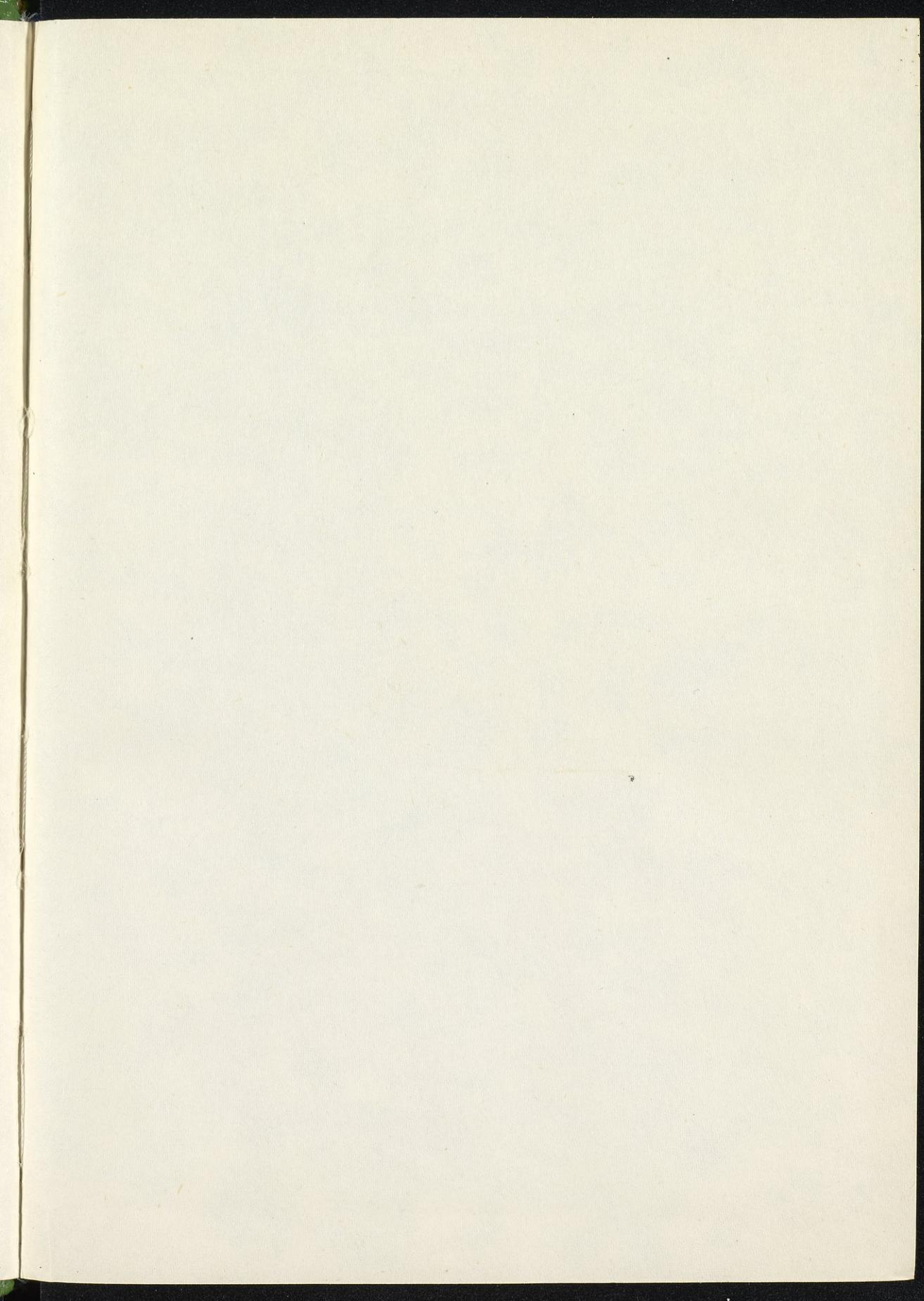
نهاية الأرب

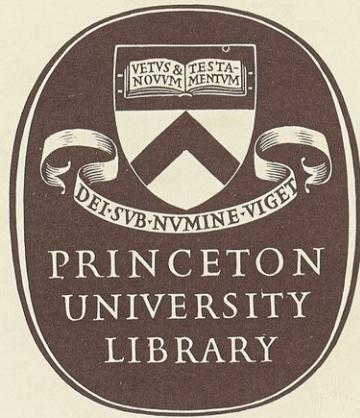
: للتويرى

مراجع الضبط والشرح والتحقيق والترجم

: للزخشري	أساس البلاغة
: للزرکلی	الأعلام
: لجورجي زيدان	تاريخ آداب اللغة العربية
: للمرحوم الخضرى	تاريخ الأمم الإسلامية
: للمرصى	رغبة الآمل من كتاب الكامل
: للتبريزى	شرح ديوان الحماسة
: للبكرى	شرح الأمالى
: لا بن الأنبارى	شرح المفضليات
: لا بن سلام	طبقات الشعراء
: لا بن قتيبة	طبقات الشعراء
: للضبى	الفاخر في الأمثال
: لأمين واصف	فهرس خريطة الممالك الإسلامية
: للفيروزبادى	القاموس المحيط
: لا بن منظور	لسان العرب
: لا بن قتيبة	المعارف
: لياقوت الحموى	معجم البلدان
: لا بن خلكان	وفيات الأعيان







Ir-Ar-Y8-931147

Jād al-Mawlá, Muḥammad Aḥmad.

Qīṣaṣ al-‘Arab / ta’līf Muḥammad Aḥmad Jād
al-Mawlá; ‘Alī Muḥammad al-Bajāwī, Muḥammad
Abū al-Faḍl Ibrāhīm. -- al-Ṭabāh 5. -- Qum :
Manshūrāt al-Sharīf al-Radī, 1364 [1985 or
1986]

4 v. ; 25 cm.

In Arabic; romanized record.

Cover title.

Reprint of the 1962 ed.

Includes bibliographies and indexes.

3000.00IR

For requesting libraries only.

(Anecdotes from various Arab countries)

AACR 2 1Ag88 AS

ID(CI/oLC/10)

WK07 Ir88-2355

26/5-1

